شرح الحكم العطائية

المسمّى ب (تلخيص الحكم)

تأليف

الشيخ نور الدين البريفكاني

محمد أحمد مصطفى الكزني



الناشر العربي

٨ شارع الصحافة بولاق القاهرة

ت ٧٧٩٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ٠

وبعد : فان الشعوب والامم ، تباهى برجالها الافذاذ ، وتتفاخر بعباقرتها من الرجال الذين برزوا فى ميادين العزة والكمال ، سواء كان الرجل عبقريا فى ميدان العلوم والتكنولوجيا ، أو عبقريا فى ميدان الاصلاح الاجتماعى ، أو القانونى ، أو كان عبقريا فى ميدان السياسة ، أو كان بطلا فى ميدان الوغى ، ويتفاخرون حتى بأولئك القتلة الذين غزوا الناس وقتلوا الابرياء وسلبوا الاموال وهتكوا الاستار واستحلوا المحرمات ٠ لست اقصد بما ذكرت أن أصادر على الناس مصادر مباهاتهم ، او أن اضع لهم مفهوما جديدا وميزانا آخر لما هو الجدير بالاعتزاز وما هو غير جدير به ٠ فان لكل أمة من الامم كل الحق فى ان تعتز بأبنائها الملهمين المتفوقين ، وان تجعل لنفسها ميزانا حسب رغبتها للتفاخر بأبنائها ، غير أن الذى اقصد - انما أشكو بثى وحزنى الى الله - انه لماذا يصادر على شعبنا التفاخر بأبنائه ، ويجعل له ميزانا لعظمة رجاله بعيدا عن رأيه وارادته ، وعلى كل حال فإن الانسان بامكانه فهم هذا اللغز وادراك كنه هذا الامر ، لكن الذى يحير الانسان ويؤذيه ، ويزيد الاسى والحزن فى كبده ، هو أن أبناء شعبنا قد تفرقوا الى شيع وجماعات تؤيد كل فرقة نظرية وافكار أناس يعيشون خارج حدود قوميتهم الذين يروجون لهم من الافكار ما يجعلهم عبيدا لهم من الناحية المادية والاعتقادية وشعبنا البسيط يرى تلك النظريات حقيقة مقدسة يعادى بعضه بعضا على اساسه ٠

فهناك ترى رجالا شجعانا يستحقون بكل جدارة أن يكونوا فى مصاف من شيد لهم الهياكل والتماثيل ويوضع على قبورهم اكاليل الزهور ، لكن بعضا من ابناء شعبنا يلعنونهم ويرجمون قبورهم بالحجارة، لان افكارهم المستوردة توحى لهم باهانة هؤلاء الابطال ، وترى رجالا

مصلحين من ذوى النفوس الطاهرة يستحقون بكل جدارة أن يكونوا قدوة وسادة ، وأن تكون المبادىء التى شيدوها وتحملوا الشدائد من أجلها نبراسا يهتدي بها هذا الشعب ، لكن بعضا من ابناء شعبنا لا يعير لهم أى اهتمام وبعضهم يكرهونهم ، لأن سادتهم يرون فى تلك المبادىء جمع شمل الكرد وتوحيد كلمتهم ، وهذا يؤدى الى الاضرار بمصالحهم ٠

هذه حقائق ملموسة ، غير أننا لابد أن لا نغالى فيها ، بل هناك عدا البساطة فى تقبل الاراء والافكار ، عوامل أخرى فى طمس معالم الشخصيات ، والعباقرة من الاكراد ، وهى عوامل اقتصادية ونفسية واضحة ، نترك شرحها اعتمادا على ذكاء القارىء الكريم ٠ فلنترك العموميات ، ولندخل فى صلب موضوعنا ٠

أن شخصية الشيخ العلامة « نور الدين البريفكانى » قدس سره قد شغل بالى منذ مدة من الزمن ، وقد بذلت مافى وسعى من الجهد المادى والعلمى فى جمع المعلومات والمصادر التى تبحث عنه ، فلما جمعت من المصادر والمخطوطات المنسوبة الى هذا الجناب المفضال قدرا لا بأس به فباشرت بكتابة الموضوع ، وكان سبب شغفى بهذا الرجل العظيم ان جدى غفر الله له ، قد شغفه حبا وكرامة واعجابا ، وكان يذكره كثيرا ويثنى عليه، وكثيرا مايذهب الى بريفكان مشيا على الاقدام لزيارة ضريحه ولازلت اذكر هيئة جدى وكلامه عندما كنت صغيرا ، فكان رضى الله عنه رجلا ربعا مع القوم يميل الى الطول وكان ذا لحية كثة ووجه أبيض مشرب بالحمرة ، وقد منحه الله قسطا لابأس به من الجمال الموهوب للانسان الكردى ، وكان يحبنى جدا ويلاطفنى ويراعينى اكثر من أولاده وأبناء عمى ، وكنت أصحبه كثير عندما يذهب الى الجامع أو الى بيوت أصدقائه حينما كان يزورهم ، وانذ وفاء لهذا الجد الحنون ولشبخه ، بادرت الى الكتابة عن هذا الرجل العظ والولى التقى الورع الشهم الشجاع الذى تمكن من قهر شهواته وتهذيب أخلاقه واصلاح المجتمع الذى كان يعيش فيه ٠

غير انى اظهارا للحق والحقيقة اعترف بأنى بعدما اطلعت عا

مؤلفات الشيخ ورسائله وأشعاره وتاريخ حياته المدون من قبـــل علماء عصره ، اعجبت بهذه الشخصية الفـذة اعجـابا لا مزيد عليه ، لانني تأكدت وأيقنت بأنه لو كان لشعبنا المغدور المقهور
عدة شخصيات من طراز الشيخ ـ قدس سره ـ لتوحـدت كلمته ، وجمع شمله ، وفاز بالسعادة والأمن والاستقرار والمحبة والثقة المتبـادلة بين أفراده . وتحرر من الرذائل الخلقية والجشع المادى ، وتحرروا من الحقد والحســـد والتباغض والتدابر والتقاتل فيما بينهم ، والاســـتيلاء على الأموال ، من طـريق الغش والغصب والسرقة وبيع الأحـــرار من أبناء جلدتهم الى الأعداء ، لله در القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لقد جمع ـ رضى الله عنه ـ بين حوالى مليون نسمة ، وآخى بينهم أخوة صادقة ورباهم على الصدق والاخلاص والمحبة والاخـلاق الفاضلة
لقد جمع الكرد والعرب فى كل من محافظات الموصل وأربيل ودهوك وجنوب تركيا وقسم من محافظة السليمانية تحت شـــعار (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (١) ، وتحت شـعار : ارتفعوا عن القرابة الطينية واعتبـروا القـــرابة الدينية (٢) :

جمعهم ورباهم على التواضع والقنـاعة والشفقة والادب وحسن الخلق ، وتحمل الأذى من الناس والاحســـان الى الخلق دون أن يطلبوا جـزاء أو شـــكورا ٠

وليس من شك ان الذى يجمع تحت قيادته هذا العـــدد الهائل من البشر من مختلف الاجناس ، من غير سلاح ولا عتاد من غير خوف ولا رهبة ، لابد ان يحمل قلبا يسعهم كلهم ، وأن يملك خزينة من الأنوار والأسرار تملأ عيونهم ، وتشبع رغباتهم ، وتسد حاجاتهم ومطامحهم الشريفة ٠

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ ٠

(٢) اشارة الى ما كتبه الشيخ فى اجـازة تلميـذه الشيخ سليمان بك الموصلى راجع ص ٠٠٠

ولو كان لنا عدة أشخاص من طراز الشيخ نور الدين ـ قدس سره لكان للعلماء والصلحاء والأمراء من هذا الشعب تاريخ يخلدهم ويبقى ذكرهم الى الابد (٣) . ولكان لنا تاريخ حافل بالامجاد والمآثر والمواقف البطولية ، ولم يستطع الأغيار أن يطمسوا معالم تراثنا ، أو يخفوا بطولات رجالنا ، أو يسرقوا شخصياتنا الافذاذ ويلحقوهم بتأريخ رجالهم .

الشيخ نور الدين ـ رضي الله عنه ـ يستحق أن يخلد بكتابة ترجمته ، لانه خلد الناس بكتاباته القيمة ، وخدمهم بأحياء أثرهم .

ويستحق أن نبذل الجهود فى نشر مؤلفاته ، لأن كتاباته كانت خالصة لوجه الله ولخدمة الصالحين من أبناء شعبه .

يستحق أن يفوز باحترام أبناء شعبه ، لأنه وقف مواقف مشرفة ، وضحى بكثير من المطامع المالية فى سبيلهم كما يظهر جليا من رده على على رضا باشا بهذا الاسلوب ، ونقده ليحيى بك الجليلى والى الموصل ، وامتناعه من ذم مير محمد الكبير الرواندزى الشهير (باشاى كوره) .

وفضلا عن ذلك فان مؤلفاته مصدر نور وهداية لأربابه ، وآية فى الفصاحة والبلاغة لمن يدقق فى معناها ومغزاها .

اللهم لا تحرمنا من الرجال الصالحين المخلصين الذين يخدمون دينهم ووطنهم ، الذين يتحملون الأذى والمشقة فى سبيل اسعاد الآخرين، الذين يقودون شعبهم الى شاطىء العز والسلامة والكرامة .

محمد الملا احمد الكزنى
قرية كزنة محافظة اربيل
٥ ـ ١ ـ ١٩٨٠

---

(٣) هذا اشارة الى كتاب « حجة اللهجة » الذى يشتمل على تراجم معظم أولياء وصلحاء الكرد . وهو من تاليف الشيخ نور الدين .

احوال المنطقة السياسية فى عهد الشيخ نور الدين

قرية بريفكان تابعة لقضاء شيخان ، وهى من قرى عشـــــيرة مزورى (زيرى) السفلى ، ومنطقة شـــيخان حسب قول المؤرخين كانت منطقة مضطربة ، حيث تقع مرة تحت سيطرة البادينانيين ، وتارة تحت سيطرة السورانيين ، وأحيانا كانت تقع تحت سيطرة امراء شيخان أنفسهم (أى اليزيديين) لأن أغلب أهالى المنطقة من اليزيدية (١) ، وعشـيرة المزورى التى يعتبر الشـيخ من ضمنها كانت تقع فى صراع مستمر مع اليزيديين حيث قتلوا على اغا البالاتى عم العـــلامة ملا يحيى المـــزور فى حوالى سنة ١٢٤٦ فى قرية بالاته وهى على مقربة من بريفكان من جهة الغرب فجاء الملا يحيى المزورى الى (محمد باشا) الرواندزى وطلب منه الثأر لعمه وأصر على ذلك وأصدر فتوى باباحة دم اليزيدية وحكم بكفرهم فعند ذلك اضطر (محمد باشا) الى اجابة طلبه فسار بجيش كبير الى اليزدية فهجم عليهم هجوما شديدا وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وذلك سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ (٢) وفى سنة ١٢٤٩ استولى على مدينة (عقرة) وطرد حاكمهـا اسماعيل باشا ، ثم سار الى (الزيبار) التى كانت خاضعة لـ « سعيد باشا » أمير « العمادية » فأخرجه من تلك البلاد وأقام مكانه فى الحـكم موسى باشا » الذى كان لاجئا اليه وكا[illegible] [illegible] بادينـــان [illegible] ومنافسا لـــ « سعيد باشا » لكنه بسبب عدم تمكن « موسى باشـــا » من السيطرة على الوضع استبدله بـ « رسول بك » أخى مير محمد (٣) .

وبالنسبة الى (عمـادية) و (عقـــرة) و (زاخو) بعـــد وفاة « اسماعيل باشا » بن « ســـعيد خان » سنة ١٢١٣ هـ انقسم أولاده على انفسهم ، وهم « قباد بك » و « محمد طاهر » و « مراد خان » و « عادل »

---

(١) القومية الكردية تأليف هادى رشيد جاوشلى ص ١٠٥ .

(٢) انظر خلاصة تاريخ الكرد وكرد[illegible]ان ج ١ ص ٢٢٩ .

(٣) أنظر المصدر السابق ص ٢٣٠

وراجع أيضا ما كتبه هزار على شرفنامه ص ٥٠٨ .

ى « زبير باشا » حيث عين (مراد خان) فى مكان أبيه ، فقاتل مع أخويه: محمد طاهر ، وقباد بك سنة ١٣١٤ حيث تدخل والى الموصل لوقف القتال ، وفى سنة ١٢١٥ هاجم الجيش العثمانى عليهم فسلخوا (العقـرة) من ولاية « العمادية » وسلموها لاخيه « قباد بك » ثم سيطر « قباد بك » على « العمادية » أيضا ، وفى سنة ١٢١٨ هاجمت عشيرة مزورى « قباد بك » وأسروه وفى سنة ١٢٢٠ حدث هجوم عام من قبل والى بغـداد ، وأمير السوران ، والبابان ، ووالى الموصل على قلعة العمادية ، وبعد الاستيلاء على القلعة واختـلاف الامراء حول مصير القلعـة ، سلمت الى « عادل باشا » وبعد وفاته سنة ١٢٢٣ عين أخوه « زبير باشا » فى مكانه ، ثم آن أمر قلعة العمادية الى « سعيد باشـا » ثم ال الى « أميـر محمـد الرواندزى » ، وكانت العلاقة بين أمراء العمادية وولاة الموصل فى توتر دائم (٤) .

فهذه الحروب والمشاحنات والتقـاتل على المناصب كانت بمرئى ومسمع من الشيخ ، وربما أثر على مشاعره ، لذلك ترك الدنيـا وكره الولاة والامراء ، وابتعد عن السياسة، وأوصى أتباعه بالابتعاد عن هؤلاء الامراء واعتبرهم ظلمة .

لذلك فان ما قاله صـديق الدملوجى : « كان من الافضل للشيخ نور الدين أن يعيد اليزيدية الى الهـداية والاسلام » قول : مردود ، لانه لو دخل مع اليزيديين فى صراع مسلح كان من الصعب أن يصـدق أن صراعه معهم كانت لغاية نزيهة ، حتى ولو كانت غايته نزيهة ، ويمكن لولاة الموصل وأمراء السوران والبادينان أن يستغلوه لاغراضهم الدنيوية ، لذلك أعتقد بأن ما قام به الشيخ فى تلك الفترة ، وهو الحياد والابتعـاد عن السياسة ، والاستقلال ، واتهام المتقـاتلين بأنهم مفرقو الشعب الكردى ،

---

(٤) أنظر ما كتبه هه زار فى هامش شرفنامه ص ٢٧٠ ، وغرائب الاثر لياسين العمرى ص ٨١ .

ومضعفوا الامة الاسلامية ، كانت سياسة حكيمة نابعة من الضمير الحى والاشفاق على الشعب ، وما قام به هو الهام من الله ، والا فان الرجـل المقدس الذى يطيعه ويقدسه ٧٥٠,٠٠٠ مريد لو تحرك بالاتجاه المعاكس كما يريده الدملوجى وامثاله صارت المنطقة بحرا متـــلاطما من الدماء ، لان جيوش الامراء الذين كانوا يدوخون المنطقة انذاك لاتزيد على ١٠٠,٠٠٠ نسمة فكيف بـ ٧٥٠,٠٠٠ مريد متفانين فى سبيل اطاعته ٠

* * *

الحالة العلمية فى عهد الشيخ

لقد كانت الحالة العلميـــة مزدهرة الى حد ما فى تلك الفترة حيث كان امراء الاكراد يقومون بخـــدمة المساجد والمدارس والعلماء ويهتمـــون بشئونهم ويحترمونهم خاصة منهم مير (محمد الروانـــدزى) المشـــهور بـ « باشـاى‌كوره » فكان هناك فطاحل العلمـــاء مثل أبى بكر الاربيلى ، والشيخ هداية الله الاربيلى ، ومحمد القاضى الماورانى ، والعـلامة على الوسانى ، وقاضى داود الدبرى الذى هو من اجداد الاســتاذ الملا طـه الكورى ، والعلامة ملا محمـــد الهرشمى ، وهو جـــد الشيخ مصطفى النقشبندى ، والفاضل البيتوانى ، والعلامة الملا محمد الخطى ، والعـلامة الملا حسين البشدرى ، والعلامة محمد فيض الزهاوى ، والعـلامة الملا محمد بن آدم ، والعلامة عيسى صفاء الـدين البندنيجى (المنـــدلى) ، والعلامة الشيخ طه السورسورى ، والعـلامة أسعد الجلى ، وهو جـد العلامة الملا محمد الكويبى الشـهير بـ (مـلاى كه وره) العـام الكبير ، والعلامة عبد الرحمن الروز بهانى ، والعلامة يحيى المزورى ، والعـلامة محمود بن محمد العمر كنبدى ، والعلامة المعمر عبد الله الكلالى ، والعلامه أحمد المبركى ، والعلامة محمد أمين الشيخانى ، والعلامة أحمـــد العمر كنبدى ، والعـــلامة عبيد الله الحيـــدرى ، والعـــلامة ابراهيم فصيح الحيدرى (١) وغيرهم من العلماء ٠

* * *

---

(١) راجع عنوان المجد من ص ١٤٠ الى ص ١٥٠ ٠

نسبه :

هو الشيخ العارف نور الدين بن السيد الشيخ عبد الجبار بن السيد الشيخ نورى بن السيد أبى بكر بن السيد زين العابدين بن الشيخ شمدين المشهور بكونه قطب وقته وشمدين بلغة الكرد بمعنى شمس الدين (١) ابن السيد الشيخ عبد الرحمن بن السيد الشيخ شمس الدين بن السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد الشيخ موسى بن السيد الشيخ سليمان ابن السيد الشيخ عبد الغنى بن السيد الشيخ اسحاق بن السيد بابا منصور قدس سره بن السيد الشيخ حسين الاخلاطى الحسينى الذى توفى سنه ٦٢٦هـ بن السيد الشيخ على الموحد بن السيد الشيخ حاجى نظام الدين بن السيد الشيخ احمد بن السيد الشيخ زين العابدين على المشهور بزوردانى الخراسانى قدس سره ، وهو خلف الملا محمد الجهلتناتنانى والشيخ الخراسانى المذكور أخذ الطريقه من الشيخ زين الدين الخوافى (٢).

الى هنا أتوقف ، لان كلا من الشيخ نور الدين قدس سره ، والشيخ عبد الحميد قدس سره توقف هنا . وهذا لا يعنى أننى أشك فى أن الشيخ نور الدين ينتمى نسبه الى الامام حسين بن على بن أبى طالب ، ولا يعنى أن الشيخ نفسه كان فى شك من هذا النسب . بل يعنى أن ما بعد الشيخ على الخراسانى لم يضبط على وجه الدقة . ويعنى أيضا أن الشيخ قدس سره لم يكن مهتما بالنسب بل كان مشغولا بالطاعة والعبادة ، وكان يرى الفضل والعزة من العبادة وتقوى الله ، لا فى الانتساب الى الحسن والحسين - رضى الله عنهما - وكان - قدس سره - يعتبر سلسلة الآباء القرابة الطينية ، وسلسله أسانده الطريقة القرابه الدينية . ويعتبر

---

(١) انظر مرآة حقائق الطريق ، ورقة ١١٦ و ١١٧ .

(٢) كما ورد فى كتبه الشيخ العارف عبد الحميد بن الشيخ شمس الدين بخط يده سنة ١٣٠٠ وفى قصيدة الشيخ نور الدين نفسه التى مطلعها :

طال شوقى وهنّ كل فؤادى
وغرامى قد ثار للأجداد

القرابة الدينية أفضل وأقرب الى الرسول (ص) من النسب الطينى حيث ورد فى الاجازة التى كتبها الى تلميذه الشيخ سليمان بك بن عبد الرحمن بك الموصلى (٣) **(ثم اعلم أن الأقربين على نوعين قرابة طينية وقرابة** دينية . **والأولى قرابة النسب** ، والثانية **وهى المعتبرة فى الشرع هى** القرابة الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا **يتوارث أهل** الملتين (٤) » فلولا قرابة الدين ما ورث قرابة الطين شيئا) **وقد أطال فى بيان** ذاك .

ويحضرنى هذا ما سمعت مرات عديدة من فضيلة الأستاذ عبد الرحيم البرخى كان يقول : ان العلامة المفضال الاستاذ ملا عبد الرحمن البينجوينى كان ينتمى نسبا الى الشيخ شمس الدين القطب أى انه أبناء غم مع شيوخ **أترويش** ، وكان **يزوره الشيخ** سعيد والد شيخ محمود الحفيد وكان يلح عليه أن يعرف نفسه بسيد البينجوينى والشيخ ، لا الملا البينجوينى ، وكان يجيبه ويقول : يا شيخ ان كان المقصد الشهرة ومنافع الدنيا فان علمى يكفينى وان كان المقصد القيادة فالله يعرف **كل** شىء .
ومما ينسب الى الأمام على كرم الله وجهه قوله :

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم من أصلهم حسب
يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يجهله
والجاهلون لأهل العلم أعداء (٥)

---

٣ ـ انظر ميض الجمال ، ورقة ١٠٧

٤ ـ هذا الحديث رواه الترمذى عن جابر انظر سنن الترمذى أبواب **الفرائض رقم الحديث ١٩١ .**

٥ ـ أنظر تفسير القرطبى به ١٦ ص ٣٤٢

وعن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله (ص) خطب الناس يوم فتح مكة قال : « أيها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبيـــة الجاهليـــة وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله · والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب » (٦) ·

وعن مالك الأشعرى : أن رسول الله (ص) قال : « ان الله لا ينظر الى أجسادكم ، ولا الى أنسابكم ، ولا الى أجسامكم ، ولا الى أموالكم ، ولكن الى أجسامكم ، ولا الى أنسابكم ، ولا الى أجسامكم ، ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليـــه ، وانمـــا أنتم بنو آدم ، وأحبكم اليه أتقاكم » (٧) وروى البخارى عن أبى هريرة رضى عنه : قال : سئل رسول الله (ص) أى الناس أكرم ؟ قال : « أكـرمهم عند الله أتقاهم » (٨) وروى الامام أحمد — رضى الله عنـــه عن أبى ذر — رضى الله عنه — قال : « أنظر فانك لست بخير من أحمر — ولا اســود — الا أن تفضله بتقوى الله » (٩) وروى الطبرانى ان رسول الله (ص) قال : « المسلمون اخوه لا فضل لاحد على احد الا بالتقـــوى » (١٠) وروى البزار فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) · « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخـــــرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » (١١) وروى الطبرى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : رسول الله (ص) « لينتهين أقوام يفتخـــرون بفحم من فحم جهنم او يكونوا شرا عند الله من الجعلان التى تدفـــع النتن بأنفها ، كلكم بنو آدم وآدم من تراب » (١٢) ·

---

٦ — أنظر سنن الترمذى أبواب تفسير القرآن رقم الحـديث ٣٣٢٤ · وتفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤١ ·

(٧) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤٢ ·

(٨) رقم الحديث ٤٦٨٩ تفســير سورة يوسف ، فتح البـــارى ٣٦٤/٨ ·

(٩) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٧ ·

(١٠) نفس المصدر السابق ·

(١١) المصدر السابق ·

(١٢) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٩٤ ·

وروى الامام أحمد عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال رسول الله (ص) : « ان انسابكم هذه ليست بمنسبة على أحد ، كلكم بنو آدم طف الصاع لم تمنعوه ؟ ليس لاحد على أحد فضل الابدين وتقوى ، وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا » (١٣) وروى عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : « ما بنو هاشم بأولى الناس بأمتى ، ان أولى الناس بأمتى المتقون ، ولا قريش بأولى الناس بأمتى ، ان أولى الناس بأمتى المتقون » الحديث (١٤) وروى المسلم عن عبد الله بن عمر وقال :

سمعت رسول الله (ص) يقول : « ان آل أبى لبسوا لى بأوليـاء انما وليى الله وصالح المؤمنين » (١٥) . وقال تعالى « أن اكرمكم عند الله اتقاكم » (١٦) والاحاديث والآيات فى هذا الموضوع كثيرة جدا ، ولكنا اكتفينا بهذا القدر لضيق المجال . وغرضنا الاساسى من ايراد هذه الاحاديث ، أن نؤيد ونستدل على أن الشيخ نور الدين قدس سره كان محقا فى عدم اهتمامه بسلسلة النسب ، وان قوله : « والثانية وهى المعتبرة فى الشرع هى القرابة الدينية (١٧) . وان الذين يتهمون الشيخ قدس سره باهمال سلسلة النسب ، هم متهمون بالخطا والاسراف فى العناية بشىء نهى الشرع الشريف عن العناية به ، لله در القائل :

نحن بنو الاسلام والكل واحد

وأولى عباد الله بالله من شكر

اننا ذكرنا هذه النبذة المختارة من أحاديث الرسول (ص) لعلنا افدنا القراء الكرام ، غير أننا مصرون على أن الشيخ - قدس سره - هو ابن الرسول (ص) ونحن فى ذلك نستند الى أقواله ، لأنه ثقة ثبت

---

(١٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٨ .
(١٤) انظر تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٩٤ .
(١٥) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤٦ .
(١٦) سورة الحجرات - الآية ١٣ .
(١٧) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٠٧ .

بل حجة ، وصرح مرات عديدة بأنه من أولاد الرسول (ص) منها قوله :

تسلل بالعرفان منـه عبودتى
فيجمعنى فى الله من أصلى الصلب

فالشراح كلهم على أن مراده بـ (أصلى) القرابة الروحيـة الدينية الفاضلة من رجال سلسلة الطريقـة الى رسول الله ، مع القربة السلالية الفرعية الجسمية الحسية الى رسول الله (ص) ، أى أنه ـ قدس سره ـ حائز على النوعين من القرابة ، لذلك يجمعه فى الله من أصلين (١٨) وقال أيضـا :

وجادت على أثر الرســول شريفـة
وظنت حقيقا ما تقـــدمت الصحب

ويقول قدس سره :

يا ابنى فقم الجرىء الرعـا ب عــداك بأعــداد السلح

وقد نقل الشيخ حسن الدرزلى عن الشيخ نور الدين ـ قدس سره ـ أنه قال :

رأيت فى منامى الجد الامام حسن العسكرى يقبـل وجهى ويقول ترغيبا فيما أنا بصــدده من الذهاب الى الله : يا بنى فقم الجـرىء ، البيت (١٩) ، ويقول ـ قدس سره ـ ايضا :

نورى بريفكى (أصـل) ى ئه و
به لكى (حسين) ه (نسل) ى ئه و
تير ل دلدا (صل) ى أ، و
ره ش ئوزه كا كا (مـكة) ى

فانه يقول : نورى ويقصد نفسه أصله من قرية بريفكان فهى مسكنه ومسقط رأسه ، لكنه من نسل الحسين رضى الله عنه من حيث النسب .

---

(١٨) انظر فيض الجمال ، ورقه ١٤٨ .
(١٩) أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١١٦ .

ويقول - قدس سره - أيضا :

خه ليفـــه ى ناصرى سنت
توى هەر رە هيه رى (أمة)

نه هى به ر (طالبى) (منت)
ز نەسلا شـــاهى (عدنان)

فانه يخاطب نفسه ويقول : أنت خليفة ناصر السنة ، وأنت هادى الأمة ، ولست طالب منة من أحد ، وأنت من نسل سيد ولد عدنان . فهذه الأقوال من الشيخ نور الدين - قدس سره - تدل على أنه متيقن من أنه ينتهى نسبه الى الامام حسين بن علي رضى الله عنهما .

كما أن هذه الاقوال لا تدل على انه كان يفتخر بالنسبة ، وهو الرجل المؤمن التقى المصدق لقول الرسول (صلعم) « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٢٠) بل هو أجل من أن يفتخر بالانساب انه الرجل الشهم الذى صارع نفسه فصرعها وقاوم شهواته فقهرها ، انه يستحق أن يُفتَخَرَ بِهِ لا أن يفتخِرَ هو بشىء ليس له فيه كسب ولا جهد .
ويصرح الشيخ فى البدور ، فيقول : « فأنا الحقير السيد نور الدين ابن السيد عبد الجبار البريفكانى أصلاً ومولدا ، والأيتونى مسكنا ، والحسينى سلالة » (٢١) . ويقول - فى قصيدة أخرى - :

ب ئه صلى خوبريفكيمـــه
ب نه سـلى خـو حوسه ينيمـــه
تيمـــام وقوتبى وه ختيمـــه
ده ليل و ريبـــه رم يارب

يعنى أنا أصلا من أهالى بريفكان لذا نسبتى بريفكى لكننى أنتمى من حيث النسل والسلالة الى الحسين بن على (ص) وأنا قطب الوقت وامامه .

---

(٢٠) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر فى حديث طويل أوله « من نفس عن مؤمن كربة » رقم الحديث (٢٦٩٩) .

(٢١) انظر البدور الجلية ، الباب الثالث .

هذه اجازة الشيخ نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع غشاوة الغمة عن بصائر اهل الوداد بنور اصطفائه
الى اقوم مناهج الرشاد وزكى نفوسهم عن الميل الى الدنيا حتى سلكوا
اعدل طريق الزهاد وصفى قلوبهم عن الرين والاكدار المردية بصحيح
الاعتقاد واورثهم صفو اليقين حتى انمحت في بواطنهم مادة الريب
والعناد واترعت لهم كؤوس النعيم من كوثر غرائب العلوم بما ترادف لهم
من الامداد تعرف في وجوههم نضرة نعيم المعرفة وبشر الظفر بالمراد
ونودي في سرائر ضمائرهم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هو الله ذو
الملكوت المؤبد والجبروت السرمد والاسم الممجد الدائم في ملكه وبقائه
المنفرد في ارضه وسمائه الموحد في علوه وكبريائه الذاكر من ذكره من اوليائه
المجيب من امله في دعائه المجزل في امتنانه وعطائه المتطول بنعمه والائه
المتفضل على خلقه يوم عرضه وجزائه احمده على ما منح من السداد
واشكره على ما منع من موجبات الابعاد واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة دائمة الدوام بلا ابعاد واشهد ان سيدنا محمدا عبده
ورسوله المبعوث الى كافة العباد فهم العارفون الذين يعملون باحكام الكتاب
والسنة ويتادبون في الاقوال والافعال بمكارم الاداب والانس بالمساء والصباح
بترك المكروه والمباح فيا اسعد من تعلق باذيال اهل الصلاح ولا يبلغ الكمال الا بنفسه

اهل الفلاح، فطريقتهم الراضية المرضية، من لوامع بوارق الاصطفائية، من بهاء حضرة الاولية والجمالية، فهم العلماء العاملون، وهم الاتقياء الاكرمون، لهم الحال الوافي، والنظر الصحيح الصافي، هم الانقياء الاولياء، هم ورثة الانبياء، اهل الذوق والكشف والفهم،
قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما يعلم اورثه الله علم ما لم يعلم فانوار طريقتهم على القائمين بحقوقها لائحة، وانفاس طهاراتها من شمائل المتخلقين باخلاقها فائحة، ومعارف التوحيد لصدورهم شارحة، وعوارف الصدق بقبول مواهبه على قلوبهم سارحة،
اللهم فصل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه الطيبين الطاهرين الى يوم التناد،
وبعد فهذا تلقين الذكر الشريف ولباس الخرقة المباركة نفعهما عام للمسلمين الموحدين اذ كانت شعار الاتقياء التابعين، ولم تزل العلماء الراسخون من الفقراء لها بالعناية يتنقلون، اذ هي خرقة العناية من الله، ولباس الهداية في الله، واشارة الولاية بالله، وهي حاملة روح الايمان وريحان الاحسان، ومتعهد قصد العرفان فاذا ذكر ولبسها المريد الخالص عادله بها من صدق الوصال وكامل الاتصال بصر يشهد الجمع الاول فقد فاز من عليه عوله، ولما كان تلقين الذكر والباس خرقة علما للابرار، ودثارا للمقربين الاخيار، وسلما لنيل الاماني والاوطار، ومنهجا للمريدين، وسبيلا للمتعبدين، وكان التوصل الى ذلك بواسطة للمشائخ الصوفية، اهل المراتب السنية والمقامات العلية، والاحوال المرضية، المتنقلين بالاذكار والافكار، المسبحين لربهم بالعشي والابكار،
قال الشيخ الاجل السيد عبد الرحيم القادري اعلم ان اجازة المشائخ نعمة ابدية، ودولة سرمدية، فمن اتبع امرهم فقد هدى وصار اهلا لها، فاقول وانا الفقير الى الله سبحانه وتعالى المتطفل على موائد فضله وكرمه الجزيل العبد الضعيف محمود بن الشيخ عبد الجليل الموصلي، جعل الله يومه خيرا من امسه، وبصره بعيوب نفسه، باني قد لقنت الذكر الشريف والبست الخرقة المباركة لاخي وقرة عيني السالك الناسك الزاهد في الدنيا والمحب للعقبى المتوجه الى ربه تعالى

بجميع مقاصد السيد الحسيب والطالب النجيب والعالم النسيب الشيخ نور الدين بن الشيخ
الاجل السيد عبد الجبار الحسيني، واجزت له ان يلبسها وان يلقن الذكر الشريف
ويخلف من شاء من المسلمين التائبين الورعين، وان يفتح باب الزاوية
لخدمة الفقراء الصادقين، ويقبل الفتوحات ويصرفها في حوائجه وحوائج الفقراء،
واجزت له ايضا دامت بركاته ان يتوب من طلب تلقين الذكر وان يامره ويوصيه
بما يتقرب به عند مولاه عز وجل من انواع العبادات واصناف القربات ويعلمه شرائط
الطريقة والوصلة ويعلمه السلوك ورعاية الاوراد وذلك بحسب حاله وقدرته وان ياخذ
[illegible] الشيخ المرشد سلطان العارفين سيدي الشيخ عبد القادر قدس الله سره يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة واذا اراد الله تعالى لعبده الثبات والعزيمة على
[illegible] فيحسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق الافتقار وهو ملاك الامر كله
[illegible] الصدق في الافتقار وهو ان يكون امام كل قول يقوله وكل فعل يفعل يلتجي الى الله تعالى
[illegible] به تعالى وليحذر كل الحذر من اتباع الهوى ومصاحبة النفس وربما تسح عليه الخرق
فان الشيطان يلعب به حتى قطع عليه وقته واشغله بكثير مما لا يعنيه وخدع النفس كثيرة
[illegible] انها كمينة خفية تدق عن الوقوف عليها والصادق يستعين بالخلوة والعزلة على تبيين
ما يشتبه من امره قيل ادنى الادب الوقوف عند الجهل وغاية الادب الوقوف عند الشبهة ويعني بالجهل
ما يجهل هل فيه رضى الحق ام لا ويعني بالشبهة انه يعلم ان فيه رضا الله تعالى ولكن عنده فيه شائبة
تريبه فيتوقف في الشيء حتى يتبين له الرشد وذلك بدوام الالتجاء والتضرع بين يدي الله تعالى واذا
دعت النفس الى شيء ومالت اليه والعبد يقاومها والنفس تابى الاحتراز فليخرج العبد الى الصحراء
ويخلو بربه ويمرغ خده في التراب حتى يعينه الله تعالى على ترك ما يريبه الى ما لا يريبه،
ومبداء الامر صحة التوبة وتقييد الجوارح عن المناهي والمكاره قولا وفعلا ثم بعد هذا صحة
الامر في الزهد في الدنيا وغاية الزهد الاياس عن الخلق واستواء قبولهم وردهم وعند الياس
دوام الروح وصحة العبادة ووجدان اللذة فيها ونعم المعين بعد العزلة خفة المعدة
وقيام الليل، فاذا استقام قلب العبد بالتقوى والزهد لا يتخلف قلبه عن لسانه في الصلوة
والاذكار ويمكنه الله تعالى على حسم مادة النفس قال بعضهم من انتقل من النفس الى النفس

من غير ذكر فقد ضيع حاله لاشتغاله بما لا يعنيه ويحفظ العبد الصادق الجمعة والجماعة
ويبكر الى الجامع ويشتغل بانواع الطاعات وليحذر من مجالسة الخلق الا مع مفيد
او مستفيد قال الامام سفيان الثوري رحمه الله تعالى سمعت الامام جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنهما يقول عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فان تكن في شيء فيوشك ان
تكون في الخمول فان لم توجد في الخمول فيوشك ان تكون في التخلي وليس كالخمول فان لم توجد
في التخلي فيوشك ان تكون في الصمت وليس كالتخلي فان لم توجد في الصمت فيوشك
ان تكون في كلام السلف واوصيه ايضا بوصايا التي اوصاني بها سيدي [illegible] من التوقف
على حدود الشريعة المنورة والعمل بعزائمها وترك الركون الى الدنيا والرضا باليسير منها من
جهة حل ولزوم العزلة عن الناس الا لمصلحة دينية والعزلة عن الفكر والوساوس في غير مصلحة
دينية ودوام مراقبة الله تعالى ودوام التوكل عليه ودوام الزهد فيما سوى الله عز وجل
والرضا عن الله تعالى عند شدائد ونزولها والنهي عن الاهانة ظاهرا وباطنا وشهود
النقص في النفس دائما وعدم الانتصار لها اذا اوذيت والتيقظ فيما طلب التيقظ له
ومرجع هذه الوصايا الى الاقتداء بمن جعله الله تعالى على خلق عظيم وكان خلقه القرآن يرضى
لرضاه ويسخط لسخطه صلى الله عليه وسلم وسألته ان لا ينساني من دعائه في خلواته وجلواته
ولا ينسى والدي واشياخي واخواني واولادي ومحبي ثم اذا ساعده التوفيق وتحقق بسلوك
الطريق وعمل بالنصائح المودعة في هذه الكلمات والتزمها بدقته وسلك صحبة
اهل الصدق وتوجهت اليه طلبا للاقتباس والاستفادة وتعلم شروط الاحوال وشيئا
مكتسبة من اداب الشريعة ثم من صحبة المشايخ واذا توجهت القلوب اليه وطلب [illegible]
والباس الخرقة ماذون له ان يتدارك خواطرهم ولا يردهم وقت الباس [illegible] والنفس [illegible]

ممنوع ويكون امي وصديقي في حماية النية الصالحة بعون الله تعالى اللهم صل وسلم وبارك
على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين
وانا الفقير اخذت الذكر ولبست الخرقة من شيخي ومرشدي العارف بالله تعالى الحاج ابو بكر بن [illegible]
الآلوسي نسبا والموصلي سكنا سقى الله تعالى ضريحه صيب الرحمة والرضوان واسكنه بحبوحة الجنان
وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة القادرية من الشيخ المرشد العارف بالله تعالى حاجي [illegible]
وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة القادرية من الشيخ المرشد العارف بالله تعالى السيد عثمان القادري
وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة من الشيخ الكامل السيد ابي بكر القادري وهو اخذ من والده السيد يحيى
القادري قال السيد يحيى اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد حسام الدين القادري
وقال السيد حسام الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد نور الدين القادري
وقال السيد نور الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد ولي الدين القادري
وقال السيد ولي الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد زين الدين القادري
وقال السيد زين الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد شرف الدين القادري
وقال السيد شرف الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد شمس الدين القادري
وقال السيد شمس الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد الشيخ محمد الهتاك
القادري وقال السيد الشيخ محمد اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد الشيخ
عبد العزيز قدس سره وقال الشيخ عبد العزيز اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي
الامام العالم العامل قطب الوجود مالك ازمة المتصرفين الغوث الاعظم الباز الاشهب
السيد محي الدين الشيخ عبد القادر الحسني الحسيني الجيلاني قدس الله سره ورضي الله عنه
ابن ابي صالح جنكي دوست بن السيد عبد الله الجيلي بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد
بن السيد داود بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله
المحض بن سيدنا الامام الحسن المثنى بن الامام الهمام حسن السبط بن الامام الهمام البطل
الضرغام ليث بني غالب اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ونفعنا به
وقال سيدنا الشيخ عبد القادر اخذت الذكر والخلافة من يد رفيع المقام العارف بالله تعالى
العليم العلام ابي سعيد المبارك المخرومي الحنبلي وهو اخذ من الشيخ ابي الحسن علي بن محمد
القرشي الهكاري وهو اخذ من الشيخ الحسن بن علي وهو اخذ من الشيخ ابي الفرج الطرسوسي وهو
اخذ من ابي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي وهو اخذ من الشيخ ابي بكر الشبلي وهو

عن شيخ الصوفية ابي القاسم الجنيد البغدادي وهو عن ضياء الدين السري السقطي وهو عن
اسد الدين ابي محفوظ معروف الكرخي وهو عن قبلة الباطن علي بن موسى الرضى قال حدثني
ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين
عن ابيه الحسين عن ابيه الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال حدثني حبيبي وقرة عيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثني جبرائيل عليه السلام قال سمعت رب العزة تبارك وتعالى
يقول لا اله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وبالسند
الى الشيخ معروف الكرخي اخذ الذكر والخلافة عن داود الطائي وهو اخذ عن الشيخ حبيب العجمي
وهو اخذ عن حسن البصري وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة من امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وهو عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين رسول الله ابي القاسم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
عن جبرائيل الامين عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى اللهم اهدنا وسددنا والهمنا رشدنا
واعذنا من شرور انفسنا اللهم احشرنا في زمرة الصادقين والحقنا بصالحي الصوفية بين يديك
خلفا وسلفا ثبتنا الله واياه على ... نبيه صلى الله عليه وسلم ... قوله تعالى ان الذين يبايعونك
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

امضيتها وانفذتها لاخي وحبيبي وقرة عيني
السيد الشيخ نور الدين بن شيخ السيد عبد الجبار
وانا الفقير الحقير تراب اقدام السادات
والفقراء العبد الضعيف محمود بن
الشيخ عبد الجليل القادري
الخالوفي عفا الله
عنه وتقبل
منه
امين

وهذه وصية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه فقد سئله بعض اولاده الوصية فقال يا ولدي اوصيك
بتقوى الله تعالى وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده وتعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى واياك والمسلمين
اجمعين ان طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندا وكف الجفا
وحمل الاذى والصفح عن عثرات الاخوان واوصيك يا ولدي بالفقر وهو حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة
مع الاخوان والنصيحة للصغار والكبار وترك الخصومة الا في امور الدين وتعلم يا ولدي وفقنا الله واياك
ان حقيقة الفقر ان لا تفتقر الى من هو مثلك وحقيقة الغنى ان تستغني عن من هو مثلك وان التصوف
حال لا يؤخذ بالقيل والقال لكن اذا رأيت ولقيت الفقير فلا تبتدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه
والرفق يونسه واعلم يا ولدي وفقنا الله واياك والمسلمين اجمعين ان التصوف مبني على ثمان خصال الاول
السخاء الثاني الرضا الثالث الصبر الرابع الاشارة الخامس الغربة السادس لبس الصوف السابع السياحة الثامن
الفقر فالسخاء لنبي الله ابراهيم عليه السلام والرضا لنبي الله اسحق عليه السلام والصبر لنبي الله ايوب عليه السلام
والاشارة لنبي الله زكريا عليه السلام والغربة ليوسف عليه السلام ولبس الصوف لنبي الله يحيى عليه السلام والسياحة
لنبي الله عيسى عليه السلام والفقر لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم واوصيك يا ولدي ان تصحب الاغنياء
بالتعزز والفقراء بالتذلل وعليك بالاخلاص وهو قسمان عدم رؤية الخلق ودوام رؤية الخالق ولا تتهم [illegible]
ربك واسكن اليه تعالى في جميع الاحوال ولا تضيع حوائجك الى [illegible] وبينك من القرابة والمودة
والصداقة قال سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعليك بخدمة الفقراء بثلاثة اشياء احدها [illegible]
والثاني حسن الادب والثالث سخاء اليد وامت نفسك حتى تحييها واقرب الخلق الى الله تعالى اوسعهم خلقا
وافضل الاعمال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله عز وجل وعليك اذا اجتمعت مع الفقراء بالتواصي بالحق
والتواصي بالصبر وحسبك من الدنيا شيئان صحبة فقير وخدمة ولي واعلم يا ولدي ان الفقير لا يستغني [illegible]
سوى الله تعالى واعلم يا ولدي ان الصوفي [illegible] دونه [illegible] فقر ان الفقر والتصوف
فلا تخالطه بشيء من الهزل وهذه وصيتي لك ولمن سمعها من المريدين كثرهم الله تعالى وهو يوفقك وايانا لما ذكرنا
ويجعلنا ممن يقتفي اثار السلف الصالح ويتبع اثارهم بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه شجرة اصلها

اصيل وحاملها رضا فضل وفقه الله سبحانه وتعالى [illegible]
بمنه وكرمه سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين اجمعين وذريته واهل بيته
الطيبين الطاهرين [illegible]

النبي والرسول وآله وصحبه وذرياته وأهل بيته
الطيبين الطاهرين وعلى سائر صحبه
أجمعين وعلى جميع عباد الله
الصالحين
آمين
تم

قالها بفمه وكتبها بقلمه العبد الفقير الملتجي عفو
ربه القدير تراب أقدام الصلحاء وغبار
مجالس العلماء الجني محمد ديو بن عبد
الجليل الحضرمي أصلا والموصلي مسكنا
غفر الله ذنوب أقواله وستر
عيوب أحواله بمنه
وفضله آمين
١٣٣٢
سنة

مولـده ووفاته :

هو العـلامة الملهم ، مدافع حقوق الكادحين ، وحـامى مصـالح الفقراء والمساكين ، السـيد الشـيخ نور الدين بن السيد عبد الجبار البريفكانى - قدس سره -

ولد فى قرية بريفكان ، وهى قرية جميلة كثيـرة الأشجار لـذيذة الثمار وفيها عيون تجرى ماؤها عذب وجوها تغنى عن المبردات فى فصـل الصيف ، وهى تشبه الجنّة فىكثرة تنوع الثمار ، وطيب الهواء ، وعذوبة الماء تحيطها سلاسل الجبال شرقا جبل (بانك) وشمال الشرقى جبـل (ناومسـك) و (دبستى) وجنوبا جبـل (دودرەش) وشمالا جبـل (كَرَمَافَوك) حيث هناك مغارة اتخذها الشيخ للخلوة وعين ماء اسمه (كرمافوك) فسمى الجبل باسم تلك العين (١) ٠

اما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه ، فذكر أنور المـائى فى كتابه الاكـراد فى بهدينـان ص ٨٣ أنه ولد سنة ١٢٠٥ هـ وقال صـديق الدملوجى فى كتابه امارة بهدينان ص ٦٣ انه ولد سنة ١٢٠٠ هـ

---

(١) وهى تقع فى كردستان العراق شمال شرق مدينة الموصل ، تابعة لقضاء شيخان الذى مركزه قرية (عين سفن) وهى تبعد عن الموصل ٤٤ كيلو مترا ، وبين عين سفن وبريفكان لا تزيد على عشرين كيلو مترا ، وكانت القرية معمورة الى سنة ١٩٦٢ وفى ١٩٦٢/٣/٢٣ خربت القـرية وشرد أهلها ، وفى ١٩٧٩/٩/٢٣ ذهبنا الى بريفكان فوجـدنا القرية مهدمة والمنطقة خالية من السكان عدا الجيش ، وبعض البدو من العرب ، واننا حين ذهبنا من أربيل الى بريفكان ، ذهبنا بطريق شيخان ومن شـيخان توجهنا شمالا بطريق أتروش ومررنا بجنب مضيق لالش الذى فيـه قبـر الشيخ عدى بن مسافر وعندما وصلنا الى محـاذاة بريكفان ، تركنـا الشارع وتوجهنا بطريق الجبل الوعر الـذى لم تصل اليه يد الاصـلاح وبقى على ما كان عليه ، ولا يمكن أن تسير فيه الا سيارات (لاندروفر) وأمثالها ، ولما وصلنا الى القرية وجـدناها خاليـة من السكان ليس فيها بيت معمور ولا بناء سليم فالمسجد لا أثر له والتكية مهدمة ، وقبـر الشيخ نور الدين فى العراء هدم عليه البناء وفى جانبه الشمالى غـرفة فى فيها قبر الشيخ على الكلى رمانى وقبر بنت الشيخ صافية خانم وعدة قبور أخرى لم اتعرّف على أصحابها ٠ وقد صرح بأنه ولـد فى بريفكان فى البدور الجلية فى بابى الثالث والرابع وعدة أبيات من أشعاره ، ر

ويقول الشيخ حسن الحبار الدركزلي أحد خلفاء الشيخ نور الدين:
اني بعد وفاته احتجت الى معرفة ولادته ، وقد اخذتني سنة نوم قبالة ضريحه ، فرأيته فيها ، فقال لي : انا عمري من الظلمات ٠٠ وهي ظلمات كسوف الشمس أثناء النهار وصيرورته كالليل وبدت الكواكب في السنة التي هي تمام المائتين بعد الألف (٢) من الهجرة (١٢٠٠) ٠ ويقول في مكان آخر : توفي سنة ١٢٦٨ وله من العمر ٧٤ سنة تقريبا (٣) ٠ وهذا يعني أنه ولد سنة ١١٩٤ ٠

غير أن الذي أميل اليه هو ما جاء في هامش كتاب فيض الجمال حيث جاء في الهامش المذكور نقلا عن خط الشيخ نور الدين نفسه في آخر قصيدته المسماة بنظم الدرر حيث يقول : « قد فرغ ناظم هذه القصيدة المسماة بنظم الدرر لأسماء النبي المفتخر نور الدين بن السيد عبد الجبار البرفكي بعد صلاة العصر يوم الاثنين في نصف ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة النبوية في مسجد قرية أيتوت في مدة اقامتي فيها ، وعمري في مقدار ثلاث أو أربع وعشرين سنة » (٤) ٠ فاذا كان الشيخ عمره أربع وعشرون سنة ، في عام ١٢٣١ تكون ولادته ١٢٠٧ واذا كان عمره ٢٣ سنة آنذاك تكون ولادته عام ١٢٠٨ ٠ فبناء على هذا التأريخ الذي هو أولى بالقبول لأنه يستند الى خط الشيخ ، وهو أعرف الناس بتاريخ ولادته ، يكون تاريخ ولادته عام ١٢٠٧ أو ١٢٠٨ هـ ٠

أما تاريخ وفاته فان معظم من أثبتوا تاريخ وفاته قالوا : توفي سنة ١٢٦٨ ، غير أن الشيخ حسن الحبار دقق أكثر فقال : كانت وفاته آخر ليلة السبت من أوائل شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٢٦٨ هـ (٥) وهو يصادق شهر كانون الثاني سنة ١٨٥٢ ولد - قدس سره - في التأريخ المذكور من أبوين شريفين ، حيث كان والده السيد عبد الجبار

---

(٢) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٨٠

(٣) انظر مراة حقائق الطريق ، ورقة ١٥١ ٠

(٤) فيض الجمال في شرح كرب الحال ، ورقة ١ و ٨٨ ٠

(٥) راجع فيض الجمال ، ورقة ١٥٨ ٠

البريفكانى رجلا تقيا ورعا فاضلا ورث العلم والمشيخة من ابيه كابرا عن كابر كما يقول العلامة الكردى الشهير عبد الله البيتوشى :

ذو نسب كالعلم المنصوب والرمح أنبوبا على انبوب

قام السيد عبد الجبار بتربية ولده اللبيب تربية صالحة وعندما وصل الى سن الدراسة ، درسه القرآن الكريم وبعض الكتب المعتادة فى قرية بريفكان ، ثم غادر القرية متوجها الى الموصل فدرس هناك على عدة علماء منهم العلامة الفاضل أبو بكر عبد الرحمن الدباغ (٦) ثم لحق بمدرسة العلامة المفضال فريد الدهر أبى عبد الله يحيى بن خالد المزورى (٧) ودرس على غيرهما من العلماء ٠ كما أنه عندما كان فى الموصل طالب علم ، كان ذا حظ وافر من الفهم والذكاء ، وكان مجدا فى تحصيل العلوم المتداولة فيما بين العلماء آنذاك . وكان عفيفا نزيها كريم النفس متمسكا بحقوق الله والاقبال عليها ، ومراعيا لحقوق المشايخ الكرام ٠

وكان يحضر مجلس العلامة العارف حسن الحبيطى ، والشيخ العارف العلامه سلمان الكردى الروينى ساكن الموصل بكل ادب واحترام (٨) ٠

---

٦ ـ لم أحصل له على ترجمة حياة

(٧) قال ابراهيم فصيح الحيدرى : ان الشيخ يحيى المزورى ـ قدس سره ـ من أكابر هذه الأمة المحمدية ، وقد بلغ درجة الترجيح فى الفقه مع كونه بحر جميع العلوم العقلية والنقلية والرياضية ، كما اعترف بذلك حضره مولانا خالد وكافة علماء العراق ، وهو شيخ الكل فى الكل ، قرأ على عاصم الحيدرى وصالح الحيدرى ، عاش نحو مائة سنة ، وقد دخل عليه مولانا خالد مرة وهو نائم ، وقبل فمه وهو فى حال نومه وقال : « متعنا الله بحياتك » المجد التالد ورقة ٢١ وقال خليل مردم الشيخ يحيى المرورى العمادى أستاذ الشهاب الالوسى توفى سنة ١٢٥٠ هـ أعيان القرن الثالث عشر ص ١٨٤ ٠

ترجم له محمد أمين السويدى فى (السهم الصائب) ومن مؤلفاته حاشية مدونة على تحفة المحتاج ، وثمانى رسائل رد فيها على الشيخ معروف النودهى وهى مطبوعة فى هامش بغية الواجد من ص ٢٥٩ الى ٢٩٧ ٠

شـــيوخه :

فقد ذكرنا شيوخه فى العلم فيمـا سبق ، أما شيوخه فى الطريقـة الصوفية ، فانه أخذ كلا من الطريقة النقشبندية والقادرية ، وكان انتسابه الى الطريقة النقشـبندية فى وقت مبكر جدا ، حيث كـان فى حداثة سنه حينما كان يبلغ من العمر حوالى عشرين سنة تقريبـا وكان حينئذ طالب علم فى الموصل ، حيث أخـذ الطريقة من الشيخ عبـد الوهاب بن على الكردى العمادى العقراوى السوسى (٩) وهـــو أخــــذ من مولانا خالد

= وقد أخذ الاجازة من الشيخ محمد الكزبرى الدمشقى سنة ١٢٠٦ أثناء قدومه الى دمشق الشام مارا بها الى الحجاز لأداء مناسك الحج ، كمـا أجيز فى نفس السنة من الشيخ أحمد بن عبيـــد العطار الامام بجـامع الأموى بدمشق ، وقال الأستاذ العطار فى وصفه : « ألا وان ممن جد فى ذلك واجتهد ، وحصل بحمد الله ماله قصد ، الأوحـــد النبيه ، والأمجد الذى قرت به عيون الفضل وذويه ، العالم الذى عمل بما علم ، وتجـــرد عن علائق الدنيا فسلم وسلم، عـلامة الأكراد ، ووحيـد كمل الأفراد ، مولانا الشيخ الملا يحيى بن الملا خالد الكردى الشهير بالمزورى » كمـا اجيز من قبل الشيخ العـــلامة محمد بن أحمد الشهير ببدير القدس سنه ١٢٠٧ حيث قال فى حقه : « عمدة علماء العظـام ، وامام أئمة الفضلاء الكرام ، مولانا وسيدنا الملا يحيى بن الملا خالد الكوردى » كمـــا ورد فى نسخة الاجازة التى أجيز بها الشيخ عبيدالله بن عبيد الله افندى بن صبغة الله افندى الحيدرى سنة ١٢٣٥ هـ ٠

وهذه النسخة موجودة فى مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد تحت رقـــم ٦٧٤٢) ، كما أخذ الاجازة من فضيلة الشـــيخ العـــلامة جرجيس الاربلى المتوفى سنة كمـــا ورد فى اجازته للشيخ علاء الـدين الموصلى (ونسخها فى مكتبة الأوقاف المركزية تحت رقم ٢٤٣٦٢) ٠

٨ ــ راجع فيض الجمال ورقة ١٥٨

(٩) هو عبد الوهاب بن على السوسى العمـادى العقراوى الكردى كان مقربا عند مولانا خالد ثم طرد لان مولانا خالدا لمـا أراد أن يرسل الى دار الخلافة خليفة من خلفائه الكرام وشرط على من يقبل القيام بأعبـــاء تلك الخدمة سبعة شروط :

الكردى الشهير بمولانا ضياء الدين السليمانى النقشبندى (١٠) ، اكنـه

١ ـ كل من يتصـدى للارشاد فى تلك الأصقاع عليه أن لا يتـردد على رجال الدولة ووزرائها ممن بيدهم زمام الامور فى الاحكام ومحظـــور عليه أدبا أن يتداخل معهم ويستأنس فى مجلسهم ·

٢ ـ ان لا يطالب لا بالذات ولا بالواسطه معاشا ولا نعتنا ولا صله لا بسمه ولا باسم التكية التى يقيم فيها تعففا ورفقا ببيت مال المسلمين اتكالا على فضل الله ·

٣ ـ ان لا يتناهل على زوجته الرابعة من نساء الاســـتانة خشية من التوغل فى اللذائذ المعوقة عن الوصول الى ثمرة ارشاد الخلق ·

٤ ـ أن لا يتوغل فى شؤون المريدين والمترددين عليه المتعلقة فيمـا بينهم وبين الناس سواء كانت بين أمير أو وضيع ولا يقبل منهم صلة باسم المشيخة أو الانابة التى يمشى عليها المتشيخ ·

٥ ـ أن لا يدع مجالا لتردد النساء على زاويته ولا سيما اذا كن فتيـات متبرجات بداع أخذ انابة الطريقة وذلك اعتصاما بآدابهـا الشرعية فرارا من مكائد الشيطان وأحبولاته درءا للمفاسد التى هى أولى من جلب المنافع ·

٦ ـ أن يكون ذلك الخليفـة مرتبطا أشد الارتباط منقـادا لحضرة مولانا خالد وان يراجعه فى القطمير والنقير قل أو جل .

٧ ـ ان لا ينهمك فى أمور الدنيا ويبيع حطامها تشبها بالكبراء والزعمـاء بل يقتصر على القناعة ..

فلما سمع الخلفاء الحاضرون تلك الشـروط العظيمة تقـل عليهم وأشفقوا منها وأبوا قبولها الا عبد الوهاب فانه قبل القيام بها وتعهد بالعمل بموجبها فكتب بذلك صكا ووقع عليه ومهر بخاتمه وأشـهد من حضر على نفســـه ودفعـــه الى مولانا خالد ـ قـــدس سره ـ وقـام مـودعا لرفاقه وذهب الى دار السعادة فلما وصل اليها استقبله اخوان الطريقة من

... ى الشيخ محمد صالح الـــذى كان أرسله حضرة مولانا قبــلا الى القسطنطينية وجرى عليه ما جرى من سوء التفاهم فى أمر غلق باب المسجد أثناء ختم خواجكان والتوجه بوجه من أراد الدخول اليه لأجل أداء فريضة الصلاة مما يطول شرحه ، والحاصل أن المريدين الموجودين فيها اذ ذاك

بعد مدة وقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب وحشة ومنافرة ، لذلك ترك

قد تعلقوا بعبد الوهاب امتثالا لأمر مولانا خالد تعلق الرضيع بأمه فتصدر للارشاد وأعلن خلافته فاقبلت عليه الخلق من كل فج عميق فى أمره وعظم صيته وعلمه وصلاحه وانتسب الى الطريقة بواسطته كثير من وزراء وكبراء الدولة حتى شيخ الاسلام مكى زاده مصطفى عاصم افندى وصاروا من مريديه ولا زال أمره يعلو شيئا فشيئا الى أن عم ارشاده الى بلاد الاناضول (١) .

حتى بلغ أقصى بلاد الروملى وصار مصدرا عظيما فى الطريقة الخالدية فتخبطه الشيطان من المس فاصبح من الغاوين .. وحكمت عليه نفسه الامارة بالسوء فخالف الشروط المقررة وابتدع بعض أمور فى الدين مفكرة وأعلن استقلاله بين مريديه فى الارشاد حتى امرهم أن يرابطوا فيه ويسقطوا مولانا خالدا ويطرحوا واسطته .

فلما بلغه ذلك امر فورا بجلبه الى دمشق فحضر الى أعتابه فقبله ولم يظهر له عتابه وأدخله فورا الى الخلوة التى أعدها له لعل الله يمنى عليه بالجلوة ولما اختبره وأحس بصحة مانسب اليه من التمرد وكفران النعمة زجره ونهاه عما اقترفه رفقا بحاله وتهذيبا لباله فحلف له الايمان المؤكدة ببراءة ساحته مما نسب اليه مدعيا أن ذلك عليه من حساده فأصر حينئذ أن يكتب كتابا بخط يده الى خلفائه ومريديه بحقيقة الحال وينهاهم عن كل عمل يخالف أصول الطريقة وأن يسلك بهم سبيل الكمال فأظهر بذلك الرضا والقبول وأقنعه بدهائه ومكره بضروب من المحال وكتب لجماعته فى الاستانه العليه كتابا وارسله اليهم مع نفر ممن جاء معه من أتباعه ففتح الكتاب المذكور ودفعه الى الشيخ اسماعيل الانرانى والشيخ عبدالقادر الديملانى فظهر منه عكس المأمول ولما عرض على أنظار مولانا خالد ووقف على حقيقة أمره غضب غضبا شديدا فطلبه اليه وأطلعه على ماجنته يديه وقال له قد ظهرت الارادة الالهية بطردك عن طريقنا يا عبد الوهاب فأصبح مطرودا محروما ...

ثم أن عبد الوهاب قام من عنده مخذولا مردودا ورحل من دمشق الى الحجاز فلما وصل مكة المكرمة طلب اجازة من الشيخ محمد جان أحد خلفاء الشاه عبد الله الدهلوى فرده ولم يقبله محافظة على شروط الطريقة ثم ذهب مع الحجاج الى البلاد الهندية حتى وصل الى أعتاب مولانا الشاه عبد الله الدهلوى فى (جهان أباد ووقع عليه متطلبا منه تجديد الخلافة فرده قائلا « خالد كردبرد » يعنى أخذ خالد ماعندى . ثم لما فرغ عنده من

الطريقة النقشبندية وهاجم الشيخ عبد الوهاب فى بعض مقالاته ، ولكنه

الحيل والدهاء ويأس من أمره رجع الى الحرمين الشريفين بخفى حنين وأقام فى المدينة المنورة مدة واشتغل بتأليف رسالة دح فيها الطريقة النقشبندية وطعن فى مولانا خالد ناسبا اليه استخدام الجن مدعيا انه لما كان يحضر عنده يسمع أصواتا خفية ولم ير أشخاصا جلية الى غير ذلك من الأقاويل ... ولما وصلت تلك الرسالة الى دمشق انتدب للرد عليها تلميذه العلامة السيد محمد أمين الشهير بابن العابدين بتأليف كتاب سماه (سل الحسام الهندى لنصرة مولانا خالد النقشبندى وهو مطبوع . ثم أن مولانا كتب الى كل من له علاقة مع عبد الوهاب كتابا أعلمهم بحقيقة حامله وسوء مآله وامرهم بالبراءه منه فلم يتخلف منهم أحد وتركوه هملا (٢) الرسائل التى كتبها مولانا خالد الى بعض الفضلاء لقطع العلاقة بعبد الوهاب

١ - رسالة الى الملايحى المزورى ويقول فيها وأخبر الكل بأنى كنت أتفرس بعض الدسائس فى عبد الوهاب السوسى قبل هذا بسنين وقد أدرك بعضكم هذا من شواهد حالى وعرض مقالى مرارا ... وأمرته مرارا أن يقول لهم أن مرشدكم فلان وكل من يقدمه هو لينقطعوا عنه ... الى أن ظهرت الارادة الالهيه بطرده من طريقنا فطردنه وانت مكاتيب جمع جميع المخلصين فى الدولة العلية وغيرها بالتبرىء منه وقطع العلاقة عنه ومحو اسمه من السلسلة والختم (٣) .

٢ - رسالة الى نجيب باشا والى بغداد يقول فيها أمّا بعد فليكن معلوما لديكم أن عبد الوهاب رجل أخل بكثير من أصل الطريقة والشريعة .. انّى لا أرضى بعد وصول هذا المكتوب اليك أن تخاطبه بنقير وقطمير والا فلا يبقى لك علاقة مع أئمة السلسلة ولا مع هذا الفقير (٤) .

٣ - رسالة أخرى الى [illegible] ص الطريقة فى استانبول يقول فيها ليس من عادتى ان اكتب بنفسى طرد أحد لكن بسبب كثرة دسائس عبد الوهاب .. فاخبرتكم بخطى لئلا يبقى عندكم ريب وكل من بقى له ادنى علاقة معه حسا أو معنى فقد برىء [illegible] امداد هذا الفقير ومشايخه .

١ - بغية الواجد فى مكتوبات مولانا خالد تأليف محمد أسعد صاحب ص ١٢١ - ١٢٦

بعد ذلك أخذ الطريقة النقشبندية مرة أخرى على يد الشيخ نور محمـــد الهندى ومدح سادة طريقة النقشبندية بقصيدة بليغة .

وأخذ الطريقة القادرية من الشيخ محمود بن الشيخ عبد الجليـل الموصلى ، وهو أخذ من الشيخ أبى بكر الالوسى وأخذ الاذن للارشـــــاد وتربية المريدين للطريقة القادرية من الشيخ محمود سنة ١٢٣٢ هـ — وقد وجدت النســـخة الأصلية للاجازة التى أعطـــاها الشيخ محمود للشيخ نور الدين وعليها ختمه لدى فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد الاتروشى قاضى بغداد الأول سابقا حفظه الله ، وأخذت عليها الصورة الفوتوغرافية وهى تتكون من ثمانى صفحات وموجوده فى ص (١٧ — ٢٤)

ثم سافر الى بغداد وزار ضريح الشيخ عبـــد القـــادر الكيلانى — قدس سره — وأخذ الطريقة القـــادرية مرة أخرى بســـند آخر من رجل اسمه الشيخ عبد القادر على مرقد جده الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وهـــذه السلسلة متصلة بابنه الشيخ عبد الرازق ، كما أخـــذ الطريقة القادرية

---

٤ — رسالة الى عينى أفندى فى اسطنبول يقول فيها من العـــام الاول تبرئت من عبد الوهاب بســـبب ما ظهر منه من الأمور المخالفة للطريقة والشريعه وأنه صار سببا للدســـائس التى اختلقها المتشيخون حتى توهم كثير من الناس فى حقنا أمورا لا تليق باراذل العوام (٥)

٥ — رسالة كتبها الى أتباعه المخلصين فى المدينـــة المنورة اعلاما بارســـال العلامة السيد عبد القادر السركلو البرزنجى عوضا عن الشيخ اسماعيل الزلزلوى الذى أغراه عبد الوهاب وجاء بالرســـــالة التى رد عليهـــــا ابن عـــابدين (٦)

٤ — المصدر السابق ص ١٢٨ .

٢ — المصدر السابق ص ١٢٥

٥ — المصدر السابق ص ١٢٩

٦ — المصدر السابق ص ٢٢٥

(١٠) مولانا خالد أشهر من أن أعرفه ، فهو كالنار على علم ، وقد ترجم له مئات العلماء ، وهناك أكثر من عشرين كتابا يبحث عن سيرته ، راجع كتب (الشيخ معروف النودهى) تأليف محمد الخال ص ٣٨ الى ٥٣ وحلية البشر فى أعيان القرن الثالث عشر .

مرة أخرى بسلسلة متصلة بابنـه الشيخ عبـد الوهاب ، صرح بذلك الشيخ نور الدين نفسه فى شرحه على قصيدته المسماة بالحقائق عنـد قوله :

من يبغ الطرق القيّمـة يسلك فى الدين المتضح (١١)

ومدح سادة الطريقة القادرية بقصـائد رائعة ، بالاضافة الى أنه اخذ الطريقه الخلوتية من والده الشيخ عبـد الجبار ، حيث كان أجـداده من شيوخ تلك الطريقة ، ومدحهم أيضا بقصيدة بديعة ٠

***

مسـكنه

لقد سكن الشيخ — قدس سره — ونشر علومه واتخـذ الزاوية ، بعد رجوعه من تحصـيل العلم والحقيقة فى قرية أيتوت ، وبقى فيها الى ما بعد سنة ١٢٣٩(١) ثم انتقل الى قرية أتروش وبقى فيها مدة ، ثم انتقل الى قرية براش وبقى فيها مدة ، ثم رجع الى قرية بريفكان مسقط رأسه ، وهى القرية التى سكنها جده الكبير الشيخ شمس الدين القطب وبقى هناك الى أن توفاه الله سنة ١٢٦٨ هـ (٢) وهذه القرى الاربعة متقاربة تقريبا ٠

***

أولاده

لم يعرف من أولاد الشيخ نور الدين — قدس سره — الا ثلاث بنات وذلك لأنه لم يكن له أولاد الا تلك البنات ، أو أنهم ماتوا صغارا ٠

أما البنات الثلاثة فهن :

١ — صافية خـاتم : وهى كانت عفيفة نزيهة قرأت القرآن على والدها ، وتعلمت منه واجبات الدين وسلوك الطريق والزهد والقناعة ،

---

(١١) راجع مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ٢٨ الى ٣١ ٠

١ — راجع البدور الجلية الباب السادس ٠

٢ — انظر فيض الجمال ، ورقة ١٠٩

وهى تعتبر من النساء الفاضلات الخالدات ، وكان الشـــيخ يكنى بأبى صافية ، بقيت فى خدمة والدهـــا ولم تتزوج الى أن توفيت ، ودفنت فى غرفة مع الشيخ على الكلى رمانى فى تكية بريفكان

٢ ـــ فاطمه خانم ، وهى نزيهـــة قرات القرآن على والدها ، وزوجها الشيخ من خليفته المحترم الشيخ عبد الحميد خان الأتروشى ، وهى جدة السادة الأتروشيين ·

٣ ـــ ببروز خانم : وهى عفيفة نزيهة تعلمت القرآن من والدها ، ثم زوجها من خليفته وابن أخيه الشيخ محمد نور بن الشيخ عبد الله ، وهى جده السادة البريفكانيين .

***

علمـــه

فهو معمر أماكن الطاعة ، المتخذ زوايا المساجد من خير البضاعة ، صاحب الرياضيات النفسية ، والعبادات الراقية الرئيسية ، تشرق من طلعته شموس ، وترتاح بمجالسته النفوس ، فيده فى الصـــلاح قد اشتد زندها ، وقد خدمه المجد ، ولم ير مثله الدهر ، فكم مفيد أملى ، وكم فاه أحلى باذاقته طعـــم الحقيقة ، حتى أقر له الدهر بأنه الفريد فى العصر وصار مقتدى السادة الصوفية ، وامام تلك الزمرة الصفية ·

وكان قدس ـــ سره البحر الزاخر ، والغمام الهاطل ، ربيع العلوم والحكمة ، وصاحب المجد والكرم ، روض الافادة للطلاب ، رغصن ساحة الكمال ، أحيا أموات العلوم ، وعمر ديوان المنثور والمنظوم ، ونشر لواء فضله ، وبسط مائدة علومه العقلية والنقلية ، وجال فى ميدان التدريس ، فقد درس الكتب القيمة مثل : المطول ، وجمع الجوامع ، وتفسير القاضى البيضاوى ، وتحفة المحتاج ، وشرح الروض لقاضى زكريا ، وشرح بهجة الوردية ، وشرح النور الزيادى على المحرر ، والوضوح على المحرر ، والأنوار ، وحواشى الكردى ، وغيرها من الكتب المتداولة بين العلماء فى وقته · وقد صرح بتدريسه لهذه الكتب وغيرها الشيخ حسن الدركزلى عند شرحه لقول الشيخ قدس سره :

وسنأتى الحسنى تشاهد بالغنى
قنوتى الكبرى تعاهدها الكتب (١)

وهذا ليس بغريب على الشيخ قدس سره فقد درس بدوره على اكابر علماء العصر ، ولازم حلقة تدريس نوابغ زمانه ، مثل العلامة الشهير أبى بكر عبد الرحمن الدباغ الموصلى ، والعلامة العارف الشيخ سليمان الكردى البروينى ساكن الموصل (٢) والعلامه العارف الشيخ حسن الحبيطى ، وعلامة العصر وفريد الدهر ، فارس ميدان المعقول والمنقول ، وأستاذ الكل فى الكل أبى عبد الله يحيى بن خالد المزورى (٣) غير أن الذى يدعو الى الأسف أننى لم أعثر على الاجازة العلمية التى أجيز بها الشيخ من قبل أساتذته ، ولا الاجازات التى منحها الشيخ لتلاميذه ، ومن المعتقد أن الشيخ أخذ الاجازة من شيوخه ومنحها لتلامذته غير أن ما جرى على مكتبة بريفكان من الحرق والتخريب جراء محنة الشعب الكردى وابتلائه بالحروب ، وتعرضه للهجمات العدوانية ، ضيع ما فى المكتبة من الكتب القيمة والثروة الغالية النفيسة ٠

***

سخاؤه وكرمه :

لقد اشتهر — قدس سره — بكثرة اطعام الطعام للضيوف واهدائه لأهل الأماكن البعيدة ، لتأليف قلوب من يهديه اليهم لمصلحة دينية أو دنيوية مع قلة ماله ، وعدم تمكنه من الكسب لانشغاله بالعبادة ، وكان مضيفه مفتوحا للواردين دائما ، ولم يأب من ضيافة أحد فى حال الرخاء والشدة والعسر واليسر ، ويذكر كل من الشيخ حسن الحبار والشيخ محمد النورى فى وصف ضيوفه وكثرة عددهم : ان عدد ضيوفه لم يكن يقل عن عشرة أشخاص يوميا بل كان يزيد أحيانا على المائتين وقد يصل عددهم الى الالف نفر (١) ويمد الكل بروحه ، ويأكلون ويشربون من عنده ، وكان عنده ناس يقومون بخدمة الضيوف ، بعضهم وظيفتهم الاتيان بالخشب من الجبل ، ناس يأتون بالماء بالراوية من عيون الماء ، وناس يخبزون ، وناس

---

(١) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٢٥ ٠
(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٥٨ ٠
(٣) فيض الجمال ورقة ٩٩ ٠
(١) فيض الجمال ٠ ورقة ١٠٩ وشرح القصيده التائيــة ٠ ورقه ٦

يطبخون ، وناس يقدمون الطعام للضيوف ويتفقدونهم صـــباحا ومساء ، ولبلا بالسحور فيصلون الطعام لمن يريد صياما داودبا أو دهريا ، أو صيام الخميس والاثنين ، ويقدمون للضيوف الفاكهـــة من عنب أو غـــــره — عند موسم الفواكه — بعد العشاء خصوصا من يريد صياما . ويقول فضيلة الشيخ محمد نورى عند شرحه لقول الشيخ .

عبدتك حتى الكون أصـبح طائعى

فـرزقى على كل العبـاد عطـاية

قال : الرزق على نوعين : رزق محسوس : وهو ما يتغذى به الابدان والأجساد من الطعام والشراب ، ورزق معنوى : وهو ما تتغذى به الأرواح من الامدادات والفيوضات والتجليات ، وكلا النوعين موجود عند الشيخ — رضى الله عنه — فمن الرزق المحســـوس أن كل يوم يأكل عنده فى زاويته مائات الناس وقد يصـــل فى بعض الأيام الى الالف ، فيطعمهم من غـــير تكليف (٢) كما انه — قدس سره — حصنا منيعا لأبناء شعبه ، وأبا رءوفا رحيما لفقراء أمته فانه كان سخيا بجاهه كما كان سخياً بماله ، لذلك كان يتوجه اليه أبناء شعبه على اختلاف طبقاتهم ، فبعضهم يتوجه اليه تبركا به ، وبعض آخر يتوجه اليه لفقره وعوزه رجاء أن يعطيه ما يسد به حاجته من المال والبعض يتوجه اليه هربا من جور الحكام رجاء شفاعته لهم ، والبعض يتوجه اليه خوفا من عدو قوى رجاء توسط الشيخ له وحمايته اياه ، وبعض الناس يتوجه اليه لمجرد سؤال شرعى ، وبعض الناس يتوجه اليه هربا من الدائن لعل الشيخ يساعده على ايفاء الدين ، وبعض الناس يتوجه اليه طلبا للاستشفاء بدعائه ، أو لأخذ العهد والمبايعة فى سلوك الطريق ، وكان — قدس سره — بكرم الكل ويبذل قصارى جهده فى قضـــاء حوائج الكل ، وهو الذى يقـــول :

---

(٢) أنظر شرح القصيدة النائية ، ورقة (٦) .

فــــوقرت ضيفى مذ وضعت سريرى
الذى سجدا خروا وابقــن يعقـــوب (٣)

وخلاصة الكلام فى هذا المقام : ان الشيخ بلغ فى الكرم منتهاه وفى السخاء أقصاه ، فكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وينفق انفاق من ملك خزائن الأرض والدنيا ، حتى قيل عنه : انه يعرف الأسماء الحسنى ويملك خزائن سر (بسم الله) (٤) ومع سخائه فانه كان لا يمنّ على أحد ولا يفاخر فردا ، بل يعتبر من الله والى الله المال الموجود ، لابد من صرفه للضيوف والفقراء الدين هم عيال الله المعبود ، ومع هذا السخاء والمصروف فانه يمتنع من أخذ الصلة من والاغنياء والحكام باسمه أو باسم التكيـــة والمقام تعففا ، وخوفا من الوقوع فى مصيدتهم ، واتكالا على الله ، بــل كان انفاقه من أصــل ماله ، وما يجود به الفقراء الصـــالحون من أتبـــاعه ومريديه ، فهو كما قال القائلون :

ونكرم ضـــــيفنا مــــادام فينـــا ونتبعــــه الكـــرامة حيث ما لا
فتى كملت خيــــراته غيــــر أنه جواد فما يبقى من المال باقيــــا
ابى الجود فى الدنيــا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجــــود

وكما قال الشاعر :

لو أشبهتك بحــــار الأرض فى كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
أو أشبه الغيث جودا منك مُنْهَمِلاً لم ينج فى الارض مخلوق من الغرق

وكما قال الشاعر أيضا :

من قاس جدواك بالغمـــام فمـــا أنصفَ فى الحــــكم بين شكلين
أنت اذا جــــدت ضـــاحك أبد وهو اذا جـــاد دامــع العــين

---

(٣) انظر فيض الجمال ، ورقة (١٠٥) .
(٤) المصدر السابق ، ورقة (١٠٨) .

وكان الشيخ مع جوه وبذل ماله ، وكرمه المفرط ونواله كان قليل الأكل بعيدا عن البذخ ، كثير الصبر على الجوع ، قانعـا بخشن المأكول ، تكفيه لقيمات يسيرة من الاكل ، حيث كان ممن أكرم باقامة بنيته بالاقتصار على اللقمة الواحدة ، أو الاثنتين ، أو الثلاثة فى أكثر الأوقات ، ويبقى عليها مدة طويلة ، كاليوم واليومين والثلاثة والأكثر (٥) ٠

***

تواضـــعه :

لقد كان الشيخ نور الدين — قدس سره — متواضعا سمحا لينا حيث يرى نفسه متواضعا ، ويرى الناس بعين التعظيم ، لذلك كان يجلس حيث ينتهى به المكان ، ولم يكن يضايق الناس على الجلوس فى صدر المجلس ، حتى كان فى بعض الاحيان يقدم مريديه وأتباعـــه على نفسه ، فقـــد ذكر الشيخ محمد النورى الذى هو أحد مريدى الشيخ فقال : كنت آتى لخدمته بعض المرات ، وهو بزاويته جالس على سجادته يعظ الناس ، فحين يرانى يقوم لى وينزل عن السجادة ويجلسنى عليها ويجلس هو على الحصـــير مع جلالته ورفعة قدره ، فكنت أمتنع من ذلك ، فيعزم على ويأبى الا ذلك ، فأكاد أن أذوب حياء وخجلا منه رضى الله عنـه ٠ وربما أقدم عليـــه من الموصل ، لأجل الزيارة فينزل من الزاوية مع جملة من المريدين ويتلقـانى من مسافة ميل ، وكذلك اذا رجعت من الزيارة يمشى معى بهـذه المسافة ، وما ذاك الا لتواضعه هو ، لا لاستحقاقى لهذه المعاملة (١) ، وقال — قدس سره — :

فجعلت أجلس دون صدر المجلس ورفعت قدر الناس من جلسائى

---

(٥) أنظر قبض الجمال ، ورقة ١١١ .
(١) انظر تحفة السالكين ٠

وقال الشيخ محمد النورى أيضا : ان الشيخ نور الـدين تفوق على شيخه الشيخ محمود الجلبلى ، وصار أعلى مقاما وأرفع مرتبه منـه بكثير بالاتفاق ، ومع هذا كان كثير التأدب معه ويتواضع له ويحترمه فى حياته وبعد وفاته (٢) ٠

وكان متواضعاً ومتسامحاً حتى مع أولئك الذين يأتون لايذائه فقد ذكر الشيخ حسن الجبار : أن يزيدياً جاء الى تكية الشيخ ليجد فرصـة ويقتل الشيخ ، فيسر عليه الشيخ وأحسن اليه أربعة أيام ، حتى رجع ولم ينـل منه نيلا سوءاً ، وهو عالم بما أضمره فى حقه من الشر وقادر عليه بأى وجه شاء من وجوه القدرة عليه ، ولم يخبر عنه ، الا بعد ذهابه من عنده ،وتعجب الناس من ستره وصبره (٣) .

ويقول الشيخ محمد النورى : كان من جمله اطاعة الناس لحضرة هذا الشيخ رضى الله عنه ومحبتهم له مانشاهدته ورأسه بعينى (**كان اذا خلع نعله تسارعوا اليه وقبلوه ووضعوه على رؤوسهم تبركاً بنعله الشريف ، ويعدوه أعظم مغنم ، ويرجون بذلك أجزل ثواب**) ٠٠٠ ومع ذلك كان رضى الله عنه يتواضع للكبير والصغير والغنى والفقير ، ولم يعد نفسه من الأكابر ، بـل يرى نفسه (٤) أضعف من كل ضعيف وكان مع تواضعه عظيما حيث لم يخرج من منطقته ولم يطف بالبلاد ليلتقى بالأمراء والحكام ليظهر لهم علمه وفضله، كما يفعله بعض المتصوفة ، لأجل الشهره وجمع المـال .

فلم يكن من طراز أولئك الشيوخ الذين يتوددون الى الحكام فيتقربون منهم ، ثم يفرضون أنفسهم على الفقراء قهرا ، أو من أولئك الذين يخدمون الأجانب ، فيفرضون أنفسهم على شعبهم جبرا ، بل من أولئك الذين يتوددون الى الفقراء ويخدمونهم ويحصلون على تأييدهم ، ثم يفرضون أنفسهم على الحكام والأمراء بقوه الفقراء

زهده وقناعته

***

كان الشيخ رضى الله عنـه ممن طلق الدنيـا البتة ، وركب فرس

---

٢ — أنظر شرح المعشرات ، القصيدة الخائية

٣ — فيضىء الجمال ، ورقه ١٠٥

٤ — تحفة السـالكين .

الزهد ، وتسلح بمدافع القناعة ، ورضى من العيش باليسير لنفسه ، والكثير لغيره، فكان بشبع ضيفه بأنواع الطعام،ويشبع نفسه بلذة السعبدوالصيام، يكتفى بلقيمات تسد رمقه للسحور والافطار ، ويصون ماءوجهه من الانقطار، ويبعد عن الشبهه فضلا عن الحرام ، ليكون فى تجلى مع ربه على الدوام ، حتى وصل الى أعلى عليين ، وصار خليل رب العالمين وهو الذى يقول وقوله صدق :

كل المعالى حظ هذا السالك
نور ليل الظلام الحالك
كشف عظيم فى شهود دائم
ملك جسيم فى جوار المالك
كانت له الدنيا وما فيها ، وما
بالى بذ (ى) الجيف القبيح الهالك
كفرت بها ناس ، وناس آمنت ،
نبأ لقوم آمنوا بمهالك
كشرت لدى بثغرها فنهرها
زهدا ، فقلت : تباعدى بجمالك

الى أن يقول :

كوعى بسلسلة المليك معلق
فيجرنى عن ساحر كمثالك
كسى ملى بالقناعة لس للـ
ـنورى ثمة حاجة بمنالك

ويقول قدس سره :

هذا مقام نلته بالشكر وهو
بقبة الاقطاب والبدلاء
فجعلت حظى فى الزهادة ، والصفا ،
والبذل ، فهى مراتب الخلصاء
ذكر الصباح ، وتحررى (١) من عائقى ،

١ ـ وتجردى فى نسخة (ج)

ورد المســـــاء ، مـــذلة الفقـــراء

ترك الاكابـــر من بنى الدنيـــا التزمـــ

ـــت ، فصـــار طبعى نفـــره الـكبراء

وسخوت بالموجـــود مـــؤثر عائـــل

ونحـــوت فبـــه أســـوة الـكرماء

وروى خليفته الشيـــخ محمد نورى القادرى خطيب الجامع الكبر فى الموصل : ان الوزير الأعظم على باشـــا وزير بغداد حين جاء الى الموصل اشتاق الى رؤية الشيخ رضى الله عنه — فأرسل اليه بعض الأكابر يلتمس منه ذلك ، ويخبره بأن يرسم له خمس عشرة قرية من قرى الجبل طعامة للتكية النوريهبعد المواجهة معه ، فأبى ذلك ولم يقبلها ولم بواجهه ، وقال : أنا لا أواجه ظالمـاً بسبب عرض من الدنيـــا — رضى الله تعالى عنـــه وأرضـــاه — (٢) .

***

شيوخه وآدابه ومريدوه :

ان الشيخ — قدس سره — بعد أن وصل الى سن التعلم بدأ بدراسة القرآن الكريم ، كما هو المعتاد فى أسلوب الدراسة الدينية فى كردستان ، ودرس الكتبالصغار فى قريبه ، ثم ارتحل فى طلب العـــلم الى العمادية والموصل وغيرها من المدن العلمية ، حتى أتم دراسته على كبار علماء عصره، وفى سن التحصيل اتصل بالشيخ عبد الوهاب السوسى العقراوى وأخـــذ الطريقة النقشبندية فى حوالى سنة ١٢٢٠هـ ثم ترك الشيخ عبـــد الوهاب وفارقه لأسباب سوف نذكرها بعون الله ، وبعد ذلك أخذ الطريقه القادرية عن الشيخ محمود(١) بن الشيخ عبد الجليل الخدرى الكردى الموصلى سنة ١٢٣٠ وأخذ منه الأجازةلنشر الطريقة القادرية كخليفة عنه سنة ١٢٣٢ هـ وقد نشرنا أصل الاجازة بخط الشيخ محمود نفســـه فى هـــذا الكتاب ، ومدح شيوخ سلسلة الطريقة القادرية بعده قصائد رائعة باللغات الثلاث : العربية ، والكردية ، والفارسية .

---

٢ — أنظر تحفة السالكين ، ورقة (٦)

١ — وبأتى تفصيل كاف عن حياة الشيخ محمود فى القصيدة الالفية اللامية

ثم أخذ كلا من الطريقه القادرية والطريقه النقشبندية مره اخرى على يد الشيخ نور محمد الهندى اللاهورى ، ومدح شيوخ سلسلة الطريقـــة النقشبندية بقصائد بليغة .

وابضا اخذ الطريقة بسلاسل أخرى عن عدة شيوح غير هؤلاء . وكذلك اخـــذ الطريقـــة الخلواتية عن والده الشيخ عبد الجبار البرنفكانى ، لأن الطريقة الخلواتية انتشرت فى تلك البقعة على يد جدهم الشيخ شمس الدين القطب .

وبعد الرجوع من الدراسة ، اخذ ينشر العلم والطريقة معا ، وكان دائبا على نشرهما ، عدا المده التى يسميها هو بالفترة ، حيث ترك فيها معاشرة الناس ولاذ بالفرار الى الجبال والكهوف ، وبقى حوالى عشر سـنوات بعدا عن الناس بفر من أبيه وأخيه ، وفصيلته التى تؤويه ، ومن فى الأرض جميعاً ، حتى أفاض عليه ربه نعمه الرضوان ، وأغدق عليه من الواردات والمقامات ، ما جعلته منبع العلم والعرفان ، فخرج من الكهف بعد أن صفى ونهذب وزاول معاشرة الناس ، وأظهر ولايه ، وتصدر لارشـــاد الناس وتربية المريدين ، فأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب ، ونشر الطريقة القادرية فى معظم مناطق كردستان ، قال الشيخ حسن الحبار فى شرحـــه على حاشية الناظم :

فانه قد نشـــأ فى العلم والعمـــل ، والدعـــوة فيهما ، وترويجهمـــا فى الناس ، فى أول القرن الثالث عشر الهجرى ، مع وجود شروط المجددين فيه وزيادة ، وكان جملة من انتفع بعلومه وارشاده قبل وفاته بنحو ثلاث سنين تقريباً من الأنس فقط سبعمائة ألف نفر . وله من الخلفاء جم غفير أكثرهم كانوا علماء فى العلوم المعقولة والمنقولة منتشرون فى آفاق الدنيا والبلاد ، وأكثرهم أهل كشف وأهل أهوال ودعوة وارشاد واستمساك بالســـنة النبوية (٢) الشريفة .

وقال أيضـــا :

واذا علمت هذا كله علمت مقام الناظم (الشيخ) على الاجمـــال ، لأن مقامه لا يعلمه على التفصيل الا اللهتعالى ، ومن يكرمه ربه ،فانه من خواص

---

٢ ـــ أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٥١

الأفراد ، وقطب من خواص اكابر الأقطاب بلا شك **(وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣)** والحمد لله ذى الفضل العظيم (٤)

وقال أيضـــــا :

وأما بيان حال مقامه ، وحاله ، وخلقه ، فأقول بطريق الاجمال ، لأنى لم يكن معى اذن فى بيانها تفصيلا : ان حاله : الجلوات فى الحضرات ، والخلوات والجلال الصرف تارة ، والجمال الصرف أخرى ، والجلال المزوح بالجمال الصرف مرة ، الجمال المزوج بنوع جلال أخرى ، وكل ذلك بمقتضى الحوادث السمائية والارضية . وخلقه : الكتاب المجيد والسنة النبـــوية الشريفة .

ومقامه : الاستقامة على اتباعهما ، والعمل بهما ، وحمل النــــاس على التمسك بهما ، ولم أر أحداً من المشايخ المذكورة فى الكتب على وفق أخلاقه ومقامه ، الا الشيخ السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه ، فمن أحب الاطلاع على أخلاق الناظم (الشيخ) تفصيلا ، فعليه بمراجعة كتاب جلاء الصدى فى مناقب امام الهدى ، فانه جامع لاكثر أخلاق الشيخ السيد أحمد الرفاعى التى هى عين أخلاق الناظم ، فانه فرد من أكابر أفراد زمانه كما لا يخفى على من أكرم بالفراسة والكشف ، وقد أكرم بكثرة المريدين ، والسالكين على يديه كثرة خارقة للعادة ، ويزيد عددها على سبعمائة ألف جدا ، وقد صرح هو بالسبعمائة ألف سنة أربعة وستين بعد المـــائتين والألف تحديثا بنعمة الله بسبب داع عظيم دعاه الى ذلك ، وفتح الله على خلق كثير على يديه ، وخلف منهم أناس كثيرون متفرقون فى البلاد لنفع العباد ، ولكنه مستور المقام الخاص ، الذى بينه وبين الله تعالى بكثرة استعماله كتب الشريعة الظاهرة وتعاطيها ، كالفقه والحديث والتفسير وكتب التصوف وغيرها ، وشأنه الترقى فى حال الى حال ومقام الى مقام فى المعانى والمكارم ـ نفعنا الله به فى الدارين آمين ـ والحاصل أنه فرد من خواص الأفراد الذين قال فيهم رسول الله (ص) : **« سيروا فقـــد سبق المفردون » (٥)** وان مقام الفردية مقام عزيز من أعـــــز مقامات أكابر

---

٣ ـ سورة الحديد ، الآية ٢١

٤ ـ مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٥٧

٥ ـ رواه مسلم بلفظ « سيروا ـ هذا جمدان ـ سبق المفردون » قالوا : وما المفردون يارسول الله ، قال : « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » وجمدان اسم جبل فى طـــــريق مكة . صحيح مسلم كتاب الذكر رقم ٢٦٧٦ .

الخواص (٦) وقال الشيخ محمد نورى الموصلى مدرس وخطيب جامـــع الكبير حينئذ والذى كان أحد خلفاء الشيخ : فهذا الشيخ هو من اكابر الأولياء، بل هو قطب وقته ، ولا يعرف حقيقته الا آحاد أفراد من الناس ، بل غالب اصحابه ومريديه لا يعرفون كنهه ، بل يعتقدون فيه مجرد ولايته فقط ... ويقول أيضا : فقد بلغ من مريديه جم غفير مرتبة الولاية الكبرى فضلا عن الصغرى (٧) .

ويقول الشيخ اسلام ، الشوبشى : وكان (الشيخ) يقول — قدس سره — فى حكاية عن ابى يزيد (٨) البسطامى — قدس سره — كان له بيت يتعبد فيه ، يسمى بيت الأبرار ، فلما مات أبويزيد بقى البيت محفوظا محترما لا يفعل فيه الا (ما) يليق بالمساجد ، فاتفق أنه جاء رجل فبات فيه وكان جنباً ، فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ، ففر من البيت ، فما كان يدخل أحد ، فيفعل فيه مالا يليق ، الا رأى آية فيبقى أثرها ، مثل هـــــذا الشخص مثل هذا الفقير (يقصد نفسه) بعـــد موته ، فيفعل مثل ما كان يفعل فى حياته سواء ، فاذا مات الفقير (أى الشيخ نور الدين) فما كان يدخل معبدى احد ، فيفعل فيه مالا يليق الا رأى آية ، فجربه بعد موتى مراراً يجدها بلا خلاف . وكان يقول أيضا : هذا الفقير (يقصد نفسه) لا فرق فى حقه بين حياته وموته ، فانه كان فى زمان حياته فى الدنيا فى صورة الميت حال الموت ، فجعله الله تعالى حال موته كمن فى حال حياته جزاء وفاقاً . وكان يقول أيضا : رأيت عجائب لا تحصى فى حال عزلتى فى جبل (مامه ســـين) وعجائب أخرى عند عزلتى فى مكان آخر (٩) .

***

بـــــداية ارشــــاده :

وكان بداية ارشاد الشيخ سنة ١٢٣٠هـ فى قرية أيتوت وبقى فى القرية المذكورة الى ما بعد سنة ١٢٣٨ حيث ألف كتابه البدور الجلية فى هذا التاريخ فى القرية المذكورة (١٠)

---

٦ — المواهب الالهية ، ورقة ٢٤٥
٧ — شرح القصيدة النائية ، ورقة ٦—٧
٨ — تأتى ترجمته
٩ — أنظر ملحم الأكباد
١٠ — البدور الجبلية ، الباب السادس .

اسلوبه فى أخذ العهد على المريدين :

وكان أسلوبه فى اخذ العهد على المريد ان يوصيه بالسؤال من العلماء ؛ وبحرم ما حرمه الشرع وبحل ما أحله ، وىسنعمل ما بأبره به قدر المسنطاع، وبأمره بنرك المعصية ان كان ملتبسا بها ، وبالتحفظ منها ما اسطاع ، وكان بمنح اجازة مكتوبة لبعض المريدبن .

بذكر فيها انواعا من آداب المريد المحمودة ، واحكام الشرع والنصائح ، كما أنه من عادته التباعد عنموجب لاعتراض العلماء نعظيما للشريعـة وأهلها وحماية للطريقة من لحوق الشين بها ، لذلك لم يأتى بالذكر المسمى بالنهجـة وهو الذكر بقصبة الرئة والقلب واللسان مع بعض نحريف لكلم الذكر مـع التصنع والتزين غالبا فى أدائه فى حال القيام (٨) وبجد فى هذا الكتاب نص الرسالة النى بعث بها الشيخ الى بعض مريديه بعدم الاتيان بهذا النوع من الذكر

***

أشهر خلفاء الشيخ نور الدين :

لقد كان للشيخ عدد كبير من الاتباع والمريدين بلغ قرابة مليون انسان، ولكن أشهرهم هؤلاء الذين نذكرهم ، كما ورد فى كتاب فيض الجمال ، ورقة ١٠٠ تأليف الشيخ حسن الجبار .

١ ــ خليفته العارف بالله الشيخ عبد الغفور ، الذى كان منعادنهنزوله عن ظهر دابنه عند دنوها من صعودها مرتفعا من طريق الجبل رحمة بهـا وشفقة عليها .

٢ ــ أبو محمد الشيخ طه بن الملاطيب بن يحيى السليفانى ، الذى هو العارفالفرد المتخلق بأخلاق الشيخ نور الدين،الحافظ للقرآنعنظهرالقلب، النالى له حق تلاوته المكثر منه أكثر أوقاته ، العارف بمعانيه ودقائقه ، القائم بطب أبدان الناس وطب قلوبهم بأرشاداته وامداداته ، المسخر له قلوبهم ، الفقيه المكاشف ، المفقود الحظوظ النفسية الذميمة ، المستعمل لاخلاق الملكية، والمطلع على الاسرار اللدنية ، المقرب المراد .

٣ ــ الشيخ على الكلى رماني : هو العارف المكاشف ، الناشيء في طاعة

الله وخدمة الشيخ ، وارشاد عباد الله فى أقطار الارض من أيام صباه وشبابه، والحافظ لكلام الله عن ظهر القلب ، التالى له حق تلاوته فى أكثر أوقاته ، الفقيه الشريف ، المقرب المحظوظ فى صغره وكبره وهو مدفون فى غرفة بتكية الشيخ ، وقبره معروف هنالك يزار .

٤ — العلامة الشيخ عبد الحميد بن الشيخ شمس الدين البريفكانى الاتروشى : هو العارف المكاشف ، الحافظ للقرآن عن ظهر القلب ، التالى له حق تلاوته فى أكثر الاوقات ، الكرار الفرار ، العامل بكتاب الله وسنة رسوله ، المرشد علما وعملا وحالا وارشادا واستقامة ، فهو آخر خلفاء الشيخ وقام بالارشاد فى محله فى بريفكان بعد وفاته ، وزوجه بنته الصالحة فاطمة خانم ، وخلع عليه خلعة الولاية والخلافة على رؤوس الآشهاد ، ثم انتقل الشيخ عبد الحميد الى قرية أتروش ، وبقى مداوما ومواظبا على التدريس والارشاد الى أن توفى هناك سنة ١٣٠٥ ودفن هناك وقبره معروف يزار .

٥ — أبو عبدالله الشيخ محمد بن السيد جرجيس النورى الموصلى : هو العلامة فى المعقول والمنقول ، العارف بربه ، المكاشف المحظوظ ، الناشىء فى طاعة الله تعالى من صباه ، الحافظ للقرآن عن ظهر القلب التالى له حق تلاوته فى أكثر الاوقات ، المصنف فى كلام القوم والتفسير وغيرهما ، الخطيب المدرس ، المقرب الفرد ، السالك المجذوب ، الناسك المحبوب ، المسخر له الدنيا والقلوب ، التام النافع علما وعملا وارشادا ، شرح قصيدة الهمزية والتائية والنونية للشيخ نور الدين ، وألف كتاب تسلية الاخوان فى مواعظ شهر رمضان ، وأخذ الاجازة من الشيخ عبد الرحمن أفندى مفتى الموصل ومن عبد الله أفندى الفيضى النورى ، وتوفى سنة ١٣٠٥ .

٦ — الشيخ عبد الكريم العقراوى .

٧ — الشيخ مصطفى العمادى

٨ — الشيخ أسلام الشوشى ، هو ابن الشيخ عبد الرحمن الشوشى ، وهو من أحفاد القطب العارف الشيخ شمس الدين الشوشى كان الشيخ اسلام رجلا تقيا ورعا عارفا بالله ، وكان عالما بارعا ومؤلفا جيدا ألف عدة كتب منها كتاب (راحة الفؤاد) من انتخابات كلام جده العارف الشيخ شمس الدين الشوشى ، وقد أكمل تأليفه يوم الخميس ١٥ جماد الآخرة سنة ١٢٨٤هـ كما

الف كتاب (ملجم الاكباد وكيماء الانوار) وهذا الكتاب يشتمل على عـــدد كبير من رسائل الشيخ نور الدين البريفكانى وقصـــائده باللغتين العربيـــة والفارسية ، كما يحتوى على نبذة من حياة الشيخ نور الدين ، فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٣هـ والكتابان لازال مخطوطين .

٩ ــ العلامة الفقيه أبو الحسين الشيخ عبد القادر الفاضلى .

١٠ ــ العلامة أبو عبد الله الحسن الجبار بن اسماعيل بن عبد الله الدركزلى الموصلى ، كان رجلا تقيا ورعا ، وعالمـــا وفاضلا ، ألف رسائل عديدة فى التصوف ، كما الف رسالة جمع فيه الاحاديث الواردة فى بيـــــان أصناف الاولياء . وشرح القصيدة البائية المسماة بكرب الحال ، والقصيدة التائية ، والقصيدة الحائية ، والقصيده الالفية اللامية للشيخ نور الدين ، وأسلوبـــــه فى تلك الشروح يتسم بالتطويـــــل وكثرة الاستطراد ، توفى سنة ١٣٢٧هـ .

١١ العلامة المدرس الخطيب الشيخ عبد الله الخضراوى الموصـــــلى الحنفى .

١٢ ــ العلامة الشيخ على المغربى صاحب الرياضيات والمساحات .

١٣ ـ الفاضل الورع التقى سليمان بك بن عبد الرحمن بك الموصلى .

١٤ ــ العلامة الفاضل الملاحامد أفندى بن عيسى الدوسكى البيسرى ، وكان رجلا فاضلا تقيا ورعا ، وعالمـــا مبرزا فى فنون العلوم العقلية والنقلية وقد مدحه الشيخ بقصيدة دالية مطلعها :

ياخليلى ان نشـــأ ذكر المحامد	لفنى بارع فى الادب حامــــد
نجل مولانا أبى الحامد عيسى	بلغا فى الدين أقصى بالمقاصــد

١٥ ــ الشيخ عبد الرحمن الانصارى ، وهو الرجل العارف والعـــالم المكاشف الورع التقى البر ، وقد شرح السيد محمد النورى قصيدة الشيخ التائية بناء على طلبه ، كما ذكره فى بداية شرح القصيدة ونهايته .

١٦ ــ العلامة المفضال الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الســـــيد عبدالجبار ابن أخى الشيخ نور الدين ووختنتهكان رجلافاضلا تقيا ورعازوجه

الشيخ نور الدين ابنته ، بصدر للارشاد فى بريفكان بعد انتقال الشيخ عبد الحميد الى اتروشى ، وكان محبوبا محترما عند خلفاء الشيخ نور الدين ، لانه كان بمثابة الابن للشيخ نور الدين ، ثم انتقل الى دهوك وتوفى هناك .

١٧ — الشيخ محمد العزى ، كان رجلا تقيا ورعا فاضلا ، يروى عنه اهل المنطقة كرامات كثيرة .

١٨ — السيد احمد السبعاوى

١٩ — الحاج عبد الله الفيضى

٢١ — الحاج صالح جلميران

٢٢ — الشيخ سلطان خليفة

٢٣ — الحاج سليم اغوات

٢٤ — الحاج عثمان الخطيب

٢٥ — الحاج عثمان افندى الرضوانى

٢٦ — الحاج ياسين الموصلى

٢٧ — الحاجة مريم الجماسة

٢٨ — ومن خلفائه الشيخ عبد البارى الجرجاخى الوانى .

٢٩ — الشيخ عبد الفتاح الزاخولى

٣٠ — والشيخ عبد اللطيف

وغير هؤلاء كثير حيث ينتشر مريدوه فى محافظة الموصل واربيل وقسم من محافظة السليمانية ، وبين اكراد تركيا ، كما سمعت من بعض الناس: ان للشيخ خلفاء ومريدون فى الهند ، وهذا ليس ببعيد لان هناك فى ولاية كشمير حوالى ثلاثة ملايين من الكرد وفى الوقت الحاضر يتزعمهم عالم كبير ومثقف فاضل يهتم بشئون شعبه وتاريخ أمته ، حسب ماحدثنى به الثقة العدل الضابط

تدرجه فى السلوك :

ان الشيخ قدس سره كثيرا ما يؤنب نفسه ، ويلومها ، ويوبخ مشاعره ،

ويذم سلوكه، ويتهم روحه باتباع الشهوات ، ومرافقة الهوى ، ومصاحبة الشيطان حيث يقول :

فـــواعجبا لآغر وصـــافحنى الهـــوى
وضــــاقتْ الأحشــا حينَ انثنى العَجْب
على مـــــذهب الأرجاف والفتى عـــابر
بقسطاس عيى المرجفـــين الى الوسب

ويقول أيضـــا :

لذاك اصـــطفانى فابتلانى ســـوى الأولى
فنلت بـــلا هـــذين التوب والذنب

ويقـــول ايضا :

فنحلت احشـــائى لتـــاهبل وحشـــها
لـــذا عفرَّت فيهـــا الخنـــازيرَ والـــكلبَ

وبقول ايضـــا :

فالورد يظل بلا سجف — والمسك بلا ضـــوع الرشـــح
الشحرور البستان يميل — الى اصـــغاء نبح النبـــح
أم تـــأكل من شجر نتن — أم تنزل مـــع ذى المنطـــرح
أمتسفك مهجة محترم — أم تقعـــد فى ســـكك الروح

حيث يقول الشيخ قدس سره فى شرحه المسمى « بابراز الدقائـــق » فى شرحه لهذه الابيات :

فانقلب الزمان فى المـــاضى حالا عندى ، فرأيت فى صفحاته أن هذا العبد **بارقة من وجه الله ، أو لمعة من شعاع الله ، أو مرآة من مراى الله ، أو**
فانقلب الزنا فى المـــاضى حالا عندى ، فرأيت فى صفحاته أن هذا **العبد قطب من أقطاب الله ، فغشينى أنوار الجلالة سبع سنين بعد صلاة المغرب،** وفى بعض الاوقات الآول من النهار والليل ، ورأينى وردا فى حديقة وقـــت الربيع وأتاه الخريف فانتثرت أوراقى .

وكان يفوح منى المسك الى اقطار أطوار أخذ عهد الميثاق ، فى حضرة

الجمع والرؤيه والتلاق ، فى ميعاد « ألَسْتُ بربكمْ » فضاع من خمره التكليم ، رائحة طيبة دخلت الخياشيم . فأسكرها لذه سمع الخطاب .

خدرنهم راح الخندرس من الاكواب . عن أيدى الحضرة وأنامل الاحباب فلا برحيق هادية بكمال التوفيق . أخذه بيد القلب الى الصواب الطريق . حتى مال القلب وصبا ، لقبول الغوائل . وانخدع بقبول الرذائل ، فنسى الوطن الاول ، ولم يعلم أن حب الوطن من الايمان ، والف الى سجن الجيف مع عدوه الشيطان ، فيبقى الورد بلا سجف يفوح ، والمسك بلا ضوع يضوع ، وهما القلب ، فرأيت فى بعض المناجى قائلا يقول : الشحرور البستان يميل الى اصغاء نبح النبح ، فاشتكيت الى الله تعالى فى ذلك التقدير ، اذ جرى على فهمى وخاطبنى بهذا الكلام فيما يراه النائم ، وقال : أنت لا تتأسى بأبيك آدم (٤) .

هذا ما قاله الشيخ حول انحرافه الجزئى عن طريق الصواب . ورجوعه الى الحقيقة ، وهو ما يسمى عند أهل السلوك بالفترة أما سبب وقوعه فى هذه الفترة ، وتاريخ وقوع هذه الفتره منه ، فشراح كلامه متفقون على أن سببها ، أخذه الطريقة النقشبندية من الشيخ عبد الوهاب السوسى ، لكن كيف يكون أخذ الطريقة والسلوك سببا للانحراف فبعضهم يقولون : لم يكن أخذ الطريقة سببا للفترة ، بل سببها وقوع شيخه الشيـــخ عبد الوهاب فى فترة أوجبت له غضب شيخه الكبير مولانا خالد ، لان الشيخ نور الدين اخذ الطريقه من الشيخ عبد الوهاب ، وهو أخذ من مولانا خالد ، فلما طرد عبد الوهاب بسبب فترته ، أثر طرد عبد الوهاب على تلميذه الشيخ نور الدين (٥) .

وبعضهم يقولون : ان سلوكه فى الطريقة النقشبندية التى اخذها من الشيخ عبد الوهاب ، ومصافحته له بالنسبة له — موافقة روحه لنفســه الشهوانية ، وتحكمها عليها بتمييلها اياها الى مادعتها اليها من الراحة بترك بعض النوافل والاوراد والتلبس بالفترة (٦) .

---

٤ — أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩

٥ — أنظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٦

٦ — أنظر فيض الجمال ، ورقة ٢٠٢ و ٢٠٣

ويقول الشيخ قدس سره : فانى أيضا دخلت طريقه الشيخ عبد الوهاب المذكور مقدار خمسة أيام ، فشاهدت منافعها وخصوصياتها ،لانى كنتبالعزم الصادق ، والنية الخالصة ، فترائت لى أنوارها كثـــبرا ، ولكن وقعت فى الحظوظ النفسانية ، وأبغضت الناس ، ووقعت منى الالفاظ القبيحـــة فى حقوق المنكرين ، ولو كانوا لنا من الناصحين (٧) .

ويقول فى مكان آخر :

ودخلت فى الطريقة النقشبندية مقدار أيام على يد ناقص مدعى الكمال ، فرايت فى الرؤيا والواقعات أكثر من خمسين مره ما حملنى على الرجوع من عنده (٨) . وبهذا يتبين أن وقوعه فى هذه الفتره ، كان فى وقت مبكر جدا ، اى فى بداية سلوكه .

الخلاصـــــــة :

يظهر مماسردنا من النقول عن الشيخ ، وعن شراح قصائده من المريدين، أن الشيخ قدس سره أخذ كلا من الطريقة القادرية والنقشبنـــدية فى وقت مبكر عندما كان طالب فقه فى مدينة الموصل ، وبسبب كثرة مطالعاته فى كتب التصوف ، وذكائه المفرط ، وذهنه الوقاد ، وفكره الثاقب ، وفطرتهالسليمة، ونيته الخالصة ، ونفسه الطاهرة ، وروحه الزكى ، برز فى مبدان المعنويات ورقى سلم الكمالات ، وغاص فى بحار الملكوت ، بسرعة البرق الخاطف ، والصاروخ العابر للقارات ، غير أن هذه السرعة لم تكن من صالحه اذ أصبح كمن يتوصل الى النتيجة بدون المقدمات ، أو مثل من يقلد سلطة دولة شاسعة بدون خبرة سابقة فى السياسة والادارة ، أو مثل من يقلد قيادة جيش كبير لخوض معركة ضارية فى مكان وعر ، لذلك لم يتمكن من حمل تلك الاعبـــاء ، فأصيب بداء العجب والتكبر واهانة الناس

كما صرح به بقوله : (ولكن وقعت فى الحظوظ النفسانية الخ) ووقوعه هذا هو السقوط والفترة عند أهل القلب . لكن لحسن الحظ كان انتبـــاهه سريعا فقد انتبه من رقدته وبدأ بالرياضة والسلوك والعبادة والطاعـــــة والزهد وترك الدنيا ، والابتعاد عن الناس ، حيث سكن حوالى عشر سنوات

---

٧ — أنظر البدور الجلية ، ورقة ١١
٨ — أنظر البدور الجلية ، ورقة ١٩

فى الجبال ومغارانه لا بأل فالناس حتى أبويه ، وهو مجذوب حاكم عليـه انوار حاله الى أن امر بالرجوع الى الناس لنفعهم بتوسط شيخه ابى على الحاج محمود بن الشيخ عبد الجليل الخدرى الموصلى ــ قدس سره كما نقل عنه (٩) .

وكان رجوعه الى الناس حوالى سنة ١٢٣٠هـ حيث يقول: (وكان تاريخ البدايه فيها سنة ثلاثين ومائتين والف .. الخ) (١٠)

وبهذا يظهر انه اخذ الطريقة فى حوالى سنة ١٢٢٠ ، ووقع فى الفترة مدة يسيرة ، ثم انتبه وندم عن حاله وسكن الجبال واخذ بالزهد والمجاهدات حوالى عشر سنوات ، ثم رجع الى قرية أيتوت لنفع الناس والارشاد،وزوده الشيخ محمود الموصلى باجازة عامة للارشاد سنة ١٢٣٢ ، وفى **حوالى سنة ١٢٣٩ صرح بانه صار من الاقطاب ، وبعد مدة صرح بانه غوث زمانه ، وفى أواخر حياته صار فردا ، وهو رئيس اولياء الدنيا واقطابها وغوثها .**

ويقول الشيخ محمد النورى عند شرحهلقول الشيخ .

قد سمى نورا والى الدين مضـافا
وفى الدهر على الخلق لقد نلت عـلانا

يقول : يعنى اسمى نور مضاف الى الدين ، فصار نور الدين حقيقة ، لان الله نور به حياة المسلمين فى وقته . فكان مجدد عصره وزمانه بلا شـك ولا شبهة ، ولا ينكر هذا الا من أعمى الله قلبه وبصيرته ، وبه ظهـرت الطريقة القادرية بعد خفائها واندراسها ، وهو ظاهر كالشمس فى رابعـة النهار . . . . (١١)

***

آراؤه حول افضلية الطرق الصوفية :

يقول : طرق المشايخ كثيرة ، اذ كل وصل الى الله بنوع من انواع طرق الدين ، الا أن أفضل الطرق طريق شيخنا الامـام قطب العارفين الشـيخ

---

٩ ــ انظر فيض الجماك ، ورقة ١٥٨
وتأتى ترجمة الشيخ محمود فى قصيدة اللامية الآلفية
١٠ ــ انظر البدور الجلية ، الباب السادس
١١ ــ أنظر شرح الشيخ محمد النورى على القصيدة النونية

عبد القادر الكيلانى — قدس سره — كما ذكره ابن حجر فى الفتاوى وقال بعضهم كالعارف على القارى أفضلها طريق شيخنا الشيخ محمد الاوسى البخارى قدس سره (١) .

وانه يرى شيخ الطريقة القادرية فى زمانه افضل من شيخ الطريقة النقشبندية وهو الشيخ عبد الوهاب السوسى ، لان الشيخ الطريقة القادرية كثير التواضع حسن الخلق لا يؤذى المسلمين ، والمنتسبون للطريقة القادرية لا يكرهون غيرهم ، ويبتعدون عن الحكام والسلاطين ، ولا يأخذون منهم صلة ، لان أموال الحكام والامراء مشبوهة يقينا ومحرمة ظنا ، وفى طريقنا التسبيح والتهليل والتحميد مع مافى طريقهم ، وفى طريقنا ماليس فى طريقهم ، فلذلك فضلتها ، وفى طريقنا التحلق للسماع ، والضرب بالدفوف وهما شيئان محبوبان لا مكروهان ، لكن الخطر لا يخلو من كثيرين فاعلين لها، فضارب الدفوف قد لا يخلو من الغفلة واجتماع النساء والمرد ، وهن محرمات الحلقة قد لا يخلو من الرياء والتصنع ، ورؤية النساء والمرد ،وهن محرمات يبتلى بها كثير من أهل الطريقة القادرية (٢)

اما أتباع الشيخ عبد الوهاب فانهم لا يقصرون فى أخذ أموال الامراء ، وانهم يتحصنون بالسلاطين فيداهنون ، وانهم يحقرون غيرهم (٣)

وعلى كل حال فان رأيه هذا قد جره الى صراع مع اتباع الشيخ عبدالوهاب كما أن رأيه فى شروط أهلية الشيخ للارشاد ، أثر على مصالح كثير من المتمشيخين،فعادوه . وربما نزاعه مع اتباع الشيخ عبدالوهاب كان راجعا أيضا الى رأيه حول شروط أهلية التصدى للارشاد ، والا فانه يمدح الطريقة النقشبندية مدحا مستفيضا ، حيث يقول : اعلم أن من محاسن الطريقة التى جددها الامام العارف والولى المكاشف الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندى — قدس سره — الذى سن الذكر الخفى ، وفضائلها وعجائبها كثيرة ، وذلك لمن وفق على العزائم الشرعية .. فمن محاسنها الذكر الخفى والمراقبة والختمة المشهورة ، وكذلك الذكر الذى ينتقلون اليه بالاوطار ، وحسن فيهم

---

١ — أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ٢٨و٢٩
٢ — أنظر البدور الجلية ، ورقة ٨
٣ — أنظر البدور الجلية المقدمة

رابطتهم بشيخهم ، وهو التأدب بين يديه حاضرا وغائبا ، وهو أصل عظيم في جميع الطرق (٤)

وقد بلغ في احترامه الطريقة النقشبندية منتهاه حيث روى عن كثير من مريدي الشيخ أبي بكر (٥) غياث الدين بن الملا محمد الهرشمي — قدس سره — أنه قال : توجهت الى بريفكان وقصدت الشيخ نور الدين قدس سره لاخذ الطريقة منه في بداية الامر ، فلما وصلت المقصد وبقيت هناك أياماً ، لاخذ السلوك منه ..

---

٤ — أنظر البدور الجلية ، ورقة ٧

٥ — هو العلامة الملهم ، والشيخ الفاضل ، والولي الكامل الشيخ أبو بكر — غياث الدين — بن العلامة الملا محمد الهرشي ولدفيقريةهرشم،وهي الان تابعة لقضاء شقلاوة وكانت في ذلك الوقت تابعة لدير حرير .

فدرس على والده ، وعلى العلامة عمر أفندي الخيلاني ، وغيرهما من كبارعلماء عصره ، وارتقى في سلم العلم والعرفان حتى صار ربيع العلوم والحكمة ، وصاحب المجد والكرم ، روض الافادة للطلاب ، أحيا أموات العلوم بذهنه الناقب وذكائه المفرط . وانتسب الى الطريقة القادرية في بداية أمره على يدي الشيخ نور الدين البريفكاني، وصار من المقربين المحبوبين له .

ثم أخذ الطريقة النقشبندية على يدي الشيخ عثمان — سراج الدين — الطويلي ، وهو من خلفاء مولانا خالد البارزين .

فعمر أماكن الطاعة ، واتخذ زوايا المساجد من خير البضاعة ، فصار عالما عاملا وعاملا عالما ، حيث جمع بين العلم والسلوك ، ووزع أوقاته بين التدريس والتقديس ، حتى أصبح تشرق من طلعته شموس ، وتتهذب بمجالستة النفوس ، ونشر لواء فضله وعلمه في ربوع مدينة أربيل ، حيث أسس مسجده المعروف بخانقاه الشيخ أبي بكر » وتوجه اليهطلاب العلوم والسلوك من كل حدب وصوب ، واستفادوا من علمه الغزير واخلاقه الرفيع، وقد درس عليه وتخرج على يديه فطاحل العلماء أمثال : العلامة الملا ابراهيم الدوغلمهجي البير بابي والملا عبد الرحيم الزياري والملا أحمد بن الملامحمد الاشوكاني ونجله العلامة الشيخ — كمال الدين — مصطفى النقشبندي المولود سنة ١٣٠٦هـ الذي نعتقد أنه من بقايا السلف الصالحفيزمننا ومن =

= الشيوخ الكاملين علما وحالا ـــ متعه الله بالصحة والعافية ـــ والملا سيد كريم الاورامي (الهورامي) ودرس عليه الاستاذ الملا عبد الرحيم الجرستاني والشيخ محمد أمين الاربلي حيث درس عليه بعض الوقت

وكان الشيخ محمد أمين ـــ قدس سره ـــ ولد في قرية (سعداوة) وهي قرية تقع غرب مدينة أربيل على بعد حوالي خمسة عشر كيلو مترا، قرب التل الشهير بقصر شمامك بدأ دراسته في محافظة أربيل وقراه وقرأ مدة على الشيخ أبي بكر الهرشمي المذكور ، لكنه أخذ الاجازة العلمية من العلامة عمر افندي الاربيلي والد « ملا افندي » المشهور بكجك ملا ، ثم ارتحل الى محافظة السليمانية ودرس هناك على كثير من العلماء ، وأخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ «عمر ضياء الدين » ثم ارتقى في سلم الكمالات علما وعمـــــلا وحالا وصلاحا وزهدا وتقوى ، حتى صار من أعظم خلفاء شيخه ، ثم ترك الاهل والعشيرة ، وتوجه الى الحجاز وبقي هناك مدة في الحرمين الشريفين تاركاً الدنيا واهلها ، وانقطع للعبادة والرياضة وسلوك الطريقة ، ثم توجه الى القاهرة واستقر فيها الى أن توفي ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٢ ودفن هناك في مقبرة الدراسة وقبره معروف يزار ، وعليه مسجد يعرف بمسجد الشيـــخ الكردي ، وكان فانيا في حب الله ويعتبر من كبار أولياء عصره وأشبه مشايخ النقشبندية ، بمولانا خالد ، حيث أنه كما أن مولانا خالدا لمـــا رجـــع الى كردستان بالطريقة النقشبندية لم تكن الطريقة معروفة هناك ولم يكن هـــو معروفا ، فأظهره الله فجأة ، كذلك مولانا الشيخ الكردي حيث لم يكن هـــو معروفا بالقاهرة ولم تكن الطريقة النقشبندية معروفة أيضا فأظهره الله فجأة على خلاف العادة ، لأن العادة أن لا يظهر الانسان ولا يشتهر الا اذا كان ثريا ، أو يعتمد على منصب دنيوي رفيع ، أو عشيرة قوية أو حزب قوي ، والشيخ محمد أمين الاربلي لم يعتمد على شيء من ذلك ، بل اعتمد على الله فقط ، حيث خرج على قدم التجريد من عند أهله متوجها الى الحرمين الشريفين، وربما ظن بعض أقاربه أنه أكله الذئب في الطريق ، فظهوره وشهرته من غير اعتماد على الاسباب يعتبر كرامة له من أعظم كرامات الاولياء ، ويدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار أولياء الله ـــ قدس سره ـــ ولا زال نجـــله المبارك ، وأحفـــاده الفضــــلاء في القاهرة يعيشون معززين ومكرمـــين ببركة أنفاسه الطاهرة .

كما ربى كثيرا من المريدين تربية صالحة ، حيث نال بعضهم رتبة الولاية، ومن اشهرهم السيد عبد الله النوغراني .

توفي رحمه الله في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ وقيل في بداية =

قال : يا أبا بكر ان خبزك ليس عندى ، فاذهب الى الشيخ عثمان سراج الدين فى الطويلة ان خبزك هناك فعند ذلك توجهت الى الطويلة واخذت **العهد من الشيخ عثمان سراج الدين قدس سره (٦)**

***

رأيه فى شروط أهلية الشيخ الذى يجوز أن يؤخذ منه الطريق .

يقول : لا تصدق أحدا نصدر للمشيخه الا من سلك زمنا طويلا فى الخلوات، وعلمت منه انه خالف نفسه فيها بأنواع الرياضيات . وان تبعته فصار شيخك ، وهو ليس كذلك ، فقد هلكت أنت وهو ، فاجتنبه ، ولا تقرب منه مع العقل وعدم ايذائه .

ولا تقل : انى أحسن الظن به لان من اعتقد بحجر نفعه ، لان ذلك انما هو ظن البراءه من الظلم والفسق والفساد من المسلمين ، وكلهم فى ذلك سواء ، لا ان المراد أن العبد اذا رأى من صار شيخ جماعة ، أو قال : انى صرت مرشدا يظن له هذا الكلام صادقا ، لان من صدق بكل فهو أحمق ، فلا تدخل تحت يد من يدعي المشيخة ، حتى ترى فيه مالا يعترض عليه الشرع ، ولو فى مثقال ذرة ، والا فكان ذلك الشيخ وبالا على نفسه وعلى نفس مريده — أعاذنا الله منهم — وربما ابتليت بالمتابعة له ، وصرت مريدا له ، وجاز لك الخروج من عنده ، بشرط أن لا تؤذيه بخلقك ، وقل له بالمعروف : انى لاأقدر أن أكون موافيا لما لك على من العهود فلا طاقة لى على المريدية ، وانما قلنا : أن الشيخ يجب أن يكون على كمال ، لان الشيخ اذا لم يكن من الاولياء ،

يمكن أن يكون ممقوتا ، لا يؤيده الله ، فاذا لم يقوه الله تعالى ، ربما دعته نفسه الى مطلوبها ، فيفعل بمقتضى نفسه من الشهوات ، والغفلات،

محرم سنة ١٣٢٩ ، وسألت نجله العلامة الشيخ مصطفى النقشبندى عن تاريخ وفاة والده فقال : ما كتبه الملا خليل مخلص هو الصحيح ، أى سنة ١٣٢٨ ، وسبب هذا الاختلاف أن الشيخ — قدس سره — توفى أيام الثلج الكبير ، وكان وقوع الثلج المذكور فى أواخر ذى الحجة سنة ١٣٢٨ واستمر الى أوائل محرم سنة ١٣٢٩ هـ وحسب جدول مقابلة السنوات القمرية بالسنوات الشمسية يظهر أن اليوم الاول من محرم سنة ١٣٢٩ يصادف ١٩١١/١/٢م أى أن وفاته فى أواخر شهر ١٩١٠/١٢ أو بداية شهر ١٩١١/١ .

٦ — هكذا شاع بين الناس ، والله أعلم بالصواب .

فيظلم قلبه ، ثم يرتكب المحظورات اذا اختلى عن الناس ، فيسود قلبه ، فيمشى على غير سبيل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فان اتبعته هلكت ، وان لم تتبعه غضب عليك ، وقال لك : انت مريدى وأنت تعترض على ؟ فلا تتبعنى فلست منى ، فتحصل العداوه والبغضاء بينك وبينه ، هذا حال من لم يكن على الشريعة وصار شيخا للمريدين ، فاجتنبوه ولا تتبعوه .

واذا احببتم الطريق ، فاستعملوا آداب الشريعة ، وهو عين الطريق ، والسلامة لك وانت بعيد حينئذ من الهلاك ، ولا تنظر الى قول من يقول : من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، لان الشيخ هو الذى يعلمك دينك وايمانك ، سواء أباك أو أمك وغيرهما .

ولا شك من لم يسأل احدا فى أمور دينه صار يفعل ماليس بحق ، وذلك مراد الشيطان ، وحينئذ صار هو شيخه ، وقد يكون للانسان مائه شيخ أو أكثر ، بأن يعلمه كل واحد منهم شيئا فى الدين ، وليس الشيخ من تقول له : انت شيخى ، بل كل من علمك دينك كان شيخك .

وأنا أقول : فى هذا الوقت لا يوجد على وجه الارض احد يمشى على ما يمشى عليه الاولياء ، وهؤلاء الذين يسمون بالمشيخة الآن ، وهو عرى عن المشيخة الحقيقية ، ولا يجوز لاحد الانتماء به من حيث رسم المشيخة المعروفه بين القوم على حصول الوصال ، وفى الخروج من امر النفس ، هذا حاصل ما قرر الفضلاء أهل الطريق . (٧)

ويقول : ان طريق القوم اصعب شيء فى الدنيا ، ومن ثم اندرس من زمن بعيد ، فوجب على كل أحد أن لا يدخل تحت يد احد ممن يسمى باسم المشيخة ، وهو على خلاف الشرع ، بل يجب على كل من اهل الزمن ان يهتموا بأمور دينهم من غير سبيل الارادة المعروفة بين القوم (٨) .

وكان قدس سره يعتقد ان أى شيخ لا يصل الى المستوى الذى يكون فيه أهلا لارشاد الناس ، الا بعد ان نجح فى اجراء امتحان أربع موتات :

---

٧ — انظر البدور الجلية ، ورقه ١٨ ، حت المشيخة .
٨ — انظر البدور الجلية ، ورقة ١٩

وهى الموت الابيض ، والموت الاخضر ، والموت الاسود ، والموت الاحمر ، وقد نظم الموتات فى هذه الابيات :

فالموت الابيض : بيض المجاعـــة — فالقلب يضحى بالجـوع أزهــر
والموت الاخضر : لبس المراقــع — فالعيش أخضر بالبـــذل أنضر
والروح من فبه الازهار نجمـــع — ثم الكلا والعبش المـــكثر
مثـل الرقاع فـوق النبـــاب — ثم القناعة فى القلب أخضر
والموت الاسود : حمل الأذابــا — والقلب فيهـــا للحمل يصـــبر
ان الأذابا كالقـــار أســـود — فحاملوها بالصبر أجـــدر
ظلم العبـــاد كظم المسىء — ذو الحلم يعفـــو وهو الميتر
والموت الاحمر : ذبــح النفوس — عما تقـــول اذ ذاك أكبــــر
مهمـــا نخالف ماالنفس ترضى — فاعلم يقينا ذا الموت الاحمـــر

***

الشيخ بين الحكام والفقراء :

كان قدس سره ، بعيدا عن الحكام بعده من الظلم ، وجمـــع المـــال المشبوه والحرام ، ولم يثبت أنه راسل حاكما ، أو أميرا ، أو توجـــه الى الاستانة ، أو طلب من الباب العالى شيئا ، أو بعث اليهم برسالة أو قصيدة فى مدحهم ، عدا رسالة واحدة ، وهى رسالة وعظ وتوبيخ ونصرىح بالحق عند الظلمة ، وسوف ننشرها .

ولم يكن اضرابه عن مدح الحكام ومراسلتهم راجعا الى عدممدحهللناس، فقد كان يمدح الناس وبراسلهم ، فقد مدح شيخه الشيخ محمود ، ومـــدح كثيرا من الاولياء والشيوخ الكرام ، كما مدح العلامة الشيخ حامد بن عيسى الدوسكى حيث مدحه بقصيدة داليه بليغة ، لانه كان عالمـــا تقيا ، وكان من تلامبذ الشيخ قدس سره ، ونفرة الشيخ من حكام زمانه له ما يبرره

حيث قال :

ترك الأكابر من بنى الدنـــا التـــزمت
فصـــار طبيعى نفـــرة الـــكبراء

وبقول أيضا :

كبسى ملىء بالقناعـــــة لسس للنورى
ثمـــة حاجـــة بمنـــــالك

ويقول ايضا :

يألف الـــــوحش من أراد نجـــــاة
زاهـــــدا فى الطـــريق العبســوى

يا عبــاد البطــون انتـــم كســـالى
كل شر يـــــأوى لبطــــــن ملى

ويقـــــول :

فلزمت أركــــان الخمـــول فانـــه
أولى وأســـلم من دخـــول خـــلائى

وقد بقى الشيخ قدس سره بعيدا من الحكام والامراء ، يعش مـــع الفقراء الى أن ذاع صيته ، وملأت الآفاق شهرته ، وكثر اتباعه ، وعظـم خطره ، فعندئذ خطب جميع الناس وده ، واشتاق الحـــكام والامراء الى ارضائه ، حتى أن بعضاً منهم دعوه لتزوجوه نساء من أسر الحكام فأبى أن يصاهرهم أو أن يتزوج من نسائهم (١) ، ولكنه مع هذا لم يجابه الحكام ، وذلك لانه كان يريد قضاء حوائج الناس ، ورعاية الحقوق بصورة سلمية ، فقد نقل عنه الشيخ حسن الجبار قوله : (ولمـــا أصبح لى هـــذا المقـــام (أى لمـــا أذن الله لى بالمدارات) واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة ، الا من طريق المدارات ، ولذلك ماردوا لى شفاعة قط ، وذلك انى كنت ابسط للملك بساطا أستدرجه فيه حتى يكون السائل فى قضاء تلك الحاجة ، فيقضها على الفور بطيب نفس ، لما يرى فيها من المصلحه(٢)

***

اما مع الفقراء :

فقد كان قدس سره لصيقا بالفقراء واحداً منهم ومحباً لهم ، وهذا ليس غريبا عنه لانه نشأ على الفقر ، وأسس طريقته على الفقر ، وقعد قواعـــد سلوك طريقته على ايثار الفقر على الغنى ، وارتقى سلم الكمالات فى الدنيا والآخرة بالفقر والفقراء .

اننى لا أمدحه لانه عاش مع الفقراء ودافع عن الفقراء فى بداية الأمر ، لان جميع الدهاة والقواد وذوى الطموح يعتمدون على الفقراء عادة فى بداية

---

١ — انظر فيض الجمال ، ورقة ١٢٨
٢ — انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٠

أمرهم حتى يصلوا الى مقصدهم ، وأن جميع من رقى سلم الكمالات ، ارتقى البها على أكتاف الفقراء ، لكن الذى أعجبنى منه وجعلنى أحبه أنه بقى وفياً لهم الى آخر حياته ، وانه دافع عنهم دفاع المستميت الى آخر حياته ، حتى انه — رضى الله عنه — لا يزال الى يومنا هذا يتحمل نصيبا وافرا من آلام شعبه وشقائه ، فقد تعرضت قريته وضريحه وتكيته الى هجمات مـــدمرة مرات عديدة ، والآن فى الوقت الذى أكتب فيه هذه الرسالة لم تبق من قرية بريفكان ومرقد الشيخ الا الاسم وأن الخراب والدمار قد عمها وطرد الأهل وشردت العشيرة ، وان الذى يذهب الى بريفكان وتقع عينه على هذا الخراب والدمار والتشريد ، يتيقن بأن هذا مرقد زعيم كردى فى منتهى الاخـــلاص والشهامة لذلك توفرت له جميع المزايا والاوسمة والاحترامات التى يستحقها مخلصوا هذا الشعب الكادح من قبل الاعداء ومما يدل على منتهى اخلاصه للحق وحبه للفقراء ، أن على باشا والى بغـــداد حينما جاء الى كردستان لتدمير أمارة رواندز ، اتصل بالعلماء وشيوخ الطرق ليهيىء تأييداً دينيـــا للعثمانيين ضد مير محمد الرواندزى ، فاتصل بعدد كبير منهم ومنحهم أراضى واسعة لاطعام الطعام ، وهم منحوه التأييد بالمقابل ، ومن جملة من اتصـل بهم الشيخ نور الدين قدس سره

حيث أرسل اليه بعض الأكابر يلتمس منه مقابلة على باشا ويخبره بأن يرسم له خمس عشرة قرية من قرى الجبل اطعامية لتكيته بعد المواجهة معه.

هكذا أرسل اليه على باشا ظنا منه أن الشيخ يعبـد الله للطمع ، وانه من طراز أولئك الذين غرهم بالمـال ، لكن خاب ظنه ورجع رسوله بخفى حنين حيث رده الشيخ قائلا (أنا لا أواجـه ظالمـاً بســبب عرضى من الدنيا) (١) .

هذا ماقاله ، وهو يستحق أن يكتب بماء الذهب ، ويستحق أن يكون قوله : هذا حكمة وعظة لكل أبناء هذا الشعب ، كما يستحق هذا الرجـل العظيم أن يكون موضع احترام وتقديس شعبه بسبب هذه الكلمة الجبارة ،

---

١ — أنظر تحفة السالكين ، ورقة ٦

وان هـــذه الكلمه أحب كلمة الى الله تعالى ، لانها كلمة حــق عند سلطان ظالم (٢) .

ومن المعلوم ان «به يى كولى» ملحمه الجــراد و «به ينى به قالاموسلى» ملحمة بقالى الموصليين، لا تقلان فى الاهمية عن هذا الكلام الجرىء فى زهق الباطل وسحق الظلمةواحقاق الحق والدفاع عن الفقراء .

---

٢ — ومما يؤسف له أن معظم الكتاب الذين كتبوا عن (مير محمد الكبير) لم يتطرقوا الى موضوع جوله على رضا باشا وتوزيعه القرى على العلمــاء والشيوخ والأغوات مقابل تأييدهم له ، كما لم يذكروا الذين برزوا وربحوا وصارت لهم الكلمة المسموعه بعد انهيار دولة رواندوز ، ولم حصلوا على هذه الأملاك المشبوهة ولم حصلوا على هذا الدور المرموق ؟ وبدلا من تحقيق الموضوع ، تشبث الكثير بفتوى منسوب الى العلامة الملا محمد الخطى، علماً بأنه لم يحصل على شيء من الأملاك والأراضى ، واغلب الظن ، أن الذين حصلوا على الامتيازات، هم قاموا باصدار الفتوى ، ثم اظهروا أمام الناس أن الفتوى كان من الملا الخطى ، وبما أن الخطى توفى فى السنة التى القى القبض فيها على (مير محمد) وهى ١٢٥٢ هـ لم يتمكن من الرد على خصومه. وحتى لو أصدر الخطى فتوى بحرمة محاربة العثمانيين ، لم يكن فتواه سببا فى اخماد الثورة ، والاضرار بالشعب الكردى ، بل ربما كانت لصالح الكرد كما تدل على ذلك هذه القصـــة وقد سمعت من « مام وســـمان » عثمـــان خجى وكان رجـــلا يحب مخالطـــة العلمـــاء كثيرا ، قال : كنت جالســا فى مجلس كان يضـــم كلا من فضيلة العلامة محمد الجلى الكويىوالاستاذ عبد الله البيتواتى امام ومدرس جامعالحاج عبدالقادر الدباغ ، وكانوا يتباحثون فى موضوع فتوى العلامة محمد الخطى ، فقال : أحد الجالسين : نعم كان الخطى أصدر فتواه لكن بطلب من المير محمد ،وذلك بعدما تأكد المير أنه لامجال لمحاربة الجيش العثمانىحيثتم الاتفاق بين الدولة التركية والدولة الايرانية — وكان الاتفاق بتشجيع من روسيا وبريطانيا — على محاربة المير ، فكانت دولته محصوره من جميع الجهات ، ولم يبق له اى اتصال بالعالم الخارجى ، وبدأ العتاد ينفد دون أن يستطيع من تعويضـــه بسبب الحصار من جهة وبسبب امتناع روسيا عن بيع السلاح لمير محمد ، وكان الاكثرية الكاثرة من المحاربين لا يعرف هذا الموضوع بل كـــان اكثرهم لا يعرفون هذه الاجراءات السياسية ، فتيقن مير محمد أنه ان اســـتمر فى الحرب سوف يهلك الشعب بالجوع والقتل حيث ينفد المؤن والعتاد ، وحاول اقناع المحاربين بالكف عن الحرب والاستسلام ، فلم يقتنعوا ، بل خالفوا

أســـفاره

سافر الشيخ نور الدين قدس سره الى بغداد لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره سنة ١٢٣٤ هـ عن طريق المـاء حيث ركب السفينة من الموصل الى بغداد

حيث يقول : انى جهزت سنة أربـــع وثـــلاثين ومائتين وألف من الهجـــرة فى سفر بغداد زائرا حضرة سلطان الاولياء الشيخ محيى الدين عبد القــادر — رضى الله عنــه — وأنا بين جمع كثير من الأصحاب والآخذين منى عهد التربيه ، فركبنا السفينة وأسرينا فى الدجلة ، فلما وصلنــا قرية سر من رأى (السامراء) . . شاهدنا قبابا مشرقة فيها ، فسألت على من هى؟ فقيل هى على مراقد الشرفاء الحسن العسكرى وعلى الهادى ومن معهم من اقربائهم ، فخيلت فى نفسى أن هؤلاء أجدادى فكيف أمضى عليهم بلا اهــداء شيء من القرآن لهم ، فقمت على قدمى والسفينة تجرى فقرأت من القــرآن ما شاء الله ، وجعلته هدية الى أرواحهم الطاهرة ، ثم جلست فغلبنى النوم فنمت فأتانى حينئذ فى المنام رجل ذو شيبة بيضاء ولباس بيض وهيئة جميلة، وهو سيدى على الهادى ، فجاء وسلم على وقبل وجهى مرتـــين ورحبنى وكرمنى بقوله : يابنى مرات ، ثم قال : يابنى ارم نفسك فى المــاء ، وعلمت انه ترك المنام والطعام والكلام والأنام ، فاسقطت (١) .

فمن كلامه يظهر أن سفره هذا كان أول سفر الى بغداد لذلك استفسر عن قباب مراقد على الهادى والحسن العسكرى .

كما أننى قد بحثت بحثا مستفيضا حول سفره الى الحجاز فلم أعثر على كلام يدل على أن الشيخ سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، وهذا راجع

= أمره ، وكاد أن يعزلوه من الامارة ، لذا لجأ الى المفتى باصدار فتوى تقضى بحرمة المحاربة مع الجيش العثماني وتسليم المير اليهم بعد مفاوضة بـــين الطرفين والاتفاق على بقاء الامارة السورانية على حالها ، فوافق العلامة محمد الخطى على ذلك بالحاج مير محمد ، كما قدم المير نفسه كبش فـداء لشعبه ، حيث ذهب الى اسطنبول وبعد صدور العفو عنه ، نكثوا بوعدهم ونكثوا ايمانهم فقتلوه ، وهكذا فدى بنفسه فى سبيل عـــدم تدمير الامارة والشعب وكان ضحية كبيرة وذبحا عظيما .

١ — أنظر ملحم الأكباد .

الى عدم ادخاره المــال حسب اعتقادى ، وذلك لأن الشيخ كان كثير الضيفان يصرف عليهم مصرف من لا يخشى الفقر فلا يبقى شيئا من ماله حتى يتمكن من سفر الحجاز فلم يجب عليه الحج قط ، لانه لم يكن مستطيعا الاستطاعــة المــالية ، فكان حجه وزكاته فى اشباع فقراء شعبه وقضاء حاجة المعوزين منهم .لبث عمرى هؤلاء الذين يسافرون الى الحجاز مرات عديدة ولايساعدون منكوبى شعبهم ، يفهمون أنهم مخطئون ، ويقتدون بالشيخ العلامة ، وهــو جدير بأن يقتدى به ، وان كانوا مغرورين لا يرون منه القدوة الحسنــة ، ليتهم يسمعون كلام رسول الله (ص) حيث يقول : « يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من أحد وأقرباؤه بحاجة الى صلتها الى غيره والذى نفسى بيده لا ينظر اليه يوم القيامة » (٢) وممن لم يستطيعوا أداء فريضة الحج مع شهرتهم بالعلم والغنى العلامة الملا أفندى الاربلى ،والعلامة محمد الجكى الكويى ، حيث لم يستطع كل منهما أداء فريضــة الحج بسبب انفاقهما الكثير وعدم زيادة المال عن الحاجة .

آثار الشيخ نور الدين :

لقد الف الشيخ قدس سره عدة كتب ورسائل تشهد له بالفضل الكبير والعلم الواســـع نذكر لكم ما أطلعنا عليه أو سمعنا به من مؤلفاته .

١ ــ ابراز الدقاق وهذا الكتاب شرح للقصيدة الحائية التى مطلعهــا
كشفت حجب فوق الجنح عن سعد العبد على النجح .

وفرغ الشيخ من تأليف هذا الشرح سنة ١٢٣٣ فى قرية ايبوت وهو كتاب مهم ملىء بالحكم والأشعار ، ومع أننا لم نعثر على هذا الكتاب لكن الشــيخ حسن الجبار ذكر أنه نقل جميع هذا الكتاب فى كتابه مرآة حقائق حق الطريق الذى هو شرح لنفس القصيدة .

٢ ــ كتاب البدور الجلية ، وهذا الكتاب من اشهر كتب الشــيخ على لسان الناس وتوجد منه عدة نسخ فى بعض المكتبات الخاصة ونسخة فى مكتبة أوقاف الموصل ، لكن ما رأيته من النسخ غير مرتب وفيها نقص وسقطات كثيرة كما أن المعلومات الواردة فيه لا تعتبر قوية لأن المؤلف تراجع عن كثير مما ورد فى هذا الكتاب وللتأكد من ذلك يمكن مراجعة الرسالة التى بعث بها الشيخ الى السيد أحمد وهى الرسالة رقم (٢٠) وكذلك مراجعة مرآة حقائق

---

٢ ــ أنظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٣٨/١

حق الطريق للشيخ حسن الجبار ،وقد الف الشيخ كتاب البدور سنة ١٢٣٨هـ فى قريه أيتوت أيضا وهذا الكتاب لم يطبع بعد .

٣ — بغية الصوفية ، وهو كتاب مهم يعتبر من أمهات المراجع فى سيرة وتاريخ حياة المشايخ الذين عاشوا فى كردستان كما يحتوى على النصائح والآداب والاذكار، وهذا الكتاب شرح للقصيدة الدالية التى مطلعها .

سألتك بسم الله ياواحد الأحد ويا من يجيب المستجيب اذا قصد

وهذا الكتاب لم أعثر عليه بتمامه لكن الشيخ حسن الجبار ينقل عنه كثيرا فى كتبه : فيض الجمال ، ومرآة حقائق حق الطريق ، والمواهب الالهية ويلاحظ من تلك النقولات عظمة الكتاب .

٤ — بهجة السالكين ، هذا الكتاب سمعت بنسبته اليه من الناس المقربين المرتبطين بتكية بريفكان ، وبما أننى لم أر الكتاب ولا شيئا منقولا منه فى الكتب لذا لا أستطيع التحدث عنه .

٥ — تلخيص الحكم وهذا الكتاب منظومة جمع فيها الشيخ شرح الحكم العطائية وهو كتاب لطيف للغاية ، وللحصول على المعلومات الكافية حول هذا الكتاب يمكنك مراجعة ماكتبناه فى مقدمته .

٦ — تنبيه النيام وهو من مؤلفات الشيخ لكننى لم أعثر عليه بل سمعته من بعض الناس الذين أثق بهم .

٧ — الجوهر المكنون ، هذا الكتاب لم أعثر عليه أيضا لكن ذكره شارح المعشرات فى شرحه للقصيدة التائية وذكر هذا الكتاب على أنه شرح لاحدى قصائده .

٨ — حجة اللهجة وهذا الكتاب يمكن اعتباره من أهم مؤلفات الشيخ لأنه كتاب سير وتراجم يحتوى على تراجم معظم مشايخ الطرق الصوفية منذ نشأت الطرق الى أيام المؤلف ، وهذا الكتاب وان لم نعثر على نسخته الأصلية لكن الشيخ . محمد على الاتروشى — وهو ابن بنت الشيخ — ينقل صفحات بأكملها منه فى كتابه نهجة السلاك .

٩ — ديوان شعره ، وهو باللغات الثلاثة العربية ، والكردية ، والفارسية ولمزيد الاطلاع عليه يمكن مراجعة ما كتبناه فى مقدمة الديوان .

١٠ — رسالته وهى كثيرة ومنوعة ، ولمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة ص٦٧

١١ — فتح الأرحم ، وهو شرح لحزب ملا على القارى وهو كتاب

مخطوط ونوجد منه نسخه فى احدى المكتبات الخاصة .

١٢ — مرام الاسلام ، وهو شرح لقصيدة الخباز فى مدح الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والكتاب مخطوط وتوجد منه نسختان .

١٣ — نظم الغنية ، هذا الكتاب لم أعثر عليه ، ولكننى سمعت أن الشيخ نور الدين نظم كتاب الغنية للشيخ عبد القادر الكيلانى — قدس سره — .

١٤ — وأما « المناجاة النورية » وهى اسم لقصيدة وليست كتابا مؤلفا، وكذلك « كرب الحال » أيضا اسم لقصددة ، كما أن هناك ذكرا لبعض مؤلفات الشيخ لكن تبين‌لنا أنها أسماء قصائد وليست أسماء كتب

***

مدح الناس له والاشادة بفضله :

لقد مدحه كثير من العلماء والشعراء باللغتين الكردية والعربية ، نذكر هذه النبذة كتمثيل فقط .

قصيدة الملا حسين البزار الذى هو من خلفاء الشيخ محمد النورى الموصلى يمدح بها الشيخ نور الدين .

قم واطرب القوم حادينا بنادينا … فان داعى الهوى أضحى ينادينا
هذا النسيم‌نسيم الوصل فينا سرى … هذا الحبيب أتى بسقى المحبينا
لا يعجب الناس منا اننا نفر … يميننا الشوق أحيانا ويحيينا
نلومنا فى الهوى قوم لتر دعنا … عنه ولم تدر أن اللوم يغرينا
لا يستفيق ولا يصحو منادمنا … ولا يمل من النجوى منادينا
ونفحة القدس تأتينا فتسكرنا … من حضرة الغوث (نورالدين)حامينا
والله مادار فينا ذكره وجرى … الا ودارت مسرات الهنا فينا
كلا ولا أنشد الحادى مدائحه … الا تحكم بالألباب جادينا
كلا ولا نسمت فينا نسائمه … الا وعربد بين القوم صاحينا
طابت بأخباره الارواح وانتعشت … كان فى ذكره ورداً وتسرينا
لم لا نهيم غراما فى محبة من ؟ … بلوذ حاضرنا فيه وبادينا
هو الهمام الذى امداد همته … من المهمات فى الدارين تنجينا
هو الولى الذى من زار حضرته … ضجت بدعوته الاملاك تأمينا
غوث الوجودسحاب‌الجودبدرهدى … بنوره لطريق الله يهدينا
بحر الحقائق فى تياره غرقت … أولو النهى وبه هام المحبينا
يسقى رياض التقى من فيض حكمته … ومن كؤوس شراب الحب يسقينا

يبرى رقاب العدى فى سبق همه
قطعا ومن سائر الامراض يبربنا

فليهنأ الباز منه اليوم فى بطل
أضحت به السن العليا تهنينا

لا تعجبوا من جنونى فى محبته
انى بلبلى هواه صرت مجنونا

هذا الذى ملأ الدنيا هدى وتقا
هذا الذى جدد الهادى به الدنيا

هذا الذى فيه نرجو الله بكرمنا
دنا وأخرى ويرضا ويرضينا

وقد أشاد بفضله وعلمه وزهده كثير من العلماء والشيوخ ومن الطف ما قيل فى حقه هو ماقاله المؤرخ الكردى انور المائى : اذا جاز للفرس ان يفتخروا بمولانا جامى ، فللاكراد أن يفتخروا بمولانا نور الدين البريفكانى (١) .

***

١ — أنظر الاكراد فى بهدينان ص ٢٧

رسائل الشيخ نور الدين

لقد كان للشيخ كثير من الأحباب والمريدين يراسلونه ويراسلهم ، وتبعا لذلك فان له رسائل كثيرة غير أن الذى يؤسفنا أن معظم هذهالرسائلضاعت

ولقد بحثنا كثيرا عن هذه الرسائل فلم نجد منها الا عشرين رسالة باللغة العربية واثنتى عشرة رسالة باللغة الفارسية ، وقد وجدنا معظمها فى كتاب ملحم الاكباد للشيخ اسلام الشوشى ، وكتاب فبض الجمال للشبخ حسن الحبار ، وبذكرة الخلان ، ونهجة السلاك للشيخ محمد على الاتروشى.

وأطول هذه الرسائل هى رسالة آداب السلوك حتى عد بعض الناس هذه الرسالة كتابا حيث ذكروا من مؤلفات الشيخ كتاب آداب السلوك وهى فى الحقيقة رسالة وهذه الرسائل تدور حول الوعظ والارشاد والنصح وتنبيه الغافل وتأنيب المعتدى وتوبيخ الظالم . كما أرسل بعضها كرسائل تعزية ومواساة وفى بعضها التذكير بنعم الله وفى بعضها التنبيه بعذاب الله .

وفى بعضها آداب السلوك وآداب الخلوة وفى بعضها الاذن بالارشاد وفى بعضها الاعتذار الى الأحباب وغير ذلك من المعانى السامية التى وردت فيها .

ومعظم هذه الرسائل وجدتها فى كتاب ملحم الأكباد للشيخ اسلام الشوشى الذى هو أحد خلفاء الشيخ نور الدين وقد ألف هذا الكتاب سنة ١٢٨٣ وهو سجل كثيرا من الرسائل التى بعث بها اليه الشيخ ورسائل بعث الى غيره من شيوخ شوش . وقسم من هذه الرسائل وردت فى غير هذا الكتاب وقد أشرت فى نهاية الرسائل الى المصدر الذى أخذت منه الرسالة .

وكان فى نيتى نشر ما حصلت عليه من الرسائل العربية والفارسية ، وفى سبيل ذلك قمت بترجمة بعض الرسائل الفارسية الى العربية ، لكن بعد ذلك ارتأيت نشر الرسائل الفارسية مع الأشعار الفارسية — اذا سهل الله لنا ذلك بكرمه ومنه — ونشر الرسائل العربية فقط هنا .

وقد كان للشيخ رسائل كثيرة بعث بها الى الناس ، للارشاد والنصح، وكان يزين جرائد اجازات المريدين بالآيات والاحاديث والحكم فى الوعظ والارشاد .

الرســـــالة (١)

ومن جملة رسائله ، رسالة بعث بها الى الملا حامد الدوسكى البيسرى ؛ وأمره بنفع الناس بها ، وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله من سلك اليه ملك ، ومن سلك لغيره هلك ، ومن راقبه وجده ، ومن غاب عنه فقده ، ومن حاسب نفسهخشيه ، ومن أهملها نسيه .

والصلاة والسلام على افضل الخلق وأكملهم محمد ، وعلى آله واصحابه الذين جاهدوا فى الحق حتى أبادوا الأباطيل وأعادوا الأقاويل الى احـــكام التنزيل ، وصلى الله وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين ،والملائكةوالمقربين، وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ورحمة الله وبركاته وغفرانه على جميـــع المسلمين اجمعين .

أما بعد فهـــــذه جريدة المريدين ، وبريدة الطالبين ، كانوا يكتبونهـــا لأصحابهم ، شاملة على المنجيات ، حافلة بالمهلكات ، ينبغى لمن اهتم بأمر نفسه أن يحفظها عملا ، لان فيها النجاة والحسنى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا مؤمن كن فى صباحك ومسائك ، وســـائر أوقاتك ذاكرا لربك ، مراقباً له ، خائفا من غضبه ، حاذراً من ســـخطه ، بعيدا من معصيته ، متذكرا للجحيم والحيات والعقارب والثعابين .

اذا جالست الناس فكن قليل الكلام ، لا ضحوكا ولا ملولا ولا متحركا ، ولا هشاشاً ولا طباشاً ، ولا مشتغلا بالجليس ، ولا راكنا الى غير ذكر الله الذى هو الأنيس ، لا بخيلا ولا متكبراً ولا حقوداً ولا غضوباً ولا خفيفاً ، ولا معجبا بالكلام الفصيح ، ولا متكلفا للكلام الجميل ، ولا زائدا فى لفظ فصل ، ولاتسىء خلقك اذا سيىء اليك ، ولا مذماً ، ولامادحاً ولاقادحا ،ولا مغتابا ، ولا نماما ، ولا همازاً ولا لمازاً ، متواضعاً خشوع السمت ، كثير الصمت ، ذاكراً لله فى كل وقت ، واذا مشيت فامشى على الارض هـــونا ، لا مرحاً ، ولا بطرا ، ولا رياءاً .

واذا قدمت فتقدم ، واذا تقدموا عليك فارض به واذا أثنى عليك فلا تفرح ، واذا سبك أحد فلا تبرح (١) .

وكن شفيقاً بالناس رؤوفاً رحيما ، آمراً بالمعروف وآت به (٢) ، ناهيا عن المنكر وانأ عنه ، اذكر ذنوبك ، واحذر عيوبك ، واسس عملك ، وجدد توبتك ، وكثر الاستغفار بالليل والنهار ، وأكثر من القرآن العظيم ، ومن الصلاه والتسليم ، على النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى فى محكم كتابه وصية جامعة : **(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) (٣)** فالمتقى ما أمر به الله ، ويجتنب عما نهى عنه الله ، (٤) ولا ينسى ربه ، وتارة يتذكر قبره ،وظلماته،ووحشته، وعقاربه ، وحياته ، وتارة يتأمل طول قيامه بين يدى ربه ، فى أطول أيامه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) (٥) اذ لا يوجد فيه نوم ، ولا سنة . وتارة يتأمل العبور على متن جهنم الذى هو كاهاله البعير . وتارة يحذر من الانهيار فى قعور النيران والزمهرير . وتارة يبكى على ماسلف من معاصيه ، وتارة يتأسف على أيام غفلته ، وعصر سيئاته والغى فيه ، يقبل على خوفه ببكائه ، وأشجانه (٦) ، متأوهاً بحسراته وأحزانه . وتارة يطالع كتب الأئمة فى دعوى الأمة الى موجب الرحمة ، وسبيل الهداية .

وتارة يزور المقابر يتأمل الاجساد البالية ، والعظام النخرة ،والأوصال المتقطعة ، فبذلك يعبر عن الغفلة والبطالة ، ويستعد لايام الخوف والملالة

---

١ ـــ برح به الأمر تبريحا : أى جهده وضربه ضربا مبرحا ، والبرحاء : شدة الاذى .

٢ ـــ كان فى الاصل (أمرا بالمعروف أو آت به) لكنا حذفنا الهمزة ، لان هذه الهمزة اما سبق قلم ، أو كان (أو) بمعنى (الواو) .

٣ ـــ النســاء : الآية ـــ ١٣١ ـــ ٤ ـــ الظاهر هكذا (المتقى يأتى ما أمر به الله ويجتنب عما نهى عنه الله) .

٥ ـــ ســورة : السجدة الآية ٥

٦ ـــ الأشجان : جمع شجن : وهو الحزن

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم) (٧) . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، والحمد لله رب العـــالمين (٨) .

***

الرســـــالة (٢)

وهذه رسالة أخرى راسل بها بعض الحكام موبخاً لهم ، لكنها غـــــير كاملة ، حيث ذكرها الناقل هكذا :

من مراسلاته اصالة ونقلا رسالة راسل بها قبل وفاته بنحو سنتين بعض الحكام موبخاً ومؤدباً له بها :

انه يرد محلى سبعمائة ألف مريد ، ومثل هؤلاء رزقهم فى بيت المـــال ، لأن من فروض الكفاية أن يقوم فى كل بلدة بأبناء السبيل ورزقهم من بيت المال ، ونحن قائمون بذلك عنكم .

والله لولا رجـــال يقومونا	ولهم صـــوم يصـــــونونا
لدكت الأرض من تحتكم سحراً	لأنكم قوم سوء لاتطيعونا(١)

***

الرســـــالة (٣)

وهذه رسالة أخرى كتبها الشيخ جواباً لرسالة بعث بها البــه بعض مريديه حول الذكر المسمى باللهجة :

بعد بلاغ جزيل التحيات والتمنيات المقرونة بالتحف والمواهب والقربات ، انه وصل كتابكم الكريم ، على أحسن الأدب والتكريم ، جزاكم الله عن ذلك جنات النعيم ، وقد ذكرتم فيه الاشارة من هذا الفقير ، واستخبرتم عن رأى هذا الحقير فى أمر السماع :

---

٧ ـــ سورة الشعراء : الآية ٨٨و٨٩
٨ ـــ وجدت هذه الرسالة بتمامها فى فيض الجمال ، ورقة ١٠٠و١٠١
١ ـــ فيض الجمال ، ورقة ١٠٠

ياخوانى أما أمر السماع،فانهلايخفىعلىمن لهنمرنعلىكتبالفقهالشريف، أنه من الأمور العادية ، من قبيل التمتعات البدنية، لانهحركات منسقة،ونغمات منتظمة ، فالسامع ان كان صاحب النفس المطمئنة ، أعانه السماع على مزيد الشوق الى المقاصد السنية ، وبهيج روحه الى الحضرة الصمدية ، ولذا غلب على جمهور الصوفية ، أصحاب الأرواح الزكية — قدس الله أسرارهم — فستحب لمثل هذا القبيل .

وأما اذا كان السامع صاحب النفس الأمارة ، فان السماع له فتنة أعظم من شرب الخمر ، لنوران شهواته به وتوقان هواه الى الفسوق والعصيان ، ولذا عابه جم غفير من السلف والخلف ، وعابه علماؤكم الكرام .

فهذا الداعى على هذا الأسلوب ، واستصواب ترك السماع محبوب، لأن درأ المفاسد مقدم على جلب المطالب والمصالح ، وسد باب هو ذريعة لكف النفس عن عادتها ، أولى من فتح الف باب من أبواب الخير ، الا نرى الى الأصحاب — رضى الله عنهم — يهجرون الحلال مخافة الوقوع فى الشبهة فضلا عن الحرام .

فليكن اجتماع الاصحاب للذكر الشريف ، والتسبيح ، والتحميد ، وتلاوة القرآن ، الذى هو البركات الأبدية ، وبه رفع الدرجات ، والتمحيصات ، والكوارث،والنفحات ، والقربات،وأما السماع الذى أعادته النفوس وادعته، انه لمحض قربة(١) اليه تعالى، وانهعبادة،وأن القوماستمرواعليه منالاعصار القديمة،فانه لايخلوفىعامتناعنامتزاج الهوى،وخصوصاً اذا صارسبباًلاجتماع الأخلاط ، وأنكرته العلماء ، فذلك لا يخلو عن المفاسد على اليقين ، انه قد صارضحكة للشياطين وانفتحت عليكم ألسنة السفهاء والأعداء ، وصرتم فرقتين ، ووتسببتم فى طعن الناس فى حق مشايخ الطريق .

صنوا دينكم عن الخصام والشقاق ، وأجمعوا كلمتكم الى أحسن الوفاق،

---

١ — وانى تركت هنا كلمة وقع عليها الحبر ، وربما هى (والشوق اليه تعالى) .

٢ — رواه الترمذى فى كتاب الفتن رقم الحديث (١٩٦٦) .

فان الشقاق نفاق ، ولا تجعلوا مشايخكم عرضة وأغراض الاعتراض ، والا فهم براء منكم ، فان « يد الله مع الجماعة (٢)» تحابوا ولا تباغضوا ، وقاربوا ولا تهاجروا ولا تنافروا ، وكونوا عباد الله اخوانا . (٣)

واتقوا الله واحذروا عقوبة الله ، وكونوا أنصار الله على النفس ، فانها أعدى أعادى الله ،

ونستعين به انه هو التواب الرحيم ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٤)

***

الرســـالة (٤)

رســالة آداب السلوك

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العــالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهــذه رســالة وضــعتها للفقـــراء القادرية ينقطعون الى الله تعالى ، ليعلموا كيف (١) سلوك طريق الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فانى مارست طريقه (٢) فى مدة مديدة حتى اطلعت على كيفيــة أركانها وشرائطهاوكيفية آدابها المستعملة فى أثناء السلوك .

---

٢ — رواه الترمزى فى كتاب الفتن رقم الحديث (٢١٦٦)

٣ — وقد ورد فى هذا المعنى عدة أحاديث منها قوله (ص) « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً » صحيح مسلم كتاب البر والصــلة ، باب تحريم التحاسد ، رقم الحديث (٢٥٥٩)

٤ — هذه الرسالة نشرها الشيخ حسن الحبار ، فى شرحه المسمى بفيض الجمال ، ورقة ٢٣١

١ — ليعلموا كيف يكون سلوك نسخة (أ)

٢ — طريقتــه (أ)

فأقول وبالله التوفيق : اعلم ياأخي الفقير القادري أنك اذا أردت(٣) السلوك بالكيفية التي كان يتمسك بها امامنا القطب الاكبر سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر — رضي الله عنه — وقصدت شيخك ، ينبغي أن تعتقد فيه كمال الولاية ، وبلوغ مقام الارشاد لينفعك ، فان لم تكن بهذه العقيدة فلا ينفعك ، ثم اذهب اليه وتمثل (٤) له واقبل ما يلقيه (٥) في الأداب الظاهرة والباطنة، ثم اذا وردك وأدخلك في بيت (٦) الخلوة ، ينبغي أن يكون أمره لك بهذه الآداب والشروط (٧): فاغتسل كغسل الميت أولا ، واذا دخلت الخلوة ، فاعلم أنها قبرك فتب الى الله من جميع الذنوب (٨) وانو أن لا ترجع اليها أبدا ، فاذا جلست فلازم الاشتغال بقول : لا اله الا الله بلا احصاء وفي كل مره تلاحظ معنى الكلمة من نفي (لا) واثبات الا الله (٩) ، فاذا جاء وقت صلاه الصبح تصلي سنة الصبح تقرأ في الركعة الاولى (قل ياأيها الكافرون) (السورة) بعد الفاتحة ، وفي الثانية (قل هو الله أحد) (السورة) ثم تذهب الى الجماعة البتة (فلا تفارقهـا) ما أمكنك ، وفي المشي تنظر الى محل الخطوة ، وتردد لا اله الا الله على لسانك ، فاذا صليت الجماعة فارجع الى الخلوة ، تردد الكلمة الى وقت الاشراق ، ثم تصلي صلاته بالسورتين المذكورتين ، ثم تقعد مستقبل القبلة ان أمكنك ، وتردد الكلمة بشدة القلب، ان لم يكن هناك أحد الى وقت الضحى ، فتصلي صلاة الضحى ثمان ركعات، ثم تنام نومة القيلولة فانها سنة ، ثم تقوم عند يقظتك وتشتغل الى وقت صلاة الظهر ، ثم تحضرها (١١) فترجع كما سبق ، وتقعد في بيت الخلوة ، وتقرأ الفاتحة (١٢) عشرين مرة وآية الكرسي كذلك ، والاخلاص أربعين مرة ،

---

٣ — اذا أردت ، باسقاط انك (أ)

٤ — وامتثل (أ)

٥ — واقبل ما يلقيه عليك من الآداب والشروط (أ)

٦ — ثم اذا أوردك وأدخلك الخلوة (أ)

٧ — كلمة (والشروط) ساقطة في (أ)

٨ — الذنوب والآثام (أ)

٩ — (من نفي لا واثبات الا الله) ساقطة في (أ)

١٠ — كلمه (ألبتة) ساقطة في (أ)

١١ — ثم تحضر جماعتها (أ)

١٢ — الفاتحة الشريفة عشرين مرة (أ)

والاستغفار مائة مرة ، ثم تستوهبها لحضرة (١٣) أولياء الطريقة ومشايخها، ثم تقرأ القرآن الى العصر ان أحسنته ، والا فتردد الكلمة ، وعند العصر تصلى أربع ركعات ونحضر الجماعة ، ثم ترجع بالكلمة الى المغرب ، فاذا حضرتها ورجعت ، تصلى الراتبة ، ثم ست (١٤) ركعات من صلاة الأوابين وتصلى على النبى (١٥) — صلى الله عليه وسلم — مائة مرة هكذا « اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعدد علمك » ، واذا جاء العشاء وحضرت الجماعة ورجعت صليت (١٦) الراتبة ، ثم تجلس مستقبل القبلة ونردد الكلمة ، ، وقد كنت صائما ، فاذا جاءك العشاء ابتدأت بالأكل وفى بدء كل لقمة نسمى باسم الله ولا تأكل مع الشره والكثرة ، بل تأكل أقل من قدر الشبع ، ثم نردد كلمة (١٧) التوحيد مستقبل القبلة الى نصف الليل ، أو قربه ،ثمتصلى ركعات مع كمال الخشوع ، فان كان عندك القرآن تقرأ سورة يس ، والم تنزيل السجدة ، والدخان ، والملك ، وعم ، وهل أتى على الانسان ، كل ذلك مرة ، والم نشرح لك عشرين مرة ، وقل هو الله ، احدى وعشرين مرة ، وتستوهبها ، أى ثوابهـا للنبى — صلى الله عليه وسلم — وسائر النبيين والصحابة والملائكة والأئمة ومشايخ الطريقة وسائر المسلمين فاذا غلبك النوم فنم (١٨) ، فاذا قمت استغفرت الله مائةمره بالانكسار(١٩) والخضوع، وتدعو حينئذ دعاءطويلا(٢٠) للدارين لك ، ولوالديك،ولمنأحببتهم من الاقارب والمسلمين الى الصبح أى × بالاستغفار والتضرعوالدعاء وكلمة التوحيد ، ثم تصلى صلاة الصبح كما مر ، وهـذه عادتك كل يوم وليلة ، وتجتهد جدا فى استحضار معنى الكلمة ، ولا تكلم أحداما استطعت ، ولا يكلمك من يأتيك بالعشاء ، فان للكلام مضرة عظيمة على السالك ، فى اذهاب

---

١٣ — لحضرات (أ)

١٤ — ستة ركعات فى (ب) لكنها خطأ حسب القواعد

١٥ — وتصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — هكذا «اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد علمك » مائة مرة ، فى (أ)

١٦ — وصليت الراتبة تجلس ، (أ)

١٧ — ثم نردد الكلمة ، (أ)

١٨ — نمت ، (أ)

١٩ — بالانكسار والتذلل والخضوع ، (أ)

٢٠ — دعاء طويلا للوالدين ، (أ)

× الظاهر (أى تشتغل بالاستغفار)

بهجة قلبه ورونق نوره ، ولا تغفل عن رابطة شيخك ،واستحضارشكله(٢١) ما أمكنك ، وفى كل يوم وليلة نستمد من الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فيكون ذلك بعد قراءة شىء من القرآن كما سبق ، وتناديه يا شيخ الطريق الغوث الغوث ، يا قطب العارفين ، ساعدنى فى هذه الطريقة ، فأنت وسيلتى الى رب العالمين ، وفى اليوم الثانى نستمد من الشيخ معروف الكرخى — رضى الله عنه — وتناديه وتقول : يا امام العارفين ! وياسيدى(٢٢)! وياوسيلتى الى ربى ! يا شيخى ! ويا أبى ! ويامساعدى ! أنت الغوث القريب ، وملجأ البعيد ، ساعدنى فى هذه الطريقه عند رب العالمين ، وفى اليوم الثالث تستمد من حضرة الشيخ جنيد البغدادى — رضى الله عنه — وتقول : يا امام العارفين ! وياسيد الطرائق (٢٣) ! ويا ناظر الحضرة ! ويا رفيع الدرجه ! الغوث الغوث ، ساعدنى فى هذه الطريقة ، فأنت وسيلتى الى رب العالمين

وفى اليوم الرابع تستمد من خاله الشيخ سرى السقطى — رضى الله عنه — وتقول : يا شيخى ! ويا مرشدى ! ويا امامى ! ويا حاضر المريدين ! ويا ضياء الدين ! أنا من فقراء طريقتك وضعفاء أتباعك ، فانظر الى نظر الشفقة ، فأنت أبى ووسيلتى فى هذه الطريقة الى رب العالمين ، فكذلك مع كل يوم وليلة ، لا تغفل عنهم فانهم قريبا ينظرون اليك ويقرب الله ببركة دعائهم لك فتحك وحضور مطلوبك . وما مطلوبك الا زوال الغفلة ،ومشاهدة رب العزة (١) .

فاذا انتهت أيام السلوك لا تقصر ذكر التوحيد من مائة وستة وستين مرة بعد كل فريضة ، وقراءة : الفاتحة مائة مرة كل يوم وليلة ، وتلازم دوام الوضوء والنوم عليه ، مع الاذكار — المشروعة بعد المكتوبات ، وقراءة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين وذكر الله الى النوم ، وعليك فى كل وقت بمراقبة الله تعالى. وقلة الكلام ، ومعاشرة الخلق بالمعروف ، وحمل أذى الناس ، ولا تذكر أحدا مع داعية النفس الى مدحه أو ذمه أو غيبته ، واصبر على الفقر والحلم والرضا بالمقدور ، والصبر على البلاء ، والتوكل على الله،

---

٢١ — واستحضار شبحه وشكله ، (أ)

٢٢ — تناديه يا سيدى .... أنت غوث القريب وملجأ البعيد ، (أ)

٢٣ — يا سيد الطوائف ، (أ)

١ — هنا تنتهى الرسالة فى تذكرة الخلان لكن بقية الرسالة وجدناها فى نهجة السلاك فقط

ومحبة المسلمين ودعوتهم الى الحق ، وعدم بغض الظالمين والدعاء لهم بالتوبة، وكن شفيقا بالعصاة ، رحيما بالعامة ، قريبا الى الفقراء ، بعيدا من الاغنياء وأبناء الدنيا ، مع أنك شفيق بهم ندعو لهم بالمغفرة والتوبة ، ولا تسأل الا عند الضرورة ، ولا تتكلم الا عند الداعية اليه . وان أمكنك يامن لبس بداخل الخلوة ، فالزم هذا الطريق الكيماوى ، وهو أن تتلو بعد صلاة الصبح : ياحليم ألف مرة ، وبعد الضحى ، يارحيم ألفاً ، وبعد الظهر ، ياروف ألفاً ، وبعد العصر ، ياغفار ألفاً ، وبعد المغرب ، ياستار الفاً وبعد العشاء : يا الله ألفاً وخمسمائة مرة ، وبعد التهجد : استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه مائة مره . فهذه طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى — قدس سره —وتصلى على النبى (ص) يوم الجمعة بهذه الصلوات ألف مرة « اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » كذلك ، واجتهد أن نقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح الفاتحة ، ومن أول سورة البقرة الى «المفلحون» وآيةالكرسى، و « آمن الرسول » الى آخرها ، و «شهد الله» من آل عمران الى « بغير حساب »و« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام » الى « قريب من المحسنين » من الاعراف ، و « لقد جاءكم رسول » الى آخرها سبع مرات من التوبة،و **« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن »** من بنى اسرائيل الى آخرها ، وعشر آيات من أول الكهف ونحوها من آخرها ، ومن الروم « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » الى «تنتشرون» ، ومن أول الصافات الى « لازب » ومن آخرها « فاذا نزل بساحتهم » الى آخرها ، ومن سورة حم الغافر ثلاث آيات من أولها ، ومن الرحمن « يامعشر الجن » ثلاث آيات ، ومن سورة الحديد ستا من من أولها ، ومن الحشر «لايستوى» الى آخرها ، والواقعة جميعها ، وتبارك الملك ايضا جميعها ، وعم ، وألم نشرح لك ، واذا جاء نصر الله ، وقل ياأيها الكافرون ، والاخلاص ، والمعوذتين ، فهذه وظيفة الصباح من طريق الشيخ عبد القادر — قدس سره العزيز — ، فلو دورت شرقا وغربا ماترى نظيرها فى الثواب والنوال ، وما دامت لك نفس كن مستقيما على أحكام الشريعة ، والا فكيف تستقيم أنوار الطاعات مع ظلمة السيئات . فياراغباً فى طريق الشيخ الذى كتبه بيده المباركة للمريدين ، فان كنت من المريدين فخذه .

وأنا الفقير الى رحمة الله وحسن تأبده سيد نور الدين بن السيد عبدالجبار البريفكانى القائم على سجادة طريقة القادرية .

والله ان من استمسك بهذه الرسالة يكون معدودا من زمره السادات القادرية .

وأنا الغريق فى بحر الذنوب والعصيان ، الراجى عفو ربه المنان متوسلا بمن أنزل عليم أم القرآن محمد على (١) بن السيد الشيخ عبد الحميد خان ، اللهم أمته على الايمان والسعادة ، وأصلحه واهده ، واجعل التقوى زاده .

****

---

١ — الشيخ محمد على : هو العالم الفاضل ، والشيخ الكامل ، معمر أماكن الطاعة والعبادة ، حيث كان تشرق من طلعته شموس ، ويرتاح بمجالسته النفوس ، كما كان روض الافاده للطلاب ، وغصن ساحة الكمال ، أحيا أموات العلوم ، تصدر للارشاد والتدريس فى قرية أتروشى بعد وفاة والده .

وكان واعظا بليغا ومرشدا نزيها يروى ظمأ القلوب العطاش من زلال علمه وسلوكه ، كما كان فى نفس الوقت مؤلفا بارعا الف عدده كتب ، وقد رأينا له كتابان هما :

١ — نهجة السلاك وهو كتاب نفيس يحتوى على مناقب وتراجم معظم الاولياء والصالحين ، كما يحتوى على أكثر أبواب الآداب الاسلامية ، وهذا الكتاب مخطوط ورأيت نسخة منه .

٢ — تذكرة الخلان فى بيان فضل ذكر الرحمن ، وهو مخطوط أيضا ، ورايت نسخة منه .

٣ — وله كتب ورسائل غيرهما .

لكنه كان قصير العمر حيث لم يعش بعد وفاة والده الا حوالى ثلاث عشرة سنة حيث توفى سنة ١٣١٨ ، وكان والده قد توفى سنة ١٣٠٥ .

وقبره فى قرية سليفان الكائنة فى الحدود الايرانية التركية حيث توفى هناك عندما كان فى طريقه الى ايران للتداوى أثر مرض الم به .

ومن غريب الصدف أن أخاه الشيخ محمد أنور الذى خلفه فى القيام بالتدريس والارشاد فى تكية أتروشى قام بزيارة لقبر أخيه الاكبر فىقرية سليفان عندما كان فى طريقه الى ايران للمعالجة أيضا ، فوافته المنية فى نفس المكان ودفن بجوار أخيه هناك . صدق الله العظيم حيث يقول: (وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله علم خبير) .

آمين بالنبى الامين انتهى (٢)

***

الرســـــالة رقم (٥)

فى رســـالة جوابيـــة الى ابن عمه

أسلمعلى ابن عمى لازال لسانه يذكر الله لاهجا (١) ، وجنانه بنـــــوره باهجا (٢) ، وأركانه بكليته سالكا ناهجا .

اما بعد فان من عزوتم الى مابه هزوتم ، لم يزل بمدرجة (٣) ولكن نوى مناوبه بدم ، حبه ، وله فى كانون الغياهب (٤) أكنان ، فمن المـــكان يكتن بمصان (٥) تقوى الجبروت ، فكلت مراشيق كل كاشح(٦) ، وعاد حسام المسىء ادبه عطبه مولاه كانبه (٧) ، ولكن وقع بحضرة كيد شانيه ، وكم من فراريش تقحم ، حتى نفحم ، فلا مطيس ومريش (٨) .

---

٢ ـــ هذه الرســالة هكذا بتمامها نشرها الشيخ محمد على الاتروشى فى كتابه نهجة السلاك فى الباب الاول فى بيان آداب السلوك

١ ـــ لاهجاً : أى والعاًومغرى به

٢ ـــ ناهجا : أى سالكاً ومبيناً .

٣ ـــ عزوتم : أى نسبتم ، يقال : عزا الرجل الى أبيه : أى نسب اليه ـــ به هزوتم : أى سخرتم منـــه .

المدرجة : ممر الأشياء على الطريق وغيره : ومدرجـــة الطريق : معظمه وسننه . وهذا الأمر مدرجة لهذا : متوصل به اليه (لسان العرب) .

٤ ـــ (الغياهب) جمع غيهب : وهو شدة ســـواد الليل والجمل ونحوه . (اكنان) جمع كن : وهو مايرد الحر والبرد من الابنية والمســـاكن

٥ ـــ (يكتن) أى يستتر ويصان . (بمصـــان) ، مصـــــدر نص : اى بصون تقوى الجبروت .

٦ ـــ (كلت) : أى أعيت ، يقال : كل السيف : اى لم يقطع .

(مراشيق) جمع مرشوق ، ومراشق : وهو مايرمى به ، لأن الرشق: الرمى (كاشح) : العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها فى كشحه .

٧ ـــ (مولاه كاليه) : أى مولاه ساتره .

٨ ـــ (مريش) يقال : فلان لا يريش ولا يبرى : أى لا يضر ولا ينفع،وقولهم: ماله أفد ولا مريش : أى ليس له شىء . (مطيس) الطيس : هو الكثير من كل شىء .

يا أخى العزيز : لا تقبل بقلبك على الاغيار ، طهر قلبك بمياه الاستغفار ، وسبعه من هذه النجاسات بتراب الذلة والانكسار ، ولا تقبل بقلبك الا على ربك ، ولا تنطرح بذلتك وانكسارك الا بين يديه ، فليس للقلب الا وجهـــة واحدة ، فمتى توجه اليها حجب عن غيرها ، فوجه قلبك لقبلتك الحقيقة ، واشهد مقام الاحسان ، بر أحوال سيد ولد عدنان ، وتكون عبداً لمن هو كل يوم فى شأن .

وصحح صلاه سرك ، واستغن عن البرية ، واجعل قيامك استقامه فىالطاعة وركوعك خضوعا لعظمته ، وسجودك فناءا فى حضرته ، وغب عن الاكوان،

يا أخى العزيز : فاعرف آداب الطريق ، واصحب من يرشدك الى ذلك، يزيل من قلبك النعويق ، نافخ الكير ان لم يحرقك بناره أذاك بشرره ،وحامل العطر ان لم يحذبك من عطره متعك بنشره (٩) فكذلك صحبة الاشرار ، ان لم تحرقك بنار أقوالهمأذاكوجرك الى الفحشاء ، بقبح أفعالهم ، والابرار ان لم يعطوك علمهم وأنوارهم ، منحوك (١٠) بنشر عطـــرهم وأسرارهم ، اذ النفوس جبلت على الاقتباس بالمرء . وكان بعض الاولياء اذا فر فى مجاهدته زار محمد بن الواسع فنشط الى مدة ، وهكذا شأن الصحابة فى حق النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ، فرؤية وجه الكامل أشد تأثيرا من الذكر ، وهذه طريقه معروفة تسمى بالرابطة ، وهى رؤية الشيخ ، فانها أنفع من الذكر : اذا كان الشيخ فانيا عن نفسه .

يا عزيزى : شرف النازل وعيشه وحبوره بحسب المنزول به ، عليك

---

٩ ـــ هذا اقتباس من قول الرسول (ص) « مثل الجليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحـــذيك ، واما أن تبتـــاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد ريحا خبيثة » البخارى ، كتاب الذبائح ، باب المسك ، رقم الحديث (٥٥٣٤) .

١٠ ـــ كان فى الأصل (والابرار ان لم يعطك فيض ٣٦ وأنواره ، منعك بنشر عطره وأسراره) .

بآداب الأولياء وأعمالهم ، لأن عيش الاولياء ، فى الدنيا عيش أهل الجنـــة ، واستدل على ذلك بما هو محقق الوقوع ، ابدانهم تتمتع بأمره ، ان المحبـــة تجعل المحنة منحة فلذة الابدان تابعة للذه الأرواح ، وأرواحهم تتنعم بشهوده ونصره أى نصره اياها على كل عاشق عن شهوده ، اذ حقيقة الولى فعيلا أو فعولا يتولى خدمة الله بالوفاء ، فيتولى الله كفاية أمره كما شاء بلا خفاء ، ثم مراتب الأولياء الموصوفين متفاوتة : وأول مراتب الأولياء ، الفقر الذى هو ايثار الحق على الخلق ونسيان الخلق ، ولكل مقام لذة وفرح وفخر ، والفقر انما هو فخر أى فخر ، لان افتقار غيره بالمخلوق أيا كان ، وافتقـــاره (١١) بالخالق ، اذ لا يفرغ الى غيره أبداً .

وثانى مراتب الولاية — العلم الذى غناء ، والمراد به العلم النـــافع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام أوليائه ، فهو غناء فى الدارين ، ومن لم يعلم هذا العلم فهو أبداً محتاج الى الخلق فى التعليم والدلالة على صواب أمره .

وثالث المراتب — المذكورة — الصمت اذ هـــو نجاة (١٢) ، مادام صمتا معتبراً بأن كان مع فكر ، والا فهو وسوسة .

ورابع المراتب — اليأس عن نفع الخلق لا بالحق ، فلارتفاع كلفتهم عن ظهر اليأس بالشكر والمكافأة كان راحة لما ذكرنا من خفة الوزر حينئـــذ ، واندفاع كلفتهم .

وخامس المراتب — الزهد اذ هو عافية عن الأمراض والعلل الناشـــئة من طلب الأغراض وسد الخلل .

وسادس المراتب — الاكتفاء بالله ومراقبته وذكره ، اذ الغيبة خيبـــة ، وقد بقى من مراتب الولاية كثير . (١٣)

* * *

---

١١ — فى الأصل (افتخاره) .

١٢ — فى الأصل تجاه .

١٣ — وجدنا تكملة لهذه الرسالة فى مجموعة تعود الى الاستاذ المـــلا محمد أمين .

رسالة (٦)

وهذه رسالة بعث بها الى ملا عيسى البيسرى الدوسكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الف تحية الهية وضوعها من التسليمات الزكية الى (من) هو السند المجتهد فى العلوم الدينية ، والاخ الصفى الامجد محط (١) العناية القدسية قره العيون ، أعنى به : مولانا حضرة ملا عيسى — زيد ورعه وتقواه —

وبعد يا اخا الصادق لا تحزن على ما جرعك الله كاس الجفاء ، لانك ذقت فى الدنيا لذة العيش والصفا ، فبدلك الله بالنكد والعنا ، لىدخلك الله ذلك ساحة الغنى ، وبعد سجنك من هذه الدنيا لا يبقى عليك ذنباً ولا درناً ، والله حسبنا وعمدتنا فى سائر عسرنا وسرنا ، ويا اخى مثلك ومثل ابنك كمثل يعقوب ويوسف (ياأسفا على يوسف) (٢) وضعفك (٣) (صبر جميل والله المستعان على ماتصفون) (٤) فتأسى بذلك النبى الكريم لما هجرعن ابنه الذى عنده عظيم ، وفراقه عليه اليم .

والسلام عليكم والحاضرين (٥) .

***

الرسالة (٧)

هذه رسالة بعث بها الى ملا عبد الرحمن :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، أبهى التسليمات الزكية ،

---

١ — فى الأصل (محظ العناية) .
٢ — سورة يوسف الآية ٨٤ .
٣ — فى الاصل (وضيفنك) .
٤ — سورة يوسف الآية ١٨ وأصل الآية فصبر جميل .
٥ — وجدت هذه الرسالة فى كتاب ملحم الاكباد .

وأزكى التحيات النامية نتحف بها الى الأخ الصادق ، والعزيز الموافق لله ، السالك الناسك الفاضل الكامل ، ملا عبـــد الرحمن — أيده الله على مايحب ويرضى ، وجعله ممن تقرب الى ربه بالنـــوافل سنة وفرضـــا . لا زالت عناية الله محفوفة لديه ، ومواهب السنية منحوفة اليه .

ثم الوصية الالهية والموعظة النبوية علينا وعليكم وعلى سائر الاخوان والأصدقاء والخلان ، وسلام عليكم ورحمة ورحمة الله وبركاته .

ثم يا أخى عليك بالصبر على سموم البلاء والمحن الدنيوية ، فانها تزول عنا وعنكم ، اعتبروا بمن قبلكم ، فالموت فرق بينهم وبين مراداتهم ، وجاهدوا انفسكم ، فالمجاهدون ينالون مرتبة المشاهدة .

يا اخوانى : واظبوا على وصيات الاستاذ ، فمخالفة الاستاذ موجبـــة للطرد والابعاد ، ونســـأل الله تعالى ان لا يسلبنا التـــوفيق بمنه تعـــالى وفضله وكرمه ، ونسلم على سائر المريدين والمحبين ، نســـأل الله لنا ولهم مرافقة الأولياء والمقربين ، طوبى لمن كان أنيس أولياء الله ، وخادم فقراء الله ، وصاحب أهل الله ، وجليس عباد الله .

يا اخوانى : عليكم بمراقبة ربكم ، ولا تركنوا الى غيره بقلوبكم ، فمن ركن بقلبه الى ماله وولده أو داره وزوجتـــه ، فهو أســـير ذلك ، وهو عبد ، لذلك لا يكون عبدا حقيقيا صادقا لله ، فالعاقل يشتغل بربه فى الليل والنهـــار ، والجاهل يرضى باللذات الفانية عن دار القرار *

***

الرسالة (٨)

وهذه رسالة أخرى بعث بها الى ابى بكر آغا :

بعد ابلاغ السلام والدعاء الى المحب المخلص المشفق صاحب العقـــل المستقيم والقلب السليم أبى بكر (١) اغا المحترم :

---

* وجدتها فى ملحم الاكباد .

١ — فى الاصل (أبو بكر أغا) .

اولا — أوصيكم — وانى لكم من الناصحين — بتقوى رب العالمين — وانى لكم من الأمناء المخلصين — أوصيكم أن تعملوا بأمر الله تعالى فى كتابه العزيز ، وسنة سيد المرسلين ، فان من خرج من السنة وقع فى البدعة ، واذا وقع فيها استولى عليه العدو الرجيم ، وصار قلبه أسود،ونفسه قوية، وروحه ضعيفة ، وغلبت ظلمة القلب ، وضعف نور اليقين ، فحينئذ هلك مع الهالكين ، فصار قريبا الى نار الجحيم وهو لا يدرى قول الله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين) (٢) .

يا أخوانى : فانظروا الى من يتعد حدود الله ، ويتبع هواه كيف يعذبه الله (٣) بالنار ؟ .

كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : وانى لكم من المحبين المشفقين ، لا اريد منكم أن تخرجوا من كتاب الله ، وتعملوا بغرور الشيطان الرجيم ، اتق الله اتق الله ، وأصلح فيما بينك وبين الله ، وكن خالصا مخلصا لوجه الله ، حتى يحبك الله .

ويا أخى : قد سمعت أنك اخذت البرىء بذنب المسىء ، وعملت بهوى النفس الأمارة ، وتركت اتباع الكتاب المجيد ، هذه من حمية الجاهلية وعلامة الشقاوة . لا تخرج من الشرع الشريف ولا تأكل مال الرجل الفقير ، واتق الله واحذر على هذا الفعل (٤) القبيح ، ألا تخاف من عذاب الله ذى الجلال والانتقام ، أتق عقوبة الظلام ، فى نار وقودها الناس والحجارة ، فان قبلت نصيحة الناصح الآمين ، كنت من العقلاء ، والا فلسوف تكون من النادمين . فواعجباً لكم تتركون الشرع الشريف ، وتعملون بأمر الشيطان الرجيم ، ليدخلهم النار مع الداخلين ، فارجع الى التوبة والتقوى قبل أن يغضب الله عليكم وينتقم ، ويجعلكم من المقوتين ، قال الله تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) (٥) ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

---

٢ — سورة النساء الآية ١٤

٣ — هذه الجملة اقتباس من القرآن الكريم .

٤ — فى الآصل (الفعل القبيح) .

٥ — سورة الزخرف الآية ٥٥ .

الرســالة (٩)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ اسلام الشوشى :

بسم الله الرحمن الرحيم — ذى الجلال والاكرام ، لا حول من الغفله والآنام ، ولا قوة فى اليقظة والمنام الا بالله العلى العظيم عن ملاحظ الافهام ، الحمد لله الذى ربك بالانعام ، وأسدى وعم وزاد وأتم علينا من غير استحقاق منا ، فله الحمد والشكر منه اليه فى كل حين ومقام ، وصلى الله وسلم على من أبرزه من غيب الأحدية وكنز الصمدية ، فجعله المحيط بالاسماء الالهيــة محمد عليه وعلى آلــه وأصحابه أفضل الصلاة والسلام .

أما بعد فقد وردنا كتاب عزيز ، وتحرير من الذهب الابريز (من) الأخ الاكرم الفاضل الاشهم الاشيم شيخ الاسلام ، فاذا فيه من الادب ما أثنى عليه الرب ، وبين من صــــدق الوداد والاخلاص ، ما يوجب مـــزيد العنـــاية والاختصاص ، من العليم العلام . جعله الله من العلماء الأتقياء وختم لنا وله بالحسنى والزيادة ، والمعرفة والمراقبة ، والدوام الى الاقبال التام ، وقـــد سألنى عن شيء يقربه عند ربه ويدله على طريقة قربه بلفظ حسن الأداء وعبارة محررة عن الابهام ، (١) فأجبته مع غاية جهلى وغفلتى مقتبســـا من كتب علماء الأعلام .

فياأخى : ان أردت النصيحة ، فعليك بمتابعة الكتاب والسنة الصحيحة ، والتمسك بهما فى الليالى والايام ، فان من خاض فى لجج بحرهما ، أمده الله تعالى وألهمه من درر الافهام ، وجواهر الاحكام ، ما يدهش الباب أفــكار العالمين عن الاحصاء بالاقلام ، فاذا أصبحت وصليت الضحى ، فافتح كتاب ربك بالصدق فى العبودية ، لأداء حقوق الربوبية ، والتمتع بالمخاطبـــات الربانية ، واعلم أنك اذا تلوت كتابه بالصدق والاخــلاص ، فتح لك بابه ، وأقبل بوجهه الكريم عليك من الرحمة والغفران والفضل والاحسان عما يليق به ويمن به ما دام العبد يتلوه ويناجيه فى ذلك المقام ، وقـــد قال تعـــالى

---

١ — فى الاصل (فاذا أجبته) .

« فضل كلامى على سائر الكلام كفضلى على خلقى » (٢) وكفى بذلك شاهدا لذوى العقول والافهام ، وأوصيك فى عموم الاوقات بالذكر على الدوام ذكراً مقروناً بالمراقبة والهيبة والاعظام ، والحياء فى السربة (٣) والغيبية عن جميع الانام ، واوصيك بقلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلةمعاشرةالانام، فمن تمسك بهذه الآداب تجلى عليه ربه ، وأدخله فى بحر النور ، وأخرجه من ظلمة الأجرام ، وجعله بحرا لا ساحل له **(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** (٤) والحمد لله ختام الكلام ، وصلى الله على سيد العالمين محمد وعلى آله واصحابه البررة الكرام ، وأرجو الدعاء من الشيوخ الكرام وبلغ منى عليهم ألف تحية وسلام .

***

الرســـــالة (١٠)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ اسماعيل الساكن فى أطراف الشونس بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فاعلم يا اخى العزيز الشيخ اسماعيل أيدك الله الملك الجليل ، ورزقك الكرامة والعناية ، ورفع مرتبتك الى سواء السبيل ، ووفقك لمـا يرضى به ربك . وأمرك به ، انه بالاجابة جدير (١) ، وبالقبول كفيل .

يا اخى : لو دار الانسان من المشرق الى المغرب فى طلب المرشد والشيخ العارف ، فلا يراه حتى يتصف بهذه الاوصاف ، ولا يظفر برؤية الأولياء ،

---

٢ ــ اخرجه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى بلفظ قال رسول الله (ص) « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » هذا حديث حسن غريب رقم ٣٠٩٤ نهايةأبواب فضائل القرآن .ج٤ ص ٢٥٦ الترمذى .

٣ ــ الاصل « والحياء والسربة »

٤ ــ سورة الحديد الآية ٢١ .

١ ــ فى الاصل «بالاجابة جزيل» .

حتى يتأدب بهذه الآداب ، قال العلماء العارفون : من أراد أن يرزق المحبة والرضا وسلوك طريق الاولياء ، فعليه بالافتقار الجميل والاختيار الحميد ، ومعنى الافتقار الجميل : أن لا يفعل فعلا ، ولا يقول قولا مالم يعلم أن فيه رضى الله تعالى ، بالتأمل والتفكر فيه ، والرجوع الى الشرع المطهر ، والسنة المرضية النبوية — عليه الصلاة والسلام — ومعنى الاختيار الحميد : تجريد النية وتفريد الهمة فى طلب رضى المولى ، واختيار طاعته على هوى نفسه، وايثار زاد الآخرة على اللذه الفانيه والحطام العاجل ، ولا يتم حسن الاختيار الا بهذه الاوصاف ، وقال رسول الله (ص) موتوا قبل أن تموتوا (٢) » ومعناه : أن تموت نفسه عن مرادانها وشهواتها فهو الموت الأحمر ، فكأنه ذبح نفسه ، وعن مقابلة السيئة بالسيئة ، فلا ينتقم ، ويعفو عن من ظلمه وآذاه ، وسبه ، وشتمه ، فهو الموت الأسود ، لأنه شديد على النفس كالليل المظلم ، وعن الشبع وهو الموت الأبيض ، لأن الجوع يجعل الباطن أبيض أنور مشرقا كالشمس ، قالوا :

ان شمس النهار تغرب بالليل ... وشمس القلوب لست تغيب (٣)

وعن الثياب الجديدة ، فلا يلبس الا

الثوب الناقص المرقع ، فهو الموت الاخضر ، لأن الباطن يصيره كالرياض والأزهار فى كثرة الأنوار .

يا أخى العزيز يا قرة عينى : لا يصل العبد الى هذه الدرجة ، حتى يطهر قلبه عن الرياء ، والكبر ، والعجب ، والحسد ، والبغض ، والبخل ، وطول الأمل ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من غضب الله . فاذا طهر باطنه منها ، فيجب أن يزكيه من بعد ذلك بأضدادها ، وهو الاخلاص لله وحده ،

---

٢ — هذا الحديث بهذا اللفظ ذكره السخاوى ، وقال قال شيخنا انه غير ثابت المقاصد الحسنة ص ٤٣٦ ، لكنه فى سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن باب شدة الزمان ، قال — صلى الله عليه وسلم — « لينتقون كما ينتقى الثمر من اغفاله ، فليذهبن خياركم ، ويبقين شراركم ، فموتوا ان استطعتم » وفى احياء العلوم ٤/٥٠ « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات » أخرجه ابن أبى الدنيا .

٣ — فى الأصل (ليس تغيب) .

والتواضع للصغير والكبير ، والخوف من طرد الله وعدم قبول العمل ، وأن يحب للمسلمين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه ، وأن يترك البخل بالاحسان الى أهل الحوائج ، وأن يقطع طول الأمل بمراقبة الموت ، والقبر ، والحشر ، والميزان ، والصراط ، والحساب ، والجنة ، والنار ، فى كل يوم وليلة ، وأن لا ييأس من رحمة الله ، ولو عظمت معاصيه ، ولا يأمن غضب الله تعالى ، ولو كثرت طاعته وعلومه وحسناته .

ثم يا أخى يفتح له باب المشاهدة مرى ربه بقلبه ، ويعطيه ربه سيف المجاهدة ليقاتل بها نفسه وهواه وشيطانه ، فيكتب له ثواب الشهداء ، فتارة يغلب نفسه والهوى ، ويرجع الى حربهما ، فينال أجر الكرار والفرار . وبعد هذا الحال يسمع خطاب الكريم من غير حاسه سمع ، بل يسمع من جانب الروح من غير جهة ولا مكان ، فيأمره ربه بهذه الآداب : منها الصفا والوفا والقيام فى خدمة المولى ، ثم يعطيه خلع الكرامة والرضا ، لأن الأجر عنـــد تمام العمل .

ومنها التسليم والرضا ، فيحسب أنه ميت بين يدى مولاه يفعل فيـــه مايشاء ، كالميت بين يدى الغاسل .

ومنها المراقبة لله تعالى والحياء منه ، فيرى ربه على نفسه رقيبا ، ويرى نفسه وقبائح نفسه ، فيستحى منه ويخجل بين يديه ، فهو عبـد معيب فى حضرة ملك عظيم قريب . ومنها التوكل ، فلا يختار لنفسه فعلا ولا تدبيراً ، بل يحمل أموره الى ربه العليم الخبير ، لأن من تأدب له تعالى ، فهو يحفظه ويعينه ويتصرف فيه بمعاقبة محمودة . ومنها اليقين ، فيتحقق عندك أن ربك لا يصرف عنك قسمتك الى غيرك ، ولو تركت الطلب ، ولا يصرف قسم غيرك اليك ، ولو طلبت وأكثرت الطلب والتعب . ومنها الصبر والتحمل والتجلد عند نزول الاقدار ، وبعد مرارة الصبر تذوق حلاوة الحكم . ومنها الخوف من الطرد والحرمان . ومنها الرجى فى العفو والغفران . ومنهــا الخشـــوع والذلة والانكسار بين يدى الملك الجبار . ومنها الشوق الى لقـــاء مولاه . ومنها صدق المحبة لربه ، والسعى فى كسب ما يرضيه ويدنيه ، والبعد عما يسخطه وينهاه : ومنها الاخلاص ونسيان الخلق أجمعين .

ومنها دوام الذكر والفكر ، فيذكر رب العالمين لقوله تعالى **(فاذكرونى أذكركم)** (١) فاذا ذكرته ذكرك ، وعفى عنك وغفر لك ، وأعانك ونصرك ،

---

١ ـــ سورة البقرة الآية ١٥٢ .

وحفظك من المخلوقين . ومنها الفكر ، تتفكر فى تقصيرك مع ربك ، وتستغفر من ذنبك ، وترجع عن ماأساء من فعلك وقولك فى مرضات ربك ، وتتفكر فى احسانه تعالىونعمه عليك ، وفى عدم شكرك،وعدم قيامك بحقوق ربك،فترجع الى الشكل والخدمة، متداركا لزمان الغفلة والجهالة فىمولاك ، وتتفكرفىفناء الدنيا وبقاء الآخرة ، وقلة الزاد ، وطول السفر ، وشدة الأهوال ، وعظيم العقوبات والعذاب ، وتتفكر فى قرب الموت ووحشة القبر ، وترجع الىعقلك، وتنتبه من نومك قبل موتك .

ومنها العلم والحلم والقناعة والرياضة والمجاهدة والمعرفة والقرب ، لعلك تحظى بالوصال ، فاذا فعلت هذه الخصال فاترك اختيارك ، وارضى باختيار ربك ، فما فعل معك ربك ترضى به ، ولا ترىد مع ارادته ، ولا تختار مع اختياره ، فحينئذ ينادى من جانب الازل .

ياعبادى: ذهب عنك العنا فهاموا مرحاوتاهوا طربا، ثم خرجوا منوصف الثبوتية ، وغابت نفوسهم عن نعت النفسانية ، وطارت قلوبهم فى عـــوالم الملكوتية ، بأجنحة العناية الالهية ، وألبسوا حلل العلوم اللدنية ، من زخائر خزائن الغيبية ، حتى خرجوا من حجاب العالم الحادث ، وانتهوا الى مقام الأزل ، ووقفوا على بساط العرش ، فنظروا فوقهم الى الملائكة الكروبيـــة والروحانية،فأخذتهم الغيرة،فأخذتهم الىمقام الحيرة،فطاشوا وعاشوا وأجاسوا فسويروا ، ونسوا فقربوا ، وكوشفوا فوصلوا ، ثم نسوا أنفسهم فغابوا عن ذواتهم ، فنظروا وعرفوا ، فسقاهم الحبيب جل جلاله من شراب محبته بكأس وده على بساط قربه ، فلما شربوا طاشوا ، حتى اذا بلغوا **(مقعـــد صدق عنـــد مليك مقتدر)** (٢) فناداهم الجليل جل جلاله يا عبادى : لاخوف عليكم الموت ولا أنتم تحزنون . اللهم خذ بيدى واجعلنى من المحبين والمحبوبين بحرمة محمد سيد المرسلين ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ وبحرمة خلفائه الراشدين ، وبحرمة آله الطيبين الطاهرين ، الهى وبحرمه جميع الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين آمين (٣)

***

---

٢ ـــ سورة القمر الآية ٥٥ .
٣ ـــ نقلت الرسالة من ملحم الأكباد .

الرســـالة (١١)

وهذه رسالة بعتها الى بعض مريديه فى ناحية زيبار .

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين .

اما بعد : فأبلغ السلام والدعاء الى جميع المريدين المخلصين ،ثم أوصيكم بتقوى الله وطاعته فانه من داوم على تقواه وطاعة مولاه واخلص لله ، فهو يوم القيامة مع سيدنا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — ومع آله واصحابه والتابعين ، ومع العلماء والاولياء والمقربين — رضوان الله تعـالى عليهـم أجمعين — فهو ينجو من عذاب النار وعذاب القبر والحشر والحساب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة هو يوم عظيم وفيه عذاب شديد ، وقد ورد فى الحديث الصحيح «ان الناس يقفون على أقدامهم تحت حر الشمس ،حتى أن الشمس تنزل على رؤوسهم قريبا منهم كمقدار ذراع كأنما يكون الانسان فى سجن من نار ، وكل انسان يجد العذاب والغوص فى عرقه ورشح جسده على قدر ذنوبه(١) وذلك الرشح يصير حاراً مثل حر النار ، وأهل المعاصى والفساق والظلام والفجار جياع عطاش عراة كأنهم فى تنور من نار ، وهذا جزاء من مات مصرا على الكبائر ، ولم يتب من الكبر ، والعجب والفخر ، والرياء ، والنفاق ، والحسد ، والبخل ، والبغض ، والخيانة والشح ،والحرص ، والغفلة ، والغرور ، واتباع الهوى ، والقتل ، والظلم ، وشهادة الزور ، واليمـين الكاذبة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والسرقة ، وقذف المحصن ، وقطع الطريق ، والزنا ، والغيبة ، والنميمة ، وترك الصلاة ، ومنع الزكاة ،وافطار رمضان بغير عذر ، وسوء الجوار ، وقطع الرحم ، وعقوق الوالدين ، والى غير ذلك من المعاصى . فيا اخوانى توبوا الى ربكم وخالفوا هواكم وحاربوا شيطانكم واقتلوا انفسكم وكونوا من أهل الرحم والشفقه ، وكونوا من أهل السخاء والانصاف والرحمه بالفقراء ليرحمكم الله كما قيل : « الراحمـون

---

١ — هذا الحديث صحيح من حيث المعنى لانه وردت أحاديث كثيرة تفيـد هذا المعنى ، غير أنى لم أعثر عليه بهذا اللفظ .

برحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء(٢)» «فمن عفى عن الناس عفى الله عنه واجره على الله »(٣) « ومن أعطا ماله للفقراء والمحتاجين فان الله تعالى يعطيه مال يوم القيامة يكون فى ظل صدقته » (٤) « من حسن خلقه مع الناس كان حمن صام نهاره وقام ليله ومن ساء خلقه مع النـــاس أفسد الله أعماله » . (٥)

يا اخوانى ، قال المشايخ الكرام — رحمهم الله — : من لم يكن له أستاذ فالشيطـــان استــــناذه ويســــوقه الشيطان الى تـــرك السنة والجمعة والجماعة ، وقد ورد أيضا فى الحديث الشريف « مامن قرية أو بدو اجتمع فيه ثلاثة أو أكثر ، ثم لم يقيموا الجماعة **الا اســــتحوذ عليهم الشيطان » (٦)** يعنى غلب عليهم وصاروا تابعين لمراد الشيطان خارجين من أحكام القرآن ، فكيف يفلح يوم القيامة من اغتر بغرور الشيطان وسحر الدنيا !

يا اخوانى : من قال لاستاذه : لم ؟ لا يفلح ، يعنى من لم يعمل باشارة أستاذه لا يفلح ، يعنى لاينال مراده ، ومن سمع كلام أستاذه حشره الله تعالى مع رسوله — صلى الله عليه وسلم — لان الاستاذ وارث رســـــول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا يقول لكم شيئا من عنده ،بل يبلغكم أوامره ونواهيه .

ويا اخوانى : قال الله تعالى : « **والذين جاهدوا فينا لنهـــدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » (٧)** فان الله تعالى يعطى العبد بقدر اجتهاده وسعيه،

---

٢ — رواه الترمذى فى كتاب البر والصلة ، باب رحمة المسلمـــــين رقم الحديث (١٩٢٤)

٣ — هذا المعنى صحيح لانه مفاد الآيات والاحاديث ، لكننى لم أجده بهذا اللفظ وكذا حديث (٤و٥) معنـــاهما صحيح ربما متواتر المعنى ، لكن لم أجدهما بهذا اللفظ .

٦ — رواه أبو داود بلفظ « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان » كتاب الصلاة رقم الحديث (٥٤٧) وفى سنن النسائى ١٠٦/٢

٧ — سورة العنكبوت الآية ٦٩

فمن أراد أن يفتح الله عليه ويرزقه التوفيق ويحفظه من شر ابليس وسحر الدنيا فليعمل بأوامر الشرع الشريف ويبتعد عن نواهيه ، ومن لم يعمل بذلك فليعلم أنه يقع فى يد الشيطان اللعين ، قال تعالى ((**افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون**)) (٨) والمعنى انه من اتبع هوى نفسه خرج من نور الهداية ووقع فى كيد الشيطان الرجيم فاتقوا الله وارجعوا الى موعظة الناصح الامين .

لتكونوا يوم القيامة من الآمنين والسالمين الفائزين المفلحين ، فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

***

الرسالة (١٢)

وهذه رسالة أرسلها الى المريدين فى قريه من ناحية زيبار .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد : فأوصيكم أيها الاخوان بترك المحرمات ، واجتناب المنهيات ، واداء الواجبات ، ولزوم الجمعة والجماعات ، ودوام الوضوء عند الامكان ، والنوم عليه ، وعلى الذكر ، وقراءة القرآن ، والتوبة من العصيان ، ونومكم على جنب الايمن مستقبل القبلة ، واذا قمتم الليل فعليكم بالوتر احدى عشرة ركعة ، ثم اشتغلوا بذنوبكم السابقة والتوبة منها ، وتفكروا فى شدة الوقوف تحت حرارة الشمس خمسين ألف سنة فى العرق ، وذلك للعاصى والأشرار، وللتائب يكون مقدار صلاه معدلة ، فاذا جاء السحر فالاستغفار أحب الأذكار

---

٨ — سورة الجاثية الآية ٢٣

« استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليــه » واذا صليتم صلاة الصبح ، فان أمكن فالجلوس على المصلى الى وقت الاشراق بصلاة ركعتين ، فذلك بحجة تامه،ثم صلاة الضحى وصلاة الأوابين والرواتب المؤكدة ، وصوم الاثنين والخميس وغيرها من صوم السنه ، كالعاشوراء والتاسوعاء وستة من شوال وأيام البيض وغيرهم على حســب الطاقة ، وأذكاركم بعد كل فريضة أكثر من مائة مرة ، والاخلاص الشريف ، والصلاة « اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد » فالاستغفار المذكور ، والتسبيح « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبرولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم »والفاتحةالشريفةمائة فىاليوم والليلة،والصلاة وكلمة التوحيد فىيوم الجمعة وليلتها ألف مرة، وقراءة القرآن الشريفالعظيم كل يوم ما استطاع ، وان كان فارغاً من الأشغال فيقرأ كل يوم جزءين ، ولا يكون اقل من جزء ، وأيضاً ان كان فارغا فالتسبيح والاخلاص بعد فريضة الصبح الى الضحى ، وقراءة القرآن والفاتحه من الضحى الى العصر ، والصلاه والاستغفار من العصر الى الغروب ، فان لم يستطع (١) لاشتغال فكل وقتيمكنفىاليوم والليلة كما ذكرنا مائة مائه أو أكثر، فانه أثقل فىالميزات من سبع أرضين وسبع سموات ، وبعد العشاء الاشتغال بالقرآن كســورة (يس) و (الم) السجدة ، و (حم) الســجدة ، وكسورة (دخان) و (تبارك الملك) و (الواقعــة) ، وأيضــا صـــلاه العشـــاء وقت محاسبه الأعمال ، بل محاسبة الانفاس ، بل وقت محاسبة الافكار ، وبعده النوم على الوضوء وقت محاسبة القبر وملاحظة القبر ، ووقت الندم والتوبة فقد ينام ويموت فى الليلة ، وبعد صلاة الليل ملازمة البكاء ، والخشـــوع والتضرع ، والاستغفار ، والتذلل بين يدى الملك الجبار بالضعف والافتقار ، واشتغل فى يوم الجمعة أعمال القلوب لا محبة الدنيا ، واشتغل بمحبة الله وترضى بالقضاء والبلاء ، وتقنع بالقليل من الحلال وتحب للمسلمين كأخيه ، واذا ظلمك أحد فاعف عنــه ، واذا شتمك أو خاصـــمك أحــد فلا تشتمه ولاتخاصمه ، وكن سخياً بمالك ، ولا تخاف ولا ترجوا أحداً الا الله ، وتوكل عليه ، وتخاف من غضبه الشديد ، وتطمع فى رحمة الله الكثيرة ، هذهوظيفتكم أيها الاخوان ، جعلكم الله من أهل الله وحفظكم وأحبكم ووفقكم ، ورزقكم محبتـــه آمين .

---

١ — فى الاصل «لا لاشتغال» .

الرســـــالة (١٣)

وهذه رسالة بعثها الى الشيخ اسلام الشوشى

بعد ابلاغ الدعوات والتسليم الى الاعز الاكرم قرة عينى ، المحب المخلص المشفق الحميم: شيخ الاسلام — جعله الله وايانا من الصالحين، ووفقنا واياه على اتباع السنة ، وهو الصراط المستقيم — يا اخى : عليك بتقـوى الله وطاعته ودوام ذكره وشكره ومراقبته ، والسلوك على طريق الســـلف الصالحين ، فانه من تابع طريقهم كان على المنهاج القـويم ، وله النفس الزكية والقلب السليم ، يا أخى يوم القيامة يوم شديد عسير يوم عبـوس قمطرير ، يوم كان مقداره خمسين ألف ســنة ، والناس تحت حر الشمس تدنو من رؤوسهم قدر ذراع فيكون الاضراس جمرا ، ويغلى الدماغ من شدة الحر ، فعليك بالقلب السليم ، ولا يكون سليما حتى يتوب من البدعة ،والرياء والهوى والعجب ، والكبر والكذب ، والحسد ، والبغض ، والفخـــر ، والجهل ، والاسراف ، والسخط ، وكفران النعمه ، والجزع ، والاصرار ، والبأس ، والاذى ، وحب المدح ، والعداوة ، وخوف الذم ، والحقد والغش، والغدر ، والمداهنة ، والشماتة ، وخلف الوعد ، والخيانة ، وسوء الظن ، والشراهة ، والتهور ، والعناد ، وحب الدنيا ، وحب المـال ، والتمرد ، والجبن ، والحزن على الدنيا ، والانس بالناس ، والفظاظة ، والوقاحة ، والسفاهة ، والبطالة ، والطعن وبغض الابرار ، والتذلل للدنيا ، والطمع ، وتسويف العمل والتوبة ، والنفاق ، ومحبة الجاه ، وفتنة النـاس ، وحب الفساق ، وتقليد الناس ، والجسارة ، وتعليق القلب بالاسباب ، والامل ، والعجلة ، والبلادة ، والحلف . ويجب أن يكون موصوفا بالاخـــلاص ، والاحسان ، والتواضع ، والنصيحة ، والغبطة ، والسخاء ، والايثـــار ، والغيرة ، والمروءة ، والفتوة ، والصبر ، والرضا ، والشكر ، والخوف من الله ، والحزن للآخرة ، والحب فى الله ، والبغض فى الله ، والخمـــول ، ومخالفة النفس ، واستواء المدح والذم ، والتفويض ، والتوكل ، والتسليم، والتحقيق ، وقصر الامل ، وذكر الموت ، وسلامة الصدر ، وطلب العلم ، والحلم ، والشجاعة ، والرفق ، والانابة ، والوفاء بالعهد ، وانجاز الوعد، وحسن الظن ، والزهد ، والقناعة ، والرشد ، والصـــدق ، والسعى ، والمبادرة ، والحياء ، والاناءة ، والصلابة فى الدين ، والشفقة ، والرقة ، والانس بالله تعالى ، والشوق الى الله تعالى ، وحب الله تعالى ، والذكاء ، والفقه ، والاستقامة ، والأدب ، والفراسة ، والتفكر ، والخشوع،والوقار،

والمرابطةوالمحاسبة ،والمعاتبة،والمراقبة،والحرية، وكظم الغيظ،والعفو،ونية الخير ، ودوام العبادة ، وارادة الأفعال الحسنة ، ولين الجانب ، والتوبة، واليقين ، والعبودية ، وغير ذلك من الأخلاق والأعمال المندوبة .

ومن استعمل خمسة أشياء صفا قلبه ، واتصف بهذه الخصائل الحميدة وزكى من الخصائل المذمومة : الأول — قراءه القرآن بالتدبر . والثانى — خلاء المعدة على الدوام . والثالث — صحبه الصالحين . — والرابع — كثرة السهر . والخامس — دوام التضرع والانكسار فى الأسحار . غفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين اجمعين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

***

الرسالة (١٤)

وهذه رسالة اخرى الى الشيخ اسلام الشوشى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين .

أما بعد فأوصيكم يا شيخ الاسلام أن تعرف حرمة ابن عمك الشيخ يونس المحترم ، فانه لا تعرف حكم الله ولا نعلم ما عند الله اذا لازمت حرمته وحرمة قرابتككلهم ، وخدمتهم بحسب الطاقة والقدرة ، وأديت حق قرابتهم وحق جوارهم ، وواصلت الرحم وصبرت على الأذى ابدك الله وطال عليك امداده ، وبارك الله فى عمرك وزادك من اكرامه وبره . فياأخى أنت ماتعرف احكام الله فأما اذا أردت منى المبايعة والاذن والاجازة ، فقد أجزت لك بذلك الشرط والقيام بحقوق قرابتك ولزوم حرمتهم ، حتى يكونوا منك راضين بقلب طيب — والله يحب المحسنين — ثم أوصيك بالتقوى ، وهو حب الله وأداء شكر نعمته ، وخوف غضبه ونقمته ، وأوصيك بدوام ذكر الله وذكره حصن حصين وحرز من الشياطين ، ودرجات مقربات ومعارف ، وأسرار ، ونور القلب ، ويقظة الروح ، وبهجة السر ، وموت النفس ، وكمال

العقل ، واوصيك بتلاوة القرآن ، فانه نعم الشفيع ونعم الدليل ونعم المرشد، وأنه من كان فى خدمه القرآن ولزوم الحرمه له والعمل به ، كانتله الملائكة مستغفرين فى طبقات السموات والأرضين . يا أيها الاخ المبارك : أوصيك بما أوصانى به الشيخ المرشد العارف بالله تعالى العالم العامل حاجى محمود ابن الشيخ عبدالجليل الموصلى (+)—رحمه اللهتعالى—عن مشايخهأعاد الله علينا وعليكم وعلى المسلمين نفحات الرحمة والرضوان ، والتوفيقمنبركاتهم

+— هو الشيخ محمود بن الشيخ عبد الجليل بن مصطفى الكردى الشافعى القادرى النقشبندى الموصلى وهـو شيخ الشيخ نور الدين ، وقـد نشرنا الاجازة التى كتبها للشيخ نور الدين فى ص ١٧ من هذا الكتاب .

ولد الشيخ محمود فى الموصـل سـنة ١١٨٣ هـ كما ورد فى أبيات فى التاريخ الشعرى فى ولادته حيث ورد فى قصيدة :

هبت يا عبد الجليل بمولد فيه السرور على الأنام سعود وجاء فىآخرها:

ولمـا بدى وجهه أرخته « بالنظـر أشرق طالعا محمـود » وجاء فى قصيدة أخرى .

ومذ بدا ولسان الحال ارخه « بالخير جاء ونعم الولد محمود » وهـذا بالحساب الابجدى يساوى ١١٨٣ هـ .

وكان والده الشيخ عبد الجليل عالما فاضلا وزاهدا تقيا يتمتع بسمعة مرموقة لدى علماء الموصل .

وقد أخذ الشـيخ محمود اجازة الانتساب الى الطريقة القادرية من الشيخ أبى بكر بن خضر الألوسى حوالى سنة ١٢١٩ هـ

كما أخذ الاجازة فى تلاوة كلمة التوحيـد ولبس الخرقة القـادرية من والده الشيخ عبد الجليل .

وللشيخ محمود عدة مؤلفات منها .

١ — تعليقه على مقدمة علم الهدى وأسرار الاهتداء .

٢ — تذكر الألباب ونصيحة الاحباب .

٣ — كيفية آخذ العهد على طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى .

وكان يلقب بالخضرى ، وبالخدرى .

وكان له أخ فاضل اسمه ملا يوسف بن عبد الجليل .

هذه المعلومات البسيطة نقلناها من مجموعة مخطوطة كتبهـا الشيخ بخطه سنة ١٢٢٤هـ والمخطوطـة موجودة فى مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم ١٦/١ وفهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ٥/٩٥—١٠٤ .

ورزقنا واياكم معرفة حق خدمهم ولزوم الأدب والقيام لهم ، مما وجب على المريدين لمشايخهم — فانه قال فى وصية لهذا العبد الحقير : أوصيك بتقوى الله وطاعته ، وملازمه آداب الشرع الشريف ، والوقوف على حدوده **(ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون)** (١) وأوصيك بالعمل بعزايم الشريعة المطهرة قال الله تعالى **(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** (٢) وأوصيك بترك الركون الى الدنيا ومحبتها قال تعالى **(فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية)** (٣) وأوصيك بالرضا والقناعة باليسير من الحلال قال تعالى **(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)** (٤) وقال الله تعالى **(يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)** (٥) فلا تكاثر فى هذه المنزلة الخبيثة ولا تفرح بها ،وأوصيك بالعزلة ، وترك مخالطة الناس الا لمصلحة دينية **(شياطين الجن والانس يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)** (٦) وأوصيك بترك وساوس الدنيا والافكار الفاسدة الغافلة الباطلة التى ليس لها منفعة ، وأوصيك بدوام مراقبة الله تعالى قال تعالى **(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون)** (٧) وأوصيك بالتوكل على الله قال تعالى : **(وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)** (٨) وأوصيك بالزهد فيما سوى الله قال تعالى **(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام** (٩) وأوصيك بالصبر والرضا عند الشدائد ونزولها قال تعالى **(وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** (١٠) وأوصيك بالنوم على الطهارة ، والتوبة

---

١ — سورة البقرة الآية ٢٢٩ .
٢ — سورة الانعام الابة ١٥٣
٣ — سورة لقمان الاية ٣٣
٤ — سورة الجاثية الاية ٢٣
٥ — سوره محمد الاية ١٢
٦ — سورة الانعام الآية ١١٢
٧ — سورة الحشر الآية ١٩
٨ — سورة المائدة الآية ٢٣
٩ — سورة الزمر الآية ٣٦و٣٧
١٠ — آل عمران الآية ١٨٦

والندامة على ما مضى من الذنوب قال نعالى : **(ومن لم يتب فأولئـــك هم الظالمون)** (١١) واوصيك بشهود النقص فى النفس دائما قال الله تعـالى : **(فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (١٢)** وأوصيك بعدم الانتصار للنفس اذا أوذيت قال الله نعالى **(فمن عفا وأصلح فأجره على الله انـــه لا يحب الظالمين (١٣)** وأوصيك بالاهتمام بجميع أمور الدين واليقظة والانتبـاه من الغفلة ، والسعى فى كل مافيه خير ورضا الله تعالى ، فان كان عندكم قليــلا فعسى أن يكون عند الله عظيما . والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

***

الرســـــالة (١٥)

وهذه رسالة اخرى الى فضيلة الشيخ اسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وافضل الصلاة والتسليم على أشرف المخلوقات أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد فنبلغ جزيل السلام والتحيات ، ونخص بوافر الدعاء والخلات جناب أخى وحبيبى وقرة عينى : أعنى به شيخ الاسلام — أيده الله تعــالى بالمحبة والاكرام ، وأفاض عليه دايم الآلاء والانعام ، ليكون امام الهـــدى بالتأييد والالهام — ثم انه قد وصل الى كتابكم العزيز ، واطلعت على مافيه من حسن الادب الجميل ، وقد أردتم أن أخبركم بصوم الداود — على نبينا وعليه الصلاة والسلام — فلكم الاجازة من الله ان شاء الله مقرونة بتحف مواهب الله وكرامته ، واذا وقع يوم الاثنين والخميس ، أو ست شوال ، أو تســع

١١ — سورة الحجر الآية ١١
١٢ — سورة النجم الآية ٣٢
١٣ — سورة الشورى الآية ٤٠

ذى‌الحجة ، أو تاسوعاء ، أو عاشوراء فى نوبة الافطار فأسردوه ولا تفطروه، لأنه مستحب بنفسه مؤكدة فلا يفطر فيه ، وان وقع فى نوبة الافطار (١) — دون يومى العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك والسفر والمرض ، أو غير ذلك من العوارض — بارك الله تعالى لكم فيه فتوكلوا عليه وأشرعوا فيه ممنونا عليكم فيه . وأما دخولكم فى بيت الأربعين ، فكان لكم فى كل حين ، فان فعل الله بكم هذا الفضل العظيم الذى يمن به على المحبوبين ، فأولا — توبوا من كل مايخالف رضاءه تعالى ، وأخلصوا النية لرضاه من دون سواه ، وآثروا رضاه على غيره ، ثم جردوا قلوبكم واقبلوا بهممكم الى ربكم ، واقطعوا الآمال والأشواق من المال والأهل والعيال ، هذا علامة الاقبال الكلى على الواحد القهار العزيز الغفار ، فاذا سكنتم الخلوة فتفكروا فى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) (٢) فاذا كان ربكم ومولاكم سامعاً لكلامكم ناظراً لأعمالكم فالواجب عليكم أن تفعلوا شيئا يليق بأن ينظر اليه ربكم وليسمعه منكم ، وهذا علامة أهل الحياء والأدب ، الذى يحب الله ويحبه الله ، ثم كونوا مستقبلى القبلة ، وغمضوا عيونكم ، واذكروا ربكم ، واعلموا أنه حاضر عندكم ، فاذا لم تغب عندك ربك لحظة ، فلا تغفل عن ذكره ومراقبته ساعة ، فاستأنسوا بالله ، لأنه حسبكم وكافيكم ان كنتم تعلمون ، وهذه آداب المريدين فى الخلوة والجلوة : جوع معتدل ، وسهر معتدل ، وخلوة الا لحاجة ، والصمت كذلك ، ودوام ذكر الله ، ودوام مراقبة الله تعالى ، وشغلكم فيها ما يجذب قلوبكم من القرآن العظيم والذكر الكريم ، وغير ذلك من التسبيح والتحمد لرب العالمين .

ويا اخوانى لا تتركوا (سوا) الجماعة فى الخلوة ولا غير ذلك من الاوراد والسنن — وفقنا الله تعالى الرحمن الرحيم واياكم والمسلمين، والهمنا واياكم طريق المحبة والقربة برحمته انه أرحم الراحمين — وارجو منكم أن لاتنسونا فى الخلوة والجلوة ، ولا المشايخ والمريدين والمسلمين اجمعين . واسلم على الاخ الاكرم الشيخ اسماعيل والشيخ يونس وجميع أهل القرابة وأهل الجماعة

---

١ — فى الاصل (وان وقع فى يوم الافطار) — أى دون الايام المذكورة ودون يومى العبد الخ . أما أيام العيد والتشريق فيجب الافطار فيه سواء وقع فى نوبة الصوم أو فى نوبة الافطار .

٢ — سورة الحديد الآية ٤

المباركين ، ونرجو منكم حسن الدعاء (**ومن يتق الله يجعـــــل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) (٣) و (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) (٤) (**نعم المولى ونعم النصير** (٥) وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين . ×

***

الرســـــالة (١٦)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ يونس من طرف الشوش

بســــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه : ســــيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فالسلام من الرءوف الرحيم ، وتحية مشحونةبالاجلال والتعظيم، الى الاخوان الصادقين ، والاصدقاء الموافقين أعنى بهم الشـــــيخ الاكرم : شيخ يونس الاشيم ، وجميع القرابة من ذرية المحبوب الربانى : الشـــيخ شمس الدين — قدس سره ونور ضريحــــه — يا اخوانى : أولا — نســـأل عن حالكم ، ونسأله تعالى أن يجعل الى السعادة مآلنا ومآلكم .

وثانيا — يا اخوانى : قد سمعنا أنكم أبطلتم الذكر مع الحلقة والاجتماع فى الاوقات الفاضلة للعبادة ، يا اخوانى : ان كان كما سمعنا ، فأرجعـوا الى الاخلاص والتقوى والطاعة ، ولزوم الجمعة والجماعات ، والاجتمـــاع

---

٣ — سورة الطلاق الآية ٢و٣
٤ — سورة آل عمران الآية ١٧٣
٥ — سورة الأنفال الآية ٤٠.
× ملحم الأكبـــاد

فى بعض أوقات الاسبوع للذكر الشريف ، يا اخوانى : حيف (على) أهـــل بيوت المشايخ والصالحين أن يتركوا طريقة آبائهم باتباع الهــوى واللعب والغفلة والاسترسال على الدنيا الساحرة والشيطان والغرور ، يا اخوانى : أوصيكم بما وصى به رب العالمين حيث قال فى كتابه المجيد **(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) (١)** وعن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنـــه قال قال رســول الله صلى الله عليه وســلم ــ **« ان لله** ملائكة سياحين فى الأرض ، فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم ، فيجيؤون ، فيحفون بهم ، فاذا صعدوا الى السماء يقول الله تبارك وتعالى : على أى شىء تركتم عبادى يصنعون ؟ وهو أعلم بهم ، قالوا : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك ، فيقول : أى شىء يطلبـــون ؟ فيقولون : الجنة ، فيقول الله عز وجل : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول الله : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد منها طلباً وأشد عليها حرصا فيقول : فمن أى شىء يتعوذون ؟ فيقولون : يتعوذون من النـــار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقــولون : لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها ، وأشد خوفاً منها ، فيقول : انى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم ، فيقولون : ان فيهم فلانا لم يردهم وانما جاءهم لحاجة ، فيقول : وله قد غفرت ، هم قــوم لا يشقى جليسهم (٢) »

يا اخوانى : هذا فضل الذكر مع الجماعة ، فالواجب عليكم أن تنصحوا أهل القرية ، وتأمروهم باتباع السنة والجماعة ، قال بعض العلماء : العالم اذا فســد فسد لفساده العالم ، واذا صلح صلح لصلاحه العالم ، وقال آخر : ينبغى للعالم عشرة أشياء : الحسبة ، والنصـــيحة ، والشـــفقة ، والاحتمال ، والصبر ، والحلم ، والشكر ، والتواضع ، والعمل ، والعفة فى أموال الناس ، وفى الحديث ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :

---

١ ــ سورة النساء الآية ١٣١

٢ ــ رواه البخارى عن أبى هريرة بلفظ « ان لله مـــلائكة يطوفـــون » الحديث فى كتاب الدعوات ، باب فضل الذكر رقم الحديث (٦٤٠٨) ورواه مسلم بلفظ « ان لله ملائكة سيارة » الحديث كتاب الذكر ، باب فضل مجالس الذكر ، رقم الحديث (٢٦٨٩)

« من أحيا سنتى فكأنما أحيانى وكان معى فى الجنة » (٣) فالمأمول من الله تعالى أن يجعل قلوبنا مقبلة على الله ، وبجعلنا من عباده الصالحين ويختم لنا بالخير ونسلم على أهل الجماعة . يا اخوانى : انتبهوا من نوم الغفله بملازمة الخدمة والمجاهدة فى الطاعة ، اذا أقبلتم على طاعة الله أقبلت عليكم الدنيا ، واذا أعرضتم عن طاعة الله تعالى تعسرت الدنيا عليكم، والله يعلم وأنتم لاتعلمون . ×

***

الرسالة (١٧)

وهذه رسالة بعثها الى الشيخ حسن الجبار جوابا على رسالته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاه وأكمل التحيات والتسليم على أشرف المخلوقين : محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد فقد وصل الى كتاب الاخ الأكرم العالم العامل ، أبى الفضل والمنن أخى وحبيبى وتاج رأسى ملا حسن الموصلى — أيده الله تعالى فى الدارين ويسره لما يحبه ويرضاه ، وألهمه الرشد والعزيمة فى كل مايتعاطاه — ولما قرأته فاذا هو مشير بحسن حالكم وطيبة مزاجكم — لا زلتم بعافية الدارين ، وكمال العناية وقرة العين — ثم انه قد أشرتم الى المحبة ان اكشف عن وجوه الفاظ من نظم قصيدتى « اللامية الالفية » فى الالتجاء بالمحابيب القادرية — رضى الله تعالى عنا وعنكم ببركاتهم السرمدية ، ونفعنا بهم والمسلمين انه مجيب السائلين — لا يخفى لديكم أن كثيرا من ألفاظها محكى على لسان التوحيد والجمع والفنا ، ولو كان المتكلم غير ذائق قطرة من بحار ذلك المعنى،

---

٣ — رواه السجزى وفى رواية « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » الفيض القدير ٦/٤٠ رقم الحديث ٨٣٤٩

+ ملحم الاكباد

ولا حام بعمره لحظة حول ذا الحمى ، لكن ادخلها فى النظم ، لبعسر عليهـا الناظر ، فتشكل عليه فيراجع كتب القوم ، ويواظب على مطالعتها ، لأنها بحار الأنوار والمعارف ، لا يشم رائحة الكمال من لم يقف على آثارهم ولم يغترف من بحارهم المغارف ، لأن حقيقة العيشة الطيبة لهم ، هم القـوم لا يشقى جليسهم فكيف يضيع محبهم وأنيسهم ؟ — رضى الله عنهم اجمعين وعنا وعن المحبين ببركاتهم — لايخفى لديكم ؟ ان النسخة التى بيدكم ليست عندى ، بل كنت كتبت على سـبيل الاستعجال مسـودة ، وهى الآن عندى ، وقد بدلت وزدت وغيرت بين النسختين ، فالآن أشرح لكم الفاظا مما فى هذه النسخة ، والتى وجدت فىنسختكم ،فأنتم اذا أحببتم أن تشرحوا عليها فلكم الاذن مستعينا بربكم مستجيرا به مخلصا لوجهه ، خاليا عن غير النفع الدينى . (١) ضميركم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ، غفـر لنا ولكم ولآبائنا ولجميع المسلمين ، جعلنا الله واياكم من المتقين الذين لاخـوف عليهم ولاهم يحزنون الذين استغرقوا جميع أوقاتهم فى طاعة مولاهم المقبلين على ذكره وفكره ومراقبته ، معرضين عن الدنيا حتى أحبهم وقربهموأتاهم تقواهم (٢) .

***

الرسـالة (١٨)

وهذه الرسالة كتبها لبعض المريدين بعدما عرضوا عليه فاقتهم

بسـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

١ — هذا كان بياضا فى الاصـل .

٢ — وهذه الرسالة مكتوبة فى الصفحة الاولى، فى شرح الشيخ حسن الحبار على القصيدة اللامية الالفية .

أما بعد فان هذ (ين) المريد (ين) الصادقـــ (ـين) صوفى محمد وصـــوفى يحيى مريدان لحضرة الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلى ـ **قدس الله** سره العزيز ورضى الله عنه ـ فالمرجو من جملة المريدين والمسلمـــين أن لا يبسطوا اليهما أيديهم ، ولا يظلموهم «فان الظلم ظلمات يوم القيامة» (١) والظالم يحشر يوم القيامة تحت أقدام الخلائق أمثال الذر ، ويسقون منطينة الخبال ، وهى عصارة أهل النار يغشاهم الذل والصغـــار من كل مـــكان **(فاعتبروا يا أولى الأبصار)** (٢) وانظروا الى هذا الوعيد الشديد ، ثم أوصى المسلمين باكرامهما ، والاخذ بيدهما ، ونفعهما بحسب الطاعـــة والمستطاع والقدرة ، فان من نفع ولد الرجل يكون محبـــوبا مكرما عنـــد الرجل ، وهذا (ن) من أولاد الغوث الاعظم ، ألم تفهم الم تعلم ؟ والله أعلم أن الرجـــل يحشر فى زمرة حبيبه ، ومن خدم قوما يحشر معهم **(ان الله لا يضيع أجـــر المحسنين)** (٣) **(ان الله عنده أجر عظيم)** (٤) والحمد لله رب العالمين .

* * *

الرســـالة (١٩)

وهذه رسالة اخرى بعثها الى خليفته السيد أحمد

فلما كتب الشيخ نور الدين القصيدة المسماة بالمناجاة النورية لاجـــل السيد احمد المذكور بعثها اليه مشفوعة بهذه الرسالة والقصيدة أولها :

الهى ورحمانى عظيم العطيات ... حلما وستارا لكل الخطيات

الهى أتاك المســـتجير بـــربه ... يلوذ بلطف الرب حال المناجاة

---

١ ـ رواه البخارى فى كتاب المظالم ، رقم الحديث (٢٤٤٧) ورواه مسلم أيضا فى كتاب البر والصلة رقم الحديث (٢٥٧٨)

٢ ـ سورة الحشر الآية ٢

٣ ـ سورة التوبة الآية ١٢٠

٤ ـ سورة التوبة الآية ٢٢

وكتب فى نهاية القصيدة : انتهت مناجات السيد نورى — قدس سره — وهو يأمر أخاه الامجد السيد احمد أن يتلو هذه المناجات لتعود اليه بركات أسماء من فيها ، ولان الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين وأيضا ليزدادالرغبةفى محبتهم ، وهو أعلى كل مرتبة .

فيا أخى : قد نظمت هذه النظمات ثنتين بالفارسية وهذه بالعربية وكلها صالحة للتوسل بها الى الله تعالى ، فأنت تكتب أيضا أيتها تحب للمريدين ، وان شاء الله تعالى تكون امام السالكين فى هذا الدهر ولو بعد حين ، وهذا العبد الحقير يدعو لك ويرجو انك تقوم مقام شيخه ، وان لم يقم هو مقامه ، ولاشىء أعظم للتوسل به الى حصول السعادة ، وقبول الموعظة ، واتباع المسلمين ، وكون العبد اماما ومرشدا ، من الافتقار الى جميع المشايخ لاسيما مشايخ طريقه ولا سيما شيخه ، وذلك الافتقار حاصل بتعظيم قدرهمواجلال شأنهم ، ومن شاء أن يكون شيخا يجتمع عليه المسلمون كثيرا فعليه بخدمة شيخه ، فمن خدم بالصدق ذا حرفته نال من حرفته حظا عظيما ، وهذه النصائح بلغتنى من الشيخ فأنا أيضا بلغتها اليك ، وأنت تبلغها الى المريدين. والحمد لله رب العالمين ونسلم عليكم وعلى أعمامكم كثيرا ، ونسلم على الشيخ عبد الرحمن ، والشيخ شمس الدين ، والشيخ محمد ، وجميع من عندكم ونرجو دعاءكم .

ويا أخى تأمر ابن اختك وشمس الدين ابن خالك ، حتى يكتبا هذه المناجات فانها نافعة لكل شىء ×

***

الرسالة (٢٠)

وهذه رسالة بعث بها الى السيد أحمد مع قصيدتين نظم فى احداها سلسلة الطريقة القادرية التى أخذها من الشيخ نور محمد الهندى . ونظم فى الثانية سلسلة الطريقة النقشبندية التى أخذها من الشيخ نور محمد أيضا

× فى ملحم الاكباد

والقصيدتان فارسيتان نظمهما بطلب من السيد أحمد وبعثهما اليه مشفوعة بهذه الرسالة .

نبزدماآمد ومراطريقت داد وسلسلة رانوشت ، يكى قادرية ، وسكى نقشبندية ، وازجناب‌أو وكالت وخلافت يافتم ، بس أذكار وشروط طريقت هم فرمان دارن بنزاى سلسلها براى برادر مبارك خود سيد احمد خليفة ناح سرخود فرستاديم تاكه بخود عمل بديشان كند ومريدان راهد ، واكر امكان دارد هرروز اين سلسلة رابخـــواند فيض زياده شـــود ، اعـــلم يا اخى سيد أحمد أن هذه أوراد الشيخ عبد القادر — رضى الله تعالى عنه — التى واظب عليها وأمر المريدين بالمواظبة عليها : بعد صـــلاة الصبح الف مرة ، وهو الحى القيوم ، وألف مرة ، لا اله الا الله الملك الحق المبين . وبعد الظهر ، وهو العلى العظيم ألفا ، والصلاة ألفا . وبعد العصر ، وهـــو الرحمن الرحيم ألفا ، واستغفر الله ربى ألفا . وبعد المغرب ، وهو الغنى الحميد ألفا ، وايضا لا اله الا الله ألفا . وبعد العشاء ، وهو اللطيف الخبير ألفا ، وأيضا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ألفا .

ومن الاوراد المتوسطة ذكر التوحيد بعد كل فريضة مائة وستا وستين مرة . ومن شرط المريد أن يكون مستقيما على عزايم الشريعة ولا يأخـــذ بالرخص ، ولكن المريد اذا كان ضعيفا لم يقدر على اتباع عزايم الطريقـــة المعهودة بين القوم كما تتلى عليك ، يكفيه مجرد الانتســـاب الى المشايخ بالمحبة .

واعلم ياأخى سيد احمد : أن أعظم شىء فى هذه الطريقة محبة المسلمين سواء كانوا مذنبين أو ظالمين أو غير ذلك من العصاة وأهل الكبائر ، ليتحقق أخوة الاسلام ، ولكن يظهر البغض والعداوة فى حق العـــاصى ظاهرا رجاء صلاحه ، وتركه المعصيه ، ولكن القلب عند اظهار الكراهية يكون شفيقـــا ورحيما على العاصى ، قال — صلى الله عليه وسلم « لاتكون مؤمنا» اى كامل الايمان « حتى تحب لاخيك ما تحب لنفسك » من الخير « وتكره له ماتـــكره لنفسك » (١) من الشر . ومن شرط المريد أن يكون صفوحا يعفو عمن أســـاء

---

١ — رواه البخارى ومسلم بلفظ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب ، لاخيـــه ما يحب لنفسه » بخارى كتاب الايمان .

اليه ، لا حارا . ومن شرط المريد أن ينظر الى كل أحد بعين الشفقة ، وكلم الناس على قدر عقولهم . ومن شرطه أن يكون حسن الخلق،وأن يكون لينا صابرا على أذيات الاخوان والجيران ، وأن يكون ناصحا للمسلمين . ومن شرط المريد حفظ حرمات المشايخ والعلماء والصلحاء بحفظ الادب وتعظيمهم ، وان يكون رحيما بغيرهم من الصغار والكبار ، ويأخذ على نفسه بالاحوط والاشد فى كل شيء ، مثلا اذا دعتك نفسك الى نوم الليل كله ، ينبغى أن تخالفها فتقوم جزءا من الليل ، واذا دعتك الى مقابلة الخصم بمثل ما صنع معك ، ينبغى أن تخالفها وتحسن الى الخصم ، واذا دعتك الى افطار جميع الشهر ، ينبغى أن تخالفها فتصوم منه قدرا ، واذا دعتك الى البطالة ، ينبغى أن تحمل عليها ثقل الكلفة من نشر العلم وتلاوة القرآن ، ومراقبة الرب عز وجل . ويا أخى سيد احمد تأمر المريدين من هذه الطريقة : أن من لم يحبسه (٢) قواطع الكد لاهله ، فتأخر عن الخلوات فقل له : لست على طريق الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فان مبنى هذا الطريق على الخلوة ، والصيام وتلاوة القرآن ، ومراقبة الله سبحانه عز وجل ، وقيام الليل ، وحضور الجمعة والجماعات ، وذكر الجهر مع مواطات القلب واللسان ، والنوم على الوضوء ، والاذكار السابقة ، وعفو الظالم اذا ظلمه ، وصلة القاطع اذا حرمه ، والاعراض عن الجاهل اذا جهل عليه، فاذا قابل المريد من جهل عليه بمثل كلامه انحط عن درجة الطريق ، وهكذا فى جميع أبواب العزايم ، فمن تمت فيه هذه العزايم كملت طريقته ، ومن لا فلا ، ولكن من انتسب الى أهل الطريق لا يحرم من بركاتهم ، ولو كان ناقصا .

واعلم يا أخى سيد احمد : أن الله تعالى قد جعلك عالما وخليفة فى هذه الطريقة فاشكر ربك دائما ، واستغفره على المخالفات ، واياك اياك من ذكر الخلق الا بخير ، من كانوا وحيث كانوا ، فقد جاء فى الخبر « يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الايمان » أى الكامل المتكفل (الذى) يجعل صاحبه آمنا من كل عقوبة « فى قلبه لا تغتابوا المسلمين » (٣) فثبت أن الغيبة وما شاكلها من أذيات المسلمين تخالف الايمان الكامل ، وقد قلت ذلك مع أنى

---

٢ — فى الاصل (من لم يحسبه قواطع) .
٣ — رواه أبو داود ، كتاب الادب ، باب الغيبة : رقم الحديث (٤٨٨٠) .

متلبس به ، لكن استغفر الله وأرجو أن يكفينى ويحمينى من موبقات نفسى.
وياأخى : قلت ذلك كى تأمر المريدين وتؤكد عليهم ذلك الامر ، فانه أكثر شىء فى الخواص والعوام فى زماننا .

ويا أخى سيد احمد : احفظ هذا الكلام واصغ اليه ، ان الله تعالى قد قدر على بأن جعلنى تحت عهد الشيخ محمود — أكرمه الله تعالى — فلا يسعنى الا أن أعظمه ، وأحترمه ، وأوقره ، وأن لا أخالفه على حسب طاقتى ، والا كنت ناقض عهده ، ونقض العهد خطر عظيم ، فلا يمكننى الا الموافقة ، وحفظ الادب فى حقه الى الممات ، وهكذا جميع التابعين لمتبوعهم ، وأنت كذلك بالنسبة الى ، ولو لم أكن من أهل الولاية .

وياأخى سيد احمد : لله درك قد رأيتك حافظ العهد فى حق الشيخ عبد الوهاب، فطوبى لى لو كنت كذلك ، لكنك أصبت ، واننى أخطأت ، لكن تبت ورجعت الى حفظ عهده ما استطعت .

وياأخى : اعلم أن أمرك قد آل الى الطريقة القادرية فى خلافتك عنى(٤)، فلا يسعك الا القيام بحقوقى ، كما لا يسعنى الا القيام بحقوق الشيخ محمود، فكن على حفظ العهد والحرمه بالقلب عاضا بالنواجذ، تفز بالسعادة الاسنى، وكل مريد يحفظ حرمة شيخه يجعله الله شيخا ، حتى يحفظ المريدون حرمته ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ والجزاء من جنس العمل .

---

٤ — الظاهر أن السيد احمد هذا ، كان مريدا للشيخ نور الدين عندما كان الشيخ مريدا للشيخ عبد الوهاب ، لذلك قال له الشيخ نور الدين: ان أمرك قد آل الى الطريقة القادرية .

ومن خلال هذه الرسالة يظهر لنا أن السيد احمد هذا كان رجلا فاضلا مستقيما صامدا ، لكننا للاسف لم نعثر له على ترجمة

لكننى أعتقد أنه من شيوخ الشوش حيث أن الشيخ يذكر فى خاتمة رسالة (١٩) التى بعثها الى السيد أحمد أيضا سلاما لبعض المشايخ لتشابه أسماؤهم مع أسماء شيوخ شوش ، والله أعلم .

ويا أخى انى أنصحك نصيحة احفظها وأمر بها المريدين : يا أخى لا تقل فى حق رجل اذا غاب عنك : الا ما تقول فى حال حضوره ، فقد رأيت الناس **اذا حضرهم المرء : يقولون ما يسره ، واذا غاب وقعوا فيه ، وهل هـــذا** الا عين النفاق ؟

والحمد لله الذى ألهمنا الصواب ونسأله أن يسهل علينا العمل به،ويتوفى خاتمة آجالنا وآجالكم عليه ويحشرنا واياكم فى زمرة سادتنا واخواننا فى هذه الطريقة من الاولياء ، والحمد لله رب العالمين . ×

× فى ملجم الاكباد

تلخيص الحكم

بســـم الله الرحمن الرحــيم

الحمد لله رب العالمن والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فان هذه الرسالة المسماة ــ « تلخيص الحكم » نظم ملخص ومستقاة من شروح كثيرة على كتاب « الحـــكم » لابن عطاء الله الاسكندرانى ــ رضى الله عنه ــ وكتاب الحكم غنى عن التعريف لشهرته ولمـــا يحتوى من المعلومات القيمة والأسلوب البارع البديع ، فهو مجموعة من الحكم صفيت من ناحية النعبير والأسلوب ، فكانت مثالا عاليا للأدب الرفيع ، وصفيت من حيث الفكرة ، فكانت مثلا رائعا للفكر الصوفى . ونظرا لأهمية الكتاب فقد أغرم بالحـــكم كثيرون ، أغرموا بها تدريسا وأغرموا بها شرحا فقد شرحها الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفرى الرندى المعروف بابن عبـــاد المتوفى سنة ٧٩٥ هـ أو ٧٩٢ هـ وشرحها الشيخ أبو القاسم الرماح ، وكذلك شرحها الشيخ أبو المواهب المعروف بابن زغدان التونسى ، وشرحها ابن الصابونى الشامى ، وشرحها الشيخ ابراهيم الاقصرانى سنة ٩٠٣ وســـماه أحكام الحكم ، وشرحها الشيخ عبد الرؤوف المناوى وسماه الدرر الجوهرية ، وشرحها الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد الفاسى المعروف بزروق حوالى ثلاثين مرة وطبع من شروحه الشرح السادس عشر والسابع عشر ، كما شرحها الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة وسماه ايقاظ الهمم ، وشرحها الشيخ عبد الله بن حجازى الخلوتى الشرقاوى ، وكذلك الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى ، وكذلك الشيخ محمد بن مصطفى بن أبى العلا ، وغيرهم كثر .

كما أشاد بعظمة وأهمية الحكم كثير من العلماء ، فقد نقل الشـــيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا عن العلامة محمد عبده قوله : « كاد الحـــكم يكون قرآنا » (١) .

---

(١) انظر مقدمة لطائف المنن ص ٢٣ .

وفى سنة ١٢٣٩ هـ أعجب بالحكم الشيخ نور الدين البريفكانى ، فقام بنظم الحكم باسلوب بديع ورصين ، واضاف الى كتاب الحكم كثيرا مما ورد فى الشروح ، وقد اضاف بعض التوضيحات من عنده ، أو يقال : انه شرح الحكم العطائية نظما وهو يقول :

مرادنا بنظمها نيسير	من الكلام ما هو العسير
وربما ضممت للتتميم	تبيان شارح لها عليم
أحمد بن محمد بن عيسى	من فارس مغرب بها رئيسا

فقد جاء نظم الشيخ نور الدين قويا فى اسلوبه بديعا فى صياغته شاملا لمعانى ما يحتوى معظم الشروح وافيا بمراد صاحب الحكم ، وهذا ليس بعيدا عن قلم الشيخ نور الدين الشاعر الموهوب ، والعلامة الملهم والولى المكاشف ، والعارف الذى يعرف كيف يعبر عن دقائق الأمور وما يختلج فى الصدور ، ويعرف كيف يسيطر على المشاعر ، وكيف يصرف الألباب .

* ● *

نسخ الكتاب وتاريخ تاليفه :

وجدت مخطوطة هذا الكتاب عند الأستاذ الملا محمد أمين فى الموصل ، وكانت المخطوطة مكتوبة بخط جيد ويظهر ان المؤلف فرغ من تأليفه يوم الاثنين غرة ذى الحجة سنة ١٢٣٩ هـ حيث يقول الشيخ فى أواخر الكتاب :

فاغفر لنور الدين ذا الأيتوتى	ووالديه باسمك اللاهوت
من بعد الف وثلاثين أتت	ومائتين ثم تسع قد مضت
الف، ذا الكتاب يوم اثنين	غرة ذى الحجة نور العين

اما تاريخ نسخ المخطوطه فان الناسخ لم يذكر تاريخ نسخه الكتاب ، وانما اكتفى بعد ذكر قول المؤلف فى نهاية الكتاب وهو هذا البيت :

والحمد لله هو اختتام	وههنا قد ختم الكلام

اكتفى بنظم هذين البيتين :

رب بـذا التاليف والمكتـوب فاغفر لهذا الكاتب المعيـوب
كاتبـه الهجـرى للأحبـاب بحر الذنوب خادم الطـلاب

* ● *

عملنا فى هذا الكتاب :

بما أن النسخة التى حصلنا عليها هى النسخة الوحيدة للكتاب — وان كانت نسخة جيدة ونظيفة — احتجنا أن نراجع كتاب الحكم وعددا من الشروح ، فقد راجعنا ايقاظ الهمم للشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة ، وشرح الشيخ محمد مصطفى أبى العلا ، والشرح السادس عشر والسابع عشر للشيخ احمد زروق وشرح الشيخ محمد بن ابراهيم النفرى ، وعدة شروح أخرى للتأكد من سلامة المنظومة من الأخطاء ، كما كتبنا أصل الحكم فى المكان المناسب من النظم ، وبذلنا ما فى وسعنا فى سبيل تحقيق المنظومة وتدقيقها ، وكتبنا ملاحظاتنا حول بعض الأماكن من الكتاب ، وترجمنا للاعلام الواردة فيها ، وكذلك بينا مواضع الآيات والأحاديث الواردة فيها ، وقد وجدنا فى بعض الأماكن كلمات صعب علينا فهمها وانسجام معناها مع المعنى العام للموضوع فاضطررنا الى ابدالها بكلمات من عندنا منسجمة مع المعنى العام بعد مراجعة عدة شروح للحكم ، لكننا احتفظنا بالكلمة الواردة فى الأصل فى الهامش وأشرنا الى أن فى الأصل كانت هذه الكلمة موجودة أمانة للعلم ، ورجاء أن يأتى الذى من بعدنا يجد لها مخرجـا .

نرجو الله أن يقبل منا ما قدمنا عليه من عمل بقبول حسن ، ويلهمنـا الصواب فى أمورنا ، والاخلاص فى عملنا ، وهو على ما يشاء قدير .

* ● *

ترجمة مؤلف الحكم الشيخ ابن عطاء الله الاسكندرانى .

هو الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله ، تاج الدين ، ابو الفضل ، وأبو العباس الجذامى الاسكندرانى ، الامام المتكلم ، الشاذلى .

كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير ، وحديث ، ونحو ، وأصول ، وفقه ، وغير ذلك ، وله عدة تآلف مهمة ومفيدة منها :

١ — التنوير فى اسقاط التدبير — وهو مطبوع .
٢ — لطائف المنن — وهو مطبوع أيضا .
٣ — تاج العروس .
٤ — مفتاح الفلاح — طبع بمطبعة دار السعادة سنة ١٣٣٢ هـ .
٥ — القول المجرد فى الاسم المفرد .
٦ — الحكم العطائية ، وهى أصل هذا الكتاب ، وفيه نجد نص كتاب الحكم موزعة حسب ترتيب النظم .

وكان أعجوبة زمانه فى كلام التصوف ، وله نظم جيد فى الوعظ ، وكان — رحمه الله — متكلما على طريقة أهل التصوف ، وواعظا انتفع به خلق كثير ، وسلكوا طريقه .

وكان شاذلى الطريقة ، حيث أخذ الطريقة عن الشيخ أبى العباس المرسى — رحمه الله — وهو أخذ عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى .

وابن عطاء الله يذكر قصة أخذه الطريقة من الشيخ أبى العباس المرسى فى كتابه لطائف المنن ص ١٩٤ — يقول : كنت لأمره (أى لأمر الشيخ أبى العباس) من المنكرين ، وعليه من المعترضين ، لا لشىء سمعته منه ، ولا لشىء صح نقله عنه ، ولكن جرت المخاصمة بينى وبين أصحابه ، ثم قلت فى نفسى : دعنى أذهب انظر هذا الرجل ، فصاحب الحق له آمارات ، لا يخفى شأنه ، فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم فى الأنفاس ، ومسألة درجات السالكين الى الله ، ومدى معرفتهم به ، وقربهم منه ، فقال :

الأول اسـلام : وهو درجة الانقياد والطاعة والقيام بمراسم الشريعة .

وثانيها الايمان : وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية .

وثالثها الاحسان : وهو مقام شهود الحق تعالى فى القلب .

وان شئت قلت : الأول عبادة ، والثانى عبودية ، والثالث عبودة .

وان شئت قلت : الأول شريعة ، والثانى حقيقة ، والثالث تحقق .

فمازال يقول : وان شئت قلت ، وان شئت قلت ، الى أن بهر عقلى ، وسلب لبى ، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر الهى ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى ثم أتيت تلك الليلة الى المنزل فلم أجد فى شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى ، ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو ، فانفردت فى مكان أنظر الى السماء وكواكبها ، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته ، فلمس قلبى أشياء لم أعرفها من قبل ، فحملنى ذلك على العودة اليه مرة أخرى ، فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما ، وتلقانى ببشاشة واقبال ، حتى دهشت خجلا ، واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له : أيا سيدى أنا والله أحبك ، فقال : أحبك الله كما أحببتنى ، ثم شكوت له ما أجده من هموم وأحزان ، فقال : أحوال العبد أربع لا خامسة لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، فان كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشـكر ، وان كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار ، فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوبا نزعته ، ثم سألنى بعد ذلك بمدة ، كيف حالك ؟ فقلت : أفتش عن الهم فما أجده ، فقال :

ليـلى بوجهـك مقمـر	وظلامـه فى الناس سـارى
والناس فى سـدف الظـلا	م ونحن فى ضـوء النهـار

الزم ، فو الله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين ، يريد : مذهب اهل الشريعة أهل العلم الظاهر ، ومذهب اهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

توفى ابن عطاء الله ــ رحمه الله ــ بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ ، ودفن بالقرافة ، وقبره مشهور ، يزار (١) .

وقال الشيخ نور الدين فى تعريف ابن عطاء الله فى نهاية الكتاب :

حكيم حكم وترجمان ... أعجوبة أتى بها الزمان
امام دهره الهمام العارف ... محقق العصر له مصارف
قاوب كل عارف وسالك ... تدوة كل سالك وناسك
ذلك تاج الدين والاسلام ... أحمد بن محمد الهمام
عبد الكريم جده وبعده ... عبد الرحمن صار بعد جده
وبعده قد كان عبد الله ... هو ابن أحمد من الأشباه
هو ابن عيسى بن الحسين بن عطا ... ء الله قسطاس الطريق مقسطا
هو الجذامى نسبا ومالكى ... بمذهب أسكندرى مسلكى
اى سكن ومات فى القاهرة ... فى سبعمائة ونسع سنة
جمادى الآخر زاد فضلا ... من ربه سبحانه وجل
وشيخه قطب الامام المرسى ... ذاك أبو العباس يا ملتمسى
وشيخه هو الامام الشاذلى ... أبو الحسن ذو الطريق الأكمل
حفهم الرحمن بالاجلال ... أجلهم برحمة الافضال

محمد أحمد مصطفى الكزنى

---

(١) انظر : الديباج المذهب ٢٤٢/١ ، والدرر الكامنة ٢٧٣/١ ، وشذرات الذهب ١٩/٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٨٠/٨ ، وكشف الظنون ٦٧٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه إجمعين .

أما بعد : فهذه أرجوزة وضعتها على « حكم » الامام المحقق العارف بالله تعالى شيخ المشايخ ، وصدر المجالس ، وبحر المعارف ، امام الصديقين ، وقدوة العارفين ، وبرهان المحققين : احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله : الجزامى نسبا ، المالكى مذهبا ، الاسكندرانى دارا ، القاهرى قرارا — قدس سره — .

فقد اردت ان انظمها بعون الله سبحانه وتعالى بعبارة يسيرة الحفظ ، سهلة الفهم ، جامعة لمراده ، رجاء ان تعود على بركته فى الدارين ، وسميته « تلخيص الحكم » وعلى الله سبحانه الاعتماد ، واليه التفويض والاسناد ، اقول :

لا حولَّ إلاّ بالإلَـهِ السَرْمَدِي ... فباسم(١) اللهِ المجيدِ أبتدى

سبحانه مِنْ ماجدٍ منّانِ ... ذى الجُودِ والإكرامِ والإحْسانِ

أحْمَدُهُ حمداً يُوافِي نِعَمَهُ ... أشْكُرُه شكراً يُكافى كرمه

أسألُه العصمةَ فى الدارين ... والفَوْزَ بالرؤْية رأى العَيْنِ

هو المرادُ والمريدُ والحكم ... هو الذى أتْقَنَ تأليفَ الحكم

لا يجدُ العبدُ الضعيفُ غيرَهُ ... مِن فضلهِ المسكينُ يرجو خيرَهُ

يا مَنْ تجلّى باسمه اللاهُوتِ ... أظْهَرَهُ فى برزخ الناسوت

فلا إلَهَ فى الوَرَى إلاّ هو ... وكلُّهم فى كُنْهِهِ قد تاهوا

---

١ — فى الأصل « فباسمه الله » .

أسألـه مِنْ فاقـةِ العبُودَة ... آلاؤُهُ فى فاقتى موْجودَة

جميلُ وصفـهِ لوصفى جابِرُ ... باطفهِ الواسـعِ وهو القاهرُ

إن لم يكن منّى له فمنْه لى ... هـذا الذى هوّنَ منّى وَجَلى

ثم الصلاة والسلام أبـداً ... على الذى سمّيته محمـداً

أرسلتَهُ من أكرم الأصـلابِ ... أيّدتَه بمُعْجزِ الكتابِ

جعلتَه البرزخ بينَ العلما ... وقبلةً فى أهـل أرضٍ وسما

وهو من الأعيانِ عينُ العينِ ... زيتونةُ المصباحِ فى الكوْنيينِ

أدْنَيْتَهُ بالذاتِ من ذاتِكَ لا ... كقابَ قوْسَيْنِ (١) غدا متّصلا

وبلّغِ الشيخين من رضوان ... والحسَنَيْنِ باهر الإحسان

أعْظِمْ بهم أصحابَ نورٍ وصفا ... أوْلئك السادةُ نعمَ الخلفا

ومَنْ قفا أوْلئك الموالى ... فحفّهم بالفضـل والإجْلالِ

من أهلِ بيتِ المصطفى الأمجادِ ... وسائرِ الصحابةِ الأسيادِ

وأُلطفْ بمن قفاهمُ من تابعِ ... وأحشُرْ بهم عبدَك ذا ياسامع

* ● *

---

١ — وهو اقتباس من قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى) ٩ النجم .

البـــاب الأول

١ ـــ من علامة الاعتماد على العملَ نقصان الرجاء عند وجود الزلل :

أشـــارَ سيّدى الإمامُ الأوحدُ تاجُ الكرامِ العارفينَ أحمدُ(١)

فى قوله المرشـــدِ للاخلاص : عـــلامةُ الوَلاَءِ وإختصاص :

أن لا يَرَى عبـــدٌ له أعمـــالاً ولا مَقَـــاماتٍ ولا أحْـــوالاً

عـــلامـــةُ إعتمـــادِهِ على العمـــل

نقصانُ ما يرجو ، لِوُجِـــدانِ الزَلَلْ

فَلْيَشْهَدْ الخالِقَ للأفعـــالِ يَنْجُ من الإشراكِ والوَبالِ

مستسلمـــاً لقهرهِ مُفَوِّضـــاً ولا يَزُغْ من أمرهِ عندَ القَضَا

فالحـــولُ والقـــوّةُ للقهّـــارِ إنّ التـــبرّى عَلَمُ الأخيـــار

وإشْهَدْ أخِى مِنَّتَهُ فيما مَنَحْ ولتَكُ مَنْ مالَ إليه وجَنَحْ

وإرضِ بما يصنعُ مولاكَ ، ولا تَسْخَطْ إذ النازلُ يوماً نزلاً

ليسَ بمحتاجٍ إلى حُسْنِ العمل عند السماحِ لا يُبَالِى بالزلل

أو شـــاءَ للعبـــدِ عقوباتٍ ، فَمَنْ(٢)

يَصُـــدُّه ، وليس يَرْضَى بالثَمَنْ

هو الغنىُّ عن وجودِ العِللِ فـــكيف يحتـــاجُ إلى المعلل

---

١ ـــ سبقت ترجمته .

٢ ـــ هذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا الا أن يتغمدنى الله برحمته » .

لم تَكُ عاملا بشئ وغدا
قضاؤه المحتوم قبل موجدا(١)

---

١ — هذا دليل عقلى لم أجده فى شروح الحكم استدل به الشيخ نور الدين على أن دخول الجنة ليس لأجل استحقاق الانسان لها بالعمل الصالح ودليله يتلخص فيما يأتى : ان الله خلق الانسان ولم يكن قد عمل عملا صالحا يستحق به خلقه فكذلك يدخله الجنة دون استحقاقه لها بالعمل الصالح .

والمقصود بهذه الحكمة — والله أعلم — ان لا يغتر من كثرت أعماله الصالحة لأن أعماله قد لا تكون مقبولة عند الله ، ولا ييأس من قلت أعماله الصالحة ، لأن الله يغفر لمن يشاء ويعطى جنته لمن يشاء انه لا يسأل عما يفعل .

٢ — ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الأسباب ، من الشهوة الخفية وارادتك الأسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية :

وقال شيخى كاملُ الأنوارِ　　يدعوك للجنّة خيرَ الدارِ :
إذا أقامكَ الالـهُ فإمتثلْ　　واصبر على مَرْضيّه ولا تَمِلْ
فَرُبّما صفتْ لك الأسبابُ　　واستوفيتْ فى نورها الآدابُ
فههنا إعْلَمْ أنّه أرادكَ　　وشاءَ فى إستيفائها إسْعادَكَ
علامةُ إستقامةِ الأسبابِ　　كونُكَ مدعوًّا(١) لفتح الباب
وأن يرَى العبدُ صفاءَ العملِ　　عن كل ما مآله للخطلِ
وأن يرى التوبةَ فى المعاصى　　إنْ لم يكنْ بدٌّ مِن الخلاص
وأن يرى(٢) اللهَ لدى أفعالهِ　　مَعَ الرضا باللهِ فى أحوالهِ
لا أن يرى الراحة من شقّتها　　وراحة الدنيا بلا كدرتها
فلا صفاءَ لأمرئٍ من شغَبِ　　ولا خلاصَ لأمرئ من عَطَبِ
ولا زوالَ من وجودِ الغَصَصَ　　وليس فى الدنيا سوى مُنْغَّرصِ
وحيثما صفا لك التجريدُ(٣)　　مستغرقاً لقلبك التوحيدُ

---

١ — فى الأصل « كونك مدعو » .

٢ — اشارة الى قول الرسول (ص) : « الاحسان أن نعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخارى .

٣ — التجريد فى اللغة : هو الازلة ، تقول جردت الثوب اى أزلته عنى ، وتجرد فلان : أى أزال ثوبه ، وجردت الجلد أى أزلت شعره . وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجرد الظاهر فقط ، أو الباطن فقط ، أو هما معا . فتجريد الظاهر : هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله ، وتجريد الباطن : هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله ، ونجريدهما : هو افراد القلب والقالب لله ، والتجريد الكامل فى الظاهر : هو ترك الأسباب العادية ، وفى الباطن : هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليه بكل وصف كريم ، والتجريد هو التوكل على الله سبحانه وتعالى .

=

. . . .

=

والتوكل على الله تعالى : هو الثقة به ، والاعتماد عليه ، والاعتقاد أن الأمر منه واليه ، وهذا أمر لابد أن يتمسك به المسلم فى حياته ، قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) [الممتحنة ٤] وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره) [الطلاق ٢] ومباشرة الأسباب بالاختيار والسعى لكسب الرزق مع التوكل على الله هو رأى جمهور المسلمين ، وهو ما وجه اليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قال له : أعقل ناقتى وأتوكل أم أدعها وأتوكل ؟ قال : « اعقلها وتوكل » رواه أبو نعيم فى الحلية .

لكن هل الأفضل التجريد والتوكل أم مباشرة الأسباب ؟ .

رجح جمهور المسلمين مباشره الأسباب لما فيه من كف النفس عن التطلع لما فى أيدى الناس ، وعن الخضوع لهم مع حيازة منصب التوسيع على عباد الله ، ، وصلة الأرحام ، ومساعدة الفقراء ، ومعاونة المحتاجين .

ورجح قوم التوكل مع قطع النظر عن الأسباب والتجرد عنها ، مع التمكن منها ، لما فيه من ترك ما يشغل عن الله تعالى ، والاتصاف بالرغبة الى الله تعالى مع حيازة السلامة ، من فتنة المال ، والمحاسبة عليه ، قال سليمان الخواص — رضى الله عنه — : لو أن رجلا توكل على الله — بصدق النية — لاحتاج اليه الأمراء ومن دونهم ، وكيف يحتاج هو الى أحد ومولاه هو الغنى الحميد ؟ الشرح المسمى من عطاء الله ص ٦٥ .

لكن الراجح هو القول بالتفصيل كما يفهم من كتب القوم كالاحياء للامام الغزالى وكالرسالة للامام القشيرى .

وحاصل التفصيل أنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس ، فمن يصبر عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد ، ولم تتعلق به نفقة لازمة ، أو تعلقت ورضى المنفق عليه بحاله ، وكان مثله فى عدم التسخط ، فالتوكل مع ترك الأسباب أرجح فى حقه ، لما فيه من التفرغ لمعاملة الحق ، وترك معاملة الخلق ، ومجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها ، وقد قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق ٣] .

=

واستقرّتْ من وقتك الأسبابُ وهي التي مآلُها العذابَ
وتركْتَكَ بعدما توجهتْ وأدّيَتْ فرائضُ وما وَهَتْ
فاعلم بأنّ الله قد أرادَهُ منك فلا تُضيعْ له مُرادَهُ
فاخرُجْ من الأسبابِ إذ لا حَرَجُ فاللُبْثُ منها بعد هذا عَوَجُ
علامة إستقامة التَجْريدِ حصولُ ما أوجبَ من توحيدِ
وأن تقومَ فيه بالحقوقِ والشغلِ بالله عن المخلوقِ
فمن دَعاهُ اللهُ للتجريدِ فلْيَتْرُكْ الأسبابَ مع تفريدِ
لقلبه مع كاملِ التَشْمير من غير فترةٍ ولا تقصيرِ
وليس هذا شهوةٌ خفيّةٌ ولا إنحطاطُ الهمّةِ العليّةِ

=

ومن لم تكن حاله كذلك الصابر عند ضيق معيشته ، فالاكتساب في حقه ارجح ، حذراً من التسخط وعدم الصبر ، بل ربما وجب الاكتساب في حقه اهتداء بقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « أعقلها وتوكل » .

واعمالا للآيات والأحاديث التي تأمر بالكسب وتحث على العمل مثل قوله تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) [الملك ١٥] .

قال ابن عجيبة في كتابه ايقاظ الهمم ص ١٨ : اعلم أن المتسبب والمتجرد عاملان لله ، اذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه الى الله تعالى ، حتى قال بعضهم : مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما : اعمل وكل ، وقال للآخر : الزم أنت حضرتي وأنا أقوم لك بقسمتي ، ولكن صدق التوجيه في المتجرد أقوى لقلة عوائقه كما هو المعلوم .

٣ — سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار :

٤ — أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك :

النـاسُ أقسامٌ ثلاثٌ فيهـا : أوّلهُمُ مُقَصِّرٌ مُرْدِيهـا
فالهِمَمُ القـواصِرُ اللّـواتى : تأبى من العزمِ سوى النيّاتِ
تعزمُ للفعـلِ ولا تَفْعَلُـهُ وليس يأتى عازماً مأملُـهُ
من إنفعالِ المُنْبِيَةِ المَرُومةِ فهى التى فى عَزْمِها مَحْرُومَة
ثمّ تليهـا متوسطـاتُ وهى لمـا تعزم فاعـلاتُ
لـكنّها لاتَصِـلْ إنفعـالاً وإن تجـد فى حَزْمِها إكمالاً
ثمّ تليهـا الهِمَمُ السوابقُ(١) وهى التى آمـالها طوابقُ

---

١ — الهمم السوابق : الهمم جمع همة ، والهمة : قوة انبعاث القلب فى طلب الشىء والاهتمام به ، فان كان ذلك الشىء رفيعا لمعرفة الله وطلب رضاه سميت همة عالية ، وان كان أمرا خسيسا كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة دنية .

السوابق جمع سابقة : وهى المتقدمة .

والهمم السوابق أربعة أقسام :

١ — همة العاين لخبث عينه أو لخاصية جعلها الله فيها بحيث اذا نظر لشىء انفعل ذلك باذن الله كما قال صلى الله عليه وسلم : « العين حق » رواه البخارى .

٢ — همة الساحر لخبثه أو لخاصية جعلها الله فى السحر بحيث اذا توجه الى الشىء انفعل ذلك الشىء باذن الله .

٣ — همة الرياضى وهو ما يأتى به من الأفعال العجيبة بسبب ما تحمله من مشاق الرياضة .

٤ — وهمة الولى العارف بالله : وهى الكرامة ، تظهر عن تحققه فى يقينه وقوة ايمانه .

=

أقسامُها أربعــة : فَعَــائِنُ وَكَــمْ خبائثٌ له كَــمَائِنُ
وســاحرُ مؤثِّرٌ فى نَفْسِــه وعقدةُ تأثيره من خُبْثِه
ومتريِّضُ لتجريد القُوى يفعلُ فى تجريدها حيثُ نوى
وذو ولايــةِ بأمــرِ اللهِ وفعلــه فى نَفْسِه كما هى
وكلّ هــذا بقضــاءِ اللهِ فــلا تكنْ فى ريبةِ إشتباهِ
فإذ علمت أنّــه لا يقلب وأنّــه لكلِّها مُسَبِّبُ

* ● *

فــكن مريــحَ النفسِ عن تدبــيرِ (٢)
مُفَــوِّضَ الأمــورِ للتقــديرِ

=

لكننا لابد أن نعرف أن شيئا من الهمم لا تؤثر فى قضاء الله وقدره ، فهذه الأمور لا تأثير لها فى ذاتها أصلا ، لكنها ان وافقت قضاء الله انفعل الشىء عندها وان خالفت قضاء الله فلا تؤثر شيئا حيث قال تعالى فى حق الساحر (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) [البقرة ١٠٢] ، وقال تعالى : (انا كل شىء خلقناه بقدر) [القمر ٤٩] ، وقال تعالى : (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) [الانسان ٣٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » رواه مسلم .

قال ابن عجيبة : اذا اهتم العارف أو المريد بشىء وقويت همته بذلك ، فان الله نعالى يكون ذلك بقدرته فى ساعة واحدة حتى يكون أمره بأمر الله . . ومع ذلك لا ينفعل بذلك ولا يتكون الا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه ، فهمة العارف تتوجه للشىء ، فان وجدت القضاء سبق به كان ذلك باذن الله ، وان وجدت سور القدر مضروبا عليه لا تخرقه ، بل تتأدب معه وترجع لوصفها وهى العبودية . ايقاظ الهمم ص ١٩ .

٢ — التدبير فى اللغة : هو النظر فى الأمور وأواخرها ، وفى الاصطلاح : هو كما قا لالشيخ زروق — رضى الله عنه — تقدير شؤون بكون عليها فى المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض ، فان كان مع تفويض وهو أخروى فنية خير ، أو طبيعى فشهوة ، أو دنيوى فأمنية .

=

فما أقامَ فيــه مولاكَ فــلا | تقم به إذ لاترى مُحَصِّلاَ
تدبــيرنا يَعْقُبُــهُ تــكالّفُ | وقــد يكونُ بعــده تخلّفُ
فإن يــكن فيــه من المَدَبّرِ | مشيئــةٌ لا خُلْفَ للْمدبّرِ
أو لم يشــأ فــلا يكونُ أبداً | وإن يكنْ كلٌّ الورى مؤيّدا
تفــوّضُ الأمــورَ بالتوكلّ | لخــالقِ الأمورِ والموصِــلِ
وقُمْ على الصالحِ من أعمــالِ | بئس إمرءاً تراهُ ذا إهمَالِ
فمن أطــاعَ اللهَ بالإقبــالِ | أتَتْهُ دنيــاهُ من الحــلاَلِ
لــكنّما العُقبى بــلا أعمــالِ | تَسَلُّمُ الانسانِ للنَــكَالِ

* ● *

=

فبناء على هذا يكون التدبير على ثلاثة أقسام : قسم مذموم ، وقسم مطلوب ، وقسم مباح ، فأما القسم المذموم ـ وهو المراد هنا : فهو الذى يصحبه الجزم والتصميم سواء كان دينيا أو دنيويا لمــا فيه من قلة الأدب وما يتعجله لنفسه من التعب ، اذا ما قام به الحى القيوم عنك لا تقوم به أنت عن نفسك ، قال الشيخ حسن الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ لا تختر من أمرك شيئا ، واختر أن لا تختار ، قال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) [القصص ٦٨] وهو التدبير المنافى للعبودية بأن تقول : لولا فعلت كذا ما كان كذا ، ولو انى فعلت كذا كان كذا ، فان الله دبر الأشياء فى سابق علمه فقدر روى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وان أصابك شىء ، فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء الله فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » مسلم .

فبعد وقوع القدر المكروه للنفس ، لا سبيل الا التسليم والاعتراف به للمقــدر وهو الله .

اما القسم المطلوب : فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات ، وما ندبت
=

. . . .

=

اليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر الى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة ، وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة » . وهو مقتضى قول الشيخ :

لكنمـا العقبى بـلا أعمـال ... سـلم الانسـان للنـكال

أما القسم المباح : فهو التدبير فى أمر دنيوى أو طبيعى مع التفويض للمشيئة والنظر لمـا ببرز من القدرة ، غير معول على شىء من ذلك ، وعليه يحمل قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « التدبير نصف العيش » ، وقوله — صلى الله عليه وسلم — : « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلـق » .

وهذا النوع من التدبير والتفكير يجب اذا كان الأمر يتعلق باختراع شىء ينفع الانسانية ، أو التخطيط لمصلحة أمة محتاجة الى التقدم والرقى ، وابتكار أسباب السعادة ، وتأليف الكتب النافعة ، مما يؤدى الى تغيير مسار الحياة الى أحسن ، فقد قال تعالى (ان الله لا يغيير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

٥ — اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك :

القلبُ يخفى عن شهودِ البَصَرِ	وليس يخفى للفتى عن أثَرِ
بصيرةُ الكاملِ فى الأنوارِ (١)	تدعو إلى التَكَلانِ للجبّارِ
سَريرَةُ الناقصِ عن ظلمتِهِ	تدعوه أن يجهد فى شِقْوَتِهِ
ويكسبُ الدنيا نَسِيِّى الآخرة	بِئس إمرءاً يتبعُ داراً خاسِراً
لذّاتُها سريعةُ الفسادِ	أبناؤها فى وَهْدَةِ الإبعادِ
فحيثما أقبلتْ الدنيا فقط	طَغَيْتَ والشاهدُ بالحقِّ شَهِدْ
قد ضَمِنَ اللهُ لنا دنيانا	وطالبَ المَسْعى لما عَقْبَانا
علامةُ الجاهدِ فى المَضْمُونِ	لغائب تلهّفُ المحزون

---

١ — البصيرة : ناظر القلب ، كما أن البصر ناظر القالب ، فالبصيرة لا ترى الا المعانى ، كما ان البصر لا يرى الا المحسوسات ، أو نقول : البصيرة لا ترى الا اللطيف ، والبصر لا يرى الا الكثيف ، فاذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله فى الظاهر لخدمته ، وفى الباطن بمحبته ، فكلما عظمت المحبة فى الباطن والخدمة فى الظاهر قوى نور البصيرة ، واذا أراد الله خذلان عبده أشغله فى الظاهر بخدمة الأكوان وفى الباطن بمحبتها فلايزال كذلك حتى يطمس نور بصيرته ، فلا يرى الا الحس ولا يخدم الا الحس ، فيجتهد فى طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ، حيث قال تعالى : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها) [العنكبوت ٦٠] ، قال تعالى : (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات ٥٨] .

والمراد بذلك : ترك الاهتمام بالدنيا الذى يبعث على اهمال الطاعة والعبادة والمرؤة ، وارتكاب المحظور فى سبيل جمع المال ، والا فان العمل والسعى لطلب الرزق الحلال بأساليب شريفة ومن غير تقصير فى حقوق الله وحقوق الأقرباء وحقوق الفقراء يعتبر من الطاعات والانسان يثاب على جمع المال وانفاقه فى الحلال ، يؤجر على العمل الحلال بل هو أفضل من النوافل بالنسبة لبعض الناس استنادا الى عموم الآيات والأحاديث التى تحث على العمل وكسب الرزق مثل قوله تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) [المزمل ٢٠] .

وتركُ تقوى اللهِ فى التحصيلِ　　　وغفلةٌ عن واجب التعديل
ومن علامةِ الذى لا يَجْهَدُ　　　لذلك المضمونِ بل يَعْتَمِدُ
على الوكيل طلبٌ مع الرضا　　　بما أرادَ اللهُ من مُرِّ القضا
وكاملُ التقوى بحالِ الطالبِ
والأخذُ بالأسبابِ(١) حفظُ الأدبِ
فكون دنيانا لنا مَنْعُوتُ　　　نهرٍ أتى فى قومِهِ طالوتُ(٢)
وليس ينجو طالبٌ من رَغَدِهِ　　　إلا الذى يشربُ غَرْفاً بيدِهِ
مستغرقٌ فى أملِ دنياه　　　آلَ به الطَمْسُ إلى عَمَاهُ

* ● *

١ — وفى تعليق على النسخة (فى الأسباب) بدل (بالأسباب) .

٢ — اشارة الى قوله تعالى : (فلما فصل طالوت بالجنود قال : ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم) [سورة البقرة ٢٤٩] ، فقد شبه الدنيا بنهر طالوت لا ينجو منها الا من لم يشرب منها أو اغترف غرفة بيده ، لا من شرب على قدر عطشه فانه يهلك .

٦ — لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختاره لنفسك ، وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد :

الله ضامنٌ لنا إجابة ‏ ‏ ‏ مهما طرقنا فى الدعاء بابه

إذا دعوناه مع الإلحاح ‏ ‏ ‏ يجيب فى الأحاديث الصحاح

واليأس عنده علامة الردا ‏ ‏ ‏ إذا تأخر العطاء أمداً

ثلاثة مراتب الدعاتِ : ‏ ‏ ‏ مفوضٌ لله فى الفاقاتِ

عبودةٌ آثر بالتعلقِ ‏ ‏ ‏ بربه بأحسن التحققِ

يرضى به عند الوجود والعدم ‏ ‏ ‏ إذ كان ثابت اليقين والقدم

مراده من الدعا عبودة ‏ ‏ ‏ وأن يبثّ عنده معبودة

ورجلٌ بباب مولاه وقف

منتظراً نزول موهوب التحف

بالوعد واثقٌ وناظر الحكم ‏ ‏ ‏ يرجع للنفس برؤية الندم

وتارةً ييأس من تقصيره ‏ ‏ ‏ لواثق الوعد على تأخيره

وتارةً يرجو وإن جاء المنى ‏ ‏ ‏ يعظّم الشرع العظيم ههنا

ورجل يدعو الإله بالعلل ‏ ‏ ‏ وصحبته عندها كلّ الفضل

مراده من ربه نيل الغرض ‏ ‏ ‏ ويعبد الله لتحصيل العوض

فذاك ربّما يشكّ فى الوفا ‏ ‏ ‏ وقد نأى فى يأسه عن الصفا

فليعلم الإنسان مقصود الدعاء ‏ ‏ ‏ وهو إلى الله افتقارٌ بالتجا

فمن يكن عند العطا يفرّج ‏ ‏ ‏ فاعلم يقيناً أنه مستدرجُ

وقال شيخنا : إذا العبد دعا ‏ ‏ ‏ بشرطِ ما مرّ تحقق العطا(١)

---

١ — وفى الأصل (تحفف العطا) .

والحقُّ ضامنٌ لأن يجيب كان كما فى نَصِّه(١) قريباً
لكنّه يختارُ عَيْنَ المقصدِ من حيثُ علمُ عبدِه لا يهتدى
ومِثْلُهُ الزمانُ فاصطبِرْ لَهُ ولا تكنْ من جهلِه أعجَلَهُ
وانظرْ لما دعا بِهِ الكَلِيمُ ثم أخوهُ الأفصحُ العليمُ
وصحّ مدّعيهما يقيناً دعاؤُهُ قد كان أربعينَا
وفى الحديث : من دعا مَولاهُ إمّا يكونُ نائلاً مُناهُ
أو الثوابُ للمعادِ يُدّخَر
أو مثلُ مادعا لَهُ صرفُ الضَرَرْ(٢)
وحِكْمَةُ التأخيرِ فى الموعودِ وخيرَةُ المقصدِ للمعبودِ
عنايةُ اللهِ ورِفقٌ بالفتى لإنّه الجاهلُ فى عينِ العطا
فإنّه يعطيهِ ما أولى بِهِ حاشاهُ أن يَطْرُدَ من فى بابِه
وثانياً فذاك إبقاءُ لِما حققهُ اللهُ على كلّ الورى
وهو عُبُوديّتُنَا لَهُ فلو أنتُفِيَتْ عن العبادِ لعلو
وثالثاً بِه ظُهورُ الفاقةِ وقد قضى تَكْلِيفَنا إستحقاقة

●

١ — الظاهر انه اشارة آلى قوله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان) [البقرة ١٨٦] .
(وقال ربكم أدعونى أستجيب لكم) [غافر ٦٠] .

٢ — أخرج الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال : « ما من رجل يدعو الله بدعاء الا أستجيب له فاما أن يعجل له فى الدنيا ، واما أن يدخر له فى الآخره ، واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا . ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل » قالوا : يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : « يقول : دعوت ربى فما استجاب لى » رقم الحديث ٣٦٧٧ الترمذى كتاب الدعوات ٥/٢٤٠ .

وعن جابر ان رسول الله (ص) قال : « ما من احد يدعو بدعاء الا أتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من سوء مثله ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم » رقم ٣٤٤١ الترمذى ٥/١٣٠ .

٧ — لا يشككنك فى الوعـد عدم وقوع الموعود ، وان تعين زمنه ، لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك ، واخمادا لنور سريرتك :

ولا يُشَكِّكَنَّكَ فى الوعدِ أبد ... تأخُّرُ العطا إلى طولِ الأمد

وأعلم بأنَّ ذلَّةَ العبيدِ ... شرطٌ لهم فى بُلغةِ الموعودِ

واعتبِرَنْ بقصّةِ الأحزابِ(١) ... وفتح مكّةَ من الأصحاب(٢)

قد أصبحوا أذلّةً فَنُصِرُوا ... وفى حنين أعْجِبُوا فكُسِرُوا(٣)

واعتَبِرَنْ بقصّةِ البَدْرِيّةِ ... وذاكراً لآية نَصْرِيّةِ(٤)

---

١ — (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون) [الأحزاب ١٠] .

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) [الأحزاب ٢٢] .

(ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) [الأحزاب ٢٥] .

٢ — (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره) [الأنفال ٢٦] .

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) [الفتح ٢٧] .

٣ — (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) [التوبة ٢٥] .

٤ — (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) [آل عمران ١٢٣] .

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) [الأنفال ١٧] .

حيث دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى سقط رداؤه .

ففى جميع هذه الآيات علق الله تأييده ونصره للمؤمنين بتواضعهم لربهم وفقرهم وذلهم وقلتهم ، وعلق عدم تأييده لهم فى حنين بسبب اعجابهم بنفسهم وبكثرة عددهم .

فهـذه من حِـكَمِ الإلـه ثلاثة : فخـذ بـلا تَبَاهِ
والشاكُ يهديكَ إلى بصيرةٍ مُظلمَةٍ ومتخمّدِ السَريرَةِ
الفقرُ ، والذلّـةُ ، والبـلاءُ والمرضُ المُسْقِمُ : والعَناءُ
وما يضاهيهِ من الأحوالِ تعرّفٌ فى حضرة ذى الجلال
ليعلَمَ العَبدُ لـه إنكساراً إلى الإلَه الحقّ واضطراراً
فأوجُـهُ التعريف لا تنحصِرُ والغرضُ الأكبر منها العِبَرُ
من العبـادِ من يروا حـدوداً ولا يروا لنفسهم وجـوداً
وذاك سِرّ وجْهَـةِ التعريفِ والسَبّبُ البـاعثُ للتكاليف
حقيقةُ الناسِ غَدَتْ جَهُولاً وإن حبَـاهَا رَبّنـا عُقولاً
عرّفهم لتـبرز الخَبَـايا من جوهر الإنسـان والجنـايا
جوهره الفاقـة وإنـكسارُ وسِرُّهُ الفقرةُ واضطرارُ
وأودعَ القُوّةَ مـع صُنُوفِ نعيمـه الفـائقِ من ألوف
مع أنّـه الظَلُومُ فى الودائعِ وجاهل فى الحِكَمِ البدائعِ (١)
وناظـر لظـاهرِ الوُجُـودِ يَنْسَى فعـالِ الواحد المجيد
أجهلـه فى أوّل الأمـور أظلمـه لنـاجزِ الغُرُورِ

❊ ● ❊

١ — وهذا اشارة الى قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) [٧٢ — الأحزاب] .

٨ — اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها اليه ، وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك ؟ :

ثمّ أراد العلمَ والعرفانَ — بربه منه على ما كانَ (١)
وأن يرى حقائقَ المخلوقِ — وضعفَهُ العاجزَ بالتحقيقِ
فآلَ أمره إلى التعريفِ — بأوجهِ الذلّةِ والتكليفِ
أشهدَهُ عجزيّةً حتى يرى — في عجزه إلهَهُ مقتدرا
أشهدَهُ ذلّتَهُ ليعلم — عزّةَ مولاهُ مذلّ العُظَما
أشهدَهُ الفاقةَ وافتقاراً — ليعرف الغنيَّ والقهّارَ
أشهدَهُ ضعفَ الذي لديْه — حتّى يرى توكّلاً عليه
هو القويُّ والقديرُ والغني — هو العزيزُ وسواهُ مُنْحني
فهذه خصائصُ الإلهِ — فاعرفْ لهُ صفاتِهِ كما هي
واعرفْ وجودَك القديمَ تفلحُ — وقفْ على الحدودِ حقّاً تربحُ
فبعدما اللهُ رأى إنساناً — ما فارقَ الجهلَ ولا نسيانَ
أشهدَهُ صفاته القديمة — حتى يرى أحكامَهُ اللئيمةُ
فسلّطَ البلا عليه والغنيَ — والسقمَ والصحةَ ثمّ المحنَ
ليشكرَ اللهَ على الغناءِ — يصحبَ الصبْرَ على البلاءِ
وهكذا في سائر الأحوالِ — مختلفات الحكمِ والأفعالِ
والقصدُ منها رؤيةُ الربوبيّةِ — بحقّها فإنّها المقصودةُ
وبعدَها العرفانُ بالعبودةِ — بحقّها فإنّها المقصودةُ

---

١ — « العرفانا ... ماكانا » الأصل .

فَمَنْ هداهُ اللهُ يدرى وصْفَهُ ... من حيثما بحقـّـه عَرَّفَهُ
ومَنْ أضلَّ اللهُ لا يُبالى ... بكلّ(١) ما عَرَّفَه الموالى
فأوْجُه التعريف جاءتْ واسعة ... ولا يعيها غير أذُنٍ سامعة (٢)
فعارفٌ مَنْ صَرَفَ السمعَ إلى الـ ... ـوِجْهَةِ تعريفاً وإن قلَّ العمل
فالحقُّ لا يُعْرَفُ إذ إلاَّ بها ... أو لا لإلجاء إلى أعْجَبِها

١ — فى الأصل « بكلما عرفه » .

٢ — ان معرفة الله تعالى هى غاية المطالب ، ونهاية الآمال والمآرب ، فان فتح الله لك وجهة من وجهات التعرف اليه — عز وجل — كالاشارة اليه تعالى عند الاصابة بالأمراض ، أو الابتلاء بالبلايا ، أو نزول الفاقات ، لسلامتك مما أصابك أو ابتلاك به ، أو أنزله بك ، وكانتباهك عن ذلك الى أن ما حصل لك بقدرة الله تعالى ، وهو دليل عناية الله بك ، وترقيك عنده تعالى ، لأنك ستصير به من أهل وده بصبرك ورضاك ، فيكون ما أصابك أو حصل لك سببا لمعرفة الله تعالى بصفاته : كاللطف ، والقهر ، والرحمة ، والشفاء ، وغيرها . فقد قال — صلى اله عليه وسلم — « أشدكم بلاء الأنبياء الأمثل فالأمثل » .

والمراد بالأذن السامعة : هو العارف المتيقظ الذى يتلقى المصائب والنوازل بذكر الله تعالى ويصبر على البلاء والشدائد ، ويتأدب معها ، ويترقى بها الى مقام الرسوخ ، لأن الله اذا أراد أن يطوى مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء ، حتى اذا تخلص صلح للحضرة ، كما تصفى الذهب والفضة بالنار ، فقد قال — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى : « اذا ابتليت عبدى ببلاء ، فصبر ، ولم يشكنى الى عواده ، ابدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له ، وان توفيته فالى رحمتى » .

هذا بالنسبة الى الصابر على البلاء ، وأما بالنسبة الى الذى يسخط عند نزول البلاء وينكر ، فهو يزداد بها بعدا من الله تعالى .

ولا شك أن البلاء والمصائب قد تعوق عن القيام بالعمل الصالح ، فيقل معها عمل المبتلى بها ، لكنه لا يضر لأن العمل القليل مع معرفة الله تعالى والصبر على بلائه خير من العمل الكثير ، وهذا هو مراد الشيخ نور الدين بقوله :

ولا تقل : فعلى حقير قل ... كيف به أعرف من تجلى
فانه وجهها اليكا ... أو ردها من عنده عليك

فانظر إلى حديثِ بطنِ الوادى فأتَ (١) صلاةَ سيّد الأسيادِ
وذاك حتّى يُعْرَفَ إستضعافُه ولا يُوارى قَدْرُه أوصافَهُ
فيا أخى إذا الإلَهُ فتح وجْهتَهُ فقد حَبَاكَ مِنَحاً
وقلّةُ الأعمالِ مع تعرّفِ منه إليك أنت فيها مُكْتَفِ
ليس الذى يعرفُ من أكثرِها
يَعْرِضُ عن وُجُوهِ من قدّرِها
وإنّما العارفُ من حقّقَ فى أمرٍ أتاهُ مالَهُ من مُصْرِفِ
اللهُ يرضى أن تكونَ عارفاً بحكمه وأن تنالَ الشرفا
وكُلُّ ما توجه اللهُ به لابدَّ من التعريف منه فَنَبِه
دواءُ تعريفاتَ بالخصوصِ فألجأ به لمبلغ التخصيصِ
وأنظر إلى آدمَ لمّا هَبَطَ (٢) حينَ على ذلٍّ وعجزٍ سقطَ
وانظرْ إليه عند أكْلِ الشجرةِ ألْهَمَهُ اللهُ لكلِّ قَدْرَهُ
فصارت الذلّةُ أيَّ عزّةٍ وفازَ بالتكريمَ والمعَزَّةِ
إذ عَلِمَ الأمرَ الذى لا يُصْرَفُ وأنّ ربّه به مُسْتَعْرِفُ
فذَنْبُهُ أصبحَ خيرَ طاعةٍ وعجْزَهُ بُدِّلَ بإستطاعة
فكلّ وَجْهٍ هو شافِ داءٍ وماله بالغيرِ من شِفَاءِ
وموقفُ التعريفِ بالإجْمالِ معرفَةُ المعبودِ بالإجلال
مع هَوانِ النفسِ والدُنيا وما
فيها ، وأن يَعْرِفَ منها الحِكَمَا
ويَعْرِفَ الخلقَ على ما كانُوا وأنّهم للحكمِ ما إستبانوا

---

١ — فى الأصل « فائت صلاة سيد الأسياد » .
٢ — « هبطا .. سقطا » الأصل .

إن فعلوا خيراً وشرًّا فلقد آرشدهم أفعالُهُمْ كلّ رشد
فبعضهم يحقّ للتقديم وبعضهم أجْدَرُ للتحريم
فانظر لخلاّق الفعالِ منهم ولاتحوَّلْ حكمَ شرعٍ عنهم
ما مَنَحَ اللهُ لك التوجيه(١) بوجهة إلاّ أراكَ فيها
تعريفَهُ إيّاكَ مِنَّةٌ فالـ أعمالُ إن قابت فما فيه خلَلْ
تعريفه إيّاك فيا وجّه أعظمُ من فعلِكَ فأهجر سفهاً
ولا تقُلْ : فعلى حقيرٌ قلّ(٢) كيف به أعرفُ من تجلّى
فإنّه وجّهها إليك أوْرَدَهَا من عنده عليك(٣)
وأنت للأعمال مَنْ يَهدِيها إليه فاعلمْ حيثما تأتيها
فأينَ ما تهدى إليه ممّا هو له المَوْرِدُ فابغِ علما
بينهما فى الحُكْمِ ما بينكما فهو الجليلُ وهو ربُّ العظما
وأنت فى غايةِ ضَعْفٍ ودنا ءةٍ ، وذلٌ ثم عجزٍ ووَنَا
فأنت عبدٌ وهو ربٌ فاعلمْ وأقبِلْ إذا عرَفَ أمراً تحكم
ولا تقابِلْ فِعْلَهُ بفعلِكَ وإن فعلتَ ذا فيالجهلِكَ

❊ ● ❊

١ — فى الأصل « التوجيها » .
٢ — فى الأصل « ملا » .
٣ — فى الأصل « اليكا .. عليكا » .

٩ — تنوعت اجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال :

تَنَوّعُ الأجناس من أعمالِ ... لواردِاتٍ مُقْتَضَى الأحو لِ (١)

فحالُ عند القومِ مُطْلَقُ على ... مَوارِدِ القلب لقهرٌ نزلا

والعملُ : الأمرُ الذى يَصْنَعُهُ ... جِسْمُكَ ثمّ حالنا مَرْجِعُهُ

للأمْـرَينِ ليس للأركانِ ... مَوْرِدهُ ولا على الجَنانِ

وإنّمـا الأعمـال ما عمّهما ... والحالُ إذ ذاك مُبَاينٌ لهما

فهو عبـارةٌ عن التقـلّبِ ... من التصاويفِ لربّ يَجْتَبِى

كالفقرِ والغناءِ والعزّ وذلّ ... ممّا عليه رتّبُ الحكم وجُلّ

والحكمُ ذو اختلافٍ بإختلافِه ... وليس مَصْرُوفاً إلى خلافه

لـكلّ حالٍ عمـلٌ يخصُّهُ ... تصريفُ مُهْدِيهِ لنا يَنُصُّهُ

---

١ — الأعمال هنا : عبارة عن حركة الجسم ، والواردات والأحوال : عبارة عن حركة القلب ، فالخاطر ، والوارد ، والحال محلها واحد وهو القلب ، لكن القلب مادام تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية ، سمى ما يخطر فيه خاطرا ، وان انقطعت عنه الخواطر الظلمانية ، سمى ما يخطر فيه واردا أو حالا ، وكلاهما يتحولان ، فان دام ذلك سمى مقاما .

فتنوع أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة ، لأن أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب ، فاذا ورد على القلب الحال الناشىء عن العلم بفضائل قيام الليل توجه اليه وآثره على غيره ، فتقوم به الجوارح والأعضاء ، وكذلك الصدقة ، والصيام ، وباقى الأعمال ، فقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

فكلُّ ما فاتَ على العافيةِ أدركَ بالصبرِ على البليّةِ
فقد علمنا أنّ ذا الأحْوالِ مُداركٌ بكثرةِ الأعمالِ
فحيثُ أضحى شاكراً وصابراً وخاضعاً مُسامِحاً وغافراً
ونحوَ هــذا من صُنُوفِ العمل فَتَغَشَّبه بنور أحوالٍ جُلى
وسوى يأتى ليس حظٌّ الذِكرِ إلاّ لِباطنٍ كحالِ الفِكْرِ

❋ ● ❋

١٠ — الأعمال صور قائمة ، وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها .

وقال من لوحِظَ بالإمدادِ ، مُقدّسُ السرّ كبدرٍ بادِ
مُحقّقاً لِما صفى من عملِ — وإنّ حالَ الحالِ صافى الخَلَلِ
أوْلا فإنّ الحالَ قد لا يُحْمَدُ — وإنّه فى الشرِّ أيضاً يوجد
فمن له حالٌ من الله رَدى — يَتْبَعُه من عملٍ ذاكَ صَدَى
تَصُوَرُ الأعمالِ حيثُ قامَتْ — بجوهر الإخلاصِ فاستقامَتْ(١)
وإنّما الإخلاصُ تركُ الخَلْقِ — فى عملٍ أتَيْتَهُ للحقّ
وأوّلَ الخلقِ هو النفس أجلْ — يتبعها الشيطانُ فإحْذَرْ من خطل
فصحّحْ الأعمالَ بالإخلاصِ — وصَحّحْ الإخلاصَ بالخَلاَصِ
من التبَرّى مِن جميعِ القُوَّةِ — هناكَ تَهدى لمُنَى الفُتُوّةِ
ثمّ كما الإخلاصُ حِصْنُ العملِ
كذلك(٢) الخُمولُ حِصْنُهُ الجَلِى
وهو إنطراحُ النفسِ فى الدّناءَةِ — والنقصِ والذلّةِ والوَناءَةِ

* • *

---

١ — الأعمال : جمع عمل . والصور : جمع صورة : وهو ما يتشخص فى الذهن من الكيفيات . والاخلاص : افراد القلب لعبادة الرب .

الأعمال كلها أشباح وصور لا تستقيم الا بالاخلاص فيها فقد قال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) [البينة ٥] .

وقال : (فاعبد الله مخلصا له الدين) [الزمر ٢] .

والاخلاص على ثلاث درجات : درجة العوام ، والخواص ، وخواص الخواص ، فاخلاص العوام سلامة أعمالهم من الرياء مع طلب حظوظ الدنيوية والأخروية لحفظ البدن والمال وسعة الرزق فى الدنيا ، والجنة والحور فى الآخرة . واخلاص الخواص : طلب حظوظ الأخروية دون الدنيوية . واخلاص خواص الخواص : اخراج الحظوظ بالكلية ، فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية ، محبة الى رؤية الله ، وليس فى قلبهم طمع فى الجنة ولا خوف من نار .

قال الشيخ أبو طالب المكى — رضى الله عنه — الاخلاص عند المخلصين : اخراج الخلق من معاملة الحق ، وأول الخلق النفس .

وقال بعض المشايخ : صحح عملك بالاخلاص ، وصحح اخلاصك بالتبرى من الحول والقوة . ايقاظ الهمم ص ٣٢ .

٢ — فى الأصل « كذلك » .

١١ — ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجــه .

فإدْفَنْ وجــودَ النفسِ فى الخمولِ
أرضٌ غــدتْ مزرعــةَ البُقُولِ (١)

فما بِهِ تذكَرُ من كمَالِ — من عملٍ أو حالٍ أو خــلالِ
فــذاك للدَفْنِ بحقٍّ أجْــدَرُ — وكلّ(٢) ماضدُّ الورى تَجْتَهِرُ
فالنــاسُ أصنــافٌ ثلاثٌ ههنا — فواحــدٌ محقّقٌ اه الفَنَــا
فغــاب عن رِفْعَتَــهِ بربِّــه — فلا يرَى مَنْ دُونَه بقلبِهِ
ويعلمُ الــكمالَ كلَّهُ لــهُ — والنقصَ للعبــدِ فما أرْذَلَهُ
وناظراً لآيَــةِ فَلَــوْلا — فضلُ الإلَهِ عندكم لفضّلاً(٣)
جميعُــكُمْ وما زكى من أحَدٍ — فهو بفضلِ اللهِ حقّــا يهتدى
ورجــلٌ ساعَدَهُ التوفيقُ — وواضحٌ لقلبــهِ التحقيقُ

---

١ — الخمول : سقوط المنزلة عند الناس . وقال بعضهم الخمول : هو اسقاط المنزلة عند الناس وكتمان سر الولاية ، وكل ما سقط المنزلة عندهم وينفى تهمة الولاية فهو خمول .

وقد ورد فى مدح الخمول أحاديث كثيرة منها قوله — صلى الله عليه وسلم — « رب أشعث اغبر ذى طمرين تنبو عنه اعين الناس لو أقسم على الله لأبره فى قسمه » .

وفضائله كثيرة ، ولو لم يكن فيه الا الراحة وفراغ القلب لكان كافيا .

وقال بعض الحكماء : الخمول نعمة والنفس تأباه ، والظهور نقمة والنفس تهــواه . ايقاظ الهمم ص ٣٤ .

٢ — فى الأصل « وكلما ضد الورى » .

٣ — اشارة الى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) [النور ٢١] .

فغـابَ عن محاسنَ لنفسـهِ بعيبها لا يلتوى لعكسـه
فشاهـدَ المحـاسنَ مَسَاوى وشاهـدَ الحقائقَ دَعَاوى
فنفسُهُ من عينـه سـاقطة فذا لَهُ فى حالِهِ رابطةٌ
إن مدحتْـه النـاسُ ما رآهم إلاّ كقومٍ بصّروا عما هُمُ
ورجـلٌ مُتّسـعٌ عليـه غرورٌ نفسٍ دائمٌ لديـه
فغلّبَ الوَهْمَ على الفَهمِ فلا يَنْجُو من النفسِ إذا ماختَمَلاَ
فحقُّـهُ الخمولُ بالتشبُّـعِ من الحـلالِ كخسيس المصنعِ
أو الذى يكرَهُ ، لا (٤)المحرَّمِ ولا الفـرّارِ للتخلّى عنهم
فـإنّ ذاك لهم تعظيمُ يعودُ فيـه عَيْبُهُ القـديمُ
وفى اللذين(٥) مَضيَـا أشـار كلامُ قطبِ مَرْسىً جِهاراً(٦)

---

٤ — فى الأصل « يكر لا المحرم » .

٥ — فى الأصل « الذين » .

٦ — هذا اشارة الى قول الشيخ أبى العباس المرسى : من أحب الظهور فهو عبد الظهور ، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عبدا لله سواء عليه أظهره أم أخفاه . ايقاظ الهمم ص ٣٧ ولطائف المنن ص ١٢١ .

الشيخ أبو العباس المرسى هو شيخ وأستاذ الشيخ تاج الدين أحمـد بن محمد المعروف بابن عطاء السكندرى مؤلف الحكم ، وقد ألف كتاب لطائف المنن فى مناقبه ومناقب شيخه أبى الحسن الشاذلى ، قال ابن عطاء الله : هو (أى أبو العباس) الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن — رضى الله عنه — ونشر أنوارها وأبدى أسرارها ، وسار الناس اليه من أقاصى البلاد ، وأقبلو مسرعين اليه من كل ناد ، فنشأت على يديه الرجال ، ونصرها وأظهرها بالمقال والفعال ، حتى انتشرت فى الآفاق الأصحاب ، وأصحاب الأصحاب ، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى لسان وكتاب ، وقال : بلغنى عن الشيخ أبى الحسن انه كان يقول : أبو العباس شمس ، وقال : سمعت أبا العباس يقول : قال لى الشيخ أبو الحسن : يا أبا العباس ما صحبتك الا لتكون أنت أنا وأنا أنت (لطائف المنن من ص ١٦٧ الى ص ١٦٩) وذكر له كرمات كثيرة منها قال : =

عبدُ الظُهورِ والخَفَا من إعتَنى — بواحدٍ ، وعبدُ ربّى من فَنَى
وقـد أشـارَ للخمولِ تاجُ(٧) — بغـير دَفْنٍ ما أتى نتـاجُ
أو جاء ما تمّ فلا تُلفى نظر — فكلّ قصدٍ بالخمول(٨) مستقرّ
ولا فِرار نافـعُ فى الخَلْقِ — بلا خُمولٍ وشريفِ الخُلْقِ
إلاّ إذا ألجـأ لإعـتزالِ — وجاهرَ الخَلْقَ ، بكلّ حالِ

* ● *

=
أخبرنى الشيخ العارف نجم الدين الأصبهانى قال : قال لى الشيخ أبو العباس يوما : ما اسم كذا وكذا بالأعجمية ؟ فخطر لى أن الشيخ يحب أن يقف على لغة العجم ، فأتيت اليه بكتاب « الترجمان » قال : فقال الشيخ : ما هذا الكتاب ؟ فقلت : كتاب « الترجمان » قال : فضحك الشيخ وقال : سل بالعجمة ما شئت اجبك بالعربية ، وسل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية ، فسألته بالعجمة فأجابنى بالعربية ، وسألته بالعربية فأجابنى بالعجمة وقال : يا عبد الله ما أردت بقولى : ما اسم كذا الا مباسطتك ، والا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شىء من الألسنة (لطائف المنن ص ١٨٤) ، والشيخ أبو العباس من خلفاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، وتوفى الشيخ أحمد أبو العباس المرسى سنة ٦٨٥ هـ .

٧ — هذا اشارة الى قول تاج العارفين ابن عطاء الله السكندرى فى الحكمة فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه .

٨ — فى الأصل « قصد ربا بخمول » .

٩ — الظاهر « هاجر الخلق » بدل « جاهر الخلق » .

١٢ — ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة

فعزلةُ(١) الإنسانِ للانسانِ سبقٌ له فى مَعْرِضِ الميدانِ
بفكرةٍ تَلْقى على التوحيدِ مُوَحِّداً للقلبِ ذا تَفْرِيدُ

---

١ — العزلة : انفراد القلب بالله ، وقد يراد بها الخلوة التى هى انفراد القلب عن الناس وهو المراد هنا ، قال بعض أهل التصوف : لا شيء أنفع من عزلة مصحوبة بفكرة ، لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء ، فلا بنفع الدواء من غىر حمية ، ولا فائدة فى الحمية من غير دواء ، فلا خير فى عزلة لا فكرة فيها . وقد ذكروا للعزلة عدة فوائد منها :

١ — السلامة من آفات اللسان ، فان من كان وحده لا يجد معه من يكلمه فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

٢ — حفظ البصر والسلامة من آفات النظر ، فان النظر الى الأشياء يوجب تفرقة القلب .

٣ — حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغىرهما من الأمراض .

٤ — حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها .

٥ — السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأراذل .

٦ — التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر .

٧ — راحة القلب والبدن فان فى مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالاهتمام بأمرهم وتعب البدن بالسعى فى أغراضهم وتكميل مرادهم ، وان كان فى ذلك الثواب ، فقد يفوته ما هو أعظم وأهم ، وهو جمع القلب فى حضره الرب .

٨ — صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التى توجبها المخالطة .

٩ — التمكن من عبادة التفكر والاعتبار ، وهو المقصود الأعظم من الخلوة .

فكلّ معزولٍ بلا إفتكارِ مآلُهُ للحُمْقِ وإغترارِ
والناس فى عزلتهم أقسامٌ ثلاثةٌ مخصصٌ وعامٌّ :
فواحدٌ منفردٌ بقلبه لا شَخْصِهِ وشاغلٌ بربّه
فذاك كائنٌ مقيمٌ قاطنُ وراحلٌ لربِّهِ وبائنُ
وحالُهُ حالُ العظامِ الأقويا أهلِ الكمالِ والكرامِ الأولياء
ورجلٌ منفردٌ بشخصهِ لا بالفؤادِ جابرٌ لنقصهِ
ورجلٌ منفردٌ بقلبه وشخصه مسلّمٌ بدأبه
مآلُهُ(٢) إلى الكمالِ صائرُ إن كَمَلَتْ شرُوطَهُ الدوائرُ
وهنّ فكرٌ دائمٌ وصبرُ وحفظُ سنَّةٍ هناك النّصرُ(٣)

* ● *

=

وقال الحسن — رضى الله عنه — : الفكرة مرآه نريك حسنك من سيئك . ويطلع الانسان بالفكرة على عظمة الله وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية ، فستفيد بذلك أحوالا سنية بزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه .

وروى عن سيدنا عيسى — عليه السلام — قوله : طوبى لمن كان كلامه ذكرا ، وصمته تفكرا ، ونظره عبرة ، وان أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .

٢ — فى الأصل « منأله الى الكمال » .

٣ — وقال بعض المشايخ : اذا أضاف المريد الى العزلة الصمت ، والجوع ، والسهر ، فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وانمحت من مرآة قلبه صور الأغبار ، واليه أشار الشيخ بقوله :

وهن فكر دائم وصبر وحفظ سنة هناك النصر

١٣ — كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ . أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟ .

لايشرقُ النورُ بقلبٍ طُبِعَتْ ... فيه على مِرآتِهِ إذْ جَمَعَتْ

صورةَ أكوانٍ سوى اللهِ ظُلَمُ ... ضراً ونفعاً أو جمالاً مُرْتَسَمْ

فبارتسامِ الشيءِ فى تلك الصُوَرْ ... يُحْرَمُ قلبُ العبدِ للهِ النظرَ

فليس للقلبِ سوى وَجْهٍ إذا ... وُجِّهَ للكونِ إليه انْجَبَذَ

أو للالـهِ لايرى سواهُ ... طوبى لهذا القلبِ فما أجْلاهْ

ذلك حكمُ غفلةِ القلوبِ ... بظاهرِ الكونِ عن الغُيُوبِ

وكيف قلب العبد فى النهمات ... لربه يرحل عن غفلات

فكلّما رامَ نهوضاً صُرِعَتْ ... وكلّما رامَ ساوكا مُنِعَتْ

وكلّما رامَ سِراعاً قُطِعَتْ ... وكلّما أسرع قَهْراً ومقت

وكلّما رامَ إجتماعا مُزّقَتْ ... عزْمَتُهُ إذا لربِّى سَبَقَتْ

فمالَهُ رحيلُهُ من طَبْعِهِ ... إلى بِساطِ الجمعِ مأوى جَمْعِهِ

أمْ كيفَ يطمعُ أمروءٌ ذُو غَفْلَةٍ ... حضرةَ مولاهُ بحالِ سفْلَةِ

وحضرةُ اللهِ هى الولايةُ ... دائرةُ الخواصِّ بالعنايةِ

فهو مقامٌ طاهرٌ لا يَدْخلُ ... أهلُ جَنَابَةٍ (١) وقلبٍ يَغْفُلُ

إنّ الطُهورَ ههنا للجُنُبِ ... ذكرٌ وفكرٌ موجبٌ للأدبِ

بالماءِ والصخرِ أو الصَعيدِ ... فَطَهِّرُوا ياكاملى العبيد

أمْ كيفَ يرجُو منهم سِرٌّ دقَّا ... ولم يَتُبْ منَ الهَفَواتِ حقَّا

* ● *

١ — فى الأصل « أهل جناية » .

١٤ — الكون كله ظلمة ، وانما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار .

فظلمةُ الكونِ كما حققهُ ... تاجُ الكرامِ تحتوى مُطلقهُ
وإنّما أنارهُ ظهورٌ ... للحقّ فيه وهو فيه نورُ
اللهُ نورُ الأرضِ والسماءِ ... والكونُ مشكاةٌ بها مرائى(١)
زُجاجةُ الأفعالِ للزيتونةِ ... من الأوصافِ دونها مصونةُ
وما غدتْ شرقيةُ الجمالِ ... وما غدتْ غربيةُ الجلالِ
يكادُ زيتُها يضيءُ لو لم ... تمسسْهُ نارُ الأثرِ الذى عمّ
مَنِ الذى مصباحُهُ صفاتُ ... أفعالٍ نوّرَ به مجلياتِ
فمَنْ رأى الكونَ وما رآهُ ... فيه فقد أعوزَهُ مُناهُ
أو قبلَهُ أو بعدَهُ أو عندَهُ ... فهو من الظلمةِ لن يشهدَهُ
وحُجبتْ عنه شهودُ جليتْ ... بسُحُبِ الأثارِ(٢) منها خفيتْ

❊ ● ❊

١ — اشارة الى قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى) الآية [٣٥ النــور] .

٢ — الكون من حيث كونيته وظهور حسه كله ظلمة ، لأنه حجا بلمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ، ولأنه سحاب يغطى شمس المعانى لمن وقف مع ظاهر الحس هذا بالنسبة لأهل الحجاب ، لانطباع صور الأكوان فى مرآة قلوبهم ، ثم الناس على ثلاثة أقسام فى شهود الحق : فأهل مقام البقاء يشهدون الحــق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الأثر بالله ولا يشهدون بسواه . وأهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق ، وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان انما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده ، انما يستدلون على وجوده بوجود الكون ، وهذا لعامة المسلمين . قد أعوزهم : أى فاتهم وجود الأنــوار .

١٥ — مما يدل على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه .

١٦ — كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى أظهر كل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر بكل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر فى كل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر لكل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذى ليس معه شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أقرب اليك من كل شيء ؟ .
كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ .
يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم ؟ أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم .

مادَلّنا على وُجُودِ قَهْرِهِ   إن كان ذا حُجُبٍ بما فى أمْرِهِ
ليس له مع ذاتِهِ وجودُ   أكان معَ ذى وحدَةٍ موجُودُ
فالنّاسُ مَحْجُوبُونَ عنه بِهِمْ
فعَدَمٌ مُحْتَجَبٌ بالعَدَمِ
ثمّ إحتجابُ العدمِ بالعدمِ   دلّ على ظهوره فى القِدَمِ
لنفسِهِ بلا حِجَابٍ معَهُ   سبحانَهُ وعَزّ ما أعْظَمَهُ
فهو الوجُودُ المحضُ ، ما سواه   فعدمٌ محضُ أما تَراهُ
فجاءَ شَيْخُنَا بعشرِ أمْثِلَةٍ   وغيرُ ذى لُبٍّ لذا لَنْ يَعْقِلَهُ
كيفَ وقد أظهرَ كلّ شيءٍ   يَحْجُبُهُ عنك وَجُودُ شيءٍ
كيفَ وظاهرٌ بكلّ شيءٍ   يَحْجُبُهُ عنك شهُودُ شيءٍ
كيفَ وظاهرُ فى كلّ شيءٍ   يَحْجُبُهُ عنك حِجَابُ شيءٍ

كيفَ وظاهرُ لِكلِّ شيءٍ يَحْجُبُهُ عنك ظُهُورُ شيءٍ
كيفَ وأظهرُ من كلِّ شيءٍ يَحْجُبُهُ عنك بُرُوزُ شيءٍ
كيفَ وما كانَ مَعَهُ شيءٌ يَحْجُبُهُ عنك عَدِمُ شيءٍ
كيفَ الذى أقْرَبَ كلِّ شيءٍ يَحْجُبُهُ عنك وُصُولُ شيءٍ
كيفَ ولولاهُ أكانَ شيءٌ يَحْجُبُهُ عنك حُلُولُ شيءٍ
يا عجباً أيظهرُ الوُجُودُ فى عدمٍ فى ذاتِه مَفْقُودُ
كيفَ الذى ثُبُوتُهُ من عَدَمِ يُوجَدُ مع ذى صِفَةٍ بالقِدَمِ (١)

* ● *

---

١ — وروى عن الامام على — كرم الله وجهه — قال : الحق تعالى ليس من شيء ، ولا فى شيء ، ولا فوق شيء ، ولا تحت شيء ، اذ لو كان من شيء لكان مخلوقا ، ولو كان فوق شيء لكان محمولا ، ولو كـان فى شيء لكان محصورا ، ولو كان تحت شيء لكان مقهورا أ . هـ .

وقيل له : يا ابن عم رسول الله — ص — أين كان ربنا ؟ أو هل له مكان ؟ فتغبر وجهه وسكت ساعة ثم قال : قولكم : أين الله ؟ سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان ، ثم خلق الزمان والمكان ، وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان .

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن : ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة الى الله ، فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه ؟ أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له ، وان كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها ، لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت . . فظهور الحق أجلى من كل ما ظهر .

الباب الثانى

١٧ — ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه .

وقال شيخنا الهمام الأوحد ... لب لباب العارفين أحمد
ما ترك من جهله شيئاً فتى ... أراد إحداثاً لما ما ثبتا
والله قد أوقعه فى غيره ... يسلك ذا العبد بغير سيره
فالأدب المحض هو الوقوف ... فى كل ما واجهه التعريف
معاند الوقت عظيم الجهل ... بالشرع ثم العادة والعقل
فمن دليل الجهل بالمعقول ... إرادة الرفع من المجهول
لما وقع ثم إيقاع بما ... يمتنع الوقوع منه فإعلما
دليل جهله بشرعيات ... هو إعتراضه بلا إلتفات
على الإله بالذى قضاه ... مرتكباً هنا على هواه
ثم دليل الجهل بالعادات ... وكونه لغير مقدورات
كان أراد الله فيه سقما ... وهو يريد صحة فتما
لم يرض بالذى قضاه ربه ... زيد عليه ذاك بعد تعبه(١)

---

١ — من أراد أن يظهر فى وقت من الأوقات أمرا غير ما أظهره الله فى نفسه أو فى غيره على سبيل الكرامة مثلا ، فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئا ، حيث عارض القدر ونازع الله سبحانه حيث يقول فى محكم كتابه (ان ربك فعال لما يريد) [هود ١٠٧] ويقول (ولو شاء ربك ما فعلوه) [الأنعام ١١٢] ويقول (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) [يونس ٩٩] .

وروى عن ابن مسعود وابن عباس — رضى الله عنهما — قالا : لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت ، أحب الى من أن أقول لشىء كان : ليته لم يكن ، أو لشىء لم يكن : ليته كان . ايقاظ الهمم ص ٦١ .

=

فإنّ سُنّةَ الحكيمِ فينــا في هذهِ الدارِ الذي يُؤْذِينا(٢)

فأينَ ما يَتْعَبُهُ من فائدةٍ وليس في تدْبيرِهِ من عائدةِ

فَلْيَرْكَنْ العبدُ في الاستسلامِ ليخْرُجَ القلبُ من الآلامِ

أولا فكيفَ يَبْلُغُ المقصودَ مع كونِهِ مختلفا مصدودا

* ● *

=

ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان سيد العارفين وقدوة المربين ، فكان يقر الناس على ما أقامهم الله ويرغبهم فيها ، فلذلك تجد الأحاديث متعارضة فى الظاهر ولا تعارض فى الحقيقة ، فاذا نظرت فى أحاديث الذكر قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الجهاد قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث فضل العلم قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الزهد قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الكسب والانفاق على العيال قلت : لا أفضل منه ، وهكذا .. فكلّ حكمة رغب النبى — ص — فيها حتى تقول : لا افضل منها تطييبا لخاطر أهلها ، ليكونوا فيها على بينة من ربهم ، ولم يأمرهم بالانتقال عنها ، اذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة ، فأقرهم عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع أحاديثها أنه لا أفضل منها ، وهو كذلك ، اذ لا أفضل منها فى حق أهلها . والحاصل أن العارف لا ينكر شيئا ولا يجهل شيئا . قال بعض العارفين : ليس فى الامكان أبدع مما كان .

٢ — أى القضاء الذى يؤذينا .

١٨ — احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس .

إحالَةُ الأعمـــالِ للفَراغِ رُعُونَةُ النفس إلى المَزَاغِ(١)
وحمقُهُ يظهر مـــن وُجُوهٍ ثلاثةٍ : إحالـــةُ السَفِيهِ
أعمَالَهُ إلى المُحالِ عادَةً فأىُّ وقتٍ يبتغ السعادةَ
فهو يقولُ : لستُ عاملاً إلى فَرغٍ وَقْتِى ، ثم آتى عملاً
وحالُ دنياهُ يقولُ : ما إن تَفْرَغُ إلاّ بعدَ أعمالٍ ، ومِنْ
وُجُوهِهِ وثُوقُهُ بغيرِ مَوْ ثُوقٍ وذاك النفسُ فليدرِ ، ولَوْ
زَيَّنَتْ النفسُ له مَراماً من عَزْمِهَا تَمَكُرُهُ مَدَاماً
وثالثُ الوُجُوه إهمالٌ لِمَا هو المرادُ ومرامُ الحُكَمَا
عزمٌ وحزمٌ ثمَ جزمٌ تتَصِلْ خوفاً من الوقتِ وقطعِ مُحْتَمَلْ
فَمَنْ راى الدهرَ له مُطِيعاً وعن جميعِ كُرْهِهِ مَنِيعاً
يوجبُ هذا العارَ أخذَ الدنيا والجهدُ فيها دَونَ أمر العُقْبى

* ● *

١ — من آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن ، ومن علامة العقل انتهاز الفرصة فى العمل ومبادرة العمر من غير تسوف ولا أمل ، فقد روى ان الرسول — صلى الله عليه وسلم قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » ابن ماجه .

فاحالة الأعمال وتأخيرها الى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب أو فارغ اليد من علامة الرعونة والحمق ، وهو غرور ، ومن أين لك أن تصل الى ذلك الوقت وقد يهاجم عليك الموت من حيث لا تشعر ؟ وعلى تقدير وصولك اليه لا تأمن من شغل آخر يعرض لك ، فراغ الاشتغال من حيث هو نادر لقوله — صلى الله عليه وسلم — « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

١٩ — لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج .

لا تَطلُبَنَّ منهُ إخراجَكَ مِنْ	حالٍ إلى حالٍ فَكُنْ إموءاً فَطِنْ
أتتركُ الأسبابَ أو تجريدا	حتى ينالَ قلبُكَ التفريد
فلو أراد اللهُ لإستعمالكَ	فيهِ بأعمالٍ وما أخرجَكَ(١)
فكُنْ بما أقمتَ فيهِ . عبداً	من حيثما كنتَ ولا تَعَدّا(٢)
فرُبَّ عبدٍ تاركٍ لشُغْلِهِ	يطمعُ أنْ يَعمَلَ أوْلى فعلِهِ
يَحيقُ بالخُسْرانِ فيما تركَهُ	والعملُ الآخرُ أيضا أهلَكَهُ
فأينما كنتَ فكُنْ مُقيمَا	على إستقامةٍ تَكُنْ حَكيمَا
وأنظر إلى المُصنِّفِ الإمامِ	وحالِهِ مع شيخه الهُمامِ(٣)

❊ ● ❊

---

١ — فى لأصل « استعملكا . . . اخرجكا » .

٢ — من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله تعالى والاستغناء به عما سواه ، ماذا أقامه الله فى حالة من الأحوال فلا يستحقرها ولا يطلب الخروج منها الى حالة أخرى ، فلو أراد الله أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير ان يطلب منه أن يخرجه ، بل يمكث على ما اقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذى يتولى اخراجه كما تولى ادخاله . قال تعالى (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) [الاسراء ٨٠] فالمدخل الصدق : هو الذى ندخل فيه بالله ، والمخرج الصدق : هو الذى نخرج منه بالله . قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة) [القصص ٦٨] .

٣ — قال المصنف فى لطائف المنن ص ١٨٥ — دخلت أنا عليه (أى الشيخ أبى العباس المرسى) يوما ، وفى نفسى ترك الأسباب والتجريد ، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر ، فقال من غير أن أبدى له شيئا : صحبنى بقوص انسان يقال له : ابن ناشى ، وكان مدرسا بها ونائب الحكم ، فذاق من هذا الطريق شيئا على أيدينا ، فقال : يا سيدى أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك ؟ .

توقّفُ الهمّةِ عنـد حالٍ من سالكٍ يهدى إلى إنفصالِ
عن ربّهِ ، وقالت : الحقائقُ أمامكَ المقصودُ نحنُ عائقٌ
فلايزالُ عارفٌ عن نظرِ بربهِ وفى هـواهُ ينجرى
مراقبـا انّهُ بكلِ حال مُجانباً عن رؤيتهِ الأحوالِ
وذُو السُلوكِ شأنُهُ تفريدُ لقلبهِ والذكرُ والتوحيدُ

=

فقلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن أمكث فيما أقامك الله فيه ، وما قسم لك على أيدينا هو لك واصل .

ثم قال : وهذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجهم .

فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ، وكأنما كانت ثوبا نزعته ، ورضيت عن الله فيما أقامنى فيه .

وعلى هذا ينبغى للعارف أن لا يتمنى شيئا ، فاذا كان أعزب لا يتمنى التزويج ، واذا كان متزوجا لا يتمنى الفراق ، واذا كان فقيرا لا يتمنى الغنى ، واذا كان غنيا لا يتمنى الفقر ، واذا كان صحيحا لا يتمنى المرض ، واذا كان مريضا لا يتمنى الصحة ، واذا كان قويا لا يتمنى الضعف ، واذا كان ضعيفا لا يتمنى القوة ، وهكذا فى جميع أحواله ينظر ما يفعل الله به ، ولا ينظر ما يفعل بنفسه لتحقق زواله .

وقال فى ايقاظ الهمم ص ٦٤ : أوحى الله الى داود — عليه السلام — فقال : يا داود تريد وأريد ولا يكون الا ما أريد ، فان سلمت لى ما أريد أتيتك ما تريد ، وان لم تسلم لى ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد .

٢٠ — ما أرادت همة سـالك أن تقف عند ما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة : الذى تطلب أمامك ، ولا تبرجت له ظواهر المكونات الا ونادته حقائقها : انما نحن فتنة فلا تكفر .

يلاحِظُ الذكرَ بـلا تشبيهِ مُنَزِّهـا بأكمل التَنْزِيهِ
وحيثما تَبَرَّجَتْ كوائنُ قالتْ : جَميعُنا لَكَ الخوائن(١)
إنَّ الكراماتِ إذا ما ظهرتْ للعبد حينئذ لَهُ فأخبرتْ :
نحـنُ الفِتْنَةُ للتجريبِ أى إمتحانُ اللهِ الأريبِ
أمَيْلُهُ لنـا أم للإلهَ فإن يكُنْ لنا ففى مَتاهِ
فأشكُرْ إلهنا ولا تنظرُ لنـا ومن وُجُودِنا توجَّهْ للفَنا

* ● *

١ — أى اذا ظهرت للعارف ظواهر المكونات بخرق العاده وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشى على المـاء والطيران فى الهواء ونبع المـاء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية ، وأرادت همة العارف أن تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة حسها ، نادته هواتف المعانى الباطنة : انما نحن فتنة لك نختبرك هل تقتنع بها دون معرفة مالكها ومنشئها المتجلى فيها ؟ أو تعرض عنها وتنفذ الى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها ، فلا تكفر وتجحد المتجلى فتنكره فتكون من الجاهلين .

همة السـالك : هى القوه الباعثة له على السير .

تبرج الشىء : ظهوره فى حال الزينة لقصد الامالة .

ظواهر المكونات : هو ما كساها من الحسن والحكمة .

السـالك هو الذى يشهد الأثر ، فان كان يشهد فى نفسه فهو سـالك متحط ، وهو فى حالة السير ، وان كان يشهده بالله فهو سـالك مجذوب .

٢١ — طلبك منه اتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه ، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه .

مقصودُ مولانا من الدعاءِ فى عبــاده عُبُودَةٌ للعارف (١)
وبالربوبيــةِ كى يَــراه إذ فى عُبُودِيتِــهِ دَعَاهُ
وإلاّ . فلا مردَّ لامُقْتَضى (٢) وإن دعــاهُ أعْظمُ الوَلى

---

١ — طلب الانسان من الله يكون بالتضرع والابتهال ، وطلبه له يكون بالبحث والاستدلال وهو ما يسمى بعلم العقائد أو أصول الدين ، وطلبه لغيره يكون بالتعرف على الناس والاقبال عليهم ، وطلبه من غير الله يكون بالتملق والسؤال ، فأنواع الطلب اذن أربعة :

١ — الطلب منه تعالى لا يجوز عند بعض أهل التصوف ، لأنه اتهام له تعالى ، لانه انما طلب منه مخافة أن يهمله أو يغفل عنه ، فانما ينبه من يجوز منه الاغفال ، وانما يذكر من يمكن منه الاهمال ، والله بعيد من هذا قال تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) [البقــره ٧٤ — ٨٥ — ١٤٠ — ١٤٤ — ١٤٩ وآل عمران ٩٩] وقال (أليس الله بكاف عبده) [الزمر ٣٦] .

فالسكوت تحت مجارى الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والابتهال ، وان كان لابد من الدعاء فانما يكون على سبيل العبودية والحكمة ، لا طلبا للقسمة ، اذ ما قسم للعبد واصل اليه ، ولو سأله أن يمنعه ما أجابه وفى المسأله خلاف بين الصوفية هل السكوت اولى أو الدعاء ؟ قال ابن عجيبة : التحقيق أن ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه . ايقاظ الهمم ص ٩٨ .

٢ — اما طلبه له باستدلال فهو دليل على غيبته عنه بوجود نفسه .

٣ — أما طلب العبد لغير الله تعالى : أى لمعرفة غيره فلقلة حيائه منه وعدم أنسه به ، أما وجه قلة حيائه منه ، فلأنه ينادبه الى الحضره وهو يفر منه الى الغفلة .

٤ — أما طلبه من غيره تعالى فلوجود بعده عنه ، اذ لو تحقق بقربه منه وهو كريم لمــا احتاج الى سؤال غيره .

٢ — فى الأصل « أولا فلا مرد للمقتضى » .

فإن دَعَوْتَهُ بلا هذا فقد توجهَ العار إليك واستند

طلبُكَ منه لَهُ اتِّهامُ أأنْتَ عن مَوْعُودِهِ مُضَامُ

وإن يكُنْ طلبُكَ إيَّـاهُ لوَصْلِهِ قد غِبْتَ عن لُقْيَاهُ

طَلَبُكَ لغيرِهِ فَقْدُ الحيا مِنْهُ فذا شِرْكٌ خفىٌّ منك يا

طالباً غيرَهُ(١) لبُعْدٍ عنه فكلُّ حاجةٍ تُرَجَّى منه

فهو الذى كوّنَ كلَّ شىء بيدِهِ مفتاحُ كلِّ شىءٍ

* ● *

---

١ — طلب الانسان لغير الله : بمعنى طلبه معرفة غير الله من رجال الدين والدنيا ، وتكوين العلاقات والصداقات مع الناس ، للأغراض الدنيوية ، والاستفادة المادية ، والشهرة ، والجاه ، والتوسط فى تمشية أموره ، وهى صفة مذمومة بالنسبة للصالحين ، لأن الذى يبذل الجهد فى تكوين العلاقات مع رجال الدولة ، يحاول دائما أن يأخذ من الدولة أكثر مما يستحقه بسبب حسن علاقته مع من بيدهم السلطة ، وفعلا هؤلاء الناس يأخذون أكثر من استحقاقهم ، وهذا يؤدى الى الظلم بالفقراء الذين لا يعرفون أحدا من ذوى النفوذ ، لأن محاباة ذوى النفوذ لأصدقائهم يكون على حساب الفقراء ، وهذا هو الفساد بعينه .

أما طلب الانسان غير الله : أى طلبه من غيره ، فانه يكون بطلبه منهم قضاء حوائجه ، والاستعانة بهم فى أموره ، وهذا مخالف لقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « اذا سألت فاسأل الله . الحديث » .

٢٢ — ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه .

ففى جَميعِ نَفَسٍ تُبْديهِ مُقَدَّرٌ فيكَ بِكَ تَمْضِيهِ (١)
وكُلُّ حالٍ هو فى شأنٍ (٢) ألا
فى كلِّ حالٍ لُذْ بِهِ مُسْتَعمِلاَ
قلبَكَ فى مصنوعِهِ العجيبِ مراقِبـاً فى حاضرٍ قريبِ
وحِكمِهِ فى صُنعِهِ فى خَلْقِهِ من خَلْقِهِ وخُلْقِهِ ورِزقِهِ
فههنا قد كَثُرَتْ طرائقُ بعدَدِ الأنفاسِ من خلائقِ
فكنْ مراقباً له فى كلِّ ما أوجَبَهُ (٣) عليك تَلْقى حِكَماً

* ● *

---

١ — النفس : بفتح الفاء : جزء من الهواء يخرج من باطن البدن فى جزء من الزمن ، وهو أوسع من الطرفة ، والطرفة أوسع من اللحظة : وهى رمق البصر ورده .

القدر : هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر ، وهو علم أوقاتها ، وأماكنها ، ومقاديرها ، وعدد أفرادها ، وما يعرض لها من كيفيات ، وما ينزل بها من الآفات .

فاذا علمت أيها الانسان أن أنفاسك قد عمها القدر ، ولا يصدر منك ولا من غيرك الا ما سبق به علمه تعالى وجرى به قلمه لزمك أن ترضى بكل ما يجرى به القضاء ، فأنفاسك معدودة ، وطرفاتك ولحظاتك محصورة ، فاذا انتهى آخر أنفاسك رحلت الى آخرتك .

وحقيقه الرضى : هو تلقى المهالك بوجه ضاحك ، وحقيقة التسليم : استواء النقمة والنعمة بحيث لا يختار فى أيهما يقيم ، وهذا هو مقام أهل الكمال .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (كل يوم هو فى شأن) [الرحمن ٢٩] .

٣ — فى الأصل « أوجده » .

٢٢ — لا تترقب فروغ الأغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه .

ولا ترقَّبْ(١) مفرغ الأغيار(٢) ولا يَصُدَّنَّكَ عن جبَّارِ
ذاك التَمَنِّى عن مقامِ هولك فى كلِّ حالٍ لاتُشَتِّتْ أمَالَكْ
قيل : فسيروا للاله عَرْجى عَوْجى مكاسيرَ وإلاّ إلحنا
إلى البطالاتِ لمحتاجِ الدَوا يقول : لاإستعمل الدواسوا
إن وُجِدَ الشفا فلا شفاءَ لَهُ ، كذا إذ مالَهُ دَواءُ
دارُ إشتغالٍ(٣) وإفتقارٍ دُنْيا فَسَاُوا راحتَــهُ العُقبى
فأشْغُلْ بشغلِ العملِ الشغُولِ عن كلِّ شُغْلٍ مانعٍ تَمَاوُلِ
وهو بِتَوْطِينِكَ نفسَكَ على ما قد تُحِبُّ النفسُ أعنى أملا

* * *

---

١ — فى الأصل « ولا تربت » .

٢ — الترقب : هو الانتظار ، والأغيار : جمع غير : وهو ما يغير القلب عن حاله . والمراد به عند الصوفية : كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها . أى ما أقامك فيه الحق تعالى من الشغل الدنيوى لا تنتظر فراغك منه بل راقب الله مع الانشغال بعملك ، لماذا تترقب فراغه ؟ فان تأملك للوقت الثانى يمنعك من القيام بحق الوقت الذى أنت فيه ، والمؤمن الصادق يكون فى كل وقت بحسبه .

٣ — فى الأصل « افتكار » .

٢٤ — لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت فى هذه الدار ، فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها .

وكيفَ تَستغربُ أن تحزُنَكَ الـ — أكدارُ فى دارٍ بناها للخَلَل(١)
وكلُّ نقصٍ وخِلافِ المقصدِ — وكلُّ هَمٍّ فتأمَّلْ واهتدى
فإنها ما أبْرَزَتْ إلاّ على — شيءٍ دنيّءٍ لا ترى فيها عُلا
وأنظر إلى آيةِ تلك الدارِ — مَنْ إعتلى فيها لَــهُ بَوارِ
وخُذْ كلامَ سيّدِ الطائفةِ — وكُنْ على ما قالَهُ رادِفة(٢)
قال : من المكروهِ لا أستبشعُ(٣) — فيها إذا أمسيتُ ممّا يقعُ
فقد علمتُ أنّ دنيانا لنــا — دارُ سقامٍ وبــلاءٍ حزنا
وأنّ ذا العالمَ شرٌّ كلُّهُ — وكلُّ ما أكره موضُوعُ لَهُ
وإن تَلَقَّاني إلهى فيــا — بكلِّ ما أرضى وأهْوى فيها
فهو من اللهِ تفضّلٌ عليّ — فقد علمتُ أنّها تعبٌ وعَيّ
والشغلُ والأكدارُ والأغيــارُ — تذهبُ عن قصدُهُ الجبّارُ
ومَنْ غــدا إلى الإلَهِ راجعاً — كانَ له مِنْ الهُمومِ مانِعَا
ومَنْ رجُوعُهُ غــدا لنفسِهِ — فحكمُهُ وما مَضى بعكسِهِ

* * *

١ — أى لا نعد وقوع الأكدار أمرا غريبا مادمت فى هذه الدار الدنوية ، فانها ما أبرزت الا ما هو وصفها المستحق لها ، ونعتها الواجب واللازم لهــا ، فان الدنيا من الدناءة فلا تبرز الا الدنيىء .

٢ — هذا اشارة الى ما قاله الشيخ جنيد البغدادى — رضى الله عنه — حين قال : لست أستبشيع ما يرد على من العالم ، لأنى أصلت أصلا ، وهو ان الدنيا : دار هم ، وغم ، وبلاء ، وفتنة ، وأن العالم كله شر ، ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره ، فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل ، والا فالأصل هو الأول . انظر لطائف المنن ص ٧٢ . ومن عطاء الله ١٢٦/١ ، وقرة العين ١٣٢/١ .

٣ — فى الأصل « لا أتشبع » .
والمكروه : هو الأمر الذى يؤذيه ويكدر صفو راحته .

٢٥ — ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفســك .

وكلُّ ما طلبْتَــهُ بالربِّ(١) تلقاهُ أو بالنفسِ تعبُ القلبِ
فاطلُبْ بهِ لتحصُلَ المطالبُ ولا بنفسٍ فهناك الحاجبُ
ومِنْ عــلامات الذى بربِّهِ تَفْوِيضُهُ للهِ فى مَطْلَبِهِ
وبعــدَهُ توكُّلُ التحصيــلِ فقدْ رأينــا رَحْمَةَ الوكيلِ
ثمَّ إستقامــةٌ لدى التوجُّهِ فهذه تُبْرِىءُ كُمْهَ الأكْمَهِ
ومَنْ يكنْ مطلَبُهُ بالنفسِ فإعرف له علاماتٍ بالعكسِ
حبُّ المرادِ حيثُ لا تفويضُ فهو وإن أوصلَهُ مريضُ
وعمدةٌ على السببِ من حيثُ لا توكُّلاً على الوكيلِ إستعملا
ثمَّ تهوُّرٌ بــلا إستقامــةِ وغيرِ تقوىً يبتغى مَرامَهُ
فهو إذا تيسَّرَ المرادُ فى مطالبِهِ حِرمانُهُ لا يخفى
لأنّه ذو عُمْــدَةٍ بالخاقِ مفارقُ الشكرِ وحقِّ الحقِّ
فإحذَرْ إلى النفسِ من التكلانِ فَربْحُهُ يؤلُ للخُسرانِ

* ❁ *

---

١ — أى اذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخره . وأردت ان تقضى لك سريعا فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك ، فانك اذا طلبتها بالله تيسر امرها وسهل قضاؤها ، وان طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتعسر أمرها . قال تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق ٢] ، وقال — صلى الله عليه وسلم — « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » .

وعلامة الطلب بالله : هو الزهد فى ذلك الأمر ، فاذا جاء وقته تكون باذن الله ؛ وعلامة الطلب بالنفس هو الخوض والبطش اليه ، فاذا تعذر عليه انقبض ونفر عليه ، فهذا ميزان من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه ؛ فمن طلب حوائجه بالله قضيت معنى وان لم تقض حسا ، ومن طلب حوائجه بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وان قضيت نهمته وحاجته .

٢٦ — من علامات النجح فى النهايات ، الرجوع الى الله فى البدايات .

الصادقُونَ فائزُونَ بالمُنى يروا من اللهِ(١) مقاماً حسناً
مَنْ كانَ فى مَبْدئه مُفَوِّضًا لربِّهِ من الرضاء بالقَضَا
مع التوكلِّ الذى أخلَصَهُ لربِّهِ فَرَبُّهُ خَصَّصَهُ
إنَّ البداياتِ أساسُ المقصدِ ففى النِّهاياتِ حصولُ سؤدَدِ(٢)
فمَنْ له بدايةٌ صالحةٌ يتبعُها نهايةٌ رابحةٌ
ومن له بدايةٌ قاصرةٌ يلحقُها نهايةٌ خاسرةٌ
والنُّجحُ والإشراقُ فى البدايةِ نجحٌ وإشراقٌ لدى النهايةِ
معناهما الرُّجُوعُ والوكُولُ ينتجُ من بعدهما الوُصُولُ

٢٧ — من أشرقت بدايته ، أشرقت نهايته .

مَنْ أشرقتْ بدايةُ الطريقةِ له فقد أشرقتْ الحقيقةُ(٣)
وقطبُ كلِّ شيءٍ الحُضُورُ فكلُّ نورٍ تحتَهُ محصُورُ

* ● *

١ — فى الأصل « يرى من الله مقاما حسنا » .

٢ — النجح فى الشيء : هو بلوغ القصد والمراد فيه ، فاذا توجهت همتك الى طلب شيء : أى شيء كان ، وأردت أن ينجح أمره ، وتبلغ مرادك فيه ، وتكون نهايته حسنة ، وعاقبته محمودة ، فارجع الى الله فى بداية طلبه ، وانسلخ من حولك وقوتك كما قال — صلى الله عليه وسلم — « فلو اجتمعت الانس والجن على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك » .

٣ — اشراق البداية : هو الدخول فيها بالله ، والاعتماد فيها على الله مع السعى فى أسبابها والاعتناء فى طلبها ، قياما بحق الحكمة ، وأدبا مع القدرة ، ويعظم السعى فى السبب بقدر عظمة المطلب ، قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) [العنكبوت ٦٩] .

فمن رأيناه فى بدايته جادا فى طلب الحق ، علمنا أن نهايته مشرقة ، وعاقبته محمودة ، ومآربه مقضية . ومن رأيناه مقصرا فى طلب مولاه ، علمنا أن نهايته الحرمان .

٢٨ — ما استودع فى غيب السرائر ، ظهر فى شهادة الظواهر .

ثُمَّ الذى يستودعُ السرائرُ ، يُظهِرهُ بمن بعده الظواهرُ(١)
إن كان خيراً بانَ خيرٌ يرشَحُ ، إنّ الإنا بما حَواهُ يَنْضَحُ
فكلُّ قلبٍ عارفٍ فتّاشِ ، قالبُــهُ يرجــعُ بالحياشى
إلى عباداتٍ بــلا عصيـــان ، والضـــدُّ بالضدِّ فـــذا بيـــانى
ومَنْ غـــدا فى غيبه آثمـــاً ، لاحتْ له شهادةٌ وثَمَّا
ما جَلَيَتْ ظواهرُ الأمورِ ، إلاّ على حقائقِ الصُّدُورِ
وكلُّ شىءٍ خـــامَرَ القلوبا ، بانَ : جميلاً كانَ أو عُيُوبا
وكلُّ سرٍّ كانَ سترا فيك ، يظهرُ من فعلك أو من فيكَ
ظواهرُ أمُـــورِنا عنـــوانُ ، لباطنِ الأحوالِ إذ يُبانُ
لو خَشِىَ القلبُ من الرحمنِ ، لخضعَتْ جوارحُ الإنسانِ

* ● *

١ — استودع : أى وضع ، فالاستيداع : هو وضع شىء فى محل ليحفظ .
السرائر : هو القلوب والأرواح ، الظواهر : المراد به الجوارح الظاهرة .

أى ما استودع الله سبحانه فى القلوب وجعله فيها من خير أو شر ، من نور أو ظلمة ، من علم أو جهل ، من رحمة أو قسوة ، من بخل أو سخاء ، من قبض أو بسط ، من يقظة أو غفلة ، أو غير ذلك من الأخلاق المحمودة أو المذمومة ، لابد أن يظهر آثارها على الجوارح ، من أدب وتهذيب ، وسكون وطمأنينة ورزانة ، وبذل وعفو ، أو طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الأحوال قال تعالى (تعرفهم بسيماهم) [البقرة ٢٧٣] وقال تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [الفتح ٢٩] .

فأعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب كما يقال : الكلام صفة المتكلم ، وما فيك يظهر على فيك ؛ وكل اناء بالذى فيه ينضح ، وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره .

٢٩ ـــ شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله فاثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه .

شتانَ بينَ مستدلٍ بكُمُ ومستدلٍ بالسوى عليكم(١)

فذاك عارفٌ بحقٍ واصلاً ومثبتُ الأمرِ لأصلٍ عاجلاً

ذلك برهانٌ ، لذى التدلىّ أوصلهُ اللهُ إلى التجلىِّ

وقال قومٌ : ذاكَ غيرُ ممكن بـــلا ترقى للفتى المبَرهنِ

---

١ ـــ شتان : بمعنى بعد وافترق ، ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين : قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ، ففتح لهم الباب ، وكشف لهم الحجاب ، فأشهدهم أسرار ذاته ، ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته ، وقسم اقامهم لخدمة الدين وجعلهم من أهل الحكمة والكلام ، أسدل عليهم حجاب الوهم ووقفوا مع الظواهر ، فأما أهل المحبة وهم أهل الولاية والعرفان من أهل الشهود والعيان ، فهم يستدلون بالنور على وجود الستور ، وبالخالق على وجود الخلق ، فلا يجدون الا الخالق ، وأما أهل الحكمة والكلام ، فهم يستدلون بظهور الستور على وجود النور ، وبالمخلوق على وجود الخالق . والفرق بين هذين كبير ، فان من يستدل بالخالق على الخلق ، عرف الحق : وهو الله الواجب الوجود الملك المعبود القديم الأزلى ، يعنى أن من عرف الله حتى صار عنده ضروريا عرف الوجود انما هو لله ، وانتفى عنه وجود ما سواه ، وأما من استدل عليه فلبعده عنه فى حال قربه منه ، ولغيبته عنه فى حال حضوره معه ، والا فمتى غاب حتى يستدل عليه وهو أقرب اليكم من حبل الوريد ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه (وهو معكم أينما كنتم) [الحديد ٤] (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) [ق ١٦] .

كَلاَّ وذاكَ من دليلِ البُعدِ ... كانَ الخليلُ ذا تَدلّى(١) عندى

والمستدِلُّ بالسوى عليهِ ... ذو حُجُبٍ ولم يصل إليهِ

كيفَ ولا غيبةَ مع وصُولِ ... فأىُّ حاجةٍ إلى الدليلِ

والمستدِلُّ بستدِلُّ للخَفَا ... والوَصْلَ بالغيبةِ والخفا إنْتَفى

* ● *

---

١ — مثل سيدنا ابراهيم عليه السلام فى قصته مع الأنوار الثلاثة ، اذ عرض حقيقة ما عنده على ما يراه شاهدا لنفى المرئى لا لنفى الشك به : أى لاشك كما دل عليه قوله تعالى (هذا ربى) [الأنعام ٧٦] فى أول موقف ، وتعقيبه بقوله (لا أحب الآفلين) فظهر صورة كلامه ما اقتضته حاله ، وهو انه يعرف ربا لا أفول له ، فاستدل به على نقص الكل لظهور أفولهم . انظر قرة العين ١٤٢/١ .

فسيدنا ابراهيم — عليه السلام — استدل بالخالق على المخلوق ، حيث كان يعرف الله حق المعرفة ، لذلك لما رأى الشمس شك فى مخلوقيتها ، ولما تأكد من صفاتها عرف أنها لا تنطبق على صفات الخالق الذى يعرفه ، فعرفه انها مخلوقة ، فقال : (لا أحب الآفلين) .

٣٠ — **لينفقن ذو سعة من سعته : الواصلون اليه . ومن قدر عليه رزقه : السائرون اليه .**

والحقُّ ما غابَ فما الدليـلُ ... فَخُذُوا الدليلِ مالَهُ وصُولُ
لَيُنْفِقَنْ ذوُ سَعَـةٍ مِنْ سَعَتِـهِ
إشـارةٌ لواصـلٍ في صلتِـهِ (١)
والسائرُونَ للإلَهِ مَنْ قُـدِرَ ... عليه رِزْقُهُ فقولي مُنْجَبِرْ
والواصلُـونَ ناظـرونَ رَبَّهُمْ
في كلِّ حـالٍ حافِظُونَ قلبَهُمْ
والسـائرون طالبون وَصْلَـهُ ... ولم يحققوا إليـه وصلَـهُ

* ● *

١ — هذا اشارة الى حال الفريقين : الواصلين ، والسائرين أو السالكين أي لينفق الواصلون : وهم صاحب السعة في المعرفة وعلوم الاسرار من سعتهم ، فيفيضوا على غيرهم مما آتاهم الله من فضله ويتصرفوا في العوالم كيف شاؤوا . وأما السالكون : وهم الذين ضيق عليهم رزقهم من ذلك فلينفقوا مما آتاهم الله على قدر ما أعطاهم .

وهذه العبارة مقتبسة من قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) [الطلاق ٧] .

٢١ — اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه ، والواصلون لهم أنوار المواجهة ، فالأولون للأنوار ، وهؤلاء الأنوار لهم ، لأنهم لله لا لشىء دونه ، قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون .

ثمّ بأنوارِ(١) التوجُّهِ إهتـدى ذو رِحلَةٍ إليه قبلَ أنْ بدا

والواصِلُونَ لهم المواجهة كلٌّ له معبُودُهُ قد واجَهَه

فهـؤلاءِ لهم الأنـوارُ ومنْ مَضَوْا تملكهم أنوارُ

فالسائرون حزنوا(٢) بِفقدِها والواصِلُونَ رحلوا مِن قصدِها

وبَقِيَ المولى لهم فريدا تمحّضُوا لِربِّهم عبيـدا

لأنّهم للهِ واللهُ لهم وليس شيءٌ دونَهُ قصداً لَهُمْ

وغـيرُهم فى دقّةِ الأنوارِ تَقبِضُهُمْ عوارِضُ الأكدارِ

وذو الوصـولِ حالُـهُ سواء إذا أتتْ سرّاءُ أو ضرّاءُ

تَعرِفُهم من آيةِ قُـلْ اللهَ

وذَرْ سِواهُ(٣) واعتَمِدْ على اللهِ

* ● *

---

١ — أنوار التوجيه : هى أنوار الاسلام والايمان ، وأنوار المواجهة : هى أنوار الاحسان . والحاصل أن المريد مادام فى السير فهو يهتدى بأنوار التوجه مفتقر اليها لسيره بها ، فاذا وصل الى مقام المشاهدة حصلت له أنوار المواجهة فلم يفتقر الى شىء لأنه لله لا لشىء دونه ، فالسائرون للأنوار لافتقارهم اليهـا وفرحهم بها ، وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لاستغنائهم عنها بالله .

٢ — فى الأصل « حزنها يفقدها » .

٣ — اشارة الى قوله تعـالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) [الأنعام ٩١] . أى (قل الله) : بقلبك وروحك (ثم ذرهم) أى الناس : أى اتركهم (فى خوضهم يلعبون) أى يخوضون فى السوى لاعبين فى الهوى .

الباب الثالث

فيما يهتم به السالك من ملاحظة عيوبه

٣٢ — تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب ، خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب .

تَشَوُّفُ السالِكِ للباطنِ في	عُيُوبِهِ أصوَبُ من تَشَوُّفِ(١)
فيما إختفى من الغُيوبِ ثمّ ما	عيبَ لهُ قِسْمانِ : ظاهر كما
تراهُ فيكَ مثلُ تقصيرِ العَمَلِ	وباطنٌ وهو منالداءِ العُضَلِ(٢)
منـه إعتمادٌ وإرادَةُ سـو	أمْرِ أقيمَ فيهِ من أجلِ الهوَى
وبعـدَهُ التدبيرُ مـع مولانا	وعَجَلَةٌ مِنّا لدى دُعانَا
والشكُّ في الوعدِ أو إعتراضٌ	بِفَوْتِ مطلوبِ وذا أمراضُ
وفقدُ إخلاصٍ وحبُّ شهرةٍ	والأنسُ بالخلقِ وطولُ فكرةٍ
ثم إنطباعُ الـكونِ في المرآة	وعُلْقَةٌ للقلبِ بالشهواتِ
وكونُـه مُسْتَرسِلاً بغفلةٍ	مع إشتغالِ بوجودِ سفُلةٍ
وقلّـةُ إهتمامِـهِ بِهَفْوَةٍ	والميلُ عن معبودِهِ بِغَبْوَةٍ
وأنْ يُريدَ غيرَ حكمِ الوقتِ	والأنسُ عندَ موجباتِ المقتِ

---

١ — في الأصل « من تشوق » وهو سهو قلم .

التشوف الى الشيء : الاهتمام به والتطلع له . اى تشوف الانسان الى ما بطن فيه من العيوب كالحسد ، والكبر ، وحب الجاه والرياسة ، وهم الرزق ، وخوف الفقر ، وطلب الخصوصية ، وغير ذلك من العيوب ، والبحث عنها ، والسعى فى التخلص منها أفضل من تشوفه الى ما حجب عنه من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد وما يأتى به القدر من الوقائع المستقبلة ، لأن تشوفه الى ما بطن فيه من العيوب ، سبب فى حياة قلبه ، وحياة القلب سبب فى الحياة الدائمة والنعيم المقيم ، والاطلاع على الغيوب ، انما هو فضول ، وقد يكون سببا فى هلاك النفس ، كاتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس .

٢ — والعيوب الباطنة ثلاثة : عيوب القلب ، وعيوب الروح ، وعيوب النفس .

وأن يُحيلَ للفراغَ عمـلاً   وأن يكونَ بالأمانِي شاغلاً(١)
وطالبٌ لحالـةٍ ليس بهـا   ووَقْفةٌ النفسِ إلى محبوبِها
كالكشفِ ثمّ طلبُ الأشياءِ   بالنفسِ والرجوعُ فى ابتداءِ
من الطريقِ للسوى والغيبِ   قسمان : حسِى وعاهُ قلبُ(٢)
ومعنوىٌّ ثمّ شأنُ النفسِ   تعملُ فى هَمِّهَا بالعكسِ
من جهلها مُهْملِةُ العيُوبِ   طالبةٌ لرؤيةِ الغيُوبِ

* ❁ *

=

فعيوب القلب : تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والكبر والحسد والحقد ، وحب المنزلة والخصوصية وما شابه ذلك .

وعيوب الروح : تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والحور والقصور وغير ذلك .

وعيوب النفس : تعلقها بالشهوات الجسمانية . كالأكل الطيب . والشراب اللذيذ ، والملابس الفاخرة ، والمراكب المرفهة ، والمساكن الفخمة ، وشهوات النســاء .

١ — فى الأصل « بالأمان شاغلا » .

٢ — الغيب قسمان : حسى كالكرامة ، ومعنوى كالمقامات .

٣٣ — الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه ، اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ، وهو القاهر فوق عباده .

وليس مولاك بمحجوب ولـ ... كن ّلك الحجابَ عنهُ مُسْدلا(١)
فما لَهُ من حُجُبٍ يستُرُهُ ... وجُودُها أو حاصرٌ يحصرُهُ(٢)
أولا لكانَ للالَهِ حاصراً ... وهو على العبادِ كان قاهراً
فوقيةٌ ما إن لها مكانُ ... لكنّها القوّةُ والسلطانُ
ثمّ بيانُ عيننا بهذا ... فإجعاه ذا بَصيرةٍ ملاذا
واخرْج من الأوصافِ أوصاف البشر(٣)
وهى الخلائقُ اللواتى تُعتَبَرْ

---

١ — من أسماء الله الحسنى اسمه الظاهر ، قال تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) [الحديد ٣] فلا يتصف سبحانه وتعالى بالحجاب لاستحالته فى حقه ، لأنه ظهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء ، فهو ليس بمحجوب ، وانما المحجوب العبد بصفاته وعيوبه النفسية عن النظر اليه بعين البصيرة ، وهو مقام الاحسان المعبر عنه بمقام المشاهدة والمكاشفه ، اذ لو حجبه تعالى شيء حسى لستره ذلك الحجاب ، ولو ستره لكان لوجوده حاصر ، اذ محال أن يستره من كل وجوه ولا يحصره ، وكل حاصر لشيء فهو قاهر له ، كيف والله تعالى يقول (وهو القاهر فوق عباده) [الانعام ٦١] لانهم فى قبضته وتحت تصريف قدرته . والفوقية : عبارة عن رفعة الجلالة والمكانة لا المكان .

٢ — فى الأصل « حاصر يحصرها » .

٣ — أوصاف البشرية : هى الأخلاق التى تناقض خلوص العبودية ، ومرجعها الى أمرين :

١ — تعلق القلب بأخلاق البهائم : وهى شهوة البطن والفرج ، وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية قال تعالى (زين للناس حب

=

من طاهرٍ ودانسٍ كطاعةٍ والفيقهِ واليقظةِ أو ضراعةٍ

ركالمعاصي والملاهي والهوى نقيضُ كلٍّ يدْرَءُ الضدَّ سوا

فإدْرَءْ بحُسْنى فاسداً مجتهداً

تَعِ (١) حبيبَ الحقِّ مخطوبَ النِدا

نداؤُهُ على لسانِ أحمدَ يا أيها النّاس فاصغ واهتد

* ● *

=

الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) [آل عمران ١٤] .

٢ — تعلق القلب بأخلاق الشياطين ، كالكبر والحسد والحقد والبغض والبطر والقسوة والفظاظة والغلظة ، وتعظيم الاغنياء ، واحتقار الفقراء ، وغير ذلك ، فاذا خرج الانسان من أخلاق البهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة ، واذا خرج من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة ، كالتواضع وسلامة الصدر والحلم والسكينة والرزانة والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين الى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، فاذا تخلق العبد بهذه الأخلاق الفاضلة ، ناداه الحق تبارك وتعالى بقوله له : يا عبدي ، فيجيبه حينئذ بقوله : لبيك يا رب ، فيكون صادقا فى اجابته لصدق عبوديته ، بخلاف ما اذا كان منهمكا فى شهواته ، فانه يكون عبدا لنفسه وشهواته ، لأن من أحب شيئا فهو عبد له .

١ — (تع) أصله تعى لكنه جزم بحذف حرف العلة لأنه جواب الأمر .

٣٤ — أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ، لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا .

فمن أرادَ اللهُ إرشاداً لَهُ   صَيَّرَ حظَّ النفسِ مُنْقَاداً لَهُ
فتَعَبَّدَ اللهَ على حضورِ   وحظها في الكُنِ والسُتُورِ
والعكسُ بالعكسِ فلا تُبالِ   بطاعةٍ وحَظِها العُضّالِ
وأصلُ كلّ خطأ ومَعْصيةٍ (١)   وشهوةٍ وغفلةٍ مُسْتَعْصِيةٍ
هو الرضا عن النُفُوسِ أبداً
والعكسُ بالعكسِ (٢) فكُنْ مجتهداً

* ● *

---

١ — فى الهامش « وشهوه وغفلة مستعلية » .

٢ — من رضى عن نفسه استحسن أحوالها وغطى مساويها ، ومن اتهم نفسه ، ونظر اليها بعين السخط ، بحث عن عيوبها واستخرج مساوبها كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدى المساويا

٣٥ — أصل كل معصية وغفلة وشهوة ، الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة ، عدم الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه .

فإسقها من كأس سم ناقع	أولا تكن في أوضع المواضع
فمن رأى سجية حميدة	لنفسه أهلكها بعيدة
أنت عن العيوب في إغضاء	ذلك تقدير من إبتلاء
فاصحب إماماً عارفاً بنفسه	مكملاً منه معاني قدسه
وشرطه براءة من الرضا	عن نفسه لذلة معترضا
وجاهل يصحبه موصوفاً	بذاك أولى من غدا معروفاً
بعلمه مع الرضا عن نفسه	يظن حسناً وهو عند طمسه

فقدره عالماً وجاهلاً كذا(١)

رئيس قوم قبل أن تلقى الأذى(٢)

إياك إياك منهم حيات(٣)	ليست لمن يصحبهم حياة
فأي علم عالم يرضى لها	وأي جهل جاهل يأبى لها

* ● *

١ — صحبة من لا يرضى عن نفسه خير محض ، لتحققه بالاخلاص ، تسري ذلك في الصاحب حتى يتحلى بالاخلاص ، وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض ولو كان أعلم أهل الارض ، لان الطباع تسرق من الطباع ، ولان الجهل الذي يوصل الى الله علم على الحقيقة والعلم الذي يحجب عن الله جهل على الحقيقة ، قال سهل التستري : احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس : القراء المداهنين والجبابرة الغافلين ، والمتصوفة الجاهلين .

٢ — في الأصل « تلقى لا ذى » .

٣ — حيات : جمع حية .

في المراقبة والمعاينة والمشاهدة

٣٦ — شعاع البصيرة يشهدك قربه منك ، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده ، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك .

٣٧ — كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

شعاعُ قلبٍ قمرُ البصيرةِ (١)	شموسها مضيئةٌ منيرةُ
فأشرفَ القلبُ على الآفاقِ	فشاهدَ اللهَ على الإطلاقِ
فاعلمْ إشاراتِ الإمامِ العارفِ	قطبِ العظامِ باهرٍ مكاشفِ
قال : إذا شعشعتْ البصيرةُ	تشهدُ قربَ الحقِ بالسريرة
وكلّما الإيمانُ نارَ وإنجلى	أنارَ عينَ القلبِ حتّى أذهلا
عن الوجودِ فانياً عن كلِّهِ	والحقُ موجودُ له في وصلِهِ
وحقُّ شاهدِ البصيرةِ اقتضى	نفيَ إعتبارٍ بالسوا منقرضاً
وجودُنا مع عدمٍ سيّانِ	وينفني الحادثُ باقترانِ
مع القديمِ وهو قد كان ، ولا	لشيءَ سواه ، أبداً وأزلاً

* ● *

١ — شعاع البصيرة : نور علم اليقين ، وعين البصيرة : نور عين اليقين ، وحق البصيرة : نور حق اليقين .

فعلم اليقين لأهل الدليل والبرهان ، وعين اليقين لأهل الكشف والبيان ، وحق اليقين لأهل الشهود والعيان .

البـــاب الرابـــع

٣٨ — لا تتعد نية همتك الى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال .

٣٩ — لا ترفعن الى غيره حاجة ، وهو موردها عليك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا ، من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه ، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا ؟ .

لا تَتَعدَّيَنَّ هِمَّــةٌ إلى(١) غيرِ الكريمِ والجوادِ حيثُ لا
يخطّاهُ الآمالُ فى الإحسانِ ولا تعــدّاهُ فَعُوا بِبَيانى
إيّاكَ رفعَ حاجةٍ لغيرِهِ(٢) وهو الذى عَوَّدَنا فى خيرِهِ
فإنّــه لورَدَّهَــا علينــا فكيفَ نرجُو كاشفاً لدينا
وأنّــه فى نفسِــهِ ضعيفُ وكاشفُ الضُرَّ هو اللطيفُ
وباسطُ الخــيرِ هو الكريمُ وغيرُهُ فى نفسِهِ عــديمُ
فالجهلُ كلّ الجهلِ من يطمَعُ فى إحسانِ مخلوقٍ حقيرٍ أضْعفِ
سبحانَ ذى المجدِ الكريمِ السَرْمَدِى
مَنْ يَبْتَغِيهِ بالأمانى يَهْتَدِى
مَنْ لم يكن فى نفسِهِ نَفّاعاً أتَرْتَجِيهِ حيثُ ما إستطاعا
لا تكُ كالمسجونِ بالمسجونِ مَنْ يستغيثُ فهو كالمجنُونِ

---

١ — لا تتعدين : أى لا تتجاوزن . همة ، الهمة : القوة المنبعثه فى طلب المقاصد . الآمال : قصود القاصدين ، يخطاه : أى يتجاوزه . فالانسان اذا تعلقت همته بشىء يريد تحصيله ، عليه أن يرد الهمة الى الله تعالى ، ولا تتعلق بشىء سواه ، لانه سبحانه كريم على الدوام .

٢ — من قلة معرفة الانسان أن يرفع الى غير الله ما أنزله عليه من أحكام قهره ، مع علمه باحسانه تعالى وبره ، ولأن غيره تعالى عاجز عن اصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره ؟ ضعف الطالب والمطلوب ، ولاشك أن الطلب من الخلق لا يجوز اذا كان على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم ، مع الغفلة فى حال الطلب عن الله تعالى وأما اذا كان من باب الأخذ بالأسباب مع النظر الى أن المعطى فى الحقيقة هو الله الملك الوهاب فهو جائز والله أعلم .

٤٠ — ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه ، فحسن الظن به لأجل معاملته معك ، فهل عودك الا حسنا ؟ وهل أسدى اليك الا مننا ؟ .

إن لم تَحَسِّنْ بالإلــهِ ظنَّكَ(١)	لكونِهِ في بِرِّهِ عَوَّدَكَ
مُعاملاً بالفضلِ والسماحةِ	وقَلْبُكَ المحزونُ قدْ أراحه
فحسِّنْ بِبِرِّهِ(٢) الحقيقِ	ظنَّكَ ترشدْ أنْهجَ الطريقِ
فهل ترى إحسانَهُ الجزيلَ	ألا تراهُ ماجِداً جميلا
أوْ لا تراهُ مُسْدِيَ النَعْماءِ	كالدينِ والإيمانِ والآلاءِ
وإن ذكرتَ هَمَّكَ المعترضَ	قابلْهُ بالفضلِ الجزيلِ إذ مضا

* ● *

١ — ان تحسين الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين ، فقد قال — صلى الله عليه وسلم — « حسن الظن من حسن العبادة » أبو داود .

والناس فى حسن الظن بالله قسمان : خاصة ، وعامة ، الخاصة ، يحسنون الظن به ، لاتصافه بالصفات العلية ، والنعوت السنية ، والعامة يحسنون الظن به ، لما عودهم به من الاحسان ، وما أوصله اليهم من النعم ، فمن لم يصل الى مقام الخاصة ، فليحسن ظنه به تعالى لحسن معاملته معه وكثرة نعمه عليه ، حيث قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [ابراهيم ٣٤] وقال : (فاذكروا آلاء الله) [الأعراف ٧٤] .

٢ — فى الأصل « فحنن ببره الحقيق » .

مالا بد منه العبد ومالا بقاء له

٤١ — العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ، ويطلب ما لا بقاء له معه ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

يا عجباً من هاربٍ عن ربه(١) وداره العقبى وبعد هربه
من أنْ له عن ذلكَ إنفكاكُ كيفَ الغبينُ فاتهُ إدراكُ
يطلبُ ما ليس لهُ بقاءُ وقدْ دنا لجنبه الفناءُ
وذاكَ من عمى بصيرة الفتى وقلبُه مثلُ حديدٍ صامتا

* ● *

---

١ — ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره ، وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره ، فمن أعجب العجائب أن يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب لما سواه ، مع انه لا انفكاك له منه ، ولا محيد له عنه ، اذ لا وجود له الا منه ، ولا قيام له الا به ، فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته ؟ وبترك التقرب منه بامتثال أمره واجتناب نهيه ؟ ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التى ان لم تزل عنه فى الحياة زالت عنه بالممات ، وهذا انما يحصل بسبب عدم فتح البصيرة أو عماها قال تعالى (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) [الحج ٤٦] . قال الشيخ حسن الشاذلى : عمى البصيرة فى ثلاث : ارسال الجوارح فى معاصى الله ، والطمع فى خلق الله ، والتصنع بطاعة الله .

٤٢ — لا ترحل من كون الى كون ، فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو المكان الذى ارتحل عنه ، ولكن ارحل من الأكوان الى المكون (وأن الى ربك المنتهى) وأنظر الى قوله — صلى الله عليه وسلم — ((فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه)) فافهم قوله — عليه الصلاة والسلام — وتأمل هذا الأمر ان كنت ذا فهم .

أتطمعونَ من عبادٍ مِنَحاً(١) مثلُ حِمارٍ لحجارةِ الرَحى
يطيلُ سيراً راحلاً من حيثُ لا ينفذُ مسراهُ كلما متَّصِلاً
مُرتَحلاً من موضعٍ يَعُودُ إليــه كادحاً فــلا يُفيدُ

---

١ — الرحيل من الكون الى الكون : هو الرحيل من الخلق لطلب سوى الله ، وذلك كمن يزهد فى الدنيا وينقطع الى الله يطلب بذلك اقبال الدنيا عليه أو اقبال الخلق عليه أو يكون له منزلة كبيرة عند الناس ، أو يزهد عن الدنيا حتى يحصل على الكرامات وخوارق العادة ، أو يزهد ويتعبد حتى يهابه الناس ويهابون أن يدعو عليهم فيبتلون بالمصائب كما هو حال بعض مشايخنا فى الوقت الحاضر . حيث يبتهج بعضهم حين يذكر أن شيخه أو الشيخ فلان ضرب فلانا أو قتل فرس فلان أو قتل حمار فلان ، وحتى ان بعضهم يدعون أن الشيخ الفلانى قتل رجلا أو أعمى بصره أو جعله عنينا الى غير ذلك ، فهؤلاء مثلهم كمثل حمار الطاحونة يسير بالليل والنهار . وهو فى مكانه ، وانه يرجع الى المكان الذى ارتحل منه . فمن كانت قصده الحظوظ النفسانية كما ذكرنا ، فانه يترك الدنيا لأجل الدنيا ، فهو فى سير دائم ولكن فى موضعه قائم ولم يتقدم شبرا ، وما زاد الا نقصا ، أما الرحيل من الكون الى المكون وهو الله تعالى فهو غاية المنى وبلوغ المنتهى والرحيل الى الله يكون بعدة أمور :

١ — قصر الهمة عليه تعالى دون ما سواه ، حتى يطلع على قلبك فلا يجد فيه سواه .
٢ — الرجعى اليه باقامة الحقوق والفرار من الحظوظ .
٣ — دوام اللجوء اليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك ..

وقال الشيخ أبو الحسن — رضى الله عنه — : اربعة من كن فيه احتاج الخلق اليه : المحبة لله ، والغنى بالله ، والصدق ، واليقين : الصدق فى العبودية ، واليقين فى أحكام الربوبية قال تعالى (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة ٥٠] .

طلبُك من غيرِ مولاكَ سُوا
وصورةُ ذا الأمرِ فحسبُكَ الجوا

وارحلْ عن الأكوانِ للمكوّنِ | إنّ إلى ربّكَ(١) كلاً فاعتنى
بآيةِ اللهِ وقصّر طمعكَ | عليه تلقى نصرةَ الدهرِ معكْ
وأنظرْ لقولِ سيّد مهاجرِ | من كلّ شيءٍ للالـهِ صائرِ
فمن تكنْ هجرتُهُ مولاهُ | ومصطفاهُ نالَ ما نوّاهُ(٢)
ومن تكن منيتـه دنياهُ | أو النساءُ نال ما إقتضاهُ
إن كان مقضياً ولا عبرةَ بـه | يا خيبةً من ربّه فى إربـهِ
فافهمْ مقالَ المصطفى فهجرتُهُ | لمـا نواهُ واعتراه خيبتُهُ
فكرر الأوّلَ دونَ الثانى | تحقيقَ ما يبقى على الفوانى
ثم إحتقاراً وتجنُّباً لهـا | فإنّها أعظمُ شيء قد لها
والاوّلانِ مستطابا ذكرِ | معظمّانِ عند أهل فكرِ
فإن تكن ذا الفهْم دبّرْ أمرَهُ | وخُذْ إلهاً لا تخالفْ أمرهُ

※ ● ※

١ — وهذا اشارة الى قوله تعالى (وان الى ربك المنتهى) [النجم ٤٣] .

٢ — هذا اشارة الى ما اخرجه البخارى « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » فتح البارى ٩/١ .

البـــاب الخامس

٤٣ — لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله .

مَنْ لم تجدهُ ناهضاً لكَ حالُهُ ۝ لله ما إن دَلَّكَ مقَالُهُ
فَذَرْهُ فهو صاحبٌ لا يُصْحَبُ ۝ بل إنّه كالليثِ منه يُهْرَبُ
وهو الذى يَعْتَبِرُ الخلائقَ ۝ وإن تجد فى صَدْرِهِ الحقائقَ
يرضى عن النفسِ خبيثُ النفسِ ۝ فى قلبه الرفعةُ فوقَ الجِنْسِ
وإن تجِــدهُ عالِماً عَلوماً ۝ وأصبحَ الـكلُّ له مأموماً(١)
ثمَّ الذى مِنْ حقّهِ أن يُصْحَبَ ۝ مَنْ كان عندَ ربِّهِ مُقَرَّباً
وليس يرضى دائماً عن نفسه ۝ ولا إعتلى يوماً على ذى جِنْسِهِ
وامتلأتْ فى قلبِهِ حقائقُ ۝ وإنْدَفَعَتْ من عنده الخلائقُ
يصبرُ حيثُ أنتَ تؤذيهِ على ۝ أذاكَ فى الأكوانِ لم يرضى عُلا
وذلك العبدُ(٢) إذا أذَيْتَهُ ۝ فاعلمْ بأنَّ اللهَ قد عادَيْتَهُ

---

١ — الذى ينهضك حاله : هو الذى اذا رأيته ذكرت الله ، فان كنت فى حال الغفلة ، فلما رأيته نهض حالك الى اليقظة ، أو كنت فى حال الرغبة ، فلما رأيته نهض حالك الى الزهد ، أو كنت فى حالة الاشتغال بالمعصية ، فلما رأيته نهض حالك الى التوبة ، وهكذا ، والذى يدلك على الله مقاله ، هو الذى يتكلم بالله ويدل على الله ، اذا تكلم أخذ بمجامع القلوب ، واذا سكت انهضك حاله الى علام الغيــوب ، فحاله يصدق مقاله ، ومقاله موافق لعلمه ، والشيخ اذا لم يكن حاله كذلك لا تأخذ الطريق منه ولا نصاحبه لأجل الوصول الى الله ، وان كان فى أوج العظمة والشهرة بين الناس ، وأما اذا نصاحبه لأجل الدنيا والاستفادة من نفوذه الدنيوية ، فكن صادقا مع الله ومع عباده وأظهر لهم أنك انما تبعته لأجل الدنيا ، والا فان شره عظيم وعاقبته وخيمة بل أصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله .

٢ — فى الأصل « فذاك العبد اذا آذيته » .

وهذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » رواه البخارى .

فاخضعْ له منكسراً مسكيناً مطاوعاً لأمرِهِ مُعيناً
فاللهُ ينصرُ الذي ينصرُهُ تحفُّهُ الرحمنُ إذ يحضرُهُ
فهو الذي لا يَشْقى جليسٌ جالَسَهُ أو صاحبٌ أنيسُ(١)
وخصَّهُ الرحمنُ بالإكرامِ وتابعيهِ بينَ ناسٍ سامى
قد وُضعتْ لأجلِهم منابرُ من اليواقيتِ كذا الجواهر(٢)
يُجلِسُهُم مولاهُمْ عليها والنّاسُ حيرانٌ أسًا وتيْهاً
طُوبى لمن أحبَّهُمْ في اللهِ يدْرأُ عنهم عاتياً للهِ
فأمرُهُ للخيرِ والحسنى نَعَمْ له الكريمُ بالكراماتِ ختَمْ
والعبدُ إن أصبحَ له نُهُوضاً مناهضيهِ جاد لى تمحيضاً
وإنَّ ذاك العبدَ مَنْ نظرتَهُ مشتغلاً باللهِ فاعتبرْتَهُ
واسمعْ كلامَ الشاذلىِّ مبصراً
لا تَصْحبَنَّ من غدا لكَ مؤثراً(٣)
على مُناهُ لا ومَنْ أرادَ أنْ يؤثرَ نَفسَهُ عليك واعلمنْ
بأنَّ ذاك لا يدومُ غالباً
فاطلبْ شغُولاً بالإلهِ واصْحبَ

---

١ — وفيه اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — كما جاء فى صحيح مسلم باب مجالس الذكر « هم القوم لا يشقى جليسهم » وفى رواية البخارى « هم الجلساء لا يشقى جليسهم » فى الدعوات ١١/١٧٩ .

٢ — وهذا مفهوم قوله — صلى الله عليه وسلم — « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر من اللؤلؤ يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » قالوا : يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم ؟ قال : « هم المتحابون فى الله » الحديث رواه الطبرانى . انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ٢/٤٠٦ .

٣ — وهو قول الشاذلى : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم : واصحب من اذا ذكر ذكر الله ، فالله يغنى به اذا شهد ، وينوب عنه اذا فقد ، ذكره نور للقلوب ، ومشاهدته مفاتيح الغيوب . ايقاظ الهمم ص ٩٦ .

مِنْ حيثما يذكر يذكرُ رَبّهُ فاللهُ يُغْنِيكَ بِهِ نائبةُ
فذكرُ ذاك نورٌ للقلوبِ وإن يُشَاهَد فإلى الغُيُوبِ
أي المفاتيحَ لها يقودُ وهم قليلونَ وذا تمهيدُ
وآفةُ أمري خلا عن مَنْهَضٍ أنّ الذي يصحبُهُ ذو مرَضٍ
والكِبرِ ، والعُجْبِ وإعظامِ الهوى
ورؤيةِ النفسِ على الجوفِ حَوا

※ ◎ ※

٤٤ — ربما كنت مسيئا ، فأراك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك .

فرُبّما كنتَ مُسيئاً فَأرا كَ ذلك المرءُ ينابيعَ المرا
إنّاكَ محسنُ وخيرٌ حالاً منه فجانبْهُ ودَعْ وبالاً
والنفسُ تستشعرُ بالجبلّةِ فضيلة لها لأجْلِ العلّةِ
على الذي رأيةَ دُونَهُ هُدى فإصحبْ رشيداً بالعزائمِ إقتدى
وشرطُهُ الهمّةُ والأحوالُ صافيةٌ لا العلمُ والأعمالُ
إسمعْ كلامَ سيّدِ بن عبادِ
أعْنِيهِ عبدَ اللهِ قولُ من جادَ(١)
إنّ التواخي فَضْلُهُ لا ينكرُ وإن خلاَ من شرطِهِ لا يُشْكَرُ
والشرطُ فيه أن تواخي العارفَ عن الحظوظِ واللُحُوظِ صارِفَا

---

١ — الصواب أبو عبد الله : هو محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفرى الرندى وهو أول من شرح حكم المطائية وهذا الكلام موجود عند شرحه لهذه الحكمة .

مقالُــهُ وحالُــهُ سيّانِ ومادعى إلاّ إلى الرحمنِ
أنوارُهُ دائمــةُ السرايَةِ فيكَ وقد حقّقتْ بكَ الرعايةُ
وقاصدُ الفاقدِ هــذا الشرطَ بصُحبْةٍ يَعقِدُها قد أخطا
قــد إنتهى كلامُـــهُ ، والشــاذلىّ
قــد سألَ الأستاذَ والشيــخَ الولىِ
عن « يَسّرُوا ولا تعسّروا ولا
تُنفرّوا(١) » حديثُ مَنْ حازَ علا
فقال : معنى ذا الحديثِ دلّوا إلى الإلـهِ النّاسَ لا تَدُلُّوا
على سواهُ فالذى دلّ على دنياكَ قد غشّاكَ أو دلّ على
إكثارِ أعمالٍ فقد أتعَبَكَ أو الإلــهِ ناصحاً قرّبكَ(٢)
والزهدُ من علامةِ المصْحُوبِ لا العلمُ والأعمالُ فإقتدو بى

* ● *

---

١ — حديث « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » رواه أبو داود عن أبى موسى الأشعرى . انظر سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب كراهية المراء رقم الحديث ٤٨٣٥ ، وانظر جامع الأصول ٥/٥٣٤ .

٢ — قال رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » اى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره ، فان من دلك على الدنيا فقد غرك ، ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك ، ومن دلك على الله فقد نصحك . لطائف المنن ص ٢٥٤ .

٤٥ — ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب .

ما قلّتْ الأعمالُ من قلبٍ زهدَ ولا كثيرٌ مِنْ فؤادٍ إستَنَدَ
يرغبُ فى الدنيا ، ولإبن مسعود فيه كلامٌ فائقٌ فى الجوْدِ
رُكيعتانِ لإمرءٍ قد زَهَدَ
أفضلُ أعمالٍ رَغُوبٍ سَرمَداً(١)
والشاذلىُّ قد رأى الصدِّيقَ لَيْلاً موضِّحاً لهُ الطريقَ(٢)
فقالَ : ما علامةُ الدنيا إذا عن الفؤادِ خرجتْ فَنَفِذا
فقلت : لا أعلمُ ، أخبِرْنى بها فقال : بَذْلُها إذا كنتَ بها
وراحةٌ فيك إذا مافُقِدَتْ وتركُها الكلّى مهما وُجِدَتْ

* ● *

١ — روى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : ركعتان من زاهد عالم خير واحب عند الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا . ايقاظ الهمم ص ٩٩ .

٢ — روى أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى رأى فى منامه أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — وقال له : علامة خروج حب الدنيا من القلب ، بذلها عند الوجود ، ووجود الراحة منها عند الفقد . وعلامة التحقق بالانزال فى مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الأسباب ، وعلامة التحقق بالانزال فى مقام المعرفة هو الأدب ظاهرا وباطنا ، وحسن الخلق مع كل مخلوق . ايقاظ الهمم ص ١٠١ .

٤٦ — حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال ، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الانزال .

معرفةُ الإنسانِ أسُّ العملِ   وحالُهَ بها كبَدْرٍ يَنْجلى

فحسنُ أعمـالِ نتيجةُ الحسن(١)

من خالصِ الأحولِ من شَوْبِ الفتَن

وخالص الأحوالِ من تحقُقِ   بمورد الإنزالِ من قلبٍ نقى

ولا يدلُّ كثرةُ الأعمـالِ   على صلاحِ القلبِ والأحوالِ

إلاّ إذا أنْزلَ فيه نورٌ   يُغْنيه يُدنيه ويَسْتَنيرُ

يعتقهُ(٢) منْ طمعِ الأغيارِ   يُوحشُهُ حتّى عن الأنوارِ

فالفاهمُ الذى يحسنْ العمل   من كان للهِ بما إحتاجَ وكّل

ثمّ إعتنى به وكيلاً وإكتفى   معتمداً عليه ذا قلبٌ صَفَا

وليس مَنْ فَهِمَ الغنى سواهُ   وليس دُونَهُ سوى هُداه

* ● *

---

١ — حسن الأعمال دليل على حسن الاحوال والتحقق بالحال لأن السكون في المقام أمر باطني ،ظهر أثره في الجوارح حيث أن حركة الجوارح تدل على صلاح القلب ومصداقه لقوله — صلى الله عليه وسلم — « ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

فاذا تحقق القلب بالزهد ظهر ذلك على جوارحه من الثقه بالله والاعتماد عليه لقوله — صلى الله عليه وسلم — « ليس الزهد بتحريم الحلال ولا اضاعة المال وانما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك » .

٢ — في الأصل « يفتقه » .

٤٧ — لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز .

لا تَتْرُكِ الذكرَ إذا ما فَقِدَ حَضُورُ مولاكَ بِهِ واجتهد(١)
فإنّه السراجُ للقلوبِ مقرِّبُ المحبِّ للمحبوبِ
ذكرُكَ فى الأرضِ ذكرٌ فى السما(٢)
فى مَلأٍ من الكرامِ العُظَما(٣)
منشورُ مولاك مِنْ الولايةِ عَلامَةُ العنايةِ الوقايةُ
فغفلةُ العبدِ عن الذكر أشَدّ من غَفْلَتِهِ فيه ، فكُنْ فيه أبَد
عَسَاكَ أن تَنْتَقِلَ عَنْ غفلةِ فى الذكرِ موصُولاً إلى يَقَظَةِ
ورُبّما تَنْتَقِلُ عن يقظةٍ إلى حضورٍ وإلى قربَةٍ
وعن وجودِ قُرْبَةٍ والحضُورِ لغيبةٍ عن غيرِ من كانَ نُورُ
من نَفَحَاتِ رحمة اللهِ ما ذاكِرُهُ فى غفلة أكْرِمَا
أتيتُ فيه بكلامٍ وجيز ليسَ على اللهِ بشىءٍ عزيزِ

* ● *

١ — فى الأصل « ما فقدا .. واجتهدا » .

٢ — فى الأصل « وذكر فى السماء » .

٣ — ربما هذا الكلام اشاره الى الحديث القدسى الذى يقول الله فيه : « ان ذكرتنى فى نفسـك ذكرتك فى نفسى ، وان ذكرتى فى ملأ ذكرتـك فى ملأ خير من ملئك » .

٤٨ — من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات ، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات .

لكلّ قلبٍ ميّتٍ علامةُ ذنبٌ عظيمُ مالَهُ نَدامَةُ (١)
فُقدانُ حزنِ القلبِ أيّ شرّ ما للغبيّ عنه من مفرّ
والحيُّ أيضاً أن يُرى محزوناً من فوتِ طاعاتٍ غدا مَغبوناً
يلتذّ بالطاعاتِ ، والمعاصِى تُؤلِمهُ لهمّةِ إختصاص
يطلبُ هذا ويفرُّ من ذا لحرّ هذا أو لِطَعْمِ هذا
والقلبُ إذ ماتَ كمثلِ الحجرِ وهو أشدُّ يا لَه من ضَرَرِ
يا وَيْلَهُ تابعَهُ تلهّف زَحزَحهُ من قُربِه تَعسُّف

* ● *

---

١ — صدور الطاعة من العبد علامة على رضا مولاه ، وصدور المعصية علامة على غضبه ، فالقلب الحي يحس بما يرضيه عنه مولاه فيفرح ، وما يسخطه عليه فيحزن ، والقلب الميت لا يحس بشيء فيستوى عنده وجود الطاعة والمعصية ، لا يفرح بطاعة ، ولا يحزن على زلة ومعصية ، كما هو شأن الميت في الحس ، وفي الحديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه قال « من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن » رواه أحمد .

ولكنه مع هذا لا ينبغى للعبد أن يغلب النظر الى جانب الذنوب فيقل رجاؤه من ربه وسوء الظن بالله تعالى ، وييأس من رحمته .

٤٩ — لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ، فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه .

يا نادِماً على وجُودِ ذنبِهِ   لا يَأكُ ذا الندمُ لفضلِ ربِّهِ
يُوئِيهِ (١) باللهِ حسنُ ظنِّ   بل أرْجِهِ يا نادِماً بحُزْنِ
وخِفْهُ من عِظَمِ ذنوبٍ قُرِفَتْ   دواؤُها إذا الدموعُ ذَرَفَتْ
وحصلتانِ فى الذنوب أعظمُ (٢)   من الذنوبِ شؤمُها محكّمُ
إساءةُ الظنّ بحقِ الحقِ-   من السماحِ وبحقِ الخلقِ
من الصلاحِ ووَجَدْنا خَمسةً   عُظْمى من الذنوبُ وتتلو طَمْسَةُ
تعظيمُهُ أعظمُ من وجُودِهِ   كذا إحتقارُهُ لدى شُهُودِهِ
ثمّ جرأةٌ كـذا الإصرارُ   على الذُنوبِ وكذا الاجهارُ
فانّ من يعرفُ حَقًّا ربّهُ   فى جودِهِ راى صغيراً ذَنْبَهُ
مُعَظِّمُ الحقِّ هو المعظَّمُ   لذنبِهِ فهو بذاك يُعْلَمُ

---

١ — الوأى : الوعــد . ويجوز أن نقرأ « يوئنبه » أى يبعده .

٢ — صدور المعصية من الانسان علامة على غضب الله للمذنب ، وسره المعصيه . هى قسوه القلب والاستكبار ، وهناك عدة خصال فى بعض المذنبين أعظم من الذنب الذى اقترفوه ، وهى : الاصرار على الذنب ، والجرأه عليه ، والاجهار به ، واحتقاره ، وكذا تعظيمه ، والأسوأ من هذا القنوط من رحمة الله واليأس من عفوه ، لأن الذنب مهما كان كبيرا فان الله تعالى أكبر وأعظم .

ومن الخصال المذمومة أيضا سوء الظن بالناس ، والاعتقاد بانه لا يفيدهم اصلاح . وأنهم قد غمسوا فى الذنوب والآثام ، وان الله لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم . لأن هذا يؤدى الى سوء الظن برحمة الله ، وهو أرحم الراحمين فقد قال تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) [الزمر ٥٣] .

وقال — صلى الله عليه وسلم — « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وقال — صلى الله عليه وسلم — كان رجل فى بنى اسرائيل قتل تسعا وتسعين نفسا . فى حديث طويل أخرجه مسلم ، ويذكر فى نهايته ان الله غفر له لأنه أخلص التوبة لله .

ترجوه حتى الذنب تنساه كذا ترهبه رهبة من تحنذا
فالعارف الكامل لايميل من ذينك الحالين بل يطيل
تسياره فى الجانبين دائماً بلا إغترار وفتور دائما
لكن ذا العرفان من يحيد عن المعاصى هربه شديد
فالذنب لايسكن مهما قابلك بلطفه الواسع لما عاملك

٥٠ — لا صغيرة اذا قابلك عدله ، ولا كبيرة اذا واجهك فضله .

أى صغيرة بوقت عدله أى كبيرة بوصف فضله (١)
فيضمحل الذنب فى غفرانه والعبد لاشىء لدى سلطانه

٥١ — لا عمل أرجى للقبول (٢) من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده .

كن عاملا لا عاملا وفكر فى أنه كان له مقدر (٣)

---

١ — الصغيرة : هى الجريمة التى لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث ، والكبيرة : هى التى توعد عليها بالعذاب فى القرآن أو فى الحديث ، أو الصغيرة : هى التى ليس فيها حد فى كتاب الله ولا سنة رسوله والكبيرة : هى التى فيها حد مشروع فى القرآن أو فى السنة ، كالقتل والزنا مثلا ، وقيل : الكبيرة : هى السبع الموبقات ، وقيل : غير ذلك ، وهذا بالنسبة الى ظاهر أحكام الشرع ، لكن الله تعالى ، اذا عامل الانسان بالعدل وحاسبه حسابا عسيرا فانه يعذبه على أصغر ذنب ، وكذلك فان الله اذا واجه العبد بفضله واحسانه فان كبائر ذلك العبد تضمحل وتتلاشى فى احسان الله وتتبدل بحسنات ، فاذن لا صغيرة فى مقابلة عدله ولا كبيرة فى مقابلة فضله .

٢ — وفى نسخة « لا عمل أرجى للقلوب » .

٣ — يعنى لا عمل أرجى للقبول أو لحياة القبول من عمل يكون بالله ولله غير ملاحظ فيه حظوظ النفس وهواه ، فاذا أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل =

فشاهدْ المولى وغِبْ عن العمل ... وأخرجْ من البَيْنِ فتىً فيه نَهَل
مستوفياً شواهدَ الحُضُورِ ... مستوعباً شروطَهُ بالفورِ
تفنى بِهِ سبحانَهُ عن نظرِ ... فى عاملٍ أو عملٍ أو أثرِ
والناسُ أقسامٌ ثلاثةٌ هنا : ... فغائبٌ عنه بسلطانِ الفَنَا
ومن غدا للعملِ مُحْتَقِراً ... وجامع بينهما وأنْظُر تَرَى
ترجيح أوّلٍ على ثانيه ... والخيرُ منهما الذى يَليه

٥٢ — انما أورد عليك الوارد ، لتكون به عليه واردا .

أوردَ مولاكَ عليكَ وارداً(١) ... كى ترجِعَنْ مِنْهُ له وارداً
ووارِدُ القلبِ الذى يزْعجُه ... وعن سوى المعبودِ ما يخرجُه
وذلك السوى لـه قسمان : ... مُعْتادُنــا ونازلُ رحمان

=
وصغره فى عينة ، فلايزال جادا فى عمل الجوارح حتى ينقله الى عمل القلوب ، ومن علامات من تولاه الله فى أحواله ، أن يشهد التقصير فى اخلاصه ، والغفلة فى أذكاره ، والنقصان فى صدقه ، والفتور فى مجاهدته ، فتكون جميع أحواله عند غيره مرضية ، ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره .

١ — الوارد : نور الهى يقذفه الله فى قلب من أحب من عباده ، وهو على ثلاثة أقسام ، على حسب البداية والوسط والنهاية ، أو حسب الطالبين والسائرين والواصلين .

القسم الأول : وارد الانتباه : وهو نور يخرج الانسان من ظلمة الغفلة الى نور اليقظة ، وهو لأهل البداية من الطالبين ، فاذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالبا لربه ، فيقبل عليه بقلبه وبجوارحه ، ويجمع عليه بكليته .

القسم الثانى : وارد الاقبال : وهو نور يقذفه الله فى قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه ، فلايزال مشتغلا بذكره غائبا عن غيره ، حتى يمتلىء القلب بالنور ، ويغيب عما سوى الله ، فلا يرى الا النور ، فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار .

أيّهما نقولُ : دَعْهُ وإجتنبْ حاجب قلبٍ فإلى الحقّ إقتربْ
وإنمّا القصدُ لمن أوْرَدَهُ حتّى يكونَ القلبُ قد أفرده
فذاك جندٌ ورسولٌ جاءكَ وهو إلى باعثِهِ إستفاءك
فغيبةُ الواردِ إن تحققتْ والنظراتُ للألهِ إتّسقتْ
فذاك ، أولا فلِتقْصيركَ فى إليه للتقدير فوَطّنْ وإكتَفِ
وإنمّا فوائدُ الواردِ أن ترجعَ للهِ بتجريدكَ عنْ
أمرٍ تراهُ من وجودِ العِلل وأن تكونَ خارجاً بالُجمَلِ
عن كائناتٍ عبدتكَ ثمّ عنْ
سجنِ الهوَى والنفسِ إذ هنّ الفِتَنْ

* ● *

٥٣ — أورد عليك الوارد ، ليتسلمك من يد الأغيار ، ويحررك من رق الآثـار .

وأوسط الأقسامِ أنّ ربىّ أرادَ إحتقارَ مافى قلبى (١)
من دُونِهِ فأوردَ الواردَ لِى حتىَ أزيلَ غيرَهُ من علِى
يُخرِجُنىِ للقلبِ من تَرقُ بالليل والركُونِ والتشوّقِ
للواردات وإلى الأنوارِ ذاك هو التسليمُ من أغيارِ
فلا يكونُ لى بها إسْتنادُ ولا إعتمادُ وكذا إستمدادُ

* ● *

---

١ — فى الأصل « من ما فى قلبى » .

٥٤ — أورد عليك الوارد ، ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك .

وثالثُ الأقسامِ والفوائد ... أرادَ إخراجَك عند الوارِدِ(١)
عليكَ من سِجْنِكَ من وُجُودِ ... إلى فَضَاكَ موردِ الشُهُودِ
وإنّما الوارِدُ كان حامِلا ... عن السوى للهِ حَمْلا كامِلاً

※ ● ※

٥٥ — الأنوار مطايا القلوب والأسرار .

قال فسيحُ النورِ والأسرارِ ... شيخُ الشيوخِ كاملُ الأنوارِ
فوارِدُ الأنوارِ والأسرارِ ... هنّ مَطَايَا القلب والأسرارِ
والنورُ ظِلٌّ واقعٌ فِي الصدور ... مِن أثر الوارِدِ والظلُّ نور
مَطِيّتُهُ القلوبُ بالإيضاحِ ... مِن فَهْمِهَا حَضْرَةُ ذا الفتّاحِ
ثمّ مَطَايَا وارِدِ الأسرارِ ... بيانُ عِلمِ حضرةِ الجبّارِ
سارتْ من القلب مَطَايَا فَهْمِهِ ... وطالعاً سارَتْ مَطَايَا عِلمِهِ
فالنورُ حيثُ كانَ القلبُ حامِلاً ... للهِ لا يحمِلُ شيئاً باطِلا
كرؤيةِ النفسِ ذكَتْ أو نَقَصَتْ ... أو قرُبَتْ إلى الحبيبِ أو مَقَتَتْ

※ ● ※

---

١ — وهذا اشارة الى القسم الثالث : وهو وارد الوصال : وهو نور يستولى على قلب العبد ، ثم يستولى على ظاهره وباطنه ، فيخرجه من سجن نفسه ، ويغيبه عن شهود حسه ، الى اتساع شهود الرب .

٥٦ — النور جند القلب ، كما ان الظلمة جند النفس ، فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار ، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار .

والنورُ جندُ القلبِ مُستَقوِيه (١)
ومُضْعِفُ النفسِ بما يُلْقِيه
والنفسُ من جنودِها ظلماتُ   محصُورُها الجهلُ وتخبيطاتُ
والصلفُ الشنيعُ ، ثمّ النورُ   بالكشفِ والتحقيقِ قد يُنيرُ
فمن أرادَ اللهُ أن ينصُرَهُ   يبعثُ جُندَ النورِ كي يحضره
ويقطعُ الجندَ الذى للنفسِ   أو خذلاناً فله بالعكسِ
فمَنْ حماه بربوبيتهِ   أوقفَهُ عندَ عبوديتهِ

* ● *

٥٧ — النور له الكشف ، والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار

والنورُ إذ تمّ فذو الكشف لما   يُهِمّ أولا فله حكم العَمى
وللبصيرةِ عليه الحكم   (٢)فيقبلُ القلبُ لما يَهتَمّ

---

١ — النور هو جند القلب ، لأنه يكشف عن حقائق الأشياء ، فيتميز الحق من الباطل ، فيحق الحق ويبطل الباطل ، فينتصر القلب باقباله على الحق على بينة واضحة ، وتنهزم النفس بانهزام جند ظلماتها ، اذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النهار .

٢ — النور من حيث هو من شأنه أن يكشف الأمور ويوضحها حتى يظهر حسنها من قبيحها ، ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح بقبحه ، والقلب يقبل على ما يثبت حسنه ، ويدبر عن ما يثبت قبحه ، فقلب المؤمن العاصى لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة ، فاذا استضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه ، وفرق بين الحق والباطل .

قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) [الأنفال ٥٣] ، وقال تعالى : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) [الزمر ٢٢] .

وكان عمّا لا يُهِمّ مُدْبِراً ... وذو التخابيطِ بنورِ مُصْبِراً(١)

●

٥٨ — لا تفرحك الطاعة ، لأنها برزت منك ، وافرح بها لأنها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ومنه فرحُ القلب بالطاعاتِ ... من حيث كونهنّ تكرماتِ
وينبغى أن يفرحَ القلب بها ... لذاك لا لكونِها فَعْلها
ينشأ منه الشكر لا العُجْبِ ولو ... يعكس قوم فعلى العُجْبِ علَوا
وأتلُ عليهم قُلْ بفضلِ اللهِ ... (٢)لِيَفْرَحُوا ذاكَ من إنتباه

●

٥٩ — قطع السائرين له ، والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم ، أما السائرون ، فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، وأما الواصلون ، فلانه غيبهم بشهوده عنها .

وقطعَ السائرَ والواصلَ عن ... رؤيةِ أعمالٍ وأحوالٍ لأن
يشهدَ فَقْدَ الصدقِ للسائرِ وأَلْ ... فَنَا بِهِ عنها لمن كانَ وصَلْ
فَقَطعَ السائرَ عن أعمالِهِ ... وقطع الواصل عن أحوالِهِ

---

١ — فى الأصل « مديرا .. قصيرا » .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) [يونس ٥٨] .

فللقبيلتين لاحَ الرُشدُ طوعاً وكرهاً لصوابٍ وَجَدُوا(١)

فالسائرونَ شاهدُون عِللاً والنقصَ فيما فَعلوا وزللاً

والواصلونَ عن سواهُ أفنوا لحضرةِ الواحدِ حينَ أدْنَوْا

فلا يرونَ لهم ثواباً إن أحْسَنُوا له ولا عِقاباً

حين أساؤا بشهُودِ الفاعِل في الحالتينِ وزوالِ العاملِ

* ● *

---

١ — قطع السائر والواصل : يعنى ان الله غيب السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة ، وشهود أحوالهم الباطنة ، أما السائرون فلأنهم يتهمون أنفسهم على الدوام ، فمهما صدر منهم احسان ولاح لهم يقظة ، رأوها فى غاية الخلل والنقصان ، فاستحيوا من الله ان يعتمدوا عليها أو يعتدوا بها ، فغابوا عن أعمالهم وأحوالهم ، واعتمدوا على فضل الله ، لأنهم لم يتحققوا بسر الاخلاص فيها فلم يروها ولم يركنوا اليها .

وأما الواصلون فلانهم فانون عن أنفسهم غائبون فى شهود معبودهم ، فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومن الله والى الله ، اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه ، فان ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم احسان شهدوا فى ذلك ربهم — سبحانه وتعالى .

الباب السابع

٦٠ — ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع .

ما بسقتْ أغصانُ ذلّ إلاّ	على بذور طمعٍ تولّى
وأصل كلِ طمع وَهْمٌ غلبَ	يميل طامعا(١) إلى سُوءِ الطلبِ

※ ● ※

٦١ — ما قادك شيء مثل الوهم .

فمثلُ وَهْمِ المرءِ لا يَقُودُهُ	شيءٌ إلى ظَنّ فذا يحدُهُ
عن اليقينِ للشكوكِ مطلقاً	يغرمُ من حيثُ خيالٌ سبقا
مُقْعَد على(٢) شهُودِ السببِ	بِوَهْمِهِ الباطلِ والقابِ الغبي
يَرْكَن للنّاسِ وينسى رَبَّه	فانقادَ للمطمُوعِ عبداً جنّبه
معبودُهَ المَطْمُوعُ عن مولاه	يا خيبةَ الطامعِ يا ذُلاّه
فمن أطَعْتَه فأنتَ عبده	وهو أميرٌ لكَ أنت جُنْدَه
يا عبدَ أولادٍ مع النسوانِ	حَسْبُكَ من عبادةِ الشيطانِ
حقيقة العبدِ هي إنقياد	فإعْجَبْ لمَنْ معبودُهُ عِبَادُ

※ ● ※

---

١ — وفي الهامش « يحيل طامعا » .
٢ — في الأصل « معقد على » .

٦٢ — انت حر مما انت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع .

وأنت حرٌّ ممّن أنت عنه مُسْتَشْعِر اليأسِ فجانِبْ عنه
وأنتَ عبدٌ من طمعتَ فيهِ فَدَعْ صنيعَ جاهلٍ سفيهِ
وقد رأينا العزَّ عند مَنْ قَنَعْ كما رأينا الذُّلَّ عندَ من طَمَعْ
ألا ترى لطائرِ العقاب لطمعٍ يُوقَعُ فى العذابِ
فى شَبَكِ الصبيانِ يلعبون بِهِ فإعتبرنْ بذُلِهِ وطَلَبِهْ
وأنْظر إلى إمتحانٍ لأبى الحَسَنْ
أعنى علياً شَيْخَنَا البصرىّ حَسَن(١)
بمُفْسِدٍ ومُصلِحٍ للدين فقالَ : ذا بطمعٍ مُهِينٍ
وذا بِوَرَعٍ فاسْتَدَلَّ بهما على كمالِ حالِهِ فخُذْهُمَا

* ● *

٦٣ — من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان ، قيد اليه بسلاسل الامتحان .

أرادَ ربُّ النّاسِ منهم أن يَرى ذُلاً لَهُ منهم وتركاً للوَرَى
فيطمعوا فى فضلِهِ دُونَهُمُو طوعاً وكرهاً ذا المرادُ مِنْهُمُو
ويرجِعُوا إليه بإختيارِ أو إبْتَلاهُمْ بِبَلاءٍ طارى(٢)

---

١ — روى ان الامام عليا — كرم الله وجهه — قدم البصرة ، فدخل جامعا ، فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى وجد الحسن البصرى فقال : يا فتى انى سائلك عن أمر فان اجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك .. فقال : ما ملاك الدين ؟ قال الورع ، وقال : ما فساد الدين ؟ قال : الطمع ، ذكره ابن عجيبة فى ايقاظ الهمم ص ١٢٠ .

٢ — سنة الله تعالى استدعاء العباد لطاعته بسعة الأرزاق ودوام العافية ليرجعوا اليه بنعمته ، فان لم يفعلوا أبلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون ، =

لأنّهم بهِ إليـه عرفـوا أو جهلوا أنفسَهُمْ لم ينصِفُوا
فحيثُ هم لم يرجعُوا إليـه ضرّاؤه حفّتْ بهم عليـه
فمن تنحّى عنهُ من تجاهُلِ قيّدهُ إليـه بالسّلاسلِ
ألا يرَى سـوابقَ الإحسانِ فكثيرَهَا بعـارضِ إمتحان
أوسعَ فى الأرزاقِ والعـوافى ليرجعُوا إليهِ بالإنصافِ
وخيرَةٍ منهم ، فإذ لم يرجعُوا أدّبَهُمْ عنـدَ البلاَ ليرجعُوا

※ ● ※

٦٤ — من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالهـا .

فشاكرُ النعماءِ راجعٌ له وغيرُهُ بِوَجْهِهِ حقٌّ لهُ
ففاقدُ الشكرِ عليها مُعترِضْ لفقدِ نعمةِ الإلـهِ فإنتهضْ(٢)

لأن مراده عز وجل رجوع العباد اليه طوعا وكرها قال تعالى (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) [الرعد ١٥] .

فقوم بسط الله عليهم النعم ، وصرف عنهم البلايا والنقم ، ورزقهم الصحة والعافية ، وأيدهم بالأموال ، فأدوا حقها وقاموا بشكرها ، وتشوقوا الى معرفة المنعم ، فكانت معونة لهم على القدوم على الله ، أخرجوها من قلوبهم ، وجعلوها فى أيديهم ، وقيل ما هم ، قال تعالى (وقليل من عبادى الشكور) [سبا ١٣] .

وقوم أمدهم الله بالنعم ، وبسط لهم فى المال والعافية ، فشغلهم ذلك عن النهوض اليه ، ومنعهم من المسير اليه ، فسلب ذلك عنهم ، وضربهم بالبلايا والمحن ، فاقبلوا على الله بسلاسل الامتحان .

١ — لقد اتفقت أقوال الحكماء على أن الشكر قيد الموجود ، وصيد المفقود ، وقالوا أيضا : من أعطى ولم يشكر ، سلب منه ولم يشعر ، قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى ١١] .

=

أ، فبإنتهاء شكرها(١) زوالهـا وشكرُ مولاك لهـا عِقالهـا

●

=

والشكر على ثلاثة اقسام : شكر اللسان ، وشكر الأركان ، وشكر الجنان ، فشكر اللسان التحدث بنعم الله .

وشكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال تعالى (أعملوا آل داود شكر) [سبا ١٣] .

وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد ، هى من الله ، قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) [النحل ٥٣] .

والنعم التى يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام : دنيوية ، كالصحة والعافية والمال الحلال ، ودينية ، كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة . وأخروية ، كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل . وأجل النعم الدينية التى يتأكد الشكر عليها نعمة الاسلام والايمان والمعرفة ، وشكرها هو اعتقاد أنها منة من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة ، قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) [الحجرات ٧] فلو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الأعمال ، أى شىء كنا نصنع ؟ وعلى أى شىء نعول ؟ وبأى شىء كنا نطمئن ونرجو ؟ فهذا من كبائر النعم ، ومعرفته هو شكر نعمة الايمان .

١ — فى الأصل « فزوالها » .

٦٥ — خف من وجود احسانه اليك ، ودوام اساءتك معه ، أن يكون ذلك استدراجا لك (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) .

فَخَفْ من إستدراجِهِ (١) عند النِعَمْ
وأنت دو إساءَةٍ فإخشَ النِقَمْ
وآذكُرْ عليه آيهَ إستدراجِ (٢) ثُمَّ تأَهَّبْ بعدُ بالعلاجِ
وذاكَ ذكرُ شكرِهِ والتوبةُ من المعاصِي وإليه الأوْبَةُ

* ● *

---

١ — الاستدراج : هو كون المحنة فى عين المنة ، وهو مأخوذ من درج الصبى : أى أخذ فى المشى شيئا فشيئا ، ومنه الدرج الذى ترتقى عليه الى العلو ، والمستدرج : هو الذى تؤخذ منه النعمة شيئا بعد شيء وهو لا يشعر .

فالانسان لابد أن يخاف من دوام الاحسان اليه بالصحة والفراغ وسعة الرزق ودوام الامداد الحسية أو المعنوية مع دوام اساءته معه بالغفلة والتقصير ، وعدم شكره لله تعالى أن يكون ذلك استدراجا منه تعالى حيث قال تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [القلم ٤٤ — الأعراف ١٨٢] وقال تعالى (وأملى لهم ان كيدى متين) [الأعراف ١٨٣ — القلم ٤٥] وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) [الأنعام ٤٤] وقال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) [آل عمران ١٧٨] .

فالواجب على الانسان اذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة حسية أو معنوية أن يعرف حقها ، ويبادر الى شكرها نطقا واعتقادا وعملا : فالنطق : الحمد والشكر باللسان ، والاعتقاد : شهود المنعم فى النعمة واسنادها اليه ، والشكر بالعمل : صرف النعمة فى طاعة الله ، فان لم يقم بهذا الواجب خيف عليه السلب والاستدراج .

٢ — وهى قوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [القلم ٤٤ — الأعراف ١٨٢] .

٦٦ — من جهل المريد أن يسيء الأدب ، فتؤخر العقوبة عنه ، فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ، ولو لم يكن الا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد ، وهو لا يدرى ، ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد .

فحيثما المريدُ ساءَ فى الأدبْ(١) وقال : لو أسأتُ شيئاً لَذَهَبْ

ما عندَ ربىّ لى من إمْدادِ وأوْجَبَتْ إساءتى إبْعادى

وذاك من تأخّرِ العُقوبَةِ فهو جَهُولٌ جَهْلَةَ العُقُوبَةِ

مُسْتَدْرَجُ لو أنّهُ يَقْظَانُ رَكِبَهُ الخُسرانُ والنُقْصَانُ

سوّلَتْ النفسُ لـه ظُنُوناً لو أنّهُ يعْلَمُهُ مَغْبُونا

فيالَهُ مِنْ أقْبَحِ التأْوِيلِ يحكمُ فى غَوامِضِ الجَاهِلِ

يَغْتَرّ بالصبرِ من الصَبُورِ ولا يَخافُ نقمةَ الغيُورِ

مَحَطُّ نظرِ العُبّادِ هـذا على النفوسِ حيل إستحواذاً

---

١ — ومواطن الآداب التى يخل بها المريد فيعاقب عليها أربعة : آداب مع الله ، آداب مع رسول الله ، آداب مع الشيخ ، آداب مع الاخوان .

فاما الآداب مع الله تعالى ، فامتثال أمره واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره وايثار محبته ، وحفظ الحدود والوفاء بالعهود ، والرضى بالموجود ، فان أخل بشيء من هذه الأمور ، وأساء الأدب مع ربه ، فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار ، فان أخر التوبة الى وقت آخر انقطعت عنه الامداد واستوجب الطرد والبعاد ، وقد لا يشعر بذلك فى الحين فيحتج لنفسه ، ويقول : لو كان هذا سوء أدب لانقطع عنى المدد ، وهذا منه جهالة وجهل ، أما الجهالة : هى سوء الأدب الذى صدر منه ، أما الجهل : هو مخاصمته عن نفسه وانكار أن يكون ما صدر منه سوء أدب . وأما الآداب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاتباع السنة ومجانبة البدعة ، وايثار محبته ، والاهتداء بهديه ، والتخلق بأخلاقه . أما الآداب مع الشيخ : فبامتثال أمره ، والسكينة والوقار فى الجلوس بين يديه ، والمبادرة الى خدمته ، ودوام حضور مجلسه ، والاعتقاد بأنه أهل للتربية ، وحفظ حرمته غائبا وحاضرا ، وأما الآداب مع الاخوان : فبحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ، ونصيحتهم بتعليم جاهلهم وارشاد ضالهم ، والتواضع لهم وخدمتهم بقدر الامكان ، وحسن الظن بهم .

إســاءة الالاءِ والتعَـــامِى   من كلّ مشْلّبٍ عليها نامِى
فحقّهُ خدمةُ شيخٍ عارفٍ   يطيعُهُ فى سائرِ المواقفِ
أجمعتْ الشيُوخُ أنّ كلّ منْ   لم يخدمِ العارفَ فهو فى المحنْ
وسئل الدقاق(١) ، والثورى(٢)   والواسطى(٣) وكذا النورى(٤)

---

١ — أبو على الدقاق : هو الحسن بن على النيسابورى الشافعى قال المناوى كان لسان وقته وامام عصره كان جنيدى الطريقة آخذ مذهب الشافعى — رضى الله عنه — عن القفال والحصرى وغيرهما وبرع فيه ثم أخذ فى العمل وسلك طريق التصوف وأخذ عن النصر أبا ذى وذكر له كرامات توفى سنة ٤٠٥ أو ٤٠٦ المناوى الكواكب الدرية فى تراحم السادة الصوفية للشيخ عبد الرؤوف المناوى ٦٢/٢ .

٢ — النورى : هو سفيان بن سعيد الثورى ، قال الشعرانى فى الطبقات : كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ وكان رضى الله عنه عالم الامة وعابدها وزاهدها ، ترجم له معظم المؤرخين ، وأشادوا بفضله وعلمه وزهده ، وصلاحه ، وقال الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه « سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث » لقد كان سفيان يحث على الكسب الطيب وهو ما نكسب بيدك ويدعو الى الزهد ، ومن حثه على الكسب والعمل وصيته لعلى بن الحسن حيث قال : يا أخى عليك بالكسب الطيب ، وهو ما تكسب بيدك ، واياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه ، فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى (أى يتكلم بهوى من ينصدقون عليه منحرفا عن الحق) ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه .. ويا أخى جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة .

حلية الأولياء ٣/٧ — سفيان النورى ص ١٥٤ .

٣ — أبو بكر الواسطى : هو محمد بن موسى من كبار أتباع الشيخ جنيد البغدادى ، وهو فرغانى الأصل قال المناوى : كان رفيع المقدار عالى المنار ،وكانت جماعته الذين بحضرون ورده كل بوم خمسة آلاف ، ولم يتكلم أحد مثله فى أصول التصوف توفى بمرور سنة ٣٢٠ . الكواكب الدرية ٥٥/٢ .

٤ — النورى : هو أبو الحسين أحمد بن محمد النورى البغدادى ، قال ابن الملقن : لم يكن فى وقته أحسن طريقة منه ، ولا الطف كلاما ، صحب السرى السقطى وأحمد بن أبى الحوارى وكان من أقران الشيخ جنيد البغدادى ، مات قبل الشيخ جنيد فى سنة ٢٩٥ هـ والنورى نسبة الى نور بليدة بين بخـــارى وسمرقند ، قيل يقال له : النورى لحسن وجهه وجماله . طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٦٢ .

عن سبَبٍ يُقَوِّمُ الرجالاَ   من بعد إعْوِجاجِهِمْ مَالَ
فالْجأوا إلى الامامِ العارفِ   عن العُيُوبِ والقُلوبِ صارِفِ
يا أيّها المريدُ حَظُّكَ الأدبُ   ولا تظنّ مامضى فهو العَطبْ
فاللهُ قد يقطعُ منكَ المددَ   من حيثُ لاتشعر وأسلُكْ رَشَداً
لو لم يكُنْ ذاكَ إلاّ مُوضِعكَ   عن المَزيدِ أو يِ الى وَضَعْكَ
عن المزيدِ فى علومِ النَهَجِ   ونورِ إيمانٍ بِهِ مُبْتَهِجِ
ورؤيةُ الجلالِ والجمالِ   والقطعُ فى الأعمالِ بالأغلالِ
وأوجُهُ الاخلاص بإختصاصِ   ذاك مزيدٌ مُوجِبُ الاخلاصِ
وقد يقامُ العبدُ فى مرادِهِ   مستَدرَجاً وسدّ بإنطرادِهِ
يامَنْ تواترتْ له إمدادُهُ   فى طرِّدهِ وقد أتى مُرادَهُ
إلْجأْ إلى اللهِ وخَفْ من صدّهِ   من حيثُ لايُدْرى بأقصى بعده
ذاكَ هو استِدْراجُهُ الحقيقى   بل مكرُهُ فى بحرِهِ العميقِ
قال الجُنَيْدُ : إنّ مايخادِعُ(١)   من ألْطَفِ الإشياءِ ما يتابعُ
فيه الكراماتُ التى للاوليا   أو المعوناتُ لقومٍ أصْفِيا
فقد تكونُ خِدعاً ومكراً   ولو توالتْ كلّ حينَ تَتْرَى
فخشيةُ إستِدْراجِها نجاتُهُمْ   من مَكْرِها ولا لها إلتِفاتُهُمْ

* ● *

---

١ — فى الأصل « انما يخادع » والشيخ جنيد قد سبق ترجمته .

٦٧ — اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد ، وأدامه عليها ، فلا تستحقرن ما منحه مولاه ، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد .

وكلّما إحتقرتَ قوماً أدْرجُوا ... فى طاعةٍ أنتَ بهِ مُستَدْرَجُ

ولا تُهِنْ من كانَ فى الاسلامِ ... تكونُ فى شقاوةِ الإيامِ

ومقتُ مولاك على المحتَقِرِ ... لمسلمٍ فلا تَحِدْ عن أثرِ

إذا رأيتَ العبدَ قد أقامَهُ ... فى دائمِ الأورادِ فإستدامَهُ

فحيثما احتقرتَهُ مَمقُوتُ ... ألا ترى قد زَانَهُ نُعُوتُ

سيماً كرام عارفين إذ لَمْ ... تُشْهَدْ عليه وهو فى تكرُّمْ

فمَنْ يُديمُ هكذا محفُوظُ ... بقُربِه ونصرهِ ملحُوظُ

وهو فى المحبوبِ ذو إختصاصِ ... فمَنْ أهانَهُ شقِىٌّ قاصِ

لا سيّما مَنْ إنتمى للأوليا ... أو كانَ فى أحوالهِ متّقياً

فإنّه أذاهُ سُمٌّ قاتلُ ... واللهُ فى إنتصارهِ مقاتِلُ

ورُبّما حلَّ بهِ التقديرُ ... فيذنبُ الكبيرَ والصغيرَ

لكنّهُ من بعْدِهِ توّابُ ... ولا هناكَ النقصُ والثواب

فعَظِّمْ الشيوخَ والمريدَ ... ووَقِّرْ المرشدَ والرشيدَ

وإقبلْ من الجميع ما أتوهُ ... ولا تكُ المنكرَ مَنْ قَلَوْهُ

فمنكرُ القومِ هو الشقِىُّ ... معاتبٌ مُعذّبٌ قصِىٌّ

فى هذه الدُنيا وفى عقباهُ ... إن لم يُسامِحْ بعده مولاه

وسلّمْ الأمرَ لهم جمعياً ... واخضعْ لهم ما كنتَ مُستطيعاً

وإخدمْهُمُ فهمْ عبادُ الكرمِ ... وأحضرهم تفُزْ بغيرِ النعمِ (١)

---

١ — هكذا كان البيت مكتوبا ، لكن الاوفى للمعنى أن يكون هكذا :

واخدمهم فهم عباد كرماء ... واحضرهم تفز بفوز النعما

ولا تُبَايِنْهُمْ وعاشِرهُمْ أبد ... ولا تُخالِفْ منهم قطُّ أحدْ
بِحُبِّهِمْ فابغِ رِضاء الله ... مُنْتَظِراً بِهِمْ وِلاءَ اللهِ
هم الذين يَسْعَدُ الجليسُ ... لأجلهم لا سيّما الأنيسُ
مَنْ نصبَ الرحمنُ شيخاً فاه ... من عندهِ كرامةٌ خَوَّلَهُ
مُنْتَسِباً للهِ ما إستطاعَ ... أظهر في طريقهِ إنقطاعاً
يصدُقُ أمْ يكذبُ فهو أهلُهُ ... وإن يكنْ لا يستجابُ قولُهُ
لكنّهُ تعيَّنَ إحترامُهُ ... وواجبٌ من بيننا إكرامُهُ
فإن توفرتْ شروطَ القُدْوَةِ ... فَذَاكَ ، أوْلاما إستحق أُسوةً
لكنّه إستحقَّ تعظيماً لَه ... والله لإنْتسابهِ فَضّلَهُ
بَيَّنَه له مِنْ العنَايَةِ ... وجودَ أورادٍ له ولاية
فإنّه لولا وُرُودُ الواردِ ... فكيفَ للوردِ الشريفِ يَهْتَدى
فهو بتعظيمِ العظيمِ مُعتنى ... مفتقرٌ إلى جَنَابِهِ الغَنى
فالحقُّ مُعتَنٍ بِهِ فَعَظّمُوا ... من إعتنَى بِهِ الإآلهُ تَغْنَمُوا
ولا تَهِينُوهُ فإنّهُ إنتسبْ ... لربّهِ تَلْقُوا بِهِ سوءَ العطبْ

* ● *

٦٨ — قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم اختصهم بمحبته (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) .

ومنهم الذى أقامَ الحقّ ... لخدمةٍ هُمُ العُبّادُ الصُدُقْ
وبعضهم خَصَّصَهُمْ بحبّهِ ... أجلسَهُمْ على كراسى قُرْبِهِ
فالأولونَ أصبحُوا أقساماً ... ثلاثة أعُدُّهُمْ تماماً
فمنهم العُبَّادُ والزُهَّادُ ... وأهلُ طاعةٍ لهم سَدادُ

فالأوّلُ الذى يُحَقِّقُ العملْ لغرضٍ وهو تحصيلُ الأملْ
والزاهدُ المُدْبِرُ عن مَلاَمَةِ وجانبَ الخلقَ على السلامة
والثالثُ المكثرُ للأعمالِ فى ساعةِ الغُدُوِّ والأصالِ
وهكذا أقسامُ أوليانا(١) ثلاثةٌ بِهِ مخصصينا
أعظمُهُمْ فانٍ لدى الوُصُولِ أهلُ إجتباءِ اللهِ والقَبُولِ
تاليهُمُ العارفُ ناظراً له فى كلِّ شىء فتحقّقْ فَضْلَهُ
والثالثُ المحبُّ مَنْ آثرَهُ(٢) على سواهُ دائماً حاوَرَهُ
كُلاًّ نمد(٣) هؤلاءِ بالعطا وهؤلاءِ ما لهم حُجْبُ الغِطَا

* ● *

---

١ — فى الأصل « أولينا » .
٢ — فى الأصل « من آثاره » .
٣ — فى الأصل « كلا غدى » .

البـــاب الثامن

٦٩ — قلما تكون (١) الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد .

الواردُ : تَنَزُّلُ العِرفانِ (٢) على القلوب وهَوى الرحمانى
يوجبُ تأثيراً و تعظيماً لها يوجبُ للقلوبِ أن تنتبه (٣)
وقلَّ أن يجيءَ ذاك الواردُ إلاّ على الفجأةِ غَيبَ واردُ
صيـانةً للواردات النـازلةِ أن يدَّعيها القلوبُ الجاهلةُ
بعلّـةِ القبـولِ واستعدادِ وبثّها يُفْضى إلى الإفساد
فصانهـا لأنّهـا عزيزةٌ من العزيزِ أنزلتْ حَريزا
وكانّهـا كان من العـزيز فهو عزيزُ صينَ عن تبريز
وإنّهـا أسرارُ إختصـاصٍ وهو شريفٌ فى مقامٍ قاصٍ
لو بُذِلَتْ أسرارُهُ لبطاتْ أسرارُ تخصيصٍ من حيث إنجلتْ
وإنّها توجبُ تعظيماً لهـا لأنّهـا كرامـة أنزلهـا
ومنّـةُ شُكرانُها إخفاؤها عَطيّـةٌ كفرانُها إبداؤها
قيل : إذا النعماءُ عمّتْ كفرت وصُغِرَتْ وإن تخصّتْ شُكِرَتْ
فهى إذاً أحقُّ بالإخفـاءِ وكَتْمُهَا أعجبُ من إبداءِ

❊ ● ❊

---

١ — وفى نسخة « قل ما يأتى الواردات الالهية » .
٢ — فى الأصل « التنزل العرفانى » .
٣ — فى الأصل « أن تنتبها » .

٧٠ — من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ، ومعبرا عن كل ما شهد ، وذاكرا كل ما علم ، فاستدل بذلك على وجود جهله .

فمَنْ رأيتَهُ مُجيباً حَيْثُمَا سُئِلَ عن الشيء ولو قد عَلِمَ
أو ذاكراً جميعَ ما يَعْلَمُهُ مُعَبِّراً عن كلِّ ما يفهَمُهُ
فهو جَهُولُ ، واستَدلّ عليه لأوجُهٍ ثلاثة لديهِ
أحدُها قد تَرَكَ المراقَب فليس كلُّ سائلٍ يُجَاوَب
ولا لكلِّ كلُّ عالمٍ يذكرُ وكلُّ مشهودٍ فلا يعبّرُ
فهؤلاء ليسَ بالواردِ ما أتَوْا بِهِ والقلبُ فى طيِّى العَمَا
قال(١) علىّ حَدِّثوا الناسَ بما
تفهمُ ، أولا كذّبوا مَنْ فى سما
إنّ حقائقاً تضرُ الجُهَلاَ كما يضرُّ ريحُ مسكٍ جُعَلاَ
ثانيها(٢) تعذّرُ الإحاطةِ عند الجواب لم يكَنْ بَساطَةُ
وإنّه إضاعةٌ للعلمِ لبذلِهِ فى غيرِ أهلِ الفَهْمِ
وإنّه لا تُدْرِكُ العبارةُ جميعَ ما تثبتُهُ الإشارةُ
فأدّتْ العبارةُ الخِلافَ من قصدِهِ فانشأتْ جِزافاً
لذا ترى جماعةً تحقّقُوا للهِ عندَ النَّاسِ قد تَزَنْدَقُوا
ثالثُها الأوقاتُ والمواضعُ مختلفانِ والمقامُ واسعُ
فربّما مسألةٌ تَليقُ بالذكرِ فى وقتٍ ولا تليقُ

---

١ — روى عن الامام على — كرم الله وجهه — أنه قال : حدث الناس بقدر ما يفهمون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ايقاظ الهمم ص ١٤٣ .

٢ — فى الأصل « ثانيهما » .

فى غــيره ورُبّ عام مخطبُ
فى موضعٍ لا دُونَهُ . بل يُحْجَبُ
ورُبّ مشهودٍ يصحُّ ذكرُهُ ويستحقُّهُ فتىً لا غــيرُهْ
وفى زمانٍ لا زمان فالنسبْ
كثيرةُ الخُلْفِ لخُلُفٍ فى السبب

* ● *

فى تأخير الثوابِ إلى يومِ القيامةِ

٧١ — انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ، ولأنه أجل اقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها .

وحاملُ التعبيرِ لإستظهارِ للميلِ والإقبالِ والإدبارِ
وجهلهُ بدارهِ الباقيةِ وحُبّهُ لدارهِ الفانيةِ
فلم يُعَظِّمْ ما الإلهُ عظّمَ فمّا أعِدّ فى المعادِ حيثما
صيّرَ عُقْباتنا محلاّ للجزا لكونِ ذا الموضعِ شيئاً موجزاً
لا تسعُ الدنيا الذى يمنحُهُم
— فالمؤمنونَ — جلّ ما يستحقُّهُمْ
والله قد أجلّ أقدارهُمُ عن المجازاتِ بدارٍ لَهُمُ
ليسَ لها البقاءُ والفنا لها فَتَفضّلهُ الواسعُ ليس أهلُها

* ● *

٧٢ — من وجد ثمرة عمله عاجلا ، فهو دليل على وجود القبول آجلا .

٧٣ — اذا اراد ان تعرف قدرك عنده ، فانظر فيما ذا يقيمك .

والجزا مقدّماتٌ وهى ثمرةٌ وجْدانُها ما اختُفِيَا
ذاك دليلٌ لقبولِ العملِ وعبّروا عن ذاك بالمعجّلِ
فكلُّ مَنْ أصبحَ واجدَ الثمر معجّلا فهو دليلٌ معتبر
على القبولِ فالحياةِ الطيبةِ معجّلانِ فضلهُ المستوجبَةِ
ومنه فقدُ الحزْنِ والخوفِ له وأن يرى خلافَةَ اللهِ له
كما أتى بنصِّهِ القرآن(١) وإنّما عجّلهُ الرحمنُ
حتّى يرى العبدُ مقاماً عنده فإنْ أردتَ أن تراكَ عندَهُ
قدراً فعيّنْ قدرَه عندك هلْ كان مقيماً لك فى خيرِ العملْ
فهو مُهِينٌ لك إن وجّهكَ لهذهِ الدنيا ما أجهلك(٢)
أو كنتَ مشغولاً بغيرِهِ فمن
صرّفكَ عن كونِكَ إنساناً فطِنْ
وهو معينٌ لك حيث استعملك بالصالحاتِ حينَ أزكى عملك
وهو مريدٌ لكَ مهمَا فتحَ باباً من العرفانِ فابْتهِجْ فرحاً
وهو الذى أنتَ مقربٌ له إن كنتَ من عبودةٍ ناجيتَهُ

---

١ — اشارة الى قوله تعالى (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) [فاطر ٣٤] ، وقوله تعالى (الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

٢ — فى الأصل « لما اجهلك » .

وهو الذى هداك إن وَجّهَكَ إلى البـلايا وبهـا وَلّهَكَ
إن صَرَفَكَ عن غرضٍ أدّبكَ وإن رضيتَ عنه قد أحبّكَ
ذلك قطبُ كلِّ بابٍ فإعلمِ ذلك ، تَعْرِفْ أقَلاَ أمْ أكرَمَ

* ● *

٧٤ — متى رزقك الطاعة ، والغنى به عنها ، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمـه ظاهرة وباطنة .

خيرُ كراماتٍ بأخذَ أمرِهِ يظاهرٍ مُسْتَسلِماً لقهرِهِ
وحيثما الغنى عن الطاعةِ قـدْ مَنَّ بهِ عليكَ فهو المُرْتَصَدْ
وأسْبَـغَ النعما عليك ظاهرةً ووفّرَ الآلاءَ عليك باهرةً(١)
من حيثُ لا ترجو على طاعاتهِ إلاّ إبتغاءً منك فى مَرْضاتهِ
فهو عُبُودَةٌ تَمَحّضَتْ من الـ
ـأغراضِ ، وهى فى العباداتِ عِلَلُ
فالنعمةُ العُظْمى هى التحقّقُ والرحمة الكبرى هى التخلُّقُ
بمـا براكَ فيـه من عُبُودَةِ وهى لكلِّ عارفٍ مقصودَةُ

* ● *

١ — الطاعة فى الظاهر : هى رسوم الشريعة ، والغنى به فى الباطن : هو شواهد الحقيقة ، فاذا جمع لك بين الطاعة فى جوارحك ، والغنى به عنهـا فى بادلنك ، فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وهى سيما العارفين المقربين ، فالنعم الظاهرة : هى تزيين الجوارح بالشريعة ، وقيل : هى الكفاية والعافية وقيل : هى راحة البدن من مخالفة أمر الله ، والنعم الباطنة : هى اشراق الأسرار بالحقيقة ، وقيل : هى الهداية والمعرفة .

البـــاب التاســـع

٧٥ — خير ما تطلبه منه ، ما هو طالبه منك .

وإفن بمولاكَ فى الطاعاتِ مُنْكَسِراً له على الفاقاتِ(١)
فاللهُ قد أراد منّا ذلك وخيرُ ما تَطْلُبُهُ كذلك
ما هو منك طالبٌ وهو الغنَا بالله عن طاعاتِه فابغِ المُنَا

*** ● ***

٧٦ — الحزن على فقدان الطاعة ، مع عدم النهوض اليه ، من علامات الاغترار .

ثمّ الذى الطاعةُ تقتضيهِ تالهّفُ القلبِ بحزنٍ فيه(٢)
وهو على فُقْدانِها من حيثُ لاَ يَنهضُ للطاعاتِ حالُ الجُهلاَ
وهو إغترارٌ لم يُفِدْ تشميراً من أجلِ ما مضى له تقصيراً
ولو أفادَ الحزنُ لأستأنفه وتابَ عن غفلةِ ما أسلَفَهُ

---

١ — الذى طلبه منا ربنا — جل جلاله — هو امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره ، والاستسلام لقهره ، فالأكمل للعارف أن يستغنى بعلم الله ، ويكتفى بسؤال الحال عن طلب المقال ، فاذا طلب من الله فليطلب منه ما طلبه الله منه . وهو الطاعة والاستقامة .

٢ — الحزن : هو التحسر على الشىء ، فان حزن الانسان على شىء منع منه ونهض الى اسبابه الموصلة اليه فهو صادق فى حزنه ، لكنه اذا لم ينهض الى أسبابه الموصلة فهو كاذب فى حزنه ، لأن البكاء ليس بتعصير العيون ، وانما البكاء فى ترك الأمر الذى تبكى عليه ، وقيل : لا يغرنك بكاء الرجل ، فان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون ، وقد فعلوا ما فعلوا .

وحيثُ لم يُفْسِدهُ فهو عُجْبُ
ورؤيةُ النفسِ مظَنُّ القُرْبِ(١)

ففى الحديث إنّ ذا نِفاقِ يملكُ للدمعِ على إطلاقِ
فكنْ حزيناً لإنتفاءِ المعرفَةِ باللهِ وإنْسِ منك ذاتاً وصِفَة

* ● *

٧٧ — ما العارف من اذا اشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته ، بل العارف من لا اشارة له ، لفنائه فى وجوده ، وانطوائه فى شهوده .

فحيثما أشــارَ عارفٌ إلى حقيقةِ الأشياءِ والحقُّ إنْجَلَى
وظهر اللهُ له مِن قَبْلِها فليسَ عارفٌ مصيباً(٢) وإنتهى(٣)
لكنّما العارفُ من ليس له إشــارةٌ وربُّــهُ أذْهَلَهُ
منطَوِياً للهِ فى شُهُودِهِ وفانياً باللهِ عن وُجُودِهِ
إذ الإشــاراتُ إلى الحقائقِ تشعرُ بالــكثْرةِ والعــلائقِ
وقلبُ كلِّ عارفٍ مكمَّلِ مجــرّدٌ بالحقِّ والتَبَتُّــلِ
وإن أشرقَ لإضرارِ فأشِر للخوفِ والرجا وإعمل تَنْجَبِرا

* ● *

---

١ — فى الأصل « فظن القرب » .

٢ — فى الأصل « فلبس عارفا مصيب وانتها » .

٧٨ — الرجاء ما قارنه عمل ، والا فهو أمنية .

ثم الرجا(١) مقارن للعمل	أولا فذا أمنية المختبل
إذ هو عائق القلب بالمطموع	مستقبلا لعامل خضوع
وأنظر لرؤيا الشارح الهمام	بقصته مع شيخه الإمام(٢)
قال : فحيث قلت : هي أمنية	يقول شيخي : لا هي المنية
فأصبح الشارح ثم عبر	عنه فبان ما الإمام أظهر
فالشاذلي(٣) صير الأماني	أودية حبائل الشيطان

* ● *

---

١ — في الأصل « ثم الرجا مقابل » .

٢ — هذا اشارة الى ما قاله الشيخ أحمد زروق شارح الحكم العطائية قال : وقد رأيت ليلة كأني أقرأ هذه الحكمة على شيخنا أبي عبد الله الغوري في المنام ، فكلما قلت : أمنية ، قال : أو منية . فلما تأملت ذلك وجدته كما اشار اليه ، وأن الأمنية عين المنية لثلاثة أوجه :

احدها — أن كلا منهما معطل للحياة حسا ومعنى . الثاني — أنهما عائدان بالخيبة في المستقبل . الثالث — أنهما يرفعان لحصول الفائدة في الجملة . قرة العين ٢٥٨/١ .

٣ — هذا القول منسوب الى الحسن البصري — رضي الله عنه — ونسبته الى الشيخ أبي الحسن الشاذلي خطأ ، وهذا الخطأ — والله أعلم — انما جاء نتيجة الاشتباه بين الاسمين وهما : الحسن ، وأبو الحسن ، فشراح حكم العطائية كلهم ينسبونه للحسن البصري ، لا لأبي الحسن الشاذلي ، ونص هذا الكلام : يا أيها الناس اتقوا هذه الامانية فانها أودية الشياطين ، و في بعض النسخ : أودية النوكى ، وفي بعض النسخ أودية النلون . أنظر قرة العين ٢٥٨/١ ، وشرح الشيخ ابن عباد ٩٤/١ بلفظ فانها أودية الهلكة وايقاظ الهمم ص ١٥٨ .

٧٩ — مطلب العارفين من الله تعالى : الصدق فى العبودية ، والقيام بحقوق الربوبية .

ثمَّ الحكمُ فى بواعثِ الطلبْ   لمّا إنتهى بيّنَ خيرَ مَنْ طلبْ
فطلبُ العارفِ من مولاهُ   صدقُ عبوديّتِه كما هوُ
معبودُهُ ثمَّ قيامُهُ فى   حقِّ ربُوبيّتِهِ المُسْتَكْفى

* ● *

٨٠ — بسطك كى لا يبقيك مع القبض ، وقبضك كى لا يتركك مع البسط ، واخرجك عنهما كى لا تكون لشىء دونه .

فبعدَ أن عرفتَ ما يَغْبِطُهُمْ
عرفتَ ما يَقْبِضُهُ(١) أو يَبْسُطُهُمْ

---

١ — البسط : فرح يعترى القلب أو الروح ، اما بسبب قرب شهود الحبيب ، أو شهود جماله ، أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله ، أو بغير سبب .

والقبض : حزن وضيق يعترى القلب ، أما بسبب فوات مرغوب ، أو عدم حصول مطلوب ، أو بغير سبب ، وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار ، فالعوام اذا غلب عليهم الخوف انقبضوا ، واذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا ، والخواص اذا تجلى لهم ربهم بوصف الجمال انبسطوا ، واذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا ، وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الاحوال .

واعلم ان القبض والبسط لهما آداب ، فمن أساء فيهما الآداب طرد الى الباب ، فمن آداب القبض : الطمأنينة والوقار ، والسكون تحت مجارى الأقدار ، والرجوع الى الواحد القهار ، فان القبض شبيه بالليل ، والبسط شبيه بالنهار ، ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون ، فلابد للانسان المسلم أن يسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليه شمس نهار البسط ، اذ لابد لليل من تعاقبه

فالقبضُ والبسطُ خلافُ الأدبِ ... وفيهما كنتُ بحالِ الأدبِ
يقبضُكَ اللهُ لِئَلاَ تَبْقى ... فى البسطِ فاستَقِمْ بقاب أتْقى
وعقَبَ البسطَ بقبضٍ مولج ... حتى ترىَ ضياءَ ليلٍ دَاَمج
ثمَّ عنْ الحالينِ قد أخرَجَكَ ... وفى فناهُ المحضِ إذ أدرَجَكَ
كيلا ترى بعينِ قلبٍ دُونَهُ ... والصادقُونَ هكذا يبغُونَهُ
فأنت فى قَبْضَتِهِ البسيطَةِ ... وفى مَدا قُدْرَتِهِ المحيطَةِ
فحيثُ لم تَبْقَ بما تهواهُ ... ولا بقيتَ فى الذى تخشاهُ
فقد تحققتَ الذى لَهُ الفَنَا ... ليس جديراً أن يكونَ مُعْتَنَى
فاليأسُ من غيرِ الإلهِ حَقَّنَا ... لذاكَ فى الحالينِ قد صُرِفْنا
مآلُها لِما مَضَى العبارةْ

ولابد للنهار من تعاقب الليل ، قال تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) [الحج ٦١] .

ودواء القبض أن يقول المقبوض : الله الله لا أشرك به شيئا ، كما ورد فى الحديث .

ومن آداب البسط : كف الجوارح عن الطغيان ، وخاصة اللسان ، فان النفس اذا فرحت بطرت .

المراد بتجلى الله بوصف الجمال : اسداء النعم ، والمراد بتجليه بوصف الجلال : وجود البلاء والمحن .

١ — روى أن الشيخ جنيد — رضى الله عنه — قال : الخوف يقبضنى ، والرجاء يبسطنى ، والحقيقة تجمعنى ، والحق يفرقنى ، اذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى ، واذا بسطنى بالرجاء ردنى على ، واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى ، واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى ، فغطانى عنه ، فهو فى كل ذلك محركى غير مسكنى ، وموحشى غير مؤنسى ، بحضورى لذوق طعم وجودى ، فليته أفنانى عنى فمنعنى ، أو غيبنى عنى فروحنى . ايقاظ الهمم ص ١٦٣ .

والقبضُ والبسطُ لدى الفَنَاءِ بِمَعْزَلٍ لا سيّما البَقَاءِ
فأصبحا علامةً للناقصِ فاجْهَدْ صعيداً للمقامِ القالِصِ

* ● *

٨١ — العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب فى البسط الا قليل .

والعارفونَ فيهما أجْنَاسُ أعظمُهُمْ خَشْيَتُهُ أساسُ
فالعارفون الباسطُونَ أخوفُ
من حالِ قَبْضِهِمْ وخيفَ الصلفُ
فحيثما واجَهَهُمْ جمالُ لم يُنْسَ فى وجُوهِهِمْ جَلاَلُ
وحيثما واجههم جلالُ يُدْرَكُ بعد ذلك الجمالُ
فلا يَصلُون إلى مقامٍ ولا لحالٍ فاسمَعُوا كلامى
إنّ الذى يدومُ فى حدِّ الأدبْ فى بسطِهِ أىَّ قليلٍ ذو الأدَبْ
إذ هو موجبُ المراداتِ على إرسالِ نفسٍ فى مُلائمٍ تَلاَ
فرُبَّما تحرّكتْ لِدَعْوَى ونسيتْ هو البعيدُ سهواً

* ● *

٨٢ — البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لاحظ للنفس فيه .

وغالبُ البسطِ لنفسٍ فيه وُجُودُ فَرَحٍ مع تَرْفِيهِ (١)

---

١ — فى الأصل « وجود فرح توفيه » .

والقبضُ لا حَظَّ لنفسٍ فيه ... فحسبُ كلَّ عارفٍ بكفيه
والبسطُ فيه زلَّةٌ لا تُحْمَدُ ... والقبضُ خيرٌ وسليمٌ ويدُ
ووطّن العبد الأسير فيما ... قيضته(١) مولاه المحيط حكما
وأنّى للعبدِ من البَسْطِ ولا ... عِلْمَ له بحكمِهِ الذى خلا
ولا بما يَفْعَلُ فى خاتمتِهِ ... مع جَهْلِهِ بسابقٍ من قِسْمَتِهِ
والقبضُ حقُّ اللهِ والبسطُ لَكْ ... فكنْ بِحَقِّهِ هو الأفضلُ لَكْ
وإنّما بسطُكَ مِنْ عَطاءِ ... وقد يكونُ ذاكَ مِنْ بَلاءِ

※ ● ※

٨٣ — ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك .

ورُبّما أعطاكَ ثمّ مَنَعَكْ ... فلاَ تَحُطَّ فى سواهُ طَمَعَكْ
ورُبّما فى منعِهِ أعْطَاكَ
فاقْطَعْ رَجَاكَ عن سِوى مَوْلاكَ(٢)

※ ● ※

---

١ — فى الأصل « قبضته مولاه » .

٢ — الغالب على نفس الانسان أنها تنبسط بالعطاء ، وتنقبض بالمنع ، لأن فى العطاء متعتها وشهوتها ، وفى المنع قطع موادها وترك حظوظها ، وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها ، فلو فهمت عن الله لعلمت أن المنع عين العطاء وأن العطاء عين المنع ، لانه ربما أعطاك ما تشتهيه النفوس ، فمنعك بذلك حضرة القدوس ، وربما منعك ما تشتهيه نفسك ، فيتم بذلك حضورك وانسك . وربما أعطاك اقبال الخلق ، فمنعك من اقبال الحق ، وربما منعك من اقبال الخلق ، فأعطاك الأنس بالملك الحق ، وربما أعطاك عز الدنيا ، ومنعك عز الآخرة ، وربما منعك من عز الدنيا ، وأعطاك عز الآخرة ، وربما أعطاك خدمة الكون ، فمنعك من شهود المكون أو بالعكس . فاذا فهم الانسان هذه الحقائق علم ان المنع هو العطاء . قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) الآية .

٨٤ — متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء .

٨٥ — الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر الى باطن عبرتها .

وصورةُ العَطَاءِ فى المنعِ متّى ... أفْهَمَكَ اللهُ لمنعٍ ثبت

فعادَ ذاك المنعُ عَيْنَ العَطا ... وإنْفَتَحَ البابُ وزالَ الغِطَا(١)

وأوجُهُ الفَهْمِ هناكَ عشرةُ ... فكلُّ كونٍ للعباد عِبْرَهُ

ظاهِرُها لِعِبْرَةِ المفتكر ... باطِنُها لفكرةِ المُعْتَبِرِ (٢)

مُشْتَغِلٌ بِها هو المصروفُ ... فلا تَبْسُطْ إليها ياعفيفُ

---

١ — اذا فهم العبد عن الله ، وتحقق برحمته ورأفته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته واحاطة علمه ، علم أنه اذا سأله شيئا أو هم بشىء أو احتاج الى شىء فمنعه الله تعالى منه ، فانما منعه من ذلك رحمة به واحسانا اليه ، اذ لم يمنعه من عجز ولا بخل ولا جهل ولا غفلة — حاشى لله تعالى عن ذلك — وانما المنع لحسن نظر اليه : واتمام لنعمته عليه ، لكونه أتم نظرا وأحمد عاقبة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [البقرة ٢١٦] فربما دبرنا أمرا ظننا أنه لنا فكان علينا ، وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد ، والشدائد من وجوه الفوائد .

ومثال ذلك : كصبى رأى طعاما حسنا أو حلواء أو عسلا وفيه سم ، وأبوه عالم بما فيه ، فكلما بطش الصبى لذلك الطعام رده أبوه ، فالصبى يبكى عليه لمحد عليه ، وأبوه يرده بالقهر لوجود علمه ، فلو عقل الصبى ما فيه من الضرر ما بطش اليه ، وعلم نصح أبيه وشدة رأفته به .

٢ — فى الأصل « ظاهرها لعبرة المفتكر ، باطنها لفكرة المعبر » .

فالأولياءُ حيثُ دنياهُمْ أتتْ
تَوَسّعَتْ قالوا : ذنوبٌ قد مَضَتْ
وإن أتى الفقرُ فقالوا : مَرْحَبَا بما غدا شعارُ قومٍ قُرَبا
والنفسُ فى ظاهرِ كونٍ ناظِرة والقلبُ للباطِنِ يلقى باصِرَةُ

* ● *

٨٦ — ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى .

إذا أرَدْتَ عِزّاً ليس يَفْنَى لا تَسْتَعِزّنَّ بعزّ يَفْنَى (١)
وعِزّ دنيانا سريعٌ فَانِ ألا ترى لسائرِ الأقرانِ

* ● *

٨٧ — الطى الحقيقى أن تطوى مسافة الدنيا عنك ، حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك .

ياطالبَ الكرامَةِ الباقيَةِ من طَيِّى أرضٍ إنّها فانِيَة
وإنّما الطيُّ الحقيقى كونُكَ عن مَسَافَةِ الدنيا طَوَى (٢)
حتّى ترى أقربَ منكَ الآخِرَةُ إليكَ كى تَفْنَى الغُرُورُ الزاهِرَةُ

---

١ — العز الذى لا يفنى : هو العز بالله ، والغنى بطاعة الله ، والعز بالله يكون بتعظيمه واجلاله ، ومعرفته ومحبته ، وحسن الأدب معه فى كل شىء ، وعلى كل حال ، والرضى بأحكامه ، والخوف والحياء منه ، والعز بطاعة الله يكون بامتثال أمره واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره ، وبذل المجهود فى تحصيله . أما التعزز بالعز الذى يفنى : فهو التعزز بالمخلوق .

٢ — طى الدنيا : فهو أن تطوى عنك مسافتها بالزهد فيها ، والغيبة عنها ، وحصول اليقين التام فى قلبك ، حتى تصل الى درجة يكون الآنى عندك واقعا أو كالواقع .

٨٨ — العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله احسان .

ثمّ عطاءُ الخلق فى حرمانِ ومنع مولاك مِنْ الإحسانِ (٣)
لأنَّ منعَ اللهِ يُوجِبُ اللجَا إليــه بالذُلّةِ منّا والرَجَا
فزادَنَــا بذلك الرَجَــاءِ ما فوقَ أصنافٍ من العطَاءِ

❊ ● ❊

---

٣ — عطـــاء الخلق حرمان ، لمـــا فى العطاء من حظ النفس وفرحها ، بالوصول الى شهوتها ، ولانه يؤدى الى الركون الى الخلق وميل القلب اليهم بالمحبة لهم ، اذ النفس مجبولة على حب من أحسن اليها ، فتسترق لهم ، وروى أن الشيخ عبد السلام بن مشيش قال لأبى الحسن : يا أبا الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فان خيرهم يصيبك فى قلبك ، وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ، ولعدو تصل به الى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك .

وانما كان المنع من الله عطاء ، لأن الله ما منع الانسان بخلا ولا عجزا ، وانما هو حسن نظر له ، اذ لعل ما طلبه لا يليق بحاله ، ولمـــا فى المنع من دوام الوقوف ببابه واللياذ به تعالى .

البـــاب العاشر

٨٩ — جل ربنا أن يعامله العبد نقدا ، فيجازيه نسيئة .

فحيثما أعرَضْتَ عنهم فإعلَم   تَوَجُه الإكرام من ذا المُنْعِم
وجَلَّ ربُّنا من أن تُعَامِلَه   نقداً فَيُجزِ ياكَ نسيئاً آجِلَهُ(١)
كَـــلاَّ إذا أطَعْتَــهُ أعطاكَ   جزاءَ دارَيْكَ الذى والاكَ

* ● *

١ — النقد : ما كان معجلا ، والنسيئة : ما كان مؤخرا ، ومن شأن الكريم اذا اشترى شيئا أن ينجز نقده ويزيد احسانه ورفده ، وقد اشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فعوضنا الجنة (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) [التوبة ١١١] فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلمهما اليه ، عوضه الله جنة المعارف عاجلا ، وزاد جنة الزخارف آجلا ، مع ما يتحفه به من أنواع النعم ، وأن الله تعالى أعظم وأجل من أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة ، بل لابد أن يعجل له ما يليق به فى هذه الدار ، ويدخر له ما يليق به فى تلك الدار الآخرة . وما عجل له سبحانه وتعالى فى الدنيا أمور منها : ما يدفع الضرر ويجلب النفع لقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) [الاعراف ١٩٦] وقوله (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق ٣] وقوله (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [يونس ٦٢] .

ومنها ما يشرق عليهم من الأنوار قال تعالى (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) [الانفال ٢٩] ، وقال (واتقوا الله ويعلمكم الله) [البقرة ٢٨٢] وقال (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) [البقرة ٢٥٧] .

ومنها التوفيق والهداية لها قبل عملها ، حتى جعله أهلا للوقوف بين يديه ،

٩٠ — كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها أهلا .

كَفَــاكَ من جَزائِــهِ أتاك كَوْناكَ عبداً وبِهِ إرْتَضَاكَ(١)

❊ ● ❊

٩١ — كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته .

أما كفى العــاملُ من جَزائِهِ ما يمنحُ الإلهُ من أسمائِهِ
على قلوبِ العــاملينَ لَـذَّةً حــلاوةً لديهِ مُسْتَلَـذَّةً
جَنَّتُهُم عــاجِلــةُ فيــالَهُمْ
من بَعْدِها مِن نَظَرِ حَقٍّ لَهُمْ
حَسْبُهُم ما اللهُ موردٌ لَهُ من ذلك الأنسُ الذى أرسلَهُ
إليهِــمُ ليــأنســوا بربِّهِــمْ
ويُخْرِجُوا ما دُونَهُ من قَلْبِهِمْ
ذلك من إشراقِ شمسِ أنسِهِ حالَ المناجاتِ ورؤيا قُدْسِهِ
فَــلاحَ فى طاعَتِــهِ فــلاحُ بأوجُــهٍ ثــلاثةٍ تُبــاحُ
ذلك من جَزائِها مِنْ قَبْلِها وهو توفيقُكَ فى تحصيلِها
ومعهــا وذلك المؤانَسَــةُ وبَعْدَها اللقــاءُ والمجالَسَةُ
شرطُها خَلاصُها من عِلَلِ عبودَةٍ لا لبلوغِ الأمَــلِ

❊ ● ❊

---

١ — كفى الانسان فخرا أن الله وفقه للعمل الصالح حتى جعله أهلا للوقوف بين يديه ، لأن الملك لا يدعو لخدمته الا من يريد أن يكرمه ؛ ولا يدخل لحضرته الا من يريد أن يعظمه ؛ فالتوفيق لأن يكون العبد أهلا للوقوف بين يديه أعظم منة وأكبر جزاء .

٩٢ — من عبده لشيء يرجوه منه ، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه ، فما قام بحق أوصافه .

فكلُّ مَنْ أرادَ في أثْنَائِها   وجودَ مأمولٍ على أدائِها

أو دَفْعَ مَحْذُورٍ فما قامَ لَهَا   بحقِّ أوصافٍ لَهُ يَجْهَلُهَا

لأنَّ وَصْفَ ربِّنا حقيقٌ   لأنْ يُطَاعَ لو بَدَا تحقيقُ(١)

يُطاعُ لا يُعْصَى ولا يُنْسَى أبد   لشكرِه الذى يليقُ بالصَمَد

فهو اللطيفُ والمربّى لهُمْ   برٌّ وذو الصفحِ ورزّاقُهُمْ

فَسَاءَ عبدٌ عبدَ اللهَ لأن   يَمْنَحَهُ على العبادةِ المِنَنْ

وأنت فى آلائِهِ غريقْ   فى كلِّ حالٍ بحرُها عميقُ

* ● *

---

١ — الناس فى عبادة الله باعتبار اخلاصهم على ثلاثة أقسام : منهم من يعبد الله خوفا من عقوبته : معجلة أو مؤجلة ، أو طمعا فى رحمته وحفظه عاجلا أو آجلا ، وهم عوام المسلمين . ومنهم : من يعبد الله محبة فى ذاته وشوقا الى لقائه . لا طمعا فى جنته وحفظه ، ولا خوفا من ناره ونكاله ، وهم المحبون العاشقون من السائرين . ومنهم : من يعبد الله قياما بوظائف العبودية ، وأدبا مع عظمة الربوبية ، وهؤلاء هم خواص الخواص . فمن عبد الله لشىء يرجوه منه كالثواب أو ليدفع عن نفسه بطاعته ورود العقوبة فى الدنيا أو فى الآخرة فلم يقم بحق أوصافه تعالى التى هى العظمة والكبرياء والعزة والغنى وجميع أوصاف الكمال ، لأن أوصاف الكمال من الله تقتضى خضوع العبد له بالطاعة والعبادة ، أرأيت من أنعم بنعمة الايجاد والامداد ، أليس أهلا لأن يشكره جميع العباد ، فليستحى العبد أن يطلب أجرا على عبادة أجراها عليه الله الواحد المنان ، وليذكر قوله تعالى (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) [الاعراف ٤٣] وفى الأثر : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه .

٩٣ — متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف اليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك .

فحيثما أعطاكَ قد أشهدَكَ　　　براً له وحيثُ قد منَعكَ(١)
أشهدَكَ القهرَ لهُ فتيهما　　　لو كنتَ ذا بصيرةٍ لديهما
تعرّفُ الحقُّ إليكَ مُقبِلا　　　بوجهِهِ عليكَ لُطفاً فاعقلَنْ
فأنظر إليه في التقلّبات　　　مُرادُهُ التعريفُ في الحالاتِ
وفوقَ كلِّ رُتبةٍ تعريفُ　　　ذاك مقامٌ فاضلٌ شريفْ

✻ ● ✻

٩٤ — انما يؤلمك المنع ، لعدم فهمك عن الله فيه .

فإنّما يُؤلمُكَ المنعُ لِما
قلَّ بهِ فَهمُكَ تلكَ الحِكَمَ(٢)

---

١ — من أسماء الله تعالى اللطيف والرحيم ، فهو سبحانه لطيف بعباده رحيم بخلقه في كل وقت وعلى كل حال ، سواء أعطاهم أو منعهم ، فان أعطاهم أشهدهم بره واحسانه ، فعرفوا أنه تعالى بار بعباده رحيم كريم جواد محسن ، فتعظم محبتهم فيه فالانسان يحب من أحسن اليه ، وان منعهم أشهدهم قهره : اى صفاته القهرية ، التى تقتضى القهر ، كالكبرياء والعزه والاستغناء ، فهو في كلتا الحالين متعرف اليهم : أى يريد منهم أن يعرفوه بصفات جماله وجلاله ، ومقبل بوجود لطفه عليهم ، لان مشاهدة العبد لصفات بره ، وصفات قهره لطف عظيم منه سبحانه وتعالى به ، فانه لا سبيل لمعرفته الا بتعرفه لعباده ، وذلك لا يكون الا بمقتضى صفاته ، سواء أكان ذلك موافقا لطبعهم ، وهو الاعطاء ، أو مخالفا له ، وهو المنع ، فمن كان عارفا بالله لم يفرق بين العطاء والمنع ، لأن كلا منهما له طريق توصله الى معرفة مولاه .

٢ — من فهم عن الله تعالى أنه انما منعه من الدنيا ، ليجعله من أحبابه الذين حماهم من الدنيا ، كان أثر المنع عنده التلذذ به ، لا التألم منه ، فان الفقر

فإنّما المنعُ غــدا عينَ العَطا عندَ قلوبٍ رُفِعَت عنها غطا
وأنظر إلى خَفيِّ حُكْمِهِ بنــا كيفَ بأحكامٍ له أجهَلَنـا

* ● *

٩٥ — ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول ، وربما قضى عليك بالذنب ، فكان سببا فى الوصول .

فَرُبَّما يفتــحُ من طاعتِـهِ باباً عظيماً لمـدا كثرتـهِ
لـكنّها ليس لهـا قَبــولُ لأوجُــهٍ ثلاثــةٍ أقُولُ :
فَقدُ التُقى ، والصِـدقِ ، والإخلاص
إنّ المطيــعَ كالمُسيءِ القاصى (١)

= الى الله لا يكمل حتى يجد للمنع حلاوه لا يجدها فى العطاء ، وذلك لأن المنع فعل الله ، وكل ما يفعله المحبوب يكون محبوبا ، فان من ثمرات المحبة الصبر عند الشدائد ، ومن ثمرات معرفة الله التسليم والرضا لمـا يجرى به القضاء ، قيل لبعض الزهاد : ما الزهد عندكم ؟ قال : اذا وجدنا شكرنا ، واذا فقدنا صبرنا ، فقال : هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ ، فقال : ما الزهد عندكم أنتم ؟ قال : اذا فقدنا شكرنا ، واذا وجدنا آثرنا .

١ — فالانسان المؤمن لابد أن يعرف أنه لا عبرة بالطاعة اذا لم يصحبها قبول ، كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأمول ، اذ الطاعة انما هى وسيلة لمحبة الله واقباله عليه ، بحيث يفتح فى وجهه باب قبوله ومحبته ، ويرفع عن قلبه الحجب المظلمة ، فاذا فتح الله للانسان باب العمل من الصلاة والصوم وباقى العبادات ، بلغ فى تحصيل الطاعات غاية المنى بضبطها وأوقاتها ، لكنه لم يجد فى نفسه ثمرات تلك العبادة ، ولم يذق حلاوتها ، فلا يغتر بهذا العمل الذى أداه ، لأنه ربما فتح له باب طاعة الله ، ولم يفتح له باب قبول الطاعة ، ومثل هذا العبد عليه أن يراجع نفسه ويفتش عن نقصه فانه لابد أن يكون هناك خلل ، اما فى صدق نيته ، أو اخلاصه فى عمله ، أو خلل فى تقواه ، وأن هناك كثير من الناس نشيطين فى أداء العبادة من الصوم والصلاة والحج وحضور الجمعة والجماعة .
=

ورُبَّمَــا قضَى عليكَ ذَنْبــاً ثمَّ أتيتَ نادِماً بِعقْبي

فَصَــارَ سَبَبَ الوُصُولِ والرِضَــا

فأنظر لِحِكْمَةِ الحَــكيمِ والقَضَا

فــكلُّ خــيرٍ بَعْدَهُ تكبّرُ أو عِنْدَهُ الإعْجابُ والتَفَخُّرُ

يَصيرُ ذنبــاً فائقَ الذُنُوبِ كأنَّهُ الشيطانُ فى العيُوبِ

والذنبُ إنْ قارَنَهُ النَدامَــهُ والخوفُ والرُجوعُ والمَلامَةُ

أدْرَكَهُ القبولُ مثــلُ آدم فى ذِلَّةٍ فَزِيدَ بالتَكَرُّمِ(١)

فيخرجُ الحَيَّ من المَيِّتِ والْـ

ميِّتَ من حيٍ(٢) وذا حُــكْمُ العَمَلِ

=

ومع هذا فانهم اذا خرجوا من المسجد ورجعوا الى مكان عملهم ، نراهم يبيعون السلع بأسعار مضاعفة ، ويحتكرون أرزاق عباد الله ، أو يتعاملون بأنواع من المعاملات المحرمة أو المشبوهة ، أو لا يفون بحقوق الناس ، أو لا يؤدون الواجبات المالية ، أو يتعاملون مع الناس بسوء خلق وسوء ظن ، أو يكونوا معجبين بأنفسهم متكبرين ، أو يحقرون الناس الى غير ذلك من الصفات القبيحة ، حتى صار بعضهم مثلا سيئا للاسلام والمسلمين ، بحيث اذا قيل لاحد من تاركى الصلاة : لمــا لا تصلى يا أخى وتعبد ربك ؟ قال لك : أصلى وأعبد الله حتى أكون مثل الحاج فلان أغش الناس .

وهؤلاء هم المراد بقول الشيخ :

يصــــير ذنبــا فائق الذنــــوب كأنه الشــــيطان فى العيــــوب

١ — قال ابن عطاء : كان من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد أن نهى عنها ، حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين ، وحتى يتعرف اليه بحلمه فيعلم أنه أكرم الأكرمين ، ويوقفه على وجود ستره ولطفه ، فيعلمه أنه اللطيف بعباده المؤمنين ، وليكون اكل الشجرة سببا فى النزول ، والنزول سببا فى الخلافة ، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن (الشاذلى) رضى الله عنه : أكرم بها معصية أورثت الخلافة : (لطائف المنن ١٧٧) .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها) [الروم ١٩] .

و(يُولِجُ الليلَ فى النهَارِ)(١) لعارضِ العُجْبِ وإغترارِ
(ويُولجُ النهّار فى الليلِ) بما يفعلُهُ المذنبُ فيما نَدِمَ

* ● *

٩٦ — معصية أورثت ذلا وافتقارا ، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا .

مَعْصيةٌ للذُّلِّ أوْرَثَتْهُ مع إفتقارِ العبدِ إذْ دَهَتْهُ
خيرٌ من الطاعةِ مع تكَبُّرِ والعزِّ والفَخْرِ من المُسْتَكْبِرِ
وأنظر إلى حديث كون العُجبُ أعظمُ من شَرارةٍ من ذَنْبِ

* ● *

فى تذكُّرِ نِعَمِ اللهِ العامّةِ

٩٧ — نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولابد لكل مكون منهما : نعمة الايجاد ونعمة الامداد .

مالَكَ طاقةٌ بِشُكْرِ النِعَمِ فإنّهُ المُخْرِجُ لكَ من عَدَمِ

---

١ — قال الشيخ أو العباس المرسى فى قوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) الحج : ٦١ — لقمان : ٢٩ — فاطر : ١٣ — الحديد ٦ ، قال : يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية ، يطيع العبد الطاعة ، فيعجب بها ويعتمد عليها ، ويستصغر من لم يفعلها ، ويطلب من الله العوض عليها ، فهذه حسنة احاطت بها سيئات ، ويذنب الذنب ، فيلجأ الى الله فيه ويعتذر منه ، ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله ، فهذه سيئة احاطت بها حسنات ، فأيهما الطاعة وأيهما المعصية ؟ لطائف المنن ص ٢٢٣ .

فنِعْمتَانِ : نعمةُ الإمْدادِ   تَتْبَعُ فضلَ نِعْمَتِ الإيجادِ
قــد عَمَّتَا الوَرَى فحقٌ شُـــكْرُهُمْ
عليهمـا إذا أسْتُـــدِيمَ عُمْـــرُهُمْ

•

٩٨ — أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد .

أنْعَمَ بالتخليقِ والإيجـــادِ   ثمّ توالىَ لَكَ بالإمْدادِ

•

٩٩ — فاقتك لك ذاتية ، وورود الأسباب مذكرات لك بما يخفى عليك منها ، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض .

فاقَتُنَا لِرَبِّنَا(١) ذاتِيَّـــةُ   سِرُّ عُبُودِيَّتِنَا الأصلِيَّةِ

---

١ — فاقة الانسان أصلية حقيقية لا تفارقه ساعة واحده بل لحظة واحده ؛ لأن الانسان مركب من جسم وروح ، فالجسم قائم بالروح والروح أمر من أمر الله ، كما قال تعالى (قل الروح من أمر ربى) [الاسراء ٨٥] فافتقار الانسان حاصل على الدوام حيث أن وجود الانسان مسبوق بالعدم ، فكان مفتقرا الى الله فى الايجاد ، وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) [فاطر ١٥] وكذلك مفتقر الى الله فى بقائه ، حيث يقول تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) [ابراهيم ١٩] وأن ورود الأسباب كالفقر والمرض والشده والمحن مذكرات للانسان بما خفى عليه من الفاقة الذاتية ، لأن أغلب الناس يغفلون عن الفاقة الذاتية اذا دامت عليهم الصحة والعافية والنعمة ، وانما يلجؤون الى الله ، ويتذكرون افتقارهم الى الله عند الشدة والمحنة ، وفاقة الانسان الى ربه وان كانت خفية لكنها ذاتية حقيقية لا ترفعها العوارض : كالصحة والغنى ، فانه يجوز فى حقه تعالى أن يزيل النعم ويبدلها بضدها ، والله على كل شىء قدير ، فافتقار الانسان الى ربه فى ايجاده وبقائه ، وصحته وغناه وغير ذلك افتقار أصلى لا يزول فى الدنيا والآخرة .

يُظْهِرُها تَوارُدُ الأسبابِ بشِدَّةِ الفاقَةِ للوهّابِ
وُجُودُنا بربِّنا ضَرورِي في جَرَيانِ قُدْرَةِ القَديرِ
فلا إنْدِفاعَ أبداً لوَصْفِنا بالعِزِّ والذُّلِّ وفَقْرٍ وغِنا
إلى صِفاتٍ لا إنتهاءَ فيها تواردُ الأسبابِ ما يُبْدِيها
ظاهرةٌ باطِنةٌ خفِيَّةٌ وافرةٌ باهرةٌ جليَّةٌ
كنِعْمَةِ الأنفاسِ والأرزاقِ ونعمةِ الإمساكِ والإطلاقِ
فَفاقَةٌ ذاتِيَّةٌ لا تَنْدَفِعْ عندَ عَوارِضٍ عليها تَنجَمِعْ

✻ ● ✻

١٠٠ — خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، وترد فيه الى وجود ذلتك .

فخيرُ أوقاتِك وقتٌ تَشْهَدُ
وُجُودَ وصْفِكَ الذى يُجَدَّدُ(١)

---

١ — ان خير أوقات الانسان وقت يشهد فيه وجود فاقته : أى ظهورها ، والا فان الحاجة والفاقة الى الله كامنة فى الانسان لحاجته الاصلية الى الخالق فى وجوده وبقائه ، فالشدة خير للانسان من الف شهر ان عرف فيها ربه ، وخير أوقات الانسان الوقت الذى يشهد فيه ذله ، لأنه سبب عزه ونصره ، اذ الأشياء كامنة فى أضدادها ، العز فى الذل ، والغنى فى الفقر ، والقوة فى الضعف قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) [القصص ٥] ومما جرت به العادة الالهية أن الفرج يكون على قدر الضيق ، فبقدر الفقر يكون الغنى ، وبقدر الذل يكون العز ، وبقدر العسر يكون اليسر ، وقال تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) [الانشراح ٥ — ٦] وقال — صلى الله عليه وسلم — « .. واعلم أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا » .

من فاقةٍ وذُلَّةٍ ومَسْكَنَةٍ فليألَفِ المسكينُ دهراً وَطَنَه
وخيرُ وقتِكَ الذى تَرَدَّدُ فى ذلك للذلَّـةِ لا للشَرَفِ
بأن يكونَ اللهُ صارفاً لَكَ إلى البلاَ لتشهدَنَّ وصفَكَ
فذلك الوقتُ مع الحضُورِ هو الوقوفُ فى مقامِ النُورِ
فتَسْكُنِ النفسُ عن الدعاوى ويذكرُ العبدُ لهُ المَسَاوى
فإنْ علِمْتَ أنَّ غيرَ اللهَ ذوَ فاقـةٍ وحاجـةٍ لله
فإستَوْحِشَنَّ أنت منهم أبداً مستأنساً بهِ وكُنْ مُنْفَرِداً

●

١٠١ — متى أوحشك من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .

وحيثما من خلقِـهِ أوحشَـكَ
فإعلَمْ وحقِّقْ أنّـهُ قرَّبَكَ(١)
يدعوكَ للحضرةِ من جنَابِهِ يمنحكَ اللهُ لفتحِ بابِهِ

●

١ — سنة الله فى خلقه انه اذا أراد أن يؤنس عبده بذكره ، ويتحفه بمعرفته أوحشه من خلقه ، وشغله بخدمته ، وألهمه ذكره ، فقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين قرب أوان النبوة والرسالة حبب اليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء ، وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشواغل والشواغب ، لتتهيأ لقبول ما تتحمله من الأسرار والمواهب ، فاذا تطهر من الأكدار ملىء بالأنوار ، فاشرقت فيه شموس العرفان ، وتمكن من حضرة الشهود والعيان ، فهذه سنة الله فى أوليائه وأصفيائه ، يفرون أولا من الناس حتى يحصل لهم منهم الاياس ، ثم يردهم الحق اليهم رغما عليهم لمقام الدلالة والارشاد . فينتفع بهم العباد ، ويحيا بوجودهم البلاد ، وهذا ابتعاد العبد من الناس ، وقد يوحش الله عبده من الخلق بابتعاد الناس عنه ، وهذا كما لو ابتلاه بمرض معد ، فان الناس يبتعدون عنه خوفا من أن يصابون بذلك المرض ، أو بجعله فقيرا معدما لا يبالى به الناس ، فهؤلاء درجاتهم لا يقل عن درجة الاصفياء ان كانوا صابرين وراضين بقسمة ربهم .

إذا إبتلاكَ بالذى أزهدَهُمْ
عنكَ فزِدْ شُكراً لما أبعدَهُمْ

عنكَ فلا يبقى بهم تعاشُق ... منكَ وقد لاحَ ضياءٌ مُشرِقٌ
لولا إبتلاك أنت ما جانبتهم ... ولا طلبت الحقَّ بل إطلبتهُمْ

❊ ● ❊

١٠٢ — متى أطلق لسانك بالطلب ، فاعلم أنه يريد أن يعطيك .

فأطلبهُ ما ترجوهُ من كلِّ أدب
فإنّه ، متى دعاكَ للطلب
ومنك أطلقَ اللسانَ فإعلمْ ... أنّك منه فى جلاءٍ النعم(١)

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى جعل الطلب سببا من الأسباب ، فاذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له فى الأزل تقديره ، فتح له فيه باب الطلب ، فاذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذى قسم له فى الأزل اظهارا لحكمته . فالدعاء من جملة الأسباب العادية لا يغير شيئا من قضاء الله وقدره الأزلى ، فهو اظهار للفاقة وابقاء لرسم العبودية ، وليس طلبا لحصول ما لم يكن ، جل حكم الأزل أن يضاف للأسباب والعلل ، كما يقول الشيخ نور الدين :

مقصود مولانا من الدعاء فى ... عباده عبودة للعارف
وبالربوبية كى يراه ... اذ فى عبوديته دعاه
والا ما لا مرد للمقتضى ... وان دعاه أعظم الولى

فمتى أطلق الله لسان العبد بالطلب لشىء تجلى فى قلبه أو احتاج اليه ، فليعلم أن الله أراد أن يعطيه ما طلب منه ، لكن عليه أن لا يحرص ولا يستعجل ، فكل شىء عنده بمقدار ، وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة » .

بَعْدَ أن أعطاكَ ما تُريدُهُ فإعْطِهِ منكَ الذى يُريدُهُ
من بَثّ فاقةٍ مـع إضطرارِ حتّى يراك اللهُ فى إنكسارِ

* ● *

١٠٣ — العارف لا يزول اضطراره ، ولا يكون مع غير الله قراره .

فـلا زَوالَ لإضطرارِ العـارفِ
لوَصفِهِ الأصلىّ ما فيه خَفِى(١)
وهو مِنْ الأغيارِ ذى نِراره يحسْبُهُ الحقُّ لدى قَرارِهِ
ذاك الذى نَجّاكَ عن أغيارِهِ أنارَ الـكونَ فى ضيا آثارِهِ

* ● *

١٠٤ — أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ، ولذلك قيل :

ان شمس النهار تغرب بالليـــل وشمس القلوب ليست تغيب

هى الظـواهرُ التى أنارَها أنوارُهُ أعنى بهـا أثارَها
آثارُ أفعـالٍ لَـهُ ظواهرُ ثمّ أنارَ أعيُنَ البصائرِ

---

١ — العارف لا يزول اضطراره . لأنه لا يزال فى الترقى ، فهو متعطش للزيادة على الدوام ، لأن العرفان لا نهاية له ، فالعارف لا نهاية لمقصوده ، لذلك فهو لايزال مفتقرا للزيادة على الدوام ، وقال تعالى فى حق سيد العارفين (وقل رب زدنى علما) [طه ١١٤] فالاضطرار الى زيادة العلم لا ينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض ، قال تعالى مخاطبا للكل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) [الاسراء ٨٥] .
وأما وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره ، فلأن قلب العارف رحل الى الله من الكون بأسره فلم تبق له حاجة الى غيره .

تمدّكَ(١) الانوارُ من أوصافِهِ مظاهرَ الأسماءِ من ألطافِهِ
ثمّ أنارَ الحقُّ بالأسماءِ سرائرَ لِقَابِلِ(٢) الأشياء
فالشمسُ والنجومُ أفلاتٌ أنورُها بالوقتِ زائلاتٌ
دُونَ القلوبِ إذْ لَها أنوارٌ ثابتةٌ وإن تَغِبْ آثارُ
[فصارتْ القلوبُ أضوى الشمسِ لأنّها مِرآةُ نورِ القُدْسِ](٣)
ثمّ استدلّ الشيخُ بالبيتِ على ما قالَهُ فقالَ بَيْتاً مَثَلاً :

إنّ شمسَ النّهـارِ تغربُ باللـيـ
ـيلِ وشمسُ القلوبِ ليستْ تَغيبُ

والشارحُ العارفُ قد أتبَعَهُ يَنْقُلُ بعده بِبَيْتٍ مَعَهُ :

---

١ — فى الأصل « يمددك » .

٢ — فى الأصل « سرائر القابل الأشياء » .

٣ — انوار الظواهر : هى ما ظهر على الأكوان من الانوار من تأثير قدرة الله تعالى ، وبداع حكمته ، كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس ، وما فيها من ابداع الصنع ، وتمام الاتقان ، وكتزيين الأرض بالأزهار والثمار والنباتات وسائر الفواكه ، وكتزيين الانسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة ، قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) [التين ٤] وقال تعالى (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها) [الكهف ٧] وقال تعالى (انا زينا السماء بزينة الكواكب) [الصافات ٦] فهذه أنوار الظواهر .
وأنوار الأوصاف : هى العلوم والمعارف والأسرار ، والمراد بالأوصاف أوصاف الله تعالى .

كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكمال وغير ذلك من أوصاف الذات العلية ، والذات لا تفارق الصفات ، فاذا أشرقت السرائر بأنوار معرفة الصفات ، فقد أشرقت بأنوار معرفة الذات ، للتلازم بين الصفات والذات ، وأنه سبحانه وتعالى أنار القلوب والسرائر بأنوار أوصافه كما أنار الكون بأنوار الظواهر ، وبما أن أنوار الظواهر انما هى أنوار الأثر ومن شأن الأثر أن يتأثر ويتغير بالطلوع والغروب فتأفل بالغروب ، أما أنوار القلوب وهى أنوار الاسلام والايمان ، وأنوار السرائر وهى أنوار الاحسان ، فانها لا تأفل أبدا ولا تغيب لانها أنوار صفات الله ، وهى قائمة بذاته تعالى ، فلا تتغير ولا تتأثر ، وهى أزلية وأبدية .

طلعتْ شمسُ مَنْ هَوَيتُ بِلَيلٍ
وإستَنَارَتْ فما تلاها الغروبُ

أتبَعتُهُ بتابعٍ تَذْييلاً ذلك أقوَمُ الجميعِ قيلاً :

نورُ تلكَ النُجُومِ من ضوء شمسٍ
فلَهَا منهُ قِسْمَةٌ ونَصيبُ
ونورُ قلبِ العارفين أشرقَ
مِنْ ضَوْءِ شمسٍ فى السماءِ تَشْرُقُ

فإنّ نورَ الشمسِ للأكْوانِ ونورُهُمْ لها وللرّحمنِ
وفيه قالَ الشارحُ النحرِيرُ للهِ دَرُّهُ كما يُشيرُ
ثمّ وضعتُ فَوْقَهُ تخميساً مُرَوْنَقَا مُبتَهِجاً سايساً :

لِتَجَلّياتَ قَلبُنَا كلُّ حينٍ مُستَبْشِرٌ بِسُرُورِ
هو شمسُ حقيقةٍ لِظُهُورِ « هذه الشمسُ قابَلَتْنَا بِنُورِ
والشَمسُ اليقينِ أبْهَرُ نوراً »

إنّ ذا العرشِ فى معاقبه قاطنُ فيه من حيثُ ماله من مَواطِنِ
هو قلبٌ لذاك خيرٌ الأماكنِ فرأينا بهذه النور لكنا
بِهاتيك قد رأينا المنير (١)

* ● *

١ — هذان البيتان لابن عطاء الله مؤلف الحكم ، وهما موجودان فى لطائف المنن ص ٩٦ .

الباب الحــادى عشر

١٠٥ — ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك ، فالذى واجهك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار .

ألا يخفــفُ البـــلاءَ والألم
عَنْكَ شهــودُ من هو المُبْــلِى ألمْ
يُعْطِيكَ من آلائِهِ الجزيلةِ تلكَ بـــلاءٌ عنــدها قَلِيلَةُ
مــع أنّــه أبْلاكَ نافِعاً لَكَ حالَ بَلائِهِ وقد أحالَكَ
من الوَضِيعِ للرفيعِ حالاً لو أنّكَ العارفُ ذا المآل(١)
فهو الذى تَوَجَهَتْ أقدارُهُ إليكَ فيها مُنِحَتْ أسْرارَهُ
وإنّــه عَــوَّدَكَ إختيــاراً فإخْتَرْ عليكَ ما الحبيبُ إختارا
إن أعرَضُــوا هم الذين عَطَفُــوا
كمْ قدْ وَفُوا فإصبِرْ لهم إنْ أخلَفُوا

---

١ — اذا أصابتك أيها الانسان مصيبة أو نزلت بك بلية فى بدن ، أو مال ، أو أهل ، فاذكر من أنزل عليك ، وما هو متصف به من الرحمة والرأفة والمحبة والعطف عليك ، لعلك تفهم ما فى طى ذلك من النعم ، وما يعقبه من ســوابغ الفضل والكرم ، ولو لم يكن الا تطهيرك من الذنوب ، وتمحيصك من العيوب لكفى فهل تعودت منه الا الاحسان ؟ فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار . فالذى واجهك منه ظواهر المحن هو الذى أسبغ عليك بواطن المنن .

لــكن قَلِيــلٌ مَنْ عليــه يَنْجَرِى
كمــا حــكى الجُنَيْدُ قِصَّةَ السَرِىّ(١)

*** ❁ ***

١٠٦ — من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره .

فــكلُّ مَنْ ظنَّ إنْفِكاكَ لُطْفِــهِ
عن مُرِّ أقْــدارٍ فــذا لِضَعْفِهِ
وقاصرُ العــلمِ بِشرعيّــاتِ فعــاديّاتٍ وبِعَقْلِيّــاتِ(٢)

---

١ — قصة السرى ، قال الشيخ جنيد — رضى اله عنه — كنت نائما بين يدى السرى فأيقظنى ، وقال : يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يديه (يدى الله) فقال لى : يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى ، فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم ، وبقى معى العشر ، فخلقت الجنة فهرب ،منى تسعة أعشار العشر ، وبقى معى عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقين معى : لا للدنيا أردتم ولا للآخرة أخذتم ولا من النار هربتم فما تريدون ؟ قالوا : انك تعلم ما نريد ، فقلت : انى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون ؟ قالوا : ان كنت أنت المبتلى فافعل ما شئت ، هؤلاء عبادى حقا . ايقاظ الهمم ص ٢٠٠ .

٢ — من أعظم احسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره ، فما نزل القدر الا سبقه اللطف وصحبه ، والدليل على ذلك النقل والعقل والعادة : اما النقل : فقد ورد فى نواب الامراض والاوجاع أحاديث كثيرة كما وردت آيات كثيرة فى مدح الصابرين على البلاء : منها قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر ١٠] وقوله (وبشر الصابرين) [البقرة ١٥٥] وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى الهم يهمه الا كفر به سيئانه

أما العقل : فانه ما من مصيبة نزل بالانسان الا وفى قدرة الله ما هو أعظم منها ، فليشكر ربه وليكن ممنونا بما به فان ما وراءه أعظم .

أما العادة : فان الانسان اذا أبتلى ببلاء مهما كان عظيما فان هناك من هو بلاؤه أعظم ، فعليه أن يشكر ربه ويتسلى بمن هو أعظم بلاءا منه .

أمّا قُصُورُهُ بعقليّات فما لمقدُورِهِ مِنْ غايات
فحيثما إبتلاهُ بالشرِّ فقد أنقذهُ مِنْ كلِّ ما كان أشدّ
فذلك المقدورُ كان لُطْفاً ولُطفُهُ هناك ليسَ يَخفَى
فأهلُ نارٍ كلُّهم مَلْطُوفْ حتّى الرّجيمُ الأرْجسُ الكثيفُ
أمّا قُصُورُهُ من الشرْعِى فحكمهُ هنــاك كالجلىِّ
كلٌّ بليّةٍ لنا مُكفّرَةٌ من الذنُوبِ أولنا مُبَشِّرَةْ
بالنفعِ أو معْرِفةِ الجلالِ أو لإنْدِفاعِ سببِ النكالِ
أو إندفاعِ النفسِ عن تكبُّرِ مقدارَ عطاءِ (١) ذا المقدَّرِ
أمّا قُصُورُ العبدِ بالعادىّ فإنّ فوقهُ من المُبْلى
من العبادِ زُمْرَةٌ كثيرةٌ بلاؤُهُمْ فائقةٌ شهيرةٌ
فاللهُ ما إبتلاكَ ما إبتلاهُمْ وما جفاكَ مثلَ ما جفاهُمْ
ولا البلايا كلُّها مُجتمِعَة عليك يا مَنْ لكلامى سَمِعَه

فأشكرْ واصبِرْ للبَلاءِ والمِحنْ
على وُفُورِ ما إليكَ مِنْ مِنَنِ

❊ ● ❊

---

١ — فى الأصل « مقدر غطاء » .

١٠٧ — لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك ، وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك .

ولا يُخافُ إلتباسُ الطُرُقِ عليكَ فى أىّ طريقٍ تَرْتَقى(١)

أتأخُذُ الشكرَ على رَحمَتِهِ

أمْ تمْسِكُ الصبرَ على حِكْمَتِهِ

وإنّما يُخَافُ سلطانُ الهوَى عليكَ يُغْوِيكَ مع الذى غَوَى

ذاك هو الحاملُ للنفسِ على رِفْقٍ بها منكَ فتَدْعُوكَ إلى

ضَجَرِكَ فى مواردِ البَلاءِ مِنّ نَغَصِ المِحْنَةِ والقَضَاء

صَدّقْ إذا قلتُ : هى النَعَمَاءُ وسُتِرَتْ مِنْ تحتِها الآلاءُ

أعنى الخُصُوصيّاتِ والمعارفَ لا يَعْرِفَنّهَا وُجُودُ صارِفِ

* ● *

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى بين لنا طريق الوصول اليه على لسان الرسول — صلى الله عليه وسلم — فبين لنا أعلام الشريعة ، ومنار الطريقة ، وأنوار الحقيقة ، فقرر لنا شرائع الاسلام وقواعد الايمان ومقام الاحسان ، فما ترك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شيئا يقربنا الى الله الا دلنا عليه ، ولا شيئا يبعدنا عنه الا حذرنا منه ولم يأل جهدا فى ارشاد العباد واظهار طريق السداد ، فما رحل الى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم ، على طريقة بيضاء لا يضل عنها الا من كان أعمى ، قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) [المائدة ٣] وقال تعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغيى) [البقرة ٢٥٦] وقال صلى الله عليه وسلم « لقد تركتكم على الحنيفية السمحة » .

وهكذا بما أن طريق الدين واضح وبين ، فلا يخاف على الانسان من التباس الطرق عليه ، وانما يخاف عليه من غلبة الهوى عليه فيصمه ويعميه ، قال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) [النساء ٢٦] وقال تعالى (ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه) [الاعراف ١٧٦] فالاسلام واضح غاية الوضوح لكن الهوى والنفس الامارة تشوش على الانسان وتبعده عن عبادة الملك المنان ، وتسوقه الى عدم الرضاء بقضاء الله وقدره .

١٠٨ — سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية .

سبحانَ ساترِ (١) الخُصُوصيّاتِ   بالبَشَرِيّاتِ الضَّرُورِيّاتِ (٢)
كالفَقْرِ والذُلّ مع الضَعفِ لنا   تَظْهرُ وَصْفَ اللهِ عِزًّا وغِنَا
فالعبدُ مهما شَهِدَ اللواتى   مِنْ شأْنِه وفَازَ بالغاياتِ
أمَدَّهُ الرحمنُ من بعدُ بما   من شأْنِهِ وهو مَقَامُ العُظَمَاء
ثمّ الرُبُوبِيَّةُ من أوْصافِها   ظاهرةٌ على خَفَا ألْطافِها
من العُبُودِيّاتِ فهى كلّمَا   تَحَقَّقَتْ للعبدِ قَدْ فازَ بما
هو الخصوصيّةُ والوِلايةُ   والنُجْحُ بالعِرفانِ والعِنايةِ
للعبدِ أوْصَافٌ هى الضِعافُ   وللإلهِ دُونَها أوْصافُ
فحيثما جُمِعَتْ صفاتُ العبدِ لَهُ
أمَدَّهُ اللهُ بما قَدَّمَ لَهُ

---

١ — فى الاصل « سبحان سائر الخصوصيات » .

٢ — الخصوصية : هى نور الحق يشرقه الله تعالى فى قلوب خواص عباده المقربين ، بعد تطهيرها من الأكدار ، وتنزيهها من المساوى والأغيار ، وهذا النور يحتوى على صفات الله العلى القدير من الكبرياء والعز والقوه والعظمة والجلال والقدرة التامة والعلم المحيط ، وسائر أوصاف الكمال ، ثم ان الحق تعالى ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضدادها التى هى أوصاف العبودية ، فستر كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد ، وستر قدرته وارادته بظهور العجز والقهرية عليه ، وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو عليه ، الى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية .

فبقدر التحقق من البشرية يقع تحقيق المعرفة ، اذ بقدر شعورك بأوصافك نتحقق بأوصافه فاذل ما تكون يظهر لك عزه .

وستر ذلك عن الغير لأن الناظر الى العارف فى حال جرى أوصاف البشرية عليه يقف مع حاله الظاهرة فيكون محجوبا عن خصوصيته بها .

فكانَ مَظْهَراً لِوَصْفِ الحقِّ خَلِيفَةً لِرَبِّهِ بالصدقِ
فكلّما شاء غدا مُنْفَعِلاً وإذ سَمِعْتَ ماذكرناهُ فَلاَ

* ● *

١٠٩ — لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك .

تُطَالِبْ الربَّ بتأخيرِ الطَلَبْ
أعني الخُصُوصِيَّةَ ما فوقَ الرُتَبْ
وطالِبْ النفسَ بتأخير الأدب
حتى تَنَالَ منه غاياتِ الأرَبِ(١)
فأدبُ العبدِ هو إستِسْلامُهُ للهِ حيثُ وُجِهَتْ أحكامُهُ

* ● *

---

١ — مطلب العارفين من الله هو سر الخصوصية ، وأدبهم فى ذلك وجود العبودية وهى دائرة على ثلاثة أمور :
١ — امتثال أمره ، ٢ — الاستسلام لقهره ، ٣ — رؤية ذلك منه دون واسطة ولا ملاحظة شىء آخر .
هذه قاعدة عامة وان كانت مناسبتها خاصة ، فاذا طلب الانسان شيئا ثم تأخر ظهور ذلك المطلب ، فانما ذلك لما فاته من حسن الأدب ، فلابد أن لا يطالب ربه أن يعجل مطلبه بسبب تأخره عنه ، ولكن عليه أن يطالب نفسه بتأخر أدبه ، فلو أحسن الأدب فى الطلب لقضيت حاجته معنى وان لم تقض حسا .
وحسن الأدب هنا : هو اكتفاؤه بعلم الله ، ورضاؤه بحكمه ، واعتماده على ما اختاره الله له دون ما اختاره لنفسه لقلة علمه فقد ضمن الله الاجابة فيما يريد هو لا فيما يريده العبد ، وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد أنت قال وهب بن منبه — رضى الله عنه — : قرأت فى بعض الكتب : يا ابن آدم اطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك ، انى عالم بخلقى ، انما أكرم من أكرمنى وأهين من هان عليه أمرى ، ولست بناظر فى حق عبدى حتى ينظر عبدى فى حقى .

١١٠ — متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره ، فقد أعظم المنة عليك .

مَتّى جعلتَ ظاهراً لأمرِهِ مُمْتَثِلاً وباطناً لقَهْرِهِ
مُسْتَسْلِماً فى الرضاءِ بالقَضَا ثُمَّ منيباً راجعاً مُفَوِّضاً
فإعلمْ يقيناً أنَّه أعظم فى مِنَّتِهِ (١) عليك ما ليسَ خفى
هو المحبُّ أنتَ محبوبٌ لَهُ وهو مُرِيدٌ أنت مَطْلُوبٌ لَهُ
فأىَّ شىءٍ لاتكونُ قادِرا عليهِ بعدَ مَنْ حَبَاكَ قاهِراً

✻ ● ✻

١١١ — ليس كل من ثبت تخصيصه ، كمل تخليصه .

ولايكُنْ حَظُّكَ من رَبِّكَ أن يُعْطِيكَ اللهُ كراماتِ المِنَنْ
بل مُقْتَضَى الأمر مع القهرِ نَحُنْ
فغيرُهُ المعاولُ عندَ المجتَهِدِى
فليسَ كلُّ ثابتٍ تخصيصه (٢) مُكتمِلاً فى نفسِهِ تخليصُهُ

---

١ — امتثال أمر الله فى الظاهر يدل على كمال الشريعة ، وتحقيق العبودية ، والاستسلام للقهر فى الباطن يدل على كمال الطريقة ونهاية الحقيقة ، والجمع بينهما هو غاية الكمال ، حيث ان منتهى الكمالات الشرائع ، فمتى جعلك أيها الانسان فى الظاهر ممتثلا لأمره ومجتنبا لنهيه ، وفى الباطن مستسلما لقهره ، فقد أعظم المنة عليك ، حيث أراح ظاهرك من عنت المخالفة ، العبد بالطاعة ، وزين باطنه بالمعرفة ، فالواجب عليه ان يشكر هذه النعمة ، وأراح باطنك من تعب المنازعة . فالله سبحانه وتعالى اذا زين ظاهر العبد بالطاعة ، وزين باطنه بالمعرفة ، فالواجب عليه أن يشكر هذه النعمة ، ويعرف قدرها ، حتى تعظم محبة الله فى قلبه ، وذلك أقصى مراد العبد ومتى أثبت له هذا الأمر فقد خلصه الله من نفسه ، وحرره من رق حظه .

٢ — فى الاصل « فليس كل ثابت تخليصه » .

إنّ الكراماتِ هيَ الخصائصُ ... وربّما ينالُهُنّ ناقصُ(١)

إذ الخلوصُ من جميعِ العِلَلِ ... مع كلّ آفاتٍ بفقْدِ الأملِ

وقدْ يكونُ صاحبُ الخوارِقِ ... في نفْسِهِ مَذمّةَ الخلائِقِ

ألا ترى الطيرَ لَدى طَيَرانِهِ ... والحوتَ في الماءِ وفي فيَضانِهِ

ألا ترى إبليسَ في دَوَلانِهِ ... مع أنّه الجيفةُ في إنتِنانِهِ

ثمّ الكراماتُ الحقيقيةُ في ... وَصْفِ العُبُوديّةِ أعلى شرفِ

وفي الذي يطلبُ منكَ الحقُّ ... ومنه وِردٌ جيءَ فيهِ الصدْقُ

* ● *

---

١ — المراد بالتخصيص : تخصيصه بالكرامات الحسية ، والمراد بالتخليص : تخليصه من الحظوظ النفسية والشهوات .

ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات الحسية ، كمل تخليصه من العوائد والشهوات ، بل قد يعطى الكرامات الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه النفسية .

وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور : الأول : انهاضه فى العمل لحصول فترة أو وقفة ، الثانى : اختبار له ، هل يقف معها فيحجب أو يأنف عنها فيقرب ، الثالث : زيادة فى يقينه أو يقين الغير فيه ، لينتفع به ، روى أن سهلا — رضى الله عنه — قال لرجل قال له : انى أتوضأ فأجد الماء يسقط من يدى قضبان ذهب وفضة ، فاجابه بقوله : أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا خشخاشة يشتغلون بها .

والحاصل أن الكرامة العظمى هى المعرفة ، والاستقامة ، ورفع الحجاب ، وفتح الباب ، فلا كرامة أعظم من هذا .

الباب الثانى عشر

١١٢ — لا يستحقر الورد الا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار — وأولى ما يعتنى به مالا يخلف وجوده ، الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منـــه ؟

والوِردُ ذا إقامَةَ الطاعاتِ بِحَقِّ رَبِّه لدى الأَوْقاتِ
فــكلُّ مُسْتَحْقِرِ وِرْدٍ جَهُولُ(١) بالــوِردِ الــذى هو المــأمولَ
من ثمراتِ الوِردِ أوْ ثَوابِهِ لجنّةِ الرحمنِ واقِراً بِهِ
فالوِردُ للوارِدِ(٢) كان السببَ فذاكَ أَوْلى أنْ تراهُ مَطْلَبَا

---

١ — فى الأصل « جاهل » .

٢ — الورد فى اللغة : هو الشرب ، وفى الاصطلاح : هو ما يرتبه العبد على نفسه ، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات . الوارد فى اللغـــة : هو الطارق والقـــادم ، و فى الاصطلاح : ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحـــات الالهية فيكسبه قـــوة محركة ، ولا يكون الا بغتة ولا يـــدوم على صاحبه ، فكل من أقامه مولاه فى ورد فليلتزمه ولا يتعدى طوره ، ولا يستحقر غيره ، اذ العارف لا يستحقر شيئا ، بل يصير مع كل واحـــد فى مقـــامه ، فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد الا جهول أو معاند ، وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود ؟ الورد يوجد ثوابه وثمرته فى الدار الآخـــرة ، والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار ، قال تعـــالى (وتلك الجنـــة التى أورثموها بما كنتم تعملون) (الزخرف ٧٢) فالانسان عليه أن يغتنم وجوده فى الدنيـــا ليعمل لآخرته ، فان الدنيا دار عمل لأجـــزاء فيها ، والأخـــرة دار جزاء لا عمل فيها ، فقد قال — صلى الله عليه وسلم — « من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم » — فاولى ما يعتنى به العبد ما هو الله طالبه منه وهو الورد ، دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد « قضاء الله أحق وشرط الله أوثق » وقال تعـــالى « لئن شـــكرتم لازيدكم »
=

والوردُ ينطوى بطىٍّ دارنا لا سيّما الأنفاسِ فى أعمارنا
فواجبٌ عليك أنْ تعتنيا بفائتٍ وُجُودُه منطوياً
والوردُ حقٌّ الله إذ يطلبُه منكَ وذا حقّكَ إذ تطلبُه
منه وأينَ فضلُ ما اللهُ طالبْ
من فضلِ ما أصبحَ مطلوبكَ هبْ
فحقُ مولاكَ هو إستقامةُ وحظُّ نفسنا هى الكرامةُ
وحقُّه أفضلُ منْ حظوظنا
فإسمعْ ولا تهملْ حقوقَ ربّنا

❊ ● ❊

١١٣ — ورود الامداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار .

إنّ ورُودَ العبدِ من إمدادهِ
بحسبِ الأورادِ وإستعدادهِ (١)

=

(ابراهيم ٧) وهـذا سبيل الطائفة الجنيدية ، حيث ان الشيخ جنيد — رضى الله عنه — لم يترك اوراده حتى فى حال نزعه ، وفى ايقاظ الهمم ص ٢١٠ قيل للشيخ جنيد : ان جماعة بزعمون أنهم يصلون الى حالة بسقط عنهم التكليف ، قال : وصلوا ولكن الى سقر .

وقال فى كلام آخر : هذا كلام من يقول بالاباحة : والسرقة والزنا عندنا . أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة .

١ — المراد بالامداد : أنوار التوجه بالنسبة للسائرين ، وأنوار المواجهة بالنسبة للواصلين فهى تتولى على قلوب العباد بحسب التأهب والاستعداد ،
=

فالعبدُ مهما كَمُلَ إستعدادُهُ ... مُيَسَّراً لقصدْ أتى مُرادُهُ
إنّ شُرُوقَ السرِّ بالأنوارِ ... يَصْفُوهُ مِنْ صُوَرِ الأغيارِ
وذاك لا يكونُ إلاّ بِسَبَبْ
وهو إلتزامُ الوِردِ مِنْ عَزْمِ الطَلَبْ
للملكوتِ أودِعَتْ انوارُ ... فى كلِّ وِرْدٍ مَنْ له إستبصارُ
يطلبُ نورَ كلِّ طاعةٍ ولاَ ... يُهْمِلُ جنساً بل يُوالى عَمَلاَ
وخيرُ وِرْدٍ أن تكُونَ مُصْبِحاً
فيهِ إذا طَلَبْتَ أمراً مُصْابِحاً

✻ ● ✻

=

فبقدر المجاهده تكون المشاهدة ، وفائدة هذه الامداد : تطهير القلوب من الاغيار ، وتقديس الاسرار من الأكدار ، والوقوف مع الأنوار ، فلا تزال أمطار المدد تنزل على أرض النفوس الطيبة ، والقلوب المطهرة ، والأرواح المنورة ، والاسرار المقدسة ، حتى تمـلأ بأنوار المعانى ، فحينئذ تتعلق لها أنوار الصفات .

وشروق أنوار المعارف فى أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الأغيار ، فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام اشراق نورها ، وعلامة شروق هذه الأنوار ترك التدبير والاختيار ، والاكتفاء بنظر الواحد القهار .

١١٤ — الغافل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل ، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله بــه .

ما بَثَّهُ الإمامُ فالناسُ هنا قِسْمَانِ : عاقلٌ وغافلٌ وَنَا(١)

فحيثما أصبحَ غافلٌ نَظَرَ فيما الذى يَفْعَلُ وَهُو ذُو كَدَرَ

مُسْتَشْعِرٌ فَــواتَ مقصودِ الأمــلِ

مُعْتَمِــدٌ على قُواهُ والعَمَــلْ

لكنّما العاقلُ ليسَ يَنْظُرُ إلاّ الذى يَفْعَلُهُ المُقَدِّرُ

هُمَا كمثلِ أوْجُهِ التعريفِ يَرضى بها وأوْجُهِ التكليفِ

---

١ — الناس قســمان : غافل ، وعاقل ، الغافل : هــو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان ، والعاقل : هو العارف بالله ، ولو قل له ذكر اللسان ، اذ المعتبر هــو ذكر الجنان ، فالغافل نفســه موجــودة ، وآماله ممدودة ، اذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه ، فيــدير شؤونه ومآربه بعقله ، فهو ناظــر لفعله ، معتمد على حوله وقوته ، فاذا فسخ القضاء ما أبرمه ، وهدم ما دبر ، غضب وسخط وحزن وقنط ، فنازع ربه وأســاء أدبه ، فهو يستحق من الله البعد ، الا اذا حصل له رجــوع الى الله .

وأما العاقل وهو العارف ، ، فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه ، وانجمع اليه بكلية قلبه ، فاشرق فى قلبه شموس العرفان ، فاذا أصبح نظر ماذا يفعــل الله به ، فلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة كما قال الشاعر :

اتبع رياح القضا ودر حيث دارت وســلم لسلمى وسر حيث سارت

واستعن على هذا الأمر بادعيته عليه الصلاة والسلام فى هذا المقــام ، كقوله : « اللهم انى أصبحت لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتنى ، ولا أن أتقى الا ما وقيتنى ، فوفقنى اللهم لمــا ترضاه منى من القول والفعل ، وفى عافية وستر ، انك على كل شيء قدير » . ويجمع هذا أربعة أمور : صدق الورع ، وحسن النــية ، واخلاص العمل ، ومحبة العلم ، وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ، ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله ، أى من رأى الحق غاب عن نفسه ، ومن رأى نفسه حجب عن الله .

يَطْلُبُها بِغيرِ ما فُتُورِ يَفْعَلُهَا مُسْتَوْفِياً بِنُورِ

١١٥ — انما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء ، لغيبتهم عن الله في كل شيء ، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء .

وإنّما إستَوْحشَ(١) العُبّادُ عَنْ غيرِ مولاهُمْ كذا الزُهّادُ

لأنّهُمْ لمْ يَشْهَدُوهُ فيهِ فَعَنْهُ فَرّوا غيرَ مُبْتَغِيهِ

حتّى ولو رَأوْهُ في الكونِ(٢) لَمَا أوْحَشَهُمْ عن غيرِهِ وإنّما

أدْخَلَهُمْ في ظُلْمَةٍ بنُورِ مُسْتَأْنِسِينَ فيه بالحُضُورِ

---

١ — في الأصل « استوحشت العباد » .

٢ — العباد : هم الذين غلب عليهم الفعل ، فهم مستغرقون في عباداتهم البدنية ، وذاقوا حلاوة العبادة ، فهم حينما يؤدون العبادة كأنهم في متعة وفرح ، لا يتعبون في أداء العبادة ، بل يسترحون بالعبادة .

والزهاد : هم الذين غلبهم الترك ، ترك كل شيء في الدنيا ، فهم يفرون من الدنيا وأهلها ، ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه ، فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ، ويرون أن الدنيا تحجب عن الله .

والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق ، فحجبوا أولا بالحق عن الخلق ، وبالمعنى عن الحس ، ثم ردوا الى شهود الحق في الخلق ، فحين عرفوا الله في كل شيء ، أنسوا لكل شيء ، وتأدبوا مع كل شيء ، وعظموا كل شيء ، فهم يألفون مع الخلق ويؤلفون .

فَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ
تألفُهُمْ قُلُوبُ أهلِ المِحَنِ
فالمؤمنُ المألوفُ بلْ وآلِفُ مؤدياً ما تقتضى المَواقِفُ

* ● *

١١٦ — أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته ، وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته .

ثمَّ شُهُود أوْجُهِ الخلائقِ مستلزمٌ لرؤيةِ الحقائقِ
ورُؤيةُ حقائقِ الأكوانِ يلزمُها زيادةُ العِرْفانِ
وهو متى زيد بدارِ الدُّنْيا يَقْلِبُ بالرؤيةِ وجْهَ المولى
وإن نَظَرْتَ فى مُكَوِّناتهِ كما أتاك الأمرُ فى آياتهِ (١)

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى أمر المؤمن أن ينظر اليه بواسطة مكوناته حيث قال تعالى (قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض) (يونس ١٠١) وقال : (فانظر الى آثار رحمة الله) (الروم ٥٠) لأن الانسان لا يقدر أن ينظر الى حقيقة ذاته المقدسة فى الدنيا لضعف نشأته ، وان كان ذلك جائزا عقلا ، ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام ، لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية أسرار الربوبية ، فالنظر الى مكونات الله سبحانه يؤدى الى معرفة الله ، لأنها مخلوق الله وآثاره ، والأثر يدل على المؤثر .

وأما رؤية الله فى الدار الآخرة فهى ثابتة بالقرآن حيث يقول تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (القيامة ٢٢) ، خالف فى ذلك المعتزلة حيث أنكروا رؤية الله فى الدنيا والأخرة مستدلين بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (الانعام ١٠٣) لكن الأكثرية من علماء المسلمين على أن رؤية الله : جائزة وان أهل الجنة سوف يرون ربهم بدون الكم والكيف ، والله أعلم . والمسألة مفصلة فى كتب العقائد فمن يريد المزيد فليراجع شرح المواقف وفيه تفصيلات دقيقة جدا بالنسبة لهذه المسألة .

تَشْهَدُ فى الدنيا عُلا صِفَاتِهِ   وفى غـدٍ ترى علىَّ ذاتِهِ
من حيثُ لا كيفَ ، ولا أينَ ، ولا
يَشْبَــهُ شيئاً أبَــداً وآزَلاً

✻ ● ✻

١١٧ — علم (١) منك أنك لا تصبر عنه ، فاشهدك ما برز منه .

إنّكَ لا تصبرُ عنهُ قدْ عَلِمَ   ذلكَ مِنْكَ فأرَاكَ ما فُهِمَ (٢)
من بارزٍ عنـهُ من الوُجُودِ   علامةً على كمالِ الجُودِ
إذ الحديثُ لا يَرَى قَــدِيماً   ما كانَ فى حُدُوثِهِ مُقِيماً

✻ ● ✻

١١٨ — لما علم الحق منك وجود الملل ، لون لك الطاعات ، وعلم ما فيك من وجود الشره ، فحجرها عليك فى بعض الأقات ، ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم .

ولَوَّنَ الرؤيةَ فى الطاعاتِ   لِمَلَلٍ عليكَ وهْوَ ذاتِىّ
وخَصَّ أوقاتٍ بهـا لِشَرَهٍ   فيكَ لتَعْجِيلِ دَعا وعَمَهٍ

---

١ — وفى بعض النسخ « لمـا علم أنك لا تصبر عنه » .

٢ — لمـا علم الله سبحانه وتعالى أن المؤمن لا يصبر عنه ، ولا يقدر أن يراه على ما هو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله مادام فى الدنيـا ، لأن الحادث لا يحيط علمه بالقديم ، فالله رحمه بأن أشهده ما برز منه من تجلياته فى مظاهر مكوناته ،وآثار صفاته ، لأن النظر والتفكير فى هذا الكون يوصل الانسان الى معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله ، لأن جميع المخلوقات تدل على عظمة الخالق .

إذْ إنْـدِفاعُ مَلَلٍ وفـترة
يحصلُ مِنْ تلْوينِهـا فى كـثرةٍ(١)

وشرَّةٍ بحجرِها فى وقتٍ خُصَّ بها فخُذْهُ بالتقى
والحجْرُ والتلْوينُ من أمورٍ ثلاثة إعانـةُ الميْسُورِ
وحجةٌ أنت على المخْذُولِ تكرمـةُ المحقِّقِ المقْبُولِ
من العبوديّـةِ فى تيْسيرِ فهـذه الثـلاثةُ الأمُورِ
ثمّ ليكُنْ همُّكَ فى الصلاةِ إقامـةً لهـا بشرطٍ آت(٢)
دُونَ وُجُـودِها فيانـديمُ ما كلُّ مَنْ صَلّى هو المُقيمُ
إقامـةَ الصـلاةِ بالخُشُوعِ مـع إستكانةٍ وبالضُرُوعِ

---

١ — ان الحق تعالى هو خالق الانسان ، والعارف بما فى نفس الانسان وخلجات صدوره ، وبما ان الانسان يثقل عليه التكرار فلذلك نوع العبادات الى الصلاة والصوم والحج والذكر الى آخرها حيث أن انتقال النفس فى أنواع الطاعات وأعيانها ، يقتضى لها وجود استراحة من لون الى لون ، وهذا يفيد تنشيط الجسم بالنسبة للمسلم الكسلان ، ويفيد كرامة على كرامة بالنسبة للعابد اذ يستفيد من كل نوع نورا ليس فى غيره ، وقد يقـع الملل من نفس الانسان مع وجود التلون ، لوقوع الشدة فى النوع الواحد فالله سبحانه خفف لنا هذا بتوزيع العبادات على الأوقات .

٢ — ان الله سبحانه وتعالى ما سهل لك العبادات بالتنوع والتوزيع على الأوقات ، الا لتكون مهتما باقامة الصلاة ، الذى هو القيام بحقوقها الباطنة وحدودها الظاهرة ، وانما خص الصلاة بالذكر ، لأن النفوس غالبا انما يتسلط بالشدة عليها ، ولان الشدة غالبا انما يقطع عنها ، ولانها أم العبادات ورأسها ، ثم الأهم فى حفظها بالخضوع والاقبال كما روى عن الامام عمر — رضى الله عنـه — : من حفظها وحافظ عليها فهو لمـا سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لمـا سواها أضيع .

١١٩ — الصلاة : طهرة للقلوب من أدناس الذنوب ، واستفتاح لبـاب الغيـوب .

١٢٠ — الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة : تتسع فيها ميادين الاسرار ، وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك ، فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك الى فضله ، فكثر أمدادها .

فيها خصالٌ ستّةٌ مَرامُ(١)   بهـا الصلاةُ بيننا تُقامُ :
أوّلُهـا طهـارةُ القلوب   من دَنَسِ الغَفْلةِ والذُنُوبِ

---

١ — فى الصلاة ست مقامات لا تتحصل الا لمن أقامها ، فمن وجدها فذلك والا فليبك على نفسه .

أولها أن الصلاة طهرة للقلوب من الدنس من ثلاثة أشياء : من الذنوب الماضية بوجـود تكفيرها فيذهب الران الذى فى القلـوب ، ومن الذنوب المتوقعة حيث قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت ٤٥] ومطهرة للقلوب من ملاحظة المخلوقين .

الثانى — الصلاة استفتاح لباب الغيوب ، بافراد الوجه الداعى لانفراد الحقيقة للمتوجه اليه ووجود الخضوع والتذلل الذى هو بساط الموهبة ، وبالدعاء والضراعة الموجودة فى قراءة الفاتحة .

الثالث — الصلاة محل المناجات ، حيث يوجد فيها الثناء على الله ، فيقول : حمدنى عبدى . ووجود الذكر ، فيقول : مجدنى عبدى ، وهى مورد التفويض كما جاء فى الحديث القدسى « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : فنصفها لى ونصفها لعبدى فاذا قال : (الحمد لله رب العالمين) ، قال : أثنى على عبدى ، فاذا قال : (مالك يوم الدين) ، قال : مجدنى عبدى ، فاذا قال : (اياك نعبد واياك نستعين) قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .

الرابع — ان الصلاة معدن المصافاة ، فبالصلاة يكون المؤمن صفيا لله أى محبوبا عنده .

الخامس — تتسع فى الصلاة ميدان الاسرار بما يرد عليها من أنواع الفوائد والعرفان ، فانه قد تكون أعيان المعارف الدقيقة مستفادة من أنواع العبادات الداخلة فى الصلاة ، كالذكر والدعاء والقرآن اذ يستفيد من كل الافعال معنى ، ومن كل معنى وجوها .

=

ومُفْتَتَحٌ لنا مِن التجلّي   من الغُيُوبِ ومِنْ التدلّي
وللمُنَاجَاتِ هي المحلُّ   وللمُصَافاةِ هيَ الأدَلُّ
فيها إتساعُ مُشْرِقِ الأنوارِ   كذا المَيَادِينُ مِنْ الأسرارِ
قَلَّلَهَا لضَعْفِنا أعْدَاداً   كَثَّرَهَا لحُبِّنَا إمْدَاداً
خمسُ وَخَمْسُونَ وما يَتَبدَّلُ(١)
قولٌ لديّ فهو فضلٌ أجْزَلُ

١٢١ — متى طلبت عوضا على عمل ، طولبت بوجود الصدق فيه ، ويكفى المريب وجدان السلامة .

مَتَى طلبتَ عِوَضاً مِنْ حَقِّ   يَطْلُبُكَ الحقُّ بِهِ بِصِدْقِ
إنّ المُرِيبَ حَسْبُهُ السلامةُ   في عَمَلٍ لمْ يأتِ بالتَمامَه

* ● *

ـ السادس : تشرق فيها شوارق الانوار على القلوب من معانى الصلاوة والاذكار وعلى الجوارح بظواهر السمات والآثار ، قال تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [الفتح ٢٩] .

قال فى لطائف المنن ص ٢٣١ قال « أى الشيخ أبو العباس المرسى » فى قوله عز وجل (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) [البقرة ٣] .

كل موضع ذكر فيه المصلون فى معرض المدح ، فانما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها ، قال سبحانه وتعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) وقال (رب اجعلنى مقيم الصلاة) [ابراهيم ٤٠] وقال (أقم الصلاة) [الاسراء ٧٨] وقال (واقام الصلاة) [التوبة ١٨] وقال (وأقاموا الصلاة) [فاطر ٢٩] وقال (والمقيمى الصلاة) [الحج ٣٥] ولما ذكر المصلين بالغفلة قال (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) [الماعون ٤ ، ٥] ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة .

والاقامة هو أنه اذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه ، خلق الله من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

١ — وهذا اشارة الى ما ورد فى حديث المعراج حيث أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى — رضى الله عنه — فى حديث طويل ، وفيه « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك ، حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة ، قال فارجع الى ربك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعنى فوضع شطرها ، فرجعت الى موسى قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك ، فان أمتك لا تطيق ، فراجعت ،

١٢٢ — لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا ، يكفى من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا

لاتَطْلُبَنَّ عوضاً من عَمَلٍ لستَ له الفاعلَ والأمْرُ الجَلى
يكفيك من جزاءِ ذاك العَمَلْ قَبُولُهُ منكَ على كلِّ عمَلْ

* ● *

١٢٣ — اذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق ونسب اليك .

١٢٤ — لا نهاية لمذامك ان أرجعك اليك ، ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك .

إذا أرادَ(١) فَضْلَهُ عليكَ يُنسبُ بعدَ خَلْقِهِ إليكَ(٢)

=
فوضع شطرها ، فرجعت اليه ، فقال : ارجع الى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته فقال : هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى » وفى رواية « هى خمس هى خمسون » انظر فتح البارى ٤٥٩/١ كتاب الصلاة .

١ — فى الأصل « اذا أراد فضله عليك »

٢ — ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد أن يبرز انسانا فى الدنيا والآخرة ، يخلق فيه العمل الصالح ، ويسخره للطاعة والعبادة والبر والاحسان ، وينسب هذه الأعمال الصالحة اليه على السنة الناس ، فتطلق الألسنة توصفه بالصالح والنزيه وغير ذلك من الصفات الحميدة ، مع أن ما قام به من الأعمال الصالحة كان بتسخير الله وتسهيله ، لأن أفعال العبد بخلق الله وليس بخلقه ، وان الله هو الخالق لأفعال العباد ، وليس العبد خالقا لأفعاله ، حيث يقول سبحانه وتعالى (والله خلقكم وما تعملون) (الصافات ٩٦) واذا أراد أن يهين انسانا أمام الخلق خلق فيه الأعمال السيئة والصفات الدنيئة .

فالعاقل يجب عليه أن يشكر ربه على أعماله الصالحة وصفاته الحميدة ، لأن الله هو الذى خلق هذه الصفات وهذه الاعمال ، وعليه أن يتأدب مع الله بأن ينسب اليه الأعمال الصالحة ، وينسب الأعمال غير الصالحة الى نفسه والى الشيطان . وعليه أن يشكر الله أيضا لأنه حماه من نفسه وهواه ، ولو خلى الله بينه وبين نفسه وهواه لارتكب فضائح كثيرة وأعمال شريرة حيث يقول تعالى (ان النفس لأمارة بالسوء) (يوسف ٥٣) .

فما لِفَضْلِ اللهِ من نِهايةِ　　عليك من كرامةِ العِنايةِ
إن اظهرَ الجودُ لك المدائحَ　　لا تَنْتَهى جَليَّةُ لَوائِح
وذمّكَ الأكثرُ إنْ أرْجَعَكَ　　إليك فاذْكُرْ ذا البَيانَ مَعَكَ
وخيرُ(١) وِردٍ لا تَرَى وُجُودَكَ　　ودائِماً تَشْهَدُهُ مَعْبُودَكَ

* ❁ *

١ — لقد نويت عدة مرات أن انقل هذا البيت الى بداية الباب الثانى عشر عند الحكمة ١١٢ بعد قول الشيخ :

والورد حــــق اللــــه أن يطلبه
منــــك وذا حقــــك اذ نطلبــــه

لأن معنى البيت يتفق مع موضوع الورد ، لكننى فضلت المحافظة على ترتيب النسخة الأصلية ، واكتفيت بهذه الاشارة العابرة ، على أننا لو بدلنا كلمة الورد فى البيت بكلمة وقت لكان أكثر انسجاما مع هذا الموضوع بحيث قرأنا البيت هكذا :

وخــــــير وقت لا ترى وجــــودك

الباب الثالث عشر

١٢٥ — كن بأوصاف ربوبيته متعلقا ، وبأوصاف عبوديتك متحققا .

خُذْ بِرُبُوبِيَّتِهِ تعلُّقاً(١) وفى عُبُودِيَّتِنَا تَحَقُّقاً
فللرُبُوبِيَّةِ أوصافُ هنا كقُدْرَةٍ وقُوَّةٍ عِزٍّ غِنا

---

١ — أوصاف الربوية هى العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وغير ذلك من أوصاف الكمالات التى لا نهاية لها ، وأوصاف العبودية هى الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص .

وكيفية التعلق بأوصاف الحق : هو أن تلتجىء فى أمورك الى الله ، وتعتمد فى حوائجك عليه ، وترفض كل ما سواه ، ولا ترى فى الوجود الا اياه ، فاذا نظرت الى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به ولم تتعزز بغيره وصغر فى عينك ما عداه ، واذا نظرت الى وصفه تعالى بالغنى تعلقت بغناه ، واستغنيت عما سواه ، واذا نظرت الى وصفه تعالى بالقوة والقدره لم تلتجىء فى حال ضعفك وعجزك الا الى قدرته وقوته ، واستضعفت كل شىء ، وهكذا فى جميع الأوصاف والاسماء ، وكيفية التخلق بأوصاف الحق تعالى : هو أن تكون فى باطنك عزيزا بالله عالما به وبأحكامه ، وقويا فى التمسك بالدين ، قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزه جميعا) (فاطر ١٠) .

وكيفية التخلق بأوصف العبودية : هو التحقق بالذل فى الظاهر ، حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تأنف منه ، وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر أوصاف العبودية قال بعض المشايخ : أهل الظاهر يتنافسون فى العلو أيهم يكون أعلى من الآخر ، واهل الباطن يتنافسون فى الحنو ايهم احنى من الآخر ، فمن استغنى بالله افتقر اليه ، ومن افتقر الى الله استغنى به ، ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ، ومن شاهد قدرة الله رأى عجز نفسه ، ومن نظر الى ضعف نفسه رأى قوة مولاه ، ومن رأى قوته علم ضعف نفسه ، وهكذا فان العارف اذا نظر الى أوصافه رأى أنه فقير الى الله ، واذا نظر الى أوصاف الله رأى أنه غنى بالله ، فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية من الكرامات ، وتارة يظهر عليه آثار الفقر الى الله فيلتزم الرعاية ، فالرسول — صلى الله عليه وسلم — فى بعض الأحيان كان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، وفى بعض الأوقات يزداد الطعام والماء بين يديه معجزة له صلى الله عليه وسلم .

وإنَّ مِن تعلُّقِ العبدِ بِها ... أن لا يكونَ ناظِراً لِغَيْرِها

ولا على شيءٍ سِواهَا مُعْتَمِدْ ... وللعبوديَّةِ أوْصَافٌ تَجِدْ

عجزٌ وذُلٌّ ثمَّ ضَعْفٌ فَقْرُ ... كلٌّ له نَورٌ نَفَاهُ البَدْرُ

وإنَّ مِنْ تَحَقُّقِ العبدِ بِها ... أن لا يكونَ فاقِداً لِوَصْفِها

وكَوْنُها لا زِمَةٌ لَدَيْهِ ... قائِمةٌ غالِبَةٌ عليهِ

ومالَهُ عن كلِّهما إنْفِكَاكُ ... ونُورُهُ لنُورِهِ إدْراكُ

فى كلِّ حالٍ كانَ مُتَحَقِّقاً ... ثمَّ بِما للهِ مُتَعَلِّقاً

لكنَّما البِساطُ قَدْ يَخْتَلِفُ ... فتارةً يَغْلِبُهُ تَضَعُّفُ

وتارةً يَغْلِبُهُ الفَنَا بِهِ ... وتارةً يَعْتَبُهُ الغِنَا بِهِ

وتارةً يَغْلِبُهُ إفتقارُ ... وذِلَّةٌ يَعْقُبُهُ إضطرارُ

فحيثما حلَّ على جَنَانِهِ

غِنَاهُ حلَّ البَسْطُ مِنْ إحسانِهِ

وحيثما عليه فَقْرُهُ غَلَبْ ... وافَقَ راجِعاً إلى حالِ الأَدَبْ

فأصْبَحَ البسطُ مَعَ الكرامَةِ ... محلَّ أولياه(١) والعَلامَةْ

ومَوْقِفُ التعظيمِ ثمَّ الأدَبِ ... ثانيهما واكلُّ أحوالٌ للنَّبِى

أطْعَمَ بالصاعِ أُلُوفاً مُظْهِراً ... غِناهُ باللهِ(٢) وشَدَّ الحَجَرَ

---

١ — فى الأصل « محل أوليه »

٢ — وردت أحاديث كثيرة فى زيادة الطعام والماء بين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معجزة له ، منها روى البخارى ٣٠٤/٧ فى المغازى باب غزوة الخندق عن جابر قال : انا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاؤوا النبى — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب — ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا

مِن جُوعِهِ (١) أظْهَرَ فِيهِ فَقْرَهُ
لِآلِهِ ثُمَّ أولاً أظْهَرَهُ

لِحَاجَةِ النَّاسِ إِليهِ جابِراً لِحالِهِمْ حتّى يَرَوْهُ قادِراً

بِرَبِّهِ وأظْهَرَ الثانى مِنْ تَعالِيمِهِمْ للأدَبِ الذى رَكَنْ

وذا هو المقصودُ إنْ عَلِمْنَا أنّ النبيَّ للجميعِ سَنَّا

قِلَّ إظهارٌ لِحالِ أوّلِ إلاّ لَدَى الحاجةِ أو تَزَلْزُلِ

= — فأخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — المعول ، فعاد كثيبا أهيل — أو أهيم — فقلت : يا رسول الله ، ائذن لى الى البيت ، فقلت لامرأتى : انى رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — شيئا ، ما فى ذلك صبر ، فعندك شىء ؟ قالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبى — صلى الله عليه وسلم — والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافى ، قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » فذكرت له ، قال « كثير طيب » قل لها : لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فقال : قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبى — صلى الله عليه وسلم — بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، فقال « أدخلوا ولا تضاغطوا » فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ، ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا ، وبقى منه ، فقال : « كلى وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة » .

١ — كما وردت أحاديث كثيرة تدل على فقر الرسول وجوعه : منها ما روى عن أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لقد أخفت من الله ما لم يخف أحد ، واوذيت فى الله ما لم يؤذى أحد ، ولقد أتى على ثلاثون من يوم وليله ومالى ولبلال طعام ، الا شىء يواريه ابط بلال » أخرجه الترمذى . أنظر جامع الأصول ٤/٦٨٧ ، وعن النعمان بن بشير قال « ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يظل اليوم يلتوى ، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه » أخرجه مسلم فى الزهد . وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، انما هو التمر والماء ، الا ان يؤتى باللحيم » وفى رواية ، قالت « ما تشبع آل محمد من خبز البر ثلاثا ، حتى مضى لسبيله » . أنظر جامع الأصول ٤/٦٨٢ .

للضُعَفَاءِ فَتَحَقَّقْ بالأدَبْ تأسيًا بهِ فذا هو الأدَبْ
وبَعْدَ ما إتَّصَفْتَ بالذى لَهُ كُنْ مُتَحَفِّظاً مِنْ الدَعوَى لَهُ

●

١٢٦ — منعك أن تدعى ما ليس لك مما المخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه ، وهو رب العالمين ؟

فما أباحَ لكَ أنْ تَدَّعِيَ ما كانَ للمخلوقِ فإبْغِ قَوْلِى(١)
فكيفَ إلا يَمْنَعُ أن تَدَّعِيَ وَصْفاً لِلذى العِزَّةِ يا مُدَّعِياً
إذا تحلَّيْتَ بما لَهُ فَلاَ تكُنْ عَنْ اللائقِ بِكَ غَافِلاً
تَفْعَلُ ما تَشا كما تَشَاءُ وطَاوَعَتْ لأمرِكَ الأشياءُ
لكَ الغُيُوبُ كالشُموسِ تَشْرُقُ كما تُحِبُّ تَخْرُقُ الخَوارِق
يَنْفتحُ من أرْزاقِهِ كُنُوزاً تُنْفِقُهَا كنتَّ بِهِ عَزِيزاً
وقادِراً وحَكَمَا قَوِيًّا مُحَبَّباً مقرَّبا وَلِيًّا
وكلمّا إحْتَجْتَ إليهِ صارَ فى نُصْرَةِ اللهِ نصيراً جاراً
وأنت فى العزّةِ لا ذليلُ أعَزَّكَ الذى هو الجَلِيلُ

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعبده أن يشاركه فى أوصافه ، وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر وطلب الرئاسة والعلو ، فان فعل شيئا من ذلك استحق من الله الطرد ، ففى الحديث القدسى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يقول الله تبارك وتعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى ، فمن نازعنى واحدا منهما قصمته » وقال أيضا « لا أحد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » والفواحش : كل ما عظم قبحه وعظم جرمه : كالزنا والغصب والسرقة والتعدى وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من حقوق العباد ، فاذا كان منعك أن تدعى ما ليس لك مما هو للمخلوقين من العرض الفانى : فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه من العزة والكبرياء ، وهو رب العالمين ، فاذا ادعيت ما ليس لك سلبك ما ملكك .

وأنت لا تَضْعُفُ عن شيءٍ بِهِ   فى كَنَفِ الرّحمن بل فى حِزْبِهِ

لكنما ذلك من كَوْنِكَ قد
فُنِيتَ عَنْكَ بالمُهَيْمِنِ الصَمَدْ

فى كلِّ شيءٍ بعد أنْ تَفْعَلَهُ   مُنْفَعِلاً هو الذى يَفْعَلُهُ

لا تَدَّعِ الأمورَ إنّها لَهُ   وأنت عندَ ذُلِّهِ أذْهَلَهُ

عن إدّعاءِ مامَضَى من شرفِ   أضْعَفَ كلَّ فاقدٍ مُسْتَضْعَفِ

لوَصْفِكَ الأصلى كُنْ رجّاعاً   فتىً فَقِيراً لا مَنْ إسْتَطَاعَ

عارِيَةٌ أدَّيْتَها لِرَبِّهَا   ما كانَ فى يَدَيكَ كُنْ مُنْتَبِهاً

هو المَجَازِىُّ لِذا يرتَفِعُ   مِنْ بَعْدِ ماحَقِيقَةٌ تَنْجَمِعُ

وكلُّ ما مضى بِخَرْقِ العائِدِ   أعْنِى صفاتِ النفسِ والعَوائِدِ

* ● *

١٢٧ — كيف تخرق لك العوائد ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد .

١٢٨ — ما الشأن وجود الطلب ، انما الشأن أن ترزق حسن الأدب .

وكيفَ منكَ تَخْرُقُ العَوائِدُ   وأنت ما خرقْتَ منكَ عائِدا

وخَرْقُهَا ظهورَ شيءٍ ليسَ لكْ
مُتَّصِفاً بِوَصْفِ ما اللهُ مَلَكْ

من الكمالاتِ التى يُجْرِيهَا   عليكَ والعقولُ لا تُحْصِيهَا

والنفسُ حيثُ تركتْ مألُوفَهــا
شَهِدَتْ خرْقَ ذاك مِنْ تصَرِيفِهَا(١)

وكلُّ ذلك الذى تَحقّقَ لِمَا تَخلّقَ وما تعلّق(٢)

إذ الجزاءُ كانَ مِنْ جِنسِ العَمَلَ
وخرْقُها الظاهرُ مِنْ تِلكَ الجُمَــلْ

كُنْ فَيَـكُونُ مِنْ عَظِيمِ شأنِــهِ
وكلُّ ما كَوّنَــهُ مِن كَوْنِــهِ

ذاك مِنْ التقَــرِيبِ بالنّوافِــلِ(٣)
طوبى لِمَنْ كانَ بذاكَ واصــل

* ● *

---

١ — خرق العوائد من النفس يكون بعدة أمور :

الابتعاد عن الهوى والشهوات طالبا للحق ، والانحياش للخلق وقوعا على الحقيقة ، والاكتفاء بالله اعراضا عن الخلق ، ويجمع ذلك كله وجود الأدب ظاهرا وباطنا بين يدى الله ، وحسن الأدب يدور على ثلاثة أمور : اقامة الحقوق الشرعية ، الاستسلام فى الأمور القهرية ، وجود التذلل والافتقار ، واظهار الحاجة اليه والاضطرار .

٢ — فى الأصل « تحققا لمــا خلقا وما تعلقا »

٣ — هذا اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى يقول تعالى « ما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، وقلبه الذى يعقل به ، فاذا دعانى أجبته : واذا سألنى أعطيته ، وان استنصرنى نصرته ، وأحب ما تعبدنى عبدى به النصح لى » رواه الطبرانى الأتحاف السنية ص ١٥٨

١٢٩ — ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار .

وَلا تَرَى يُشْبِهُ بِاضطرارِ مِنكَ لَهُ ، والذُّلُ وإفتِقارِ (١)
أسرعَ بالمواهبِ الجَلِيلاتِ لأنَّهُ الرجُوعُ ليس عِلَّةً
لله والوُقوفُ بالمَسْكَنَةِ بينَ يَدَىْ ذى العزِّ والسَلْطَنَةِ
وخيرُ أوقاتِكَ وقتٌ تَشْهَدُ فيهِ من الفاقَةِ فيه أنْشَدُوا
أدبُ العَبيدِ تَذَلُّلُ والعبدُ لا يدعُ الأدبْ
فإذا تَكَامَلَ ذُلُّهُ نالَ المودَّةَ وإقْتَرَبْ

* ● *

١٣٠ — لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك ، لم تصل اليه أبدا ، ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصلك اليه بما منه اليك ، لا بما منك اليه .

لو أنَّ مالَدَيْكَ من مَسَاوِى ومالَدَيْكَ بعدُ من دَعَاوِى
هى التى تَمْنَعُكَ الوُصُولَ فلا تكونُ أبداً مَوْصُولاً (٢)

---

١ — الاضطرار : هو تأكد الاحتياج واشتداده ، الذلة : التباؤس والمسكنة ، الافتقار : اظهار الفاقة اليه تعالى . المواهب : العطايا التى لا علة لهـا . ان التوجه الى الله بالافتقار والاضطرار والذل يسرع بالمواهب من الله ، وذلك لأن هذه الصفات هى أخص أوصاف العبودية له تعالى ، فقد قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) [آل عمـران ١٢٣] فذلنهم اوجبت لهم عزتهم ونصرتهم .

٢ — الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب ، وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو ، لأن ذلك طبعـه
=

لأنَّها المركوزةُ المطبوعةُ ... فيكَ وفي جبلَّةٍ موضوعةُ

دليلُنا ولا كمالُ فضلِهِ ... عليكُمْ ذلك ضِمْنَ قولِهِ

سُبحانَهُ لما زكي منكم أحد(١) ... لكنَّهُ الذي يُزكي بالمدَد

فهو متى أرادَ أن يوصلكَ ... إليهِ بالوصفِ لا يتركَ

ونعتَكَ الأصلِيُّ بالنعتِ لهُ ... مغتطياً وهي كرامهْ لهُ

يَغمُسُ منكَ الفقرَ في غِناهُ ... والضعفَ والعجزةَ في قُواهُ

فظهرَ الكمال منه لا بِكَ ... لكنتَ في السراجِ من حجابكَ

فهو الذي إليه قد أوصلكَ ... بالــهُ لا بالذي قد كانَ لكَ

إليه مِن لياقة أو شرفِهِ ... بل بكمالِ لُطفِهِ كما يفي

تبعدَ منه لم تنفذْ المساوي ... منكَ كما لم تنقُضِ الدعاوي

❊ ● ❊

رحبلته ، لكن الله اذا أراد أن يوصل العبد اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ، فيحلى نقصه بكماله ، ويغطى فقره بغناه تعالى ، وضعفه بقوته ، وبالجملة فوصول العبد اليه تعالى بمجرد فضله واحسانه لا بشيىء آخر ، فان العبد لا يستحق منه شيئا . ويدل على ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — « لن يدخل احد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا الا ان يتغمدنى الله برحمته » أخرجه البخارى فى الرقاق ، ومسلم فى المنافقين .

١ — اشارة الى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا) (النور ٢١)

البـــاب الرابع عشر

١٣١ — اولا جميل ستره ، لم يكن عمل أهلا للقبول .

كانَ جميـــلُ سترِهِ لولاه ما كنتَ عامِلاً لمـــا يَرْضَاه(١)
ولمْ يكنْ سِوى محتاجِ الأنفُسِ لأنّهَا قد جعُلَتْ فى الأرْجَسِ
ولا تريدُ ما سوى الغَوايَةِ إلا بستْرٍ دُونَهَـــا وِقَايَةِ

* ● *

١٣٢ — أنت الى حلمه اذا أطعته احوج ، منك الى حلمه اذا عصيته

فأنت للحلم إذا أطعتَهُ (٢) أحوَجَ منك لَهُ إذا عصيته

---

١ — العبد مبلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه ، وشهود حوله وقوته عليه ، وهذا لا محيص له منه ، الا بما نساء ربه ، وقد يكثف حجابه نيرائى به ويطلب حمد الناس له ، وهذا كله منـــاف للاخـــلاص ، والاخلاص شرط فى قبول العمل ، ولما كان عمل العبد كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهليه لوجود القبول لولا ستر الله وحلمه وبره قال تعالى (اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) (الاحقاف ١٦) فعبر بعن التى تدل على التجاوز ولم يقل نتقبل منهم .

٢ — شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظـــــره الى ربه واقباله عليه واعتماده عليه ، فالعبد عند عمله الطاعات معرض لعـــدة اخطار كنظره الى عمله واستعظامه وعجبه بطاعته ، والازدراء بالغير ، واستحقاق الجزاء الكثير الى غير ذلك من دقائق الرياء والتصنع ، بخلاف المعصية ، فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه والانكسار له ، فلذلك كان فى طاعته أحوج الى حلم الله منه فى معصيته .

لِما مَضى من وَصْفِكَ الأصليّ وخبرةُ النفسِ سِوى المَرْضِي
فأنتَ فى الطاعةِ مَصْحوب العِلل وكلّ آفةٍ ودَعْوىَ وَخلَلْ

✻ ● ✻

١٣٣ — الستر على قسمين :

ستر عن المعصية ، وستر فيها ، فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها ، خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق ، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق .

فالسّترْ قِسْمانِ : فعن مَعصِيّةٍ كَيلاَ يراها العبدُ منْ تَنْجِيّة
والسّترُ فيها وهو ما للكامِل(١) وذاكَ للناقصِ نقصُ سافِلُ

---

١ — الستر عن المعصية : يكون بعدم التفكر فيها وفى أسبابها : وعدم التمكن منها . وفقد المعرفة بها وجودا لا حكما . والستر فى المعصية : يكون بعدم اظهارها ، وظهور النفس بخلافها ، وعدم المعاقبة عليها .

والناس فى طلب الستر ثلاثة أقسام :

العامة ، يطلبون الستر من الله فى المعصية ، حتى لا يراهم الخلق فى المعصية فيسقطون من أعينهم فهم لا يفرون من المعصية من حيث هى . ولكن من حيث ما ترتب عليها نظر الخلق ، ولذلك اذا وجدوها فى الستر ارتكبـــوا المعصية ، قال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) (النساء ١٠٦) .

والخاصة من أهل الايمان واليقين ، فهم يطلبون الســـتر من الله عن المعصية يطلبون أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها أنفسهم فيعملون بها ، فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه ، والسقوط من عينه من غير التفات الى الخلق فى اقبال ولا ادبار ولا نظر الناس لهم .

والقسم الثالث : لا يريدون الفضيحة مع الخلق بالواقع ، ولا مع الحق بما لم يقع ، فلهم نصيب فى الكل بحسب حالهم فيه .

أهلُ العمومِ يطلبون سترهم من ربّهم فيها وما حتمائهم
عليه إلا خشيةُ السقوطِ عن نظرِ الخلقِ إلى حظوطِ
وذو الخصوصِ يطلبون عنها للهِ فرّوا خائفين منها
مِنْ خشيةِ السقوطِ عن عينِ الملكْ
لأنهمْ فيه بمنهجٍ سلكْ
برسمِ تعظيمٍ وخوفٍ وخجلْ
إشفاقُهمْ من طردِهِمْ عن الوجلْ
وذاك هيبةً وإجلالاً حياً معظّمين ذا الجنابَ الكبريا
ونالتُ القسمَين فيها حصلتْ عنها إذا لمْ تأتُ بعدُ حصلتْ

❋ ● ❋

١٣٤ — من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره ، فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك .

فكلُّ مكرمٍ فما أكرمكْ إلاّ جميلُ سترِ حقٍّ لك(١)
وذاك أنَّ العيبَ فيك مختفى فستْرُهُ عليك أيَّ لطفِ(٢)

---

١ — فى الأصل « ستر حق ملك » .

٢ — اذا كان الله سبحانه وتعالى حفظك برعايته وستر مساويك بستر عنايته ، فغطى وصفك بوصفه ، ثم توجه الناس اليك بالتعظيم والتمجيد والتكريم . فاعرف منة الله عليك ، وانعزل عن شهود نفسك ، فمن أكرمك فانما أكرم فيك جميل ستره ، فالحمد فى الحقيقة انما هو لمن سترك لا لمن شكرك . اذ لو أظهر للناس ذرة من مساوئك لمقتوك وأبغضوك ، قال الشيخ زروق : اذ لولا ستر الله عن المعاصى ما كنت مطيعا . ولولا ستر ...

أشهدَهُم فيك سوى المَساوِى   وانت مُحتوٍ لها وَطاوٍ (١)
فهم يُعامِلونَكَ الجَميلَ   مِنْ سَتْرِهِ فيالِمرءاً عليلاً
حَمْدُك الساتِرِ لا للمُكْرِمِ   والشاكرِ الجاهلِ فيك ما رَمى
فلو بَدَتْ حقائقُ النّاسِ لما   أحبَّ أحدٌ لأمرٍ أبْهَمَ
ولقلّ الإنسانُ من يُحِبُّهُ   فأشْكُرْهُ مَنْ للشكرِ هو رَبُّهُ
وإن يكُنْ شكرُ العبادِ واجباً   لكنْ مِنَ المَجازِ شكرٌ نُسِبَ
لَهُمْ وفى التحقيقِ شكرُ الحقِّ   كما الذى أحْسَنَ فضلَ الخَلْقِ
فَشُكْرُهُ حقيقةً وفَضْلُهُ   وأىَّ خَلْقٍ بعد ذاك أهْلُهُ

✻ ● ✻

١٣٥ — ما صحبك الا من صحبك وهــو بعيبك عالم : وليس ذلك الا مولاك الكريم ، خير من تصحبه من يطلبك لا لشىء يعود منك اليه .

فكلُّ صاحبٍ حقيقٍ صَحِبَكْ
ليس سِوى الساتِرِ منك مَثْلَبَكْ

المعاصى لكنت مهانا عند الخلق قال تعالى (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) (الصافات ٥٧) فالخلق كلهم انما يتعاملون بينهم بستر مولاهم ، ولو خــلا عبده من ستره لا بغضه أحب الناس اليه ، ولآذاه أشفق الخلق عليه .

واذا تحقق لديك أن الذى أكرمك هو الذى ستر عيوبك ، بعد اطلاعه على خفاياها ، وعلمه بخباياها ، فا تخذه صاحبا ، وكن له مراقبا .

١ — فى الأصل « وأنت محوى لها وطاوى » .

وكانَ بالعيبِ عليماً وهو لَمْ(١)

تَجِدْهُ(٢) إلاّ مَنْ حَبَاكَ بالكَرَمْ

هو الذى عَيْبُكَ عنه ماخَفِى(٣) فالْجَأْ لَهُ سبحانَهُ من ألْطَفِ

فأنت تَعْصِيه ولا يَدَعُكَ إلى سِواهُ ثُمَّ لا يَفْضَحُكَ

ولو رَآكَ مِثْلُ ما هو يعلمك

فردٌ من الخلقِ لبَالسوء دَهمَكَ

---

١ — فى الأصل « وكان بالعيب عليها وهو لم » .

٢ — اذا علمت أنه ليس لك صاحب الا مولاك ، فاعرف حقيقة صحبته ، والزم الأداب فى ظاهرك وباطنك ، واستحى منه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم — لا صحابه « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : انا نستحى والحمد لله قال : « الحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر القبر والبلى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

فالصاحب الذى يدوم لك ، هو الذى يصحبك وهو عالم بعيبك ، وليس ذلك الا الله الواحد الاحد العالم بخفاياك ، المطلع على سرك وعلا نيتك ، ان عصيته سترك ، وان اعتذرت اليه قبل عذرك ، قيل فى قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، [التوبة ١١١] ان فى الآية ثلاثة أمور : الأول : البشارة بعدم الرد بالعيب ، لأن المشترى عالم بالعيب ، الثانى : ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره ، اذ لا يتم بيع الا بالتسليم ، الثالث : اظهار تمام الفضل فى ظهور النسبة لله تعالى . ثم ان الذى يرغب فى الصحبة ويعقد المحبة أمران : أحدهما : ان يكون الصديق حميما يغطى عيوبك بحلمه ويستر شينك ، والثانى : أنه يحبك ويطلبك من غير غرض ولا منفعة له فى صحبتك ، ولا يوجد هذان الوصفان الا من الله الغنى الحميد ، فهو الذى يستر عيوبك عن الناس ، وهو الذى يطلبك لحضرته ويجتبيك لمحبته ، من غير نفع يعود منك اليه : وانما هو بمحض احسانه وبره ، واذا كان الأمر كذلك فكيف تتركه ، وتطلب محبة غيره ، كيف تترك محبة من ينفعك ، وتطلب محبة من ضرره أقرب من نفعه .

٣ — فى الأصل « عيبك عنده خفى » .

وخيرُ مَنْ تَصْحَبُهُ من يطلُبُكْ
لأنْ ترى منهُ الذى هو أدبُكْ
لا ليَعُودَ منكَ شيءٌ لَهُ وليس إلاّ الحقُّ ما أجملَهُ
فالصاحبُ الأصلىُّ لو أنارَ منك اليقينُ الصمدُ الستارُ

* ● *

١٣٦ — لو أشرق لك نور اليقين ، لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها .

ولو غدا اليقينُ مُشْرِقًا لقدْ رأيتَ عُقْبَاكَ مُقَرَّبَ الأمَدْ
أقربُ مِنْ أنْ تَرْحَلَنْ إليها فَبِالجميعِ أقْبِلَنْ عليها
وشُوهِدتْ محاسنُ الدنيا وقد رَأيتَهَا فانيةً كما نَفِد
وظهرَ الكسفُ عليها بالفَنَا كُسُوفُهَا التَقَلُّبَاتُ بيننا

* ● *

١٣٧ — ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه .

وكلُّ مَوْجُودٍ عليها وَهْمٌ حقيقةً وقَدْ حَوَاهُ العَدَمُ
فالكلُّ(١) معدُومُ فما إن حَجَبَكْ
عن الإلَهِ ذُو وُجُودٍ جَذَبَكْ
مَعَهُ فلا موجودَ مَعَهُ إنّما كان الذى يَحْجِبُ شيءٌ عُدِمَ

---

١ — فى الاصل « فالكل المعدوم » .

وقد تَوَهَّمْتَ وُجُودَهُ مَعَهُ فَدَعْ عليكَ كلَّ سَفَهٍ وعَمَه

فالشغلُ بالخلقِ بِذَمٍّ وثَنَا والسترُ والحجابُ لتوهمٍ وَهَنَا

تَوَجُّهٌ لِعدمٍ وباطلٍ وَغَفْلَةٌ عن الحكيمِ الفاعلِ

وقال شيخى فى لَطائفِ المِنَنْ

يُخْبِرُ عن وُجُودِ مَوْجُودٍ عَلَنْ

فقال : ذاكَ مثلُ ظِلٍّ وَهُوَ لا وُجودَ تَحْقيقًا لَهُ لو عَقَلِ(٢)

* ● *

١٣٨ — لولا ظهوره فى المكونات ، ما وقع عليها وجود أبصار (١) ، لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته .

* ● *

---

١ — وفى نسخة « ما وقع عليها وجود الصفات » لكن ما ابتناه يتمشى مع النظـــم .

٢ — قال فى لطائف المنن ص ٢٩١ « وأشبه شىء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصرة وجود الظلال ، والظل لا موجود باعتبار جميـــع مراتب الوجود ، ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم ، واذا اثبت ظلية الآثار لم ننســـخ أحدية المؤثر اذ الشىء انما بشـــفع بمثـــله ويضـــم الى شـــكله .. ومن هنا يتبين لك أيضا . ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب اليك منه ، ولا شىء أقرب اليك من الله ، فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب » وضرب مثـــــلا على ذلك بقوله « وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البروز فسمع صوت الرياح من كوة هناك ، فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البروز ، فلما أصبح لم يجـــد هناك أسدا ، وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أســـد وانما حجبه توهم الأســـد » وفى الحقيقة سبب توهم الغير عدم الفـــكرة ، وسبب عدم الفكرة حب العاجلة .

فأنظرْ إلى إضْمِحْلالِ مَخْلُوقاتِهِ
لولا ظُهُورُ الحقِّ في صِفاتِهِ (١)
لولا تَجَلِّى فى المُكوِّنَاتِ ما وقعتْ أبصارُ مُبْصِراتِ
على المكوِّناتِ إذ هنَّ أثر
تبْرِءَةٍ عن نفْسِها ممّا ظَهَر
ثمّ ظُهُورُ الكونِ إنّما هو لكونِهِ دَلَّ على مَوْلاهُ

❊ ● ❊

١٣٩ — أظهر كل شىء لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شىء لأنه الظاهر .

فاللهُ لا وُجُودَ بَعْدَ ما ظَهَرَ سِواهُ فى كِتابِهِ كما ذَكَرْ
فإنّما ظُهُورُهُ بما ظَهَرْ
من جَعْلِهِ الموصلَ مثلَ ما ذَكَرْ
لأنّهُ الباطنُ كلَّ شيءٍ (٢) أظْهَرَهُ إذ لا وُصُولُ شيءٍ

---

١ — ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهور المكونات ووقوع الابصار عليها ، ولولا وجود حجابيها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما ورد فى الحديث « حجابه نور لو كشفه عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ومثال الكون كالثلجة ، ظاهرها جامد وباطنها مائع ، فاذا ذوبت الثلجة رجعت الى أصلها ماء ، ولم يبق للثلجة أثر ، فكذلك المكونات الحسيه اذا ظهرت أسرارها اللطيفة التى قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة .

٢ — من أسمائه تعالى الظاهر والباطن كما قال تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » فاسمه الظاهر يقتضى أن لا يشاركه أحد فى الظهور ، فلذا طوى وجود كل شيء : أى لم يجعل لغيره وجودا من ذاته ، بل المكونات جميعها عدم محض ، ولا وجود لها الا من وجوده . ومقتضى اسمه الباطن أن لا يشاركه شيء فى البطون ، فلذا أظهر الاشياء كلها وجعلها ظاهره ولا باطن فيها غيره ، فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار .

إليه عِرْفَاناً بغيرِ ما ظَهَر لأنَّه دليلُهُ كما إستَقَرّ
وإنّه الظاهرُ فى عُـلاهُ لكلِّ مَوْجُودٍ فَقَدْ طَوَاهُ
إذ لا يصِحُّ أن يكونَ ظاهِراً معَهُ لكونِهِ عَدِيماً جاهِراً
مُسْتَنِدٌ عليه فى وُجُودِهِ وعدم إستقلالِهِ فى جَدِّهِ

※ ● ※

١٤٠ — أباح لك أن تنظر ما فى المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات (قل انظروا ماذا فى السموات) فتح لك باب الافهام ، ولم يقل : أنظروا السموات ، لئلا يدلك على وجود الأجرام .

فحكمةُ ظُهُورِ كلِّ خَلْقٍ تَعْرِيفُهُمْ بشأنِهِ عن حَقِّ
والخلقُ مادَلَّ على دَيَّانِها بالحكمِ والحِكْمَةِ لا أعْيانِها
لذا أباحَ لك أن تنظرَ ما
فى الكونِ من حِكْمَةٍ ما قَدْ علما
ومالك الإذنُ له مِنْ أن تَقِفْ مع ذَواتِ الكائناتِ فإعْتَرِفْ
عجائبَ القُدْرَةِ والإرادَةِ والعلم إتقانا وتَخْصِيصًا أتى
فقالَ : ماذا فى السمواتِ(١) أنظروا
والحقُّ ما قالَ : السمواتِ أنْظُرُوا

---

١ اشارة الى قوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) [يونس ، ١٠١] .

أوّلُهُ لبابِ إفهامٍ فَتَحَ إيّاكَ ما فيهِنّ ثمّة إذ مَنَح(١)
فالظرفُ فيه ظرفُ كلّ حكمٍ ثمّ نهاك عن وُجُودُ الأجْرُمِ
لولا جمالُهُ ولا جَلاَلُهُ فيهِنَّ والصفاتُ بل أفْعَالُهُ
ما القدّ(٢) ما الطَرْفُ الكحيلُ وما اللُمَا
ولا تَشَهُدُ فى حَلاَوَةٍ تَرْمُقُ

* ● *

١٤١ — الأكوان ثابتة باثباته ، وممحوة بأحدية ذاته .

ثابتةُ الأكوانِ مِن إثباتِهِ مَمْحُوَّةٌ مِنْ أحَدِيّ ذاتِهِ(٣)
فإن نظرتَ حيثُ هُنّ هُنَا فَعَدمُ أو هو فَعَلَمنّ

* ● *

---

١ — أمر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها ، لأن فى ذلك البعد عن الله بالنظر الى ما سواه ، وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها الى الله لوجود ظهوره فيها ، والاشارة الى هذا المعنى فى قوله تعالى (انظروا ماذا فى السموات والأرض) فالمعنى المقصود فى وجود النظر فيه ومنها يستفاد أن المطلوب مشاهدة ماذا فى السموات والأرض من العلامات الدالة على معرفة الله ، وأنه تعالى لم يقل أنظروا السموات والأرض ، فتحجب بها عنه تعالى ولا تشاهده فيها ، فتصير مقصدا مع أنها وسيلة لمعرفة الله ، وفى لطائف المنن ص ٩٠ : فما نصبت لك الكائنات لتراها ، ولكن لترى فيها مولاها ، وقال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [فصلت ٥٣] .

٢ — كان فى الاصل (مالقد مالطرف اللحيل) .

٣ — الاكوان عدم فى ذاتها ، وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا ، فالثبوت لها أمر عرضى ، ولا ثابة حقيقية الا الله وهو وجود أحدثته تعالى ، والأحدية هو المبالغة فى الوحدة ، ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون اشد ولا أكمل منها ، فمقتضى حقيقة الاحدية محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد ، اذ لو وجدت لم تكن الاحدية ، ولكان فى ذلك تعدد .

البـــاب الخامس عشر

١٤٢ ــ الناس يمدحونك لمـــا يظنونه فيــك ، فكن أنت ذاما لنفســك لمـــا تعلمه منها .

١٤٣ ــ المؤمن اذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفســـه .

تمدحُكَ النّاسُ لمـا تظنّه من عملٍ مزخرفٍ تكنّهُ
وأنت عالمٌ بما فى نفسِكَ فذُمَّها لما بها من بُؤْسِكَ(١)
فيستحى المؤمنُ حيث يُمتَدَحُ بما انْتَفى عنه فأينَ الفَرَحُ
حياؤه من ربِّهِ لأنّه(٢) أبدى جميلاً والقبيحُ كَنّهُ

❊ ● ❊

١ ــ ذم العبد لنفسه لمـــا يتحقق من عيوبها وآفاتها مطلوب منه ، لأن ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها ، فتصـــلح بسبب ذلك أعماله وتصـــدق أحواله : والا فسدت عليه واعتلت لدخول الافات عليها ، ولا يصـــد العبـــد العـــارف عن تأنيب نفسه ثنـــاء الناس عليـــه ومدحهم له ، لانه يعـــلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ، وقد ذم الله قوما أحبوا أن يمدحـــوا بمـــا لم يفعلوا حيث قال تعالى (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهـــم بمفازة من العذاب [آل عمران ١٨٨] قال المحاسبى ــ رضى الله عنه ــ مثل الذى يفرح بمدح الباطل ، كمن يقال له : العذرة التى تخرج من جوفك لهـــا رائحة المسك وهو يفرح لذلك ويرضى بالسخرية . ايقاظ ص ٢٦٧ .

٢ ــ ومن تمام نعم الله على العبد أن خلق العمل الصـــالح فيه ونسبه اليه ، فاذا مدحه الناس عليه أن يستحى ، لانه يعرف أن الفضل من الله ، وانما هو محل لظهور هذا الفعل فقط ، ولأنه سبحانه وتعالى ستر أفعاله القبيحـــة ، وأظهر أفعاله الصـــالحة ، لكنه مع هذا مدح الناس للانسان على صلاحـــه لا يضره ، ان لم يقصد التعرض للمدح ، فقد روى أنه قيل للرسول ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ يارسول الله الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح ، فقال ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ : « له الأجر مرتين : أجـــر العمل وأجر الفرح » .

١٤٤ — أجهل الناس من ترك يقين ما عنده ، لظن ما عند الناس .

وأجهلُ النّاسِ الذى يترِكُ ما ... لَدَيْهِ من يقينٍ سُوءٍ كَتْمَ
يفرحُ ممّا ظنّتْ النّاس له(١) ... مِن صالحِ الأعمالِ ما حصلهُ

١٤٥ — اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل ، فأثن عليه بما هو أهله .

فحيثما الألسُنُ طالتّ بالثّنَا(٢) ... عليك إذ لَسْتَ بأهلٍ ههنا
فأثنِ شاكراً على أهلِ الثنَا ... بمـا الإلهُ أهلهَ يافَطِنا

١٤٦ — الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق ، والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق .

تنقبضُ الزهّادُ حيثُ مُدِحُوا ... والعارفون من ثَنَاهُمْ فَرِحُو
أوّلُهم يشهدُ خلْقاً أثْنى ... فزادَهُ الثنا عليه حزْناً

---

١ — أجهل الناس من يفرح بمدح الناس له على صفة لا توجد فيه ، لأنه ترك يقين ما عنده بظن الناس فيه هذا اذا كان المادحون له من أهل الصلاح ، وأما اذا كان المادحون له من الجهلاء أو الفساق فهو شر ، لأن تزكية الاشرار هجنة . وحبهم للانسان عيب ، فقد روى عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى ، فقال له تلميذه . أتبكى وقد مدحك ؟ فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى خلقه ، فلذلك بكيت . انظر ص ٢٦٨ وشرح أبى عباد ص ١١٥ .

٢ — اذا طلق الله لسان الناس بالثناء على أحد بما لم يعمله وليس أهلاله ، فطلبه أن يثنى على الله بما هو أهله ، ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الألسنة بالثناء عليه ، وأيضا فانه تعالى هو الذى ستر من الناس مساوئه وأظهر لهم محاسنه ، ولو أظهر لهم مساويه لمقتوه وأبغضوه ، فان العبد محل النقائص ، فالثناء حقيقة انما هو لله الذى أظهر للخلق ما يستحق المدح .

وَالعارفونَ يَشْهَدُونَ واحداً مُصَرِّفاً ، وللجميع فاقِداً(١)
فالخَلْقُ أقلامٌ لــه تعالى أيُظْهِرُ الجمالَ أمْ جلالا
سَوَاءٌ السُوءُ أمْ الجميلُ لمن غدا مَصْرُوفُهُ الجليلُ

* ● *

---

١ — الزهاد والعباد عاملون فى الفرار من الخلق ، فلذلك يجرى عليهم القبض بمدح الناس لهم واقبالهم عليهم ، وحملهم عــلى ذلك عمــومات من النصــوص ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — للذى مدح عنده رجــلا : « قطعتم عنق صاحبكم » ، وقوله — عليه الســلام — « احثوا التراب فى وجوه المداحين » الى غير ذلك .

والعارفون متوجهون لمولاهم ، ناظرون له فيما تولاهم ، فهم يرون ألسنة الخلق ، أقلام الخالق ، ويحمدونه على ما أجرى من المدح ، وينقبضون عند المواجهة بالقدح ، ناظرين فى ذلك لقوله — عليه الصلاة والسلام — « ما أحد أحب اليه المدح من الله لأجل ذلك مدح نفسه » ولقوله صلى الله عليــــه وسلم — « ان الله تعالى اذا أحب عبداً دعا جبريل ، فقال : انى أحب فلانا ، فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء فيقول : ان الله يحب فلانا ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، واذا أبغض عبدا دعا جبريل ، فيقول : انى أبغض فلانا ، فابغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله تعالى يبغض فلانا ، فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض » رواه مسلم عن أبى هرير .

وبالجملة فالمعتبر فى المــدح وقبوله ثلاثة : أولهــا : المادح ، وشرطه أن يكون مقتصرا على الحق فى مجمله من غير زيادة مضرة ، كما يفعله بعض المريدين مع مشايخهم حيث يمدحونهم بما يتصورون فى مخيلتهم من المحاسن ، لا بما هو الشيخ متصف بها فى الواقع . الثانى : الممدوح به . أى صيغــة المــدح ، وشرطه أن يكون حقا فى نفسه ، وصدقا فى وقــوعه ، والا فــلا يجوز ، لانه يكون كذبا ملفقا . الثالث : الممدوح فى نفسه ، وهو لا يخلو من ثلاثة : أحدهما : أن يزيده المدح خيرا ، فيكون مطلوبا لمادحه . كما روى أن

١٤٧ — متى كنت اذا أعطيت بسطك العطـاء ، واذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على ثبوت طفولتيك ، وعدم صدقك فى عبوديتك .

وحيثما قَابَلَكَ بالعَطا بَسْطٌ — وأنت بالنعماءِ فرحاً تَغْتَبِطُ (١)

وعند منْع ما تُحِبُّ يَنْقَبِضُ — فهو طُفُولِيَّةٌ ناقصٌ مرِضٌ

وعدمُ الصِدْقِ ونسيان الأدب — لدى العبوديَّةِ أضْعَفَ النَسَب

علامةٌ لــه الرِضا والغضبُ — حتّى يُبَانَ حالُهُ المُقَبَّبُ

* ● *

الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال « نعم الرجل عبد الله لو يقوم من الليل » فما سمع بذلك ابن عمر بدأ يقوم بالليل للتهجد ، فهذا المدح زاده خيرا .
الثانى : أن يزيده ذلك شرا ، فيكون الكف عن مدحه مطلوبا لانه ظلم له فيزيد شره وبلاؤه . الثالث : أن يجهل حاله ، أو يعلم عدم افادة المـدح له للجانبين ، فالترك حينئذ مقدم ، لأن غالب النفوس على التضرر به . فيحمل عليهـا عند الابهـام .

١ — متى كان الانسان اذا أعطى بسطه العطاء ، واذا منع قبضه المنع ، دل على أنه مسترسل مع داوعى الطبع ، وهذا يدل على ثلاثة أمور : الأول : وجود الغفلة بالرد والقبول ، فرحا بالمتعة وترحا بالمنعة . الثانى : الاسترسال مع النفس فى مقابلة المواجهة به حسب مواجهته . الثالث : صرف الوجه عن العبودية بالضراعة فى حال المنع ، والشكر فى حال العطـاء ، وهـذا كله عكس أحوال العارفين ، فمدعى مرتبة العارفين مع هذه الصفة وهذا المثـل طفيلى على مراتبهم ، بل هو كالطفل بالنسبة اليهم ، لا يعرف غير من ناوله وأعطاه ، ولا شعور له بمن أولاه وتولاه .

الفصل السادس عشر

١٤٨ — اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك ، فقد يكون ذلك أخر ذنب قدر عليك .

وكيفَ تيأسُ في الذُنُوبِ عن إستقامةٍ على المحبوبِ(١)
ورُبّما تموتُ قبلَ عَوْدِ منكَ إلى الذنب فيا إبنَ وُدِّ
ما إنْ يَمَلّ اللهُ عن غُفْرانِه حتّى تملَّ فإعْتَبِرْ بشأنِه
فَدُمْ على التوبةِ يا نَديمـاً قد كنتَ في التوبَةِ مستقيماً
وقد يكونُ ذنبُكَ الآخرُ من مُقَدَّرِ الذنوبِ فإفْهَمْ يافَطِن

* ● *

١٤٩ — اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء ، فاشهد ما منه اليك ، واذا أردت أن يفتح لك باب الخوف ، فاشهد ما منك اليـه .

وإن أردتَ منه أن يُفْتَحَ لَكْ باب فأشْهدَنْ ما هو منـه لك
وإن أردت منه بابَ خَوْفِهِ(٤) فأنظر إلى قهرِ جلالِ وَصْفِهِ

---

١ — الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك ، وانما يناقضها الاصرار على الذنب ، فاذا وقع من العبد ، فينبغي له أن يبـادر الى التوبـة منـه ، ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامه مع الله ، ويرى أنه طرده وأبعده ، لأن هذا يوجب القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله .
ولأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليك وقد وقع ذلك وفرغتمنه .

٢ — الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين ، فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء ، فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطـاف ، فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء . ومن أرا أن يفتح له بـاب الخـوف ، فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الأدب بين يديه ، فسيغلب عليه حينئذ حال الخـوف .

وما فَعَلْتَهُ لــه يَقْظَاناً أيُسْتَطاعُ ربمـا عِصيَاناً

* ● *

١٥٠ — ربما أفادك فى ليل القبض ما لم تستفد فى اشراق نهـار البسط (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) .

عنـد تخالُفِ المتابِ ربّما تحزنُ فإستَفَدْتَ منه نِعماً

ذلك ليلُ القَبْضِ مالم تَستَفيد فى بَسطِ إشراقِ النهّارِ فإفتَقِد

ورُبّما ينعكِسُ الحالُ فَخُذْ مُوَجِهاتِ الحقّ من أمرٍ نفذ(١)

وإرضَ به الوضع كذا ورفعَا أيّهما الأقربُ إلياك نفعـاً

(لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعـاً (٢))

* ● *

١٥١ — مطالع الأنوار القلوب والأسرار .

١٥٢ — نور مستودع فى القلوب مدده فى النور الوارد من خزائن الغيوب

مطـالع الأسرارِ والأنوارِ بواطنُ القلوبِ الأسرارِ(٣)

---

١ — القبض والبسط أو الحزن والسرور حالتان يتعاقبان على الانسان كتعاقب الليل والنهار ، فالليل محل السـكون والقرار ، والنهار محل التحرك والانتشار ، فالقبض كالليل ، والليل محل المناجاة والمصـافات ، وملاقـاه الاحباب ورفع الحجاب ، فربما أفادك القبض من انخناس النفس ، وذهاب الحس ، مالا تستفيده فى نهار البسط ، من تحصيل العلوم ، وتحقيق الفنون ، فالقبض له فوائد ، والعبد لا يدرى أيهما أقرب له نفعا ، فتعين وقوفه مع ما يواجهه من جهة الحق ، فيتلقاه بالقبول والأدب ، فلا تطلب البسـط ان واجهك قبض ، ولا تطلب القبض ان واجهك بسط ، فلا تدرى أيهمـا أنفـع ولا أيهما أضر .

٢ — سورة النساء الآية ١١ .

٣ — المطالع : محل الطلوع ، ان القلوب مطالع أنوار الفهوم ، والاسرار

=

وستةٌ أقسامٌ : نُورُ طَبْعِيّ ونورُ عقلٍ خُذْهما بِقَطّعِ
ونورُ روح ، ثمّ نورُ قلبٍ وللسُّويدا ، ولسرٍّ حَسْبِى
أكملُها الأخيرُ ثمّ نورُ مُسْتَوْدَعِ القلوبِ مُستَنِيرُ
يمدهُ واردُ نورِ الغَيبِ خزائنُ الغُيُوبِ بطنُ القلبِ
نورُ المشاهداتِ والميثاقِ يومَ (ألست)(١) ساعةَ التَلاَقى

=
مطالع حقائق العلوم . فاذا طلع نور الحقيقة فى بساط الفهم أو جب اليقظة والتنبيه لموارد الأمور ، فيوجب الندم على الذنب والانكسار من العيب ، والفرار منه الى الله تعالى ، واذا طلع نور الحقيقة فى السر أوجب التحقق ، فلا يمكن التمالك من موجبه من العمل تركا للقبيح وفعلا للحسن ، فاذن أنوار القلوب توجب الرجاء والخوف ، وأنوار الأسرار توجب الاقدام والاحجام . ثم الأنوار مختلفة : أحدها : نور الطبع : وهو الذى يفيد فهم الصورة فى الجملة . والثانى : نور العقل : وهو الذى يحقق المعنى ويقره فى النفس . الثالث : نور الروح : وهو الذى يعرف الحقيقة دون توقف ولا احتياج لبرهان . الرابع : نور القلب : وهو الذى يستخرج المعانى من مكانها فى كل وجه من الوجوه المعتمدة الثلاثة . الخامس : نور سويداء القلب : وهو الذى لها من الدقائق فيمسها مسا يقتضى جذبه بها اليه . السادس : نور السر : هو المدرك لوجه العلوم على نوع من التحقق حتى ينطبع فيها انطباع السواد فى الأسود والبياض فى الأبيض ، فلا يمكنه الاقدام والاحجام . الا على حكمة ، وهذا النور هو أعظم الأنوار وأكملها (قرة العين ٢/٤٤) . ثم هناك نور مستودع فى القلوب من يوم (الست بربكم ، فكأنه فيها بمثابة الناظر فى البصر لا عبرة به دون مدد الشمس الذى بوازيه ، هذا ما يرد على القلب من فوائد الالهام المظهرة لعين الحقيقة ، فما لم يرد نور للمدد لم يفد النور المستودع فى القلب ، قال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) [النور ٤٠] .

١ — اشارة الى قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم) [الأعراف ، ١٧٢] .

وقيل فيه نظمٌ حسن :

رأيتُ العقلَ عقلينِ فَمَطْبُوعَ و مَسْمُوعَ

ولا ينفعَ مَسْمُوعٌ إذا لم يَكُ مَطْبُوعُ

كما لا تنفع المعيْنُ وَضْوءُ الشمسِ ممنُوعُ(١)

* ● *

١٥٣ — نور يكشف لك به عن آثاره ، ونور يكشف لك به عن أوصافه .

وبإعتبـــارِ بَسْطِهِ نوعانِ	نورٌ به يُكْشَفُ عن أعيانِ(٢)
وكلِّ آثارِ بوَصفٍ صـافِ	ونورُ كَشْفِ الحقِ بالأوصافِ
فنورُ آثارٍ له الكَشْفُ عن الْـ	أكْوانِ بالنقصِ وهَوْنٍ تَنْجبلْ
وإنّ دُنيـانا إلى الزولِ	وإن عقبـانا لفى كمالِ

* ● *

---

١ — هذه الأبيات موجوده فى كتاب قرة العين الذى هو الشرح السادس عشر للشيخ أحمد زروق على الحكم العطائية أنظر ٢ / ٤٣ .

٢ — النور المدرك بالحواس يكشف به عن آثاره تعالى ، وهى الأكوان المحدثة ليستدل به على المؤثر ، والنوع الثانى من الأنوار هو النور المستودع فى القلوب يكشف للانسان به عن أوصافه الأزلية حتى نراها عيانا ، وفى هذا غاية البغيه ، وشرف القدر والمنزلة ، اذ بذلك نتحقق فى المعرفة ، ونترفع فى المشاهدة ، ولا تحتاج الى دليل يدلك عليه ، قال فى لطائف المنن ص ٩٦ نور الشمس تشهد به الآثـار ، ونور اليقين تشهد به المؤثر ، قال : ولنا فى هذا المعنـى :

هـذه الشمس قابلتنـا بنـور	ولشمس اليقـين أبهـر نـورا
فرأينـا بهـذه النـور ولـ	ـكن بهاتيك قـد رأينا المنير

انظر شرح الحكم للرندى ١٠٨/١ :

ونُورُ كَشْفِ وَصْفِ جَلَالِهِ كما إستحقه كذا أفْعَالِهِ

١٥٤ — ربما وقفت القلوب مع الأنوار ، كما حجبت النفوس بكثائف الأغيــــار .

لاتلكُ بالأنوارِ محجوباً فمع
أنْوارِهِ بعضٌ مِنْ الناسِ قَنَع (١)
وهي بها تَنْحَجِبُ القلوبُ كصاحبِ النَفْسِ هو المَحْجُوبُ
بِظُلْمَةِ الأغيارِ فإحْتَرِزْ مِنَ وقُوفِ قلبٍ مع نورٍ يُعْتَلَنْ

* ● *

١٥٥ — ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار ، وأن ينادى عليها بلســان الاشتهار .

للهُ غيرةٌ كما صَحَّ الخَبَرَ(٢) على الأحباءِ لكيلاَ تَشْتَهِر

---

١ — قد تقف بعض القلوب مع أنوار الأحوال فتحجب عن مقامات الرجال ، أو مع انوار المقامات فتحجب عن معرفة الذات ، وشبه حجب القلوب بالأنوار بحجب النفوس بالأغيار ، لا شتراكهما فى الحجب عن الله ، لكن حجب النفوس بالأغيار أشد ، لأنها ظلمة ، والظلمة أشد حجابا من النور ، فالقلوب نورانية حجبت بالنور ، والنفوس ظلمانية حجبت بالظلمة ، وكثائف الأغيــار هى ما ظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها ، قال تعالى (زين للنــاس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب) [آل عمران ١٤] ويدخل فيها ما يلائمها من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظـيم وغير ذلك من الشهوات .

٢ — أنوار السرائر انما خفيت عن العيان بما سترها به من كثـائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغى الا لها ، ومن هنا وقوع الانكار عــلى أولياء الله سنة ماضية ، وحكمة ذلك اجلال وتعظيم لها أن تبتذل وتظهر بوجود
=

ولا تَنَالُها يد الجَهول (١) مُبتَذِلِ الأمر لدى الوُصُولِ
لأنّه ماعِـزّةُ المَكنُوزِ إلاّ لما بِهِنّ مِنْ حَرِيزِ
فالأولياء معدنُ الأنوارِ مخفيةٌ من نائلِ الأغيار
لأنّهُمْ جواهرُ الأصدافِ مُحتَرِزُونَ عن يدِ الصرّافِ
وسَتْرُهُمْ أصبحَ بالكَثَائِفِ صيانة عن طاعنٍ لا مُنصِفِ
أجَلّهَا عن بَذْلَةِ الإظهار وعن نداء ألْسُنِ إشتِهارِ
فخاصةُ الرحمنِ أهلُ الإصطفا لم يَبْلُغُوا إليه إلاّ باختفا
فانّهُمْ أصحابُ كهفٍ أصعبُ معرفةً مِنْ رَبّنَاه ما السببُ
لأنّهُ كما يقولُ(٤) المرسى منزّهٌ من ناقصٍ ودَنَسٍ
وكيف علمُ العبدِ بالآكل ما يأكل والشاربِ ما يشرب ما

❊ ● ❊

=
الاظهـار ، وان ينادى عليها بلسـان الاشتهار ، فلا يبقى لها سر ولا عز ، فلابد للشمس عن سحاب ، وللحسناء من نقاب ، وهل يكون الكنز الا مدفونا والسر الا مصونا فستر الله سر الخصوصية والولاية فى وجـود البشرية ، ليكون سر الولايه غيبا ، فيكون المؤمن به مؤمنا بالغيب ، وأيضا أجل ولايته أن يظهره فى دار لا بقاء لها ، فارخى عليه ذيل الستر ، وقال فى لطائف المنن ص ١١١ أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس المجرمون . ونقل عن ابى يزيد البسطالى قوله « أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس الا من كـان محرما لهم » وقد ستر الله أنوار السرائر من ثلاثة وجوه : أحدهما فى نفسها ، اذ لم نظهر الا فيها . الثانى : عن نظـر صاحبها ، اذ هى حجاب له عن شعوره . الثالث : عن نظر الغير وهو أحرى .

١ — فى الاصل « ولا ينالها بدل الجهول » وهو سبق قلم .

٢ — المرسى : هو الشيخ أبو العباس المرسى سبق ترجمته وقد نقل عنه قوله : معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعـالى : لأن الله تعالى ظاهـر بجماله وكماله ، ومنى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ؟ انظر قرة العين ٢/٤٩ — ٥٠ .

وفى شرح ابن عباد ٢/٢ قال فى لطائف المنن فأولياء الله أهـل كهف الايواء فقليل من يعرفهم

الباب السابع عشر

١٥٦ — سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه ، الا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم ، الا من أراد أن يوصله اليه .

سبحانَ مَنْ لم يجعلِ الدليلا على العبادِ الأوليا وُصُولا
إلاّ بِما دلَّ بهِ عليهِ لأوجُهٍ ثلاثةٍ لديهِ (١)
ولا وُصُولَ لإمرءٍ إليهِمْ إلاّ وُصُولاً للإلهِ فإعْلَمْ (٢)
وإنّما المرادُ بالوُصُولِ إلى الوَلِىِّ حرمةُ التبجيلِ
وهو بذاك للإلهِ واصلُ إنّ الولىَّ صَحْبُهُ آماثِلُ

---

١ — قلت : التصدير بالتسبيح لوجوه ثلاثة : الاشعار بعظمة الأمر وكبره ، وأنه كذلك ، والتنبيه على أن أولياءه منزهون بتنزيهه ، كما أشار اليه الآية فى تبرئة أم المؤمنين — رضى الله عنها — اذ قال (لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) [النور ١٦] .

والاشارة لعدم المواساة فى الدلالة التى أشعر بها كلامه ، فكما ان الله تعالى لا يعرف الا بما ظهر فى أفعاله ، كذلك الولى لا يعرف الا بما بدا من أوصافه وكما أن الله تعالى لا يعرف الا بتوفيقه ، كذلك الولى لا يعرفه الا من عرف الولاية ، ولا يعرفها الا من صدق بالاختصاص وذلك فى اتساع الايمان بالقدر . انتهى « منــه » .

٢ — الوصول للولى هو التحقق بالعلم بالنسبة لله تعالى ، حتى يقتضى ذلك تعظيما له واحتراما ، وخدمة واكراما ، وذلك مفتاح للوصول الى الله تعالى من ثلاثة أوجه : ١ — ان تعظيمهم لله تعظيم له تعالى ، ومخالطتهم زيادة فى التعظيم . ٢ — أن أحوالهم لاتدل الا على مولاه ، فهم يهدونه اليه كما يقال : المرء على دين خليله . ٣ — أنهم أهل وفاء وذمة واعتناء وهمة ، وكرم وسجية ، فمن صحبهم ، فانهم يبذلون الجهد فى نفعه ووصوله الى ربه .

ينوبُ عنه الحقُّ في غيبتِه نَعْنِي به ما شاءَ مِن ثروتِه
بشأنهم مُعَظَّمٌ جليلُ خليفةُ الرحمنِ ما تقولُ
فأنظرْ كتابَ الحضْرمى(١) ههنا والشاذلى(٢) وشيخنا كما اعتنى

* ● *

١٥٧ — ربما أطلعك على غيب ملكوته ، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العبـــاد .

فرُبَّما أطلعَكَ اللهُ على غيوبِ ملكوتِه من حيثُ لا (٣)
تُشرفُ أسرارَ العبادِ رحمةً فياك وفيهم جَلَّ ربّى حِكْمَةً

---

١ — نقل الشيخ زروق عن الحضر فى قوله « فهنيئا مريئا لمن ذاق أو ذاق بعض من ذاق ، أو رأى من ذاق » انظر قرة العين ٢/٥١ .

٢ — الشـــادلى : هو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبـــار ابن يوسف الشاذلى ، نسبة الى قرية شاذلة ، وهى بأفريقية الزاهد الضرير نزيل أسكندرية ، وشيخ طائفة الشاذلية ، قال ابن الملقن : كان كبير المقدار ، عالى المقـــام ، له نظم ونثر ، وعبارات فيها رموز ، صحب الشـــيخ نجـــم الدين بن الأصفهانى نزيل الحرم ، ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسى ، حج مرات عديدة ، وتوفى بصحراء عيذاب ودفن هنك فى أول ذى القعـــدة سنة ٦٥٦ هـ . أنظر طبقات الاولياء ص ٤٥٨ . والوافى بالوفيات ٢/٩٢ — ٩٣

٣ — غيوب الملكوت : ما خفى ادراكه من العلوم لأن الملكوت : شأنه أن لا يدرك بالعقل والفهم . اسرار العباد : هو ما احتوت عليه بواطنهم من ولاية أو غواية . من لطف الله تعالى اخفاء أسرار الناس بعضهم على بعض لا سيما سر يقتضى وجود عيب ، لأن الانسان لو اطلع على عيوب الناس لهتك أستارهم وفضحهم ، ولا صيب بالعجب لأن من عادة الانسان أن تسوقه نفسه وشهواته، الى النظر الى من هو أسوء حالا منه فى العمل ، ولا يلتفت الى من هو اكثر صلاحا منه الا من رحمه الله ، ففى حجب أسرار العباد بعضهم على بعض ما يحمل العاملين لهم فى الخير والشر على الرجـــاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين ، ففى الستر نعم عظيمة على الصالحين فى نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم، ونعم جليلة على الفاسقين حيث لم يفضحهم ربهم .

١٥٨ — من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتخلق بالرحمة الالهية ، كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه .

فكلُّ مَنْ أطلَعَهُ اللهَ على سِرِّ العبادِ قبلَ أن تكمّلا
متخلّقا بالخُلُقِ الإلهى(١) برحمةِ الرؤُفِ والأرّاهِ
كانَ إطلاعُهُ عليه فِتْنَةً وسببَ الوَبالِ بَعْدَ مِحنَةٍ(٢)
فليسع(٣) النّاسَ ببسطٍ وخلاق كأنّه الأبُ الكريمُ المرتَفِقُ
فحالَةُ إطلاعِهِ بهــذا كرامةٌ ورحمةٌ سِوا ذا

* ● *

١٥٩ — حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى ، وحظها فى الطاعة خفى ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .

١٦٠ — ربما دخل الرياء عليك ، من حيث لا ينظر الخلق اليك .

فَفتنَةٌ ، وبعدُ حظُّ النفسِ فى معصيّةِ اللهِ جَلِىٌّ ما خَفَى(٤)

---

١ — فى الاصل « مختلقا بالخلق الالهى » .

٢ — المطلع على السرائر التى تقتضى وجود العيب ، اذا لم يتخلق بأخلاق الرحمة الالهية ، فيرحم المذنبين ، ويحلم مع الظالمين ، ويصفح عــن الجاهلين ، ويحسن الى المسيئين ، ويرأف بعباد الله أجمعين ، فانه يــكون ذلك الاطلاع فتنته عليه ، لأن ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها ، والعجب بعمله ، والتكبر على غيره ، وهذا هو أعظم الفتنة ، ويكون ذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ، ومنازعته لكبريائه وعظمته ، وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزى والنــكال ، بخلاف ما اذا تمكن فى معرفة الحق وتخلق بأخلاقه ، وتحقق بمعانى صفاته وأسمائه ، فانه يكون على خلــق الرحمن ، فاذا اطلع على معاصى العباد ومساوئهم رحمهم وسترهم وحــلم عليهم ، وقــد قال عليه الصلاة والسلام «الخلق عيال الله وأقر بــكم الى الله أرحمكم بعياله » وقال أيضا « الراحمون يرحمهم الرحمن » .

٣ — فى الاصل « فاليسع النــاس » .

٤ — حظ النفس فى المعصية هى المتعة البشرية الظاهرة ، كلذة الاكل والشرب والنكاح وسماع اللهوى ، وحظها فى الطاعات هو طلب الكرامات وخوارق العادات والعجب والرياء وغير ذلك من الآفات ومداواة هذا المرض الخفى أصعب ، فالاول يمكن دواؤه بالعزلة وكثرة الطاعات والاذكار ، بخلاف الثانى فلا تزيده الطاعة الا كثرة وقوة اذ بها صارت تطلب حظها ، فلا يداويها الا خوف مزعج أو شوق مقلق ، فالواجب على العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه على الدوام .

وحظُّها الباطنُ في الطاعاتِ ... كالعُجْبِ والرياءِ والآفتِ
علاجُ دائِها الخَفى صعبَ ... ورُبّما الريا حَواهُ القلبُ(١)
من حيثُ لا ينظُرك الخلقُ لما ... يستشرفُ القلبُ إلى أن يُعلَم

* ● *

١٦١ — استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبـــوديتك .

وبعدَ ما إستشرفْتَ أن يَعلَمك الـ
خلقُ بتخصيصك فهو من علَل(٢)

---

١ — الرياء : هو طلب المنزلة عند الناس وقصد ذلك بعمل صـــالح ، سواء كان ذلك العمل ظاهرا للناس وهو الغالب ، أو خليا عنهم ، فقد يكون الرياء في عمل خفى ، فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر أحد اليك وهذا أصعب من الاول لانه أخفى ، وقال بعضهم : أقسام الرياء ثلاثة كلها علة : الاول : ان يقصد بعمله الخلق ولولا هم لم يعمل ، وهو أعظم الاقسام . الثانى : أن يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس . الثالث : أن يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب ، وهذا النوع جيد من وجه ، معلول من وجه ، عند العارفين ، وعند العامة اخلاص . وقد قيل في قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) [فاطر ١٠] هو السالم من الرياء ظاهرا وباطنا ليس فيه حظ دنيوى ولا أخروى . وللمرائى علامات لا تخفى : منها نشاطه في الجلوة وكسله في الخلوة ، أو اتقان العمل حيث يراه الناس وتساهله حيث لا يراه الا الله . ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه ومسارعتهم الى قضاء حوائجه . حتى ربما يظهر على السنة بعضهم حيث يتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة ، وأن الله لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ ثأرهم ، ويتصورون أن الله خلق الناس لخدمتهم .

٢ — اذا خص الله عبده بخصوصية كزهد وقناعة أو ورع ، أو توكل او رضى ، أو محبة ، أو يقين في القلب ، او اظهر على يديه كرامات حســية أو معنوية ، عليه أن لا يتطلع ويتمنى أن يعلم الخلق بخصوصيته ، فاذا أحب ان يطلع الناس عليه ، فذلك دليل على وجود الرياء الخفى في باطنه ، ودليل على عدم صدقه في العبودية ، اذ لو كان صادقا في عبوديته ، لاكتفى بعـــلم الله وقنع بمراقبة الله اياه ، واستغنى به عن رؤية غيره .

وهو على خلافِ إخلاصِك فى صدقِ العبوديّةِ أىّ صارفِ
وإنّما يَصْدُقُ فى إخلاصِه من أخرجَ المخلوقَ فى خلاصِه

✻ ● ✻

١٦٢ — غيب نظر الخلق اليك بنظر الحق اليك ، وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك .

لِينْظرٍ منكَ إلى اللهِ الأزَلْ(١) وغيّب الخلقَ متى ما تشتغل
فلا تكن مستشرفا(٢) لِنظرٍ منهم إليكَ ناظراً لناظرٍ
سبحانَه إليكَ واستَحِى لَهُ ودَعْ سواهُ وانظرنّ فِعلَهُ
إن نظروا إليكَ هل من ضرر أو تركوكَ ماهمُ من أثر(٣)
وغِبْ عن الإقبالِ منهم نحوكَ إليكَ ، ماهم يملكونَ نفعَكَ
وشاهِدْ الإقبالَ من ربِّكَ لَكَ مكتفياً به وأخلِصْ عملكَ
فكانَ(٤) مَبنِي أمرِ كلِّ مُخلِصِ
مكرّمٍ باللهِ عن تخصّصِ

---

١ — الاصل (أذل) .

٢ — فى الاصل « فلا تكن مستشعرا » .

٣ — الخلق فى الحقيقة عدم ، والوجود انما هو الله الواحد الأحد ، لذلك فغيب عنك أيها المريد نظر الخلق اليك اكتفاء بنظر الحق اليك ، وغيب عن اقبالهم عليك ، بشهود اقبال الله ، فغيب عن الوهم بثبوت العلم ، فاقبالك على الخلق ادبار عن الحق ، وادبارك عن الخلق اقبال على الحق ولا يجتمعان . وقد أوصى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابن عباس فقال « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » .

٤ — فى الاصل « فكان منبى أمر » .

قنـــاعةَ مع إكتفائه بـــه سبحــانه معتنياً بِقُــرْبه

●

١٦٣ — من عرف الحق شهده في كل شيء ، ومن فنى به غاب عن كل شيء ، ومن أحبه لم يؤثر عليه شـيئا .

ثمّ إذا عرفتــه شهدْتَهَ في كلِّ شيءٍ حيثما فقدْتَهُ
فلا ترى سواهُ عندَ الحركةِ والقلبُ مناكَ في الصروف أدْرَكَ
من المحالِ مَعْ سواهُ تَشْهَدُهُ وقبلِ رؤيا الحقّ ذاك تَفْقِدُهُ :
مذعرفتُ الإلّه لَم أر غيراً وكذا الغيرُ عندنا ممنوعُ
مذ تجمعتٌ ماخشيتُ إفترافاً وأنا اليومَ واصلٌ مجموعُ(١)
غابَ الذى فنَى بِه عنْ كُلِّ مَا سواهُ ، والعرفانُ من ذا فَهْمِ
يغيبُ فعلُ الخلقِ فى صفاتِ للحقّ للنسبةِ فى الحالاتِ
وأثَرُ الفعلِ مع الوصفِ إتّحد والوصفُ والموصوفُ مفردٌ أحد(٢)
وأينَ ظلُّ الشمسِ أو شُعاعُها أثارنا خلقنَا كـــذا إرتفاعُها

١ — أورد البيتين ابن عجيبة ولم ينسبهما الى أحد . ايقاظ الهمم ص ١٧٧

٢ — المعرفة : تحقق العلم بجلال الله فى سر المعارف على قدر ما فنح له . الشهود : ملاحظة معنى المعرفة فى الوجود حتى كأن المعروف نصب عينيه . الفناء : رؤية الحق بلا خلق لما يبدو عن جلاله الذى يضمحل معه وجود كل شيء . الغيبة : الاشتغال عن الشيء بوجه لا يمكن معه الشـــعور به حالة الاشتغال . المحبة : أخذ جمال المحبوب بحبه القلب حتى لا يتصرف الا على وفق مراده ، ومن ثم كانت تقتضى الايثار ، كما يقتضى الفناء الغيبة ، والمعـرفة وجـود الشهود ، وكلها يقتضى الاكتفاء بالحق دون ما سواه ، وهذه الامور هى علامات بلوغ مقام الولاية وبها تكمل المقامات العلية ، فمن لم يجدها فى نفســـه فلا ينبغى له أن يدعى تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححهـــا ويكملهـــا .

فاذ فَنَيْتَ فيــه عن محبّةٍ   أثرتَه علــى السوى بصحبة
والحبُّ أخــذ بجمالِ ربِّنا   قلبَ المحبِّ عن سواه فى فَنَا
معــرفةٌ محبّةٌ فَنَــاءُ   ثلاثُهــا نالَهَا الأولياءُ
فمن له فيهــا نصيبُ نالَ   ولايةً أولا فلَنْ ينَال(١)
ولازمُ المحبّةِ الشوقُ إلى   رؤيتــهِ حتّى يكونَ واصلاً
وذاكَ للعــرفانِ بالحبيبِ   حجابُهُ عــن غرّةِ القريب

* ● *

١٦٤ — انما حجب الحق عنك ، شدة قربه منك .

١٦٥ — انما احتجب لشدة ظهوره ، وخفى عن الأبصار لعظم نوره .

وإنّما يُحْجَبُ منك الحقُّ   لِيرتَقِ حُجُبٍ مالذاك فَتْقُ(٢)
ذاك لشدّةِ إقترابِه لنــا   زادَ حجاباً كلّما العبد دَنَا
أوصــافُه محيطةٌ بعبــدهِ   هو القريبُ منه حالَ بُعده

---

١ — فى الاصل « نالا ولاية ... فلن ينالا » .

٢ — الحجاب عن الحق انما هو بتوجه للخلق ، والا فالحق تعالى لا يصح أن يــكون حجابا ولا محجوبا لثبوت احاطته بكل شىء : علما وقــدرة وارادة تعالى ربنا ، وقــربه من كل شىء معــروف معــلوم من عمــوم تصرفاته فى كل شىء ، قال تعــالى (والله أقرب اليكم من حبل الوريد) وقــال (والله بــكل شى محيط) .

وانما شدة قربه من العبد حجاب ، لأن شدة قربه موجبة لا ضمحــلال الانسان وذهابه ، والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود ، فكيف يراه ، وقال أبو الحسن : حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو ، وكلما دنا منها تزايد ريحها ، فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه . ايقاظ الهمم ص ٢٩٧

مُستترٌ لشدّةِ ظهُورِهِ ومختفِ الإبصار ذا لنوره

وأنظرْ الخُفَّاشَ مِنْ ضَعْفِ البصر

إلى محيّا الشمسِ لم يَقْدِرْ نَظَرَ (١)

---

١ — هذه عبارة نداولها الناس ، وضربوا لها مثلا بالشمس ، وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر أنوار المحسوسات ، وقوة نورها هى التى حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها وقوة نورها حجابا لها ، وليس الحجاب على الحقيقة منها ، فان الظاهر لذاته لا بحجب عن ذاته ، والحجاب هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وقال — صلى الله عليه وسلم « حجابه النور » وقال (نور أنى أراه) رواه مسلم ، فالمؤمن عليه أن يفكر فى آيات الله لا فى ذاته ، فالله أكبر من أن يحاط به أو يدرك ، ولا يدرك المؤمن فى ذاته الا كما يدرك الخفاش من باهر الشمس .

الباب الثامن عشر

١٦٦ — لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه ، فيقل فهمك عنه ، وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية .

لا يكُ للعطاءِ منك طالبٌ — منه وإلاّ ما لديكَ أدبُ
وقلٌ فهم طالبُ العبدِ لهُ — منهُ وعنه القلبُ ما أغفلَهُ(١)
لكنَّ مقصودَ الدعاء فاقةَ — ثمّ العبوديَّةُ واستحاقُهُ
من العباد للالهِ خشَّعاً — صيرورةَ الكلِّ له مجمّعا
والعبدُ فى الدعاءِ ذو إفتقارِ — للهِ ذا الحكمةُ فى اضطرارِ
إليهِ وإفجماعِهِ عليه — معتكفاً وثاوياً لديهِ(١)
ونصَّ شيخى : ليكُنْ منك طالبٌ — عبودةٌ توفيةٌ لحقِّ ربّ

●

١ — الطلب : الدعاء . وانما كان الطلب للعطاء موجبا لقلة الفهم لثلاثة أوجه : أحدها : أنه يقتضى خلاف ما هو الواقع والحقيقة التى هى تعلق الأمر بالقدره فلا يكون شىء مخالفا للقضاء . الثانى : ما ينتج عن ذلك من عدم الرضا عند المنع ، وفقد الشكر عند العطاء ، لانه جاء العطاء حسب طلبه ونسببه ، فلا يكون هناك فضل . التالث : أنه يوجب الاخلال بأدب الشريعة فى الالحاح عند تأخر المطلوب ، واليأس من رحمة الله لكن الدعاء لابد أن يكون لاظهار العبودية ، والقيام بحق الربوبية ، ويظهر ذلك فى الدعاء بأمور : صحبة الوقت ، بالتفويض فيدعو كما يريد ، لكنه يسلم لاختيار الحق تعالى فى تيسيره ومنعه . ثانيها تعلق القلب بالله فى التحقيق فيدعو وهو موقن بالاجابة ثالثها العزم على الرضا بالواقع سواء كان موافقا للغرض أم لا ، فالدعاء عبودية أقترنت بسبب الحاجة كما اقترنت الصلاة بوقتها ، ورتبت الاجابة عليها كما رتب ثواب الاعمال عليها ، فالعطاء من وجه الفضل ، والعمل لمحض العبودية ، واقترانها لاظهار الحكمة .

٢ — ثاويا : أى مقيما .

١٦٧ — كيف يكون طلبك اللاحق ، سببا فى عطائه السابق .

١٦٨ — جل حكم الأزل أن يضاف الى العلل .

أولا فكيفَ بالدعاءِ اللاحقِ(١) تسبّبٌ إلى العطاءِ السابقِ

فإن يكُنْ أعطاكَ ما طلبتَهُ نلتَ بغيرِ سببٍ كسبتَهُ

أوْلا فجلَّ شأنُ حكمِ الأزَلِ مِنْ أن يضافَ لوجُودِ العِلَلِ

أمرٌ قَضَى ، حكمُ مَضَى علينا ، قطعُ جرى ، فصلُ سَرَى لدينا

سبقت حُكمٌ ، جفَّ(٢)القلم ، وكانت

أقْسامُنَا أيامُنَا ما خانتْ

* ● *

١٦٩ — عنايته فيك لا لشىء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايتـــه ، وقابلتك رعايته ؟ لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ، ولا وجود احـــوال ، بل لم يكن هناك الا محض الافضال ، وعظيم النوال .

وأشكرهُ منكَ فى عنايةٍ لـــهُ فى حكمٍ مسبوقيةٍ قضت له

لسابقيّةِ العطـا إلينـــا شكرٌ عظيمُ واجبُ علينا(٣)

---

١ — لا يكون عطاء الله لعباده بسبب طلبهم ، لان ما طلبه العبـــد أمـــر سابق فى الأزل قدر له ، وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال ، ومن شرط العـــلة أن تكون سابقة على المعلول ، والحكم سابق ، فيستحيل أن يكون الطلب اللاحق سببا فى العطاء السابق ، كما ان الله أعظم وأجل عن أن تنضاف الى عـــلة او سبب ، بل له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة ، فصنعه علة لكل شىء ولا علة لصنعه ، قال الواسطى — رحمه الله — : أقسام سبقت ونعوت جـــرت كيف تنال بعمل أو تستجلب بسعايات .

٢ — فى الاصل « سبقت حكم جفت قلم » .

٣ — عناية الله تعالى بالانسان فى الأزل ، حين لم يكن شيئا بل كان عدما محضا . وخلقه بعنايته ، غير معللة بشىء كائن منك من اخلاص اعمال ولا وجود أحوال تتوسل بها اليه تعالى ، وأين كنت اذ ذاك ، وأنت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله ، حيث قال تعـــالى ((ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) [الصافات ٥٧] وقال جل شأنه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) [مريم ٩] .

فقد هدانا رازقاً قَوّاماً وخصّنا بين الوَرى إماماً(١)
وأينَ كنتَ حيثما تَوَجّهتْ إياك عصمةٌ أتت وما وَهَتْ
وبعد ما واجَهَتْ العنايَةُ قابلتْ انعْمَةُ والرعايَةُ
لمْ يكُ فى أزلهِ إختصاصُ منك ولا فى عملٍ إخلاصُ
ولا وُجُودُ محسنِ الأحوال ولم يكُنْ هنا سوا إفضالِ

●

١٧٠ — قد علم أن العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية ، فقال : يختص برحمته ما يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك ، لتركوا العمل اعتمادا على الازل ، فقال : ان رحمة الله قريب من المحسنين .

قد علم الشوقَ من العبادِ إلى العنايات وجبّر الهادى
فقال : بالرحمة يختصُّ الفتى(٢) يشاءُ حكْمَةً لـه ورأفةَ
ولـو تخلّى عنهم بذلك لتركوا أعمالَهُمْ كذلك(٣)

---

١ — فى الاصل :
فقد هدانا رازقا قوانا
وخصنا بين الورى ايمانا
٢ — اشارة الى قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) [البقرة ١٠٥ — وآل عمران ٧٤] .
٣ — ان الانسان يتشوف وينشوق الى معرفة سر العناية : السر الذى من أجله وقع الاعتناء به بقوم دون قوم ، لأن الانسان يحب الاطلاع على أسرارالكائنات ومعرفة اثبات أنواعها فى الموجودات ، ولأن فى معرفة أسباب الاشياء اطلاع على سر ثبوتها ونفيها ، ولان النفس جبلت على حب اطلاع وجه الاشياء وترتاح بالاطلاع ، لكن الله سبحانه قطع الاطماع عن كون عناية الله بالاسباب ، حيث أحاله على المشيئة وجعل الرحمة أصل الاحسان حيث قال (يختص برحمته من يشاء) ولا علة له من العبد ، فالاعمال علامات على تلك العناية وليس بعلة موجبة لها ، وانما اسند الله اليه وعلقها به فى قوله جل شأنه (ان رحمة الله قريب من المحسنين) لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى .

لعمدةٍ على قضـاءِ الأزلِ فقال : إنّ رحمةَ اللهِ على
المحسنين منهم قريب(١) وكـلُّ شيءٍ مَدَّهُ الحبيبُ

* ● *

١٧١ — الى المشيئة يستند كل شيء ، ولا تستند هى الى شيء .

إلى مشيئةِ الحبيب يَسْتَنِدُ(٢) عـلى قضائِهِ القديم يَعتَمِدُ
فلا يكُونُ واقعاً مالم يَشَأْ يا رَبَّنَا لِمَا طلبناكَ فَشَأْ
فأنت ذو مشيئةٍ لا تَسْتَنِدُ لعلَّةٍ ولا عليها تَعْتَمِدُ

* ● *

---

١ — اشـارة الى قوله تعالى (ان رحمـة الله قريب من المحسنين) [الأعراف ٥٦] .

٢ — استناد كل شيء الى مشيئة الله تعالى لأنه لا يصدر الا عنها قـال تعالى (لو شاء ربك ما فعلوه) [الانعـام ١١٢] ، ولأنه يستحيل وقوع مالم يشأ الله تعـالى ، ولكن مشيئته لا تستند الى شيء لأنه لو استندت لكان فيها نقصا والنقص فى صفات الله مستحيلة .

البــاب التاسع عشر

١٧٢ — ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته .

فأدبُ العبــادِ رُبّمادلّهم على دُعاءِ مطابٍ لهم ، وَهُم
قــد يتركونُهُ إعتماداً عــلى قِسْمَتِهِ سبحانَهُ مِن عُلا(١)
كذا إشتغالاً منهم بذكرِهِ عن السؤالِ منه ذكْرَ قهرِهِ

✻ ● ✻

١٧٣ — انما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وانما ينبـه من يمكن منـه الاهمـــال .

فإنّما ذكّرَ ذو إغْفالِ وإنّما نَبّهَ ذو إهمالِ
والحقُّ لا يُهْمِلُ بل لايَغْفُلُ فههنا تركُ الدعاءِ أفضلُ

✻ ● ✻

---

١ — أدب العبد قد يدله على الدعاء كما ورد فى كثير من الآيات القرآنية قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب انى لمـا أنزلت الى من خـير فقير) [القصصى ٢٤] وقال تعالى (ربنا أغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يـوم بقوم الحساب) [ابراهيم ٤١] وقال تعالى (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) [الشعراء ٨٢] . وبعضهم يدلهم أدبهم على ترك الدعاء وقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » — رواه البيهقى . ولأنه انما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وانما ينبه من يمكن منه الاهمال ، وكل منهما فى حق الله تعالى باطل ، ومحال ، فلا يجوز عليه الاغفال ولا يمكن منه الاهمال لاستحالة تأثره بالعوارض ، ولان الطلب لا يغير شيئا من قضائه وقدره وليس علة أو سببا لجلب شيء .

فان قلت : الطلب سبب للعطاء ، فسبحان الله أن يضاف حكمه الى العلل والأسباب ، وان قلت : تذكير ، فانما يذكر من غفل ، وان قلت : تنبيه لـه فانما ينبه من يهمل ، كل ذلك باطل فى حقه ، فلم يبق الا أن الدعاء عبوديـة اقترنت بسبب ، ومقصدها انما هو ظهور الفاقة الذى به تمام الأمر .

١٧٤ — ورود الفاقات أعياد المريدين .

ثمّ ورودُ فاقةِ المريد مألوفةٌ مثلُ(١) ورودِ العيدِ
لأنّها الشدّةُ فى حاجاتهِ بها رُجُوعُهُ لوصفِ ذاتهِ
وخيرُ أوقاتِك وقتٌ تشهدُ فيه من الفاقةِ مالا يُفْقَدُ
فاقةُ عيدٍ له لم يَعُود والعيدُ عيدُ الناسِ إذ يَعُودُ
وفيه فِطْرُ ثمْرةِ المُشاهَدَةِ من صومِ رمضانهِ المُجاهَدَةِ
وفيه نَحْرُ النفسِ(٢) بالتبرّى والرّقُ فيه آلِ للتحرّى :
قالوا غداً عيدٌ ماذا أنت لابسهُ فقلتُ : خلْقةُ ساقَ حُبَّهُ جزعاً
فقرٌ وصبرُهما ثوبان تحتهما قلبٌ يرى إلفَهُ الأعيادِ والجُمَعَا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيبَ به يومَ التزاوُرِ فى الثوبِ الذى خلع
الدهر لى مأتم إن غبتُ يا أملى والعيدُ ما كنتَ لى مرأى ومُستَمِعاً(٣)
ثم أتت فوائدُ الفاقاتِ وكَوْنُها أعيادُ ذى الحاجاتِ

---

١ — الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح ، وهم مختلفون فى ذلك ، فمنهم بل أكثرهم مسرتهم وفرحهم بوجود حظوظهم ، ونيل شهوانهم وغرضهم ، وهو حال عامة المسلمين ، ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه ، وهذا هو حال الخاصة ، لأن مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ، ولا يتأتى ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات ، فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء ، لما يحصل لهم بذلك من رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم .

٢ — فى الاصل « تخر النفس » .

٣ — هذه الابيات نسبها الشيخ رزوق والشيخ ابن عباد لأبى على الروذ بارى . قرة العين ٧٣/٢ وابن عباد ١٣/٢ .

١٧٥ — ربما وجدت من المزيد فى الفاقات ، ما لم تجد فى الصو والصلاة .

١٧٦ — الفاقات بسطة المـــواهب .

ورُبّما المـــريدُ فى الفاقاتِ يشهدُ شيئاً ليس فى الصلاةِ
والصومِ كالعِلْمِ مع العرفانِ وكاملِ الأنوارِ والإيمـــانِ(١)
لأنّها الأ بعدُ من دعواكَ منقطعُ الإعجابِ مِنْ هَوَاكَ(٢)
وذِلّةُ البلاءِ بالنصر أُقِتْ(٣) وأُذْنُنا آيةُ بدرٍ سَمِعَتْ
ففرحَ العبدِ لدى الفاقاتِ مُعَيَّنٌ لكاملِ العزَماتِ
وإنّها ليَبْسُطُ المواهبَ(٥) والفتحَ والنَشَاطَ ، نجيحْ طالبَ
بِساطِنَا هذا مجارى الــكرمِ ومُظْهِرِ الجُودِ وفَتْحِ النِعَمِ

* ● *

---

١ — ورود الفاقات يحصل للمريد بها كثير من صفاء القلب وطهـــارة السريرة ، وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصـــلاة ، لأن الصوم والصـــلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى ، ولأن الفاقة تسلب العبد عن دعواه وترده لمولاه بلا واسطة ، ولأنها اخلاص محض وتخليص تام بلا علة بخلاف الأعمـــال اذ لا تخلو من شوائب الرياء .

٢ — فى الأصل « من هرك » .

٣ — الأقت والتأقيت : تحديد الأوقات . قاموس . ويمكن أن تقـــرأ العبارة (بالنصر أتت) (آية بدر) اشـارة الى قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة) [آل عمران ١٢٣] .

٤ — الفاقات : اشد الحاجة : المواهب : جمع موهبة وهى الفتوحات الالهية من معرفة وغيرها ، لأن الفاقة تحقق المعرفة بجلال الحق ، وتحقق العـــلم بنفسه وذلك بنفى الدعو ولزوم الأدب ، واتيان للأمر من بابه وتوسل اليـــه تعالى بأسبابه .

١٧٧ — ان أردت ورود المواهب عليك ، صحح الفقر والفـاقة لديك : انما الصدقات للفقراء .

إذا أردتَ واردَ المواهبِ عليكَ صَحِّحْ طالبَ المآربِ(١)
فقراً وفاقَةً لديكَ تَشْهَدُ تصحيحها ضَرُورَةَ التأكُدِ
حتّى تكونَ سائر الحَالاتِ واجِدَها بالعـزمِ والثَّبَاتِ
للفقراءِ الصـدقاتُ(٢) آية مشيرةٌ مقصودُها عِنـايةُ
مُصَحِّحُ الفقرِ ينَالُ الصدقة ونَوْعُها أعظمُ ربِّيَ أطلقه

١٧٨ — تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلك يمدك بعـزه ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته ، تحق بضعفك يمدك بحوله وقوته .

إنّ العبوديّةَ من تصحيحها لزُومُ أوصافكَ فى ترجيحها(٣)
كالضَعْفِ والعَجْزِ وفَقْرٍ وذُلّ
أضـدادُهُنّ للجَليلِ الأجَـلِّ

❋ ● ❋

١ — تصحيح الفقر والفاقة انما يكون بثلاثة أشياء : أحدها : تقدير عدمك دون بلوغ اربك ، لأنك لا تدرى لعل الأجل يحول بينك وبين ما تريد ، ولا حياه لك الا بمولاك . الثانى : استشعارك بقصورك فى جميع أحوالك ، حيث لا تقدر لنفسـك على شىء ، وما تروم من أمر لا يتم لك ، فذلك دليـل على أن الأمر ليس بيدك . الثالث : تتبع ذلك على الدوام ، اذ لا يفيد اثباته جملة ، لكن من استشعر عند كل صادر بقصوره عنه ونظر لعجزه فيـه تحقق ذلك فى قلبه وانتفع به فى تحقق فقره الذى يوجب خلوص توجهه وهذا مأخوذ من قوله تعـالى (انما الصدقات للفقراء الآية) ففى هـذه الاية أن الفقر مستحق للصدقة فى الجملة ، ولكن موقعها فى الظاهر على فقير الحال .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية) [التوبـة ٦٠].

٣ — أوصاف العبد أربعة : الفقر ، والذل ، والعجـز ، والضـعف ، وأوصاف الله تعـالى : الغنى ، والقدرة ، والعزة ، والقـوة ، فاذا تمكنت حقيقة وصف من أوصافك فى قلبك أمدك الله بمقابله من أوصافه ، فاذا فى كل شىء نظرت لقدرته على بساط النظر بعجزك لم يعجزك أمر بل تكون قادرا على كل أمر به بكمال قدرته فى تمام عجزك ، فمن تحقق اضطراره ثم انتصاره .

فلازِمْ(١) أوصافَكَ وتعَلَّقْ بأوصافِهِ ، وقُلْ مِنْ بِساطِ العجْزِ الحقيقيّ : يا غنيُّ مَنْ للفقيرِ سِواك .

ومَنْ بساطِ الذُلّ الحقيقي :

يا عزيزُ من للذَليلِ سِواكَ ومن بساطِ الفقرِ الحقيقيّ :

يا غنيُّ من للفقيرِ سِواكَ ومِنْ بساطِ الضَعْفِ الحقيقي :

يا قَوِيُّ مَنْ للضعيفِ سواك

تجدُ الاجابةَ كأنَّها طَوْع يديك (إسْتَعِينُوا باللهِ وإصْبِرُوا .)(٢) (إنّ اللهَ مع الصابِرينَ(٣))

يَمدكَ القهّارُ بإستضعافِ بما لَهُ مِن سائِرِ الأوْصَافِ

تصِيرُ قادراً بِهِ غنيّاً معززاً بعزّهِ قويّاً

هو المجيبُ أنت مضطرٌ لَهُ فإرْضَ بِهِ والصبرُ ما أجْمَلَهْ

---

١ هذا من كلام الشيخ الشاذلى وأولها (وتصحيح العبودية ملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى ، وأضداها أو صاف الربوبية فمالك ولها ، ولازم اوصافك وتعلق بأوصافه) انظر قرة العين ٢ / ٧٨ ، شرح ابن عباد ٢ / ١٤ .

٢ — سورة الأعراف جزء من الاية ١٢٨ .

٣ — سورة البقرة جزء من الاية ١٥٣ .

الباب العشرون

١٧٩ — ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة .

١٨٠ — من علامة اقامة الحق لك فى الشىء ، اقامته اياك فيه مع حصول النتائج

وربّما خُصِصْتَ بالكرامةِ من حيثُ لم تكمُلْ لك إستقامةَ
فلا تمِلْ لها إذْ المَغْرُورُ بها لقد أحَلَّهُ الثُّبُورْ
ثمّ عليك فى القيام فيها أقامَكَ اللهُ بـه ولَمَّا
علمتَ هذا فمِنْ العلامةِ على وَجُودِ العبدِ فى الكرامةِ
إقامَةُ الحقِّ مع النتائجِ لَهُ وفَقْدُ كلِّ خُلْقٍ سامِجِ(١)
ثمّ حصولُ أثرِ الهدايَةِ ثمّ إرتفاعُ النفسِ عن غَوايَةِ
وكاملُ التحقيق والإيقانِ ثمّ رِضاءُ العبدِ عن رحمن

١٨١ — من عبر من بساط احسانه ، اصمته الاساءة ، ومن عبر من بساط احسان الله اليه ، لم يصمت اذا أساء .

أصَمَتَ عابراً على بِساطِهِ يَخْبَرُ فى الإحسانِ عن ذلاّتِهِ(٢)
فحيثما أظهرَ فَضْلَ فِعلِهِ نادَتْهُ ما يُرجِعُهُ لِخَجْلِهِ
وعابرٌ على بساطِ ربّهِ يَخْبَرُ عن إحسانِهِ وقُرْبِهِ

---

١ — سامج : أى قبيح .
٢ — فى الأصل (يخبر ذلاته فى الاحسان) .

ليسَ بِمُصْمِتٍ علي الاساءةِ   لأنَّ منهُ كان في إباءةِ
وحاصلُ الأمرِ وفحواهُ إذا   تصوَّرَ(١) الزاهدُ فضلاً نفذا
يَحْتَشِمُ إليه وذَمَّ نفسَهُ   والعارفونَ يشهدون أنْسَهُ
إن أحسنوا أو أذْنَبُوا جميعاً   وفِعْلُهُم هنا غدا مرفوعاً
وقد يكونُ الشخصُ في كليهما   وينقضي أمْرُ الفنا عليهما

❊ ● ❊

١٨٢ — تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، فحيث صار التنوير وصل التعبير .

والحكماء سابقةٌ أنوارُهُمْ   أقوالَهُمْ من أجلِ أنَّ مالَهُمْ
من حكمةِ الله وفتحِ كشفهِ   فَتَنَارَ قلبُ سامعٍ بوَصْفِهِ
فحيثما صارَ لَهُمْ تنويرُ   لسامعٍ قد وَصَلَ التعبيرُ
فناطِقٌ على تمامِ نورِ   يُفِيدُ نوراً ثمَّ في الصدورِ

❊ ● ❊

١٨٣ — كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز .

ومَنْ عن الهوَى نطق ذاك وصَلْ   لقلبِ مَنْ خاطبَهُ كما دَخَلْ
لأنَّ ما يخرجُ من قلبِكَ لا   يَتَبَطَّأُ إلاَّ وكذا قد دخلا
مالم يكن ذاك عن جُحُودِ   لحكمةِ الرسل إلى العنيدِ
ما خرجَ الكلامُ من فؤادِ   إلاّ عليه كسوةُ الفؤادِ
فمعدنُ الأنوارِ بالنورِ بَرَزْ   منه الكلامُ وإلى القلبِ رَكَزْ

---

١ — فى الأصل (نصور الزاهد) .

وغَـيرَهُ تمجّهُ القـلوبُ ناطِقَهُ فى قطعِـهِ مَعِيب(١)

* ● *

١٨٤ — من أذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته ، وجليت اليهم اشـارته .

١٨٥ — ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار ، اذا لم يؤذن لك فيهـا بالاظهـار .

من كان مأذوناً لدى التعبيرِ من صاحبِ الأنوارِ والتنويرِ
تَفَهّمَ من تعبيرِهِ المسامعُ وحصلَ التفهيمُ والمنافعُ(٢)

---

١ — من علامة الكلام الذى يسبقه التنوير هو تأثيره فى القلوب ، فاذا سمعه الغافل تنبه، واذا سمعه العاصى انزجر ، واذا سمعه الطائع زاد نشاطه فى طاعته ، فالكلام صفة المتكلم ، فاذا كان المتكلم ذا تنوير وقـع فى قلوب السامعين ، واذا كان ذا تكدير حد كلامه آذان السامعين ، فكل كلام يبـرز وعليه علامة القلب الذى برز فيه ، وقيل الناس حوانيت مغلقة فاذا تكلمـوا فقد فتحوا ، وقالوا أيضا : الكلام اذا خرج من القلب وقع فى القلب ، واذا خرج من اللسان حده الآذان ، وقد يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب ، وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة .

٢ — الاذن فى التعبير انما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذى أهله الله للتربية ، فاذا رأى على تلميذه اهلية التذكير أذن له فى التعبير ، فاذا عبر اخذ بمجامع القلوب ، فتحسن فى مسامع الخلق عبارته ، ويفهمون اشارته، ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام واعرابه ولا خطأ فى رفعه ونصبه ، وانمـا العـبرة بالمعانى دون القوالب والأوانى ، ذكر ابن عجيبة فى ايقـاظ الهمم ص ٣٢٢ أن بعض النحويين دخل مجلس حسن بن سمعون ليسمع كلامه ، فوجده يلحن ، فانصرف ذاما له ، فبلغ ذلك الحسن ، فكتب له : انك مـن كثرة الاعجاب رضيت بالوقوف دون اللباب ، فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك ، وانك قد تهت بين خفض ورفع ونصب وجزم ، فانقطعت عن المقصود ، هلا رفعت الى الله جميع الحاجات ، وخفضت كـل المنـكرات ، وجزمت عن الشهوات ، ونصبت بين عينيك الممات ، والله يا أخى ما يقـال للعبد : لم لم تكن معربا ؟ وانما يقال له : لم كنت مذنبا ؟ ليس المراد فصاحة المقال ، وانما المراد فصاحة الفعـال ، ولو كان الفضل فى فصاحة اللسان
=

وأجتُليتْ إليهم إشارةٌ يُشيرُها وتُفهمُ العبارةُ
إنّ الولىّ كنزُهُ مشحُونُ ومن حقائقِ الهدى مخزُونُ
إذا أراد النُطقَ كان إذناً من ربّه فالنطقُ يأتى حسَناً
ورُبّما قد برزتْ حقائقُ مكسوفةٌ أنوارُها لا تَشرُقُ(١)
وذاك إذ لم يأذَن الله له بأن يكون مُظهراً ما قالَهُ

١٨٦ — عباراتهم اما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد : فالأول حال السالكين ، والثانى حال أرباب المكنة والمحققين .

وذو عبارةٍ على قسمينِ : فسالكٌ ، وعارفٌ بالعينِ
فسالكٌ من وُجْده يُعَبِّرُ قهراً عليه من أمورٍ تُجْبَرُ
ليس له تمالُكٌ من طربِ أو غيرهِ فى نفسهِ عن سبَبِ
كفيضان وجده مُستغرِقاً فى واقعٍ عليه نوراً أشوقا
وعارفٌ ذو مُكْنَةٍ مُحقّقُ أرادَ بالتعبيرِ حيثُ ينطلقُ(٢)
هدايةَ المريدِ لإحتياجِهِ إثارةً للشوقِ وإبتهاجِهِ

=
لكان سيدنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى ، حيث يقول (وأخى هارون هو فصح منى لسانا) [القصص ٣٤] .
وليس معن ذلك أن جميع المشايخ يلحنون فى اللغة ، بل هنـاك منهم من هو فى قمة البلاغة والفصاحة كالامام الغزالى والقشيرى والشيخ نور الدين البريفكانى مثـلا .
١ — قد يتكلم الانسان بحكم وحقائق ، مع فصاحة وبلاغة لكنها مكسوفة الأنوار مطموسة الأسرار ، ليس فيها حلاوة ، ولا عليها طلاوة ، وسبب ذلك عدم الاذن فيها روى عن الشيخ أبى العباس المرسى قوله : كلام المـأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة ، وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوفة الأنوار ، حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخـر .
٢ — فى الاصل « حيث يطلق » .

إلى سِواهُ مـن معانى المنهجِ حتّى يكونَ راقيًا فى المَعْرَجِ
وأولُ القسمينِ أقوى حيثُ كتمانُ كلِّ أحد مَحْثُوثُ(١)
لأوجهٍ : فرّاً من التلوينِ لدى ظهورِ الضدِّ للتمكينِ
وغيرةٌ على إبتذالِ سِرِّ حقّ
والخوفُ على تشويشِ قلبٍ قد صدَقَ(٢)
السالكونَ أخذوا بالأوّلِ والأخذُ بالثانى مقامُ الكُمّلِ
إذ غلَبَتْ سالكنا أحوالُهُ وليسَ ممّن شوهدتْ أقوالُهُ
وإنّما أهمّهُ بنفسهِ شغلٌ خفيف العُمرِ ذا بعكسه
لكنّما القوى منه فارغُ وإنقطعَ السُلوكُ وهو سابغُ
جُعلتْ أحوالُهُ فى قهرِهِ ينفعُ بالتعبيرِ أهلَ أمرِهِ

❋ ● ❋

١٨٧ — العبارات قوت لعائلة المستمعين ، وليس لك الا ما أنت له آكل

فأذكر عبارات غدَتْ أقواتاً لعائلِ المُستمعينَ حتّى
تفاوتتَ مراتبُ العيالِ فراع كلاً بكلامِ الحالِ
فبعضُهُمْ ينفعهُ الكثيرُ فأذكرْ بكلٍّ ما به التشميرُ
وقوتك الذى لهم فضلته ليس سوى قوتك إذا آكلته

❋ ● ❋

---

١ — محثوث : أى مرغوب .
٢ — (والخوف من تشويش) فى هامش النسخة .

١٨٨ — ربما عبر عن المقـام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل اليه ، وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة .

١٨٩ — لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته ، فان ذلك يقل عملهـا فى قلبه ، ويمنع وجود الصدق مع ربه .

وربمّا عَبّرَ عَن مَقَـامِ ... من لم يكُنْ دواهُ بالتمامِ
بل إنّه مستشرفٌ عليـهِ ... ورُبّما عَبّرَ مَنْ إليـه
أصبحَ واصِلاً وذاك مُلْتَبَسُ ... إلاّ على بصيرةٍ لم تَنْحبِسْ
لا ينبغى التعبيرُ للسالِكِ عن ... شىءٍ من وارداتِهِ لو إفتَطَن
لأنّ ذا يُقِلُ من عَمَلِها ... فى القلبِ بل تكونُ فى مثلِهَا
حديثَ نفسٍ مانعٌ لقلبِهِ ... وجُود صدقِ العبدِ مع ربّه

❊ ● ❊

١٩٠ — لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلائق ، الا أن ترى المعطى فيهـم مولاك ، فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم .

ولا تَمُدَنّ إلى الأخذِ يدَكْ ... من العبادِ أو ترى اللهَ ملك
هو الذى أعطاكَ فيهم دُونَهُمْ ... فإن تكُنْ كذاك لا ممنوعهم
فإعتبرْ العـامَ بفقهِ ورَعِ ... ولا تمـل مخالفاً لشرعِ

❊ ● ❊

١٩١ — ربما استحى العارف أن يرفع حاجته الى مولاه ، لاكتفـائه بمشيئته ، فكيف لا يستحى أن يرفعها الى خليقته .

والعارفونَ ربّما تَمْنَعُهُمْ ... حياؤُهُمْ عن دفعِ حاجةٍ لَهُمْ
للهِ لإكتفـاهُمْ بمشيئةِ ... فكيفَ يسألون عن خليقةِ
وكيفَ لا يمنعهُمْ حيـاءُ ... عن دَفْعِها للغيرِ وهـو داءُ
والاخـذُ والرد متحلا شبهِ ... للنفسِ فيهما اشتباهُ عَمَهِ

اللبـــاب الحادى والعشرون

١٩٢ — اذا التبس عليك أمران ، فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه ، فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا .

وأنظرْ متى يلتبِس الامرانِ ... فى البابِ أو تعارض الوَجْهَانِ
من غيره أثقلَ أمرَينِ علـى ... نفسك فإتْبعْهُ فتَيْلُكَ انْجلى
من واجبٍ ومُسْتَحَبٍّ يشبه ... وما أبيحَ أن يكونَ يكْرَهُ
ولإفــرادٍ عنهما جميعاً ... وصارَ ظنٌّ راجحٌ مرفوعاً
والجمعُ بين الكلِّ كالمُحالِ ... مثل بَرّودٍ(١) وعقُوقِ آلِ
من أبويهِ ولخــلافِ غيره ... يعوق(٢) هــذا كون ذابيره
كالمساويين مِنْ جنــازةٍ ... كلٌّ حضر لحقهِ وحازه
ومثلُ تركٍ لهــدايا أخذُها ... فى حقِّ مَنْ قَبُولُها وردُّها
سيّان والخمولُ بعدَ الجــاهِ ... مآلُــهُ الخوفُ لإشتباهِ
فأثقل الامرَينِ خُذْهُ إنّــه ... حقٌّ بغيرِ مريةٍ تَشْتَبِهُ
والنفسُ تستثقلُ ما كان أحقَّ ... وتأخــذُ الباطلَ والامر سبق
فالنفسُ مجبُولةٌ ضِدٌّ خــيرِ ... مُــدْبِرةٌ مقبــلةٌ بشرِّ
بــلا دليلٍ لهــواها وإذا ... كانَ مع الدليــلِ فالحكمُ كذا
وظهرتْ حكمةُ إيثارٍ فهو ... حــقٌ إذ الأنوارُ قد تَعْضُدُهُ
ذلك مــيزانٌ لــدى الاثارةِ ... إذ تارةً مخطئةٌ وتارةً
مصيبةٌ ما إن لهــا مِنْ نورِ ... تهــدى به لأصلحِ الأمُورِ

---

١ — وبمكن أن يقرأ هذه الكلمة « مثل برور » .
٢ — فى الاصل « يعقد هذا » .

وصاحبُ النفسِ التى تَنَوَّرَتْ يعملُ بالنورِ متى تَعَسَّرَتْ
أدِلَّةُ الشرعِ بأن يَنْبَسِطَ ذا إبانةً على المرومِ فإذا
أظهرَ كالشمسِ بلا تَرَدُّدِ أقْبَلَ أو كالليلِ أدْبَرَ تهتدِ
وههنا قلبُك يُستفتَى وإن(١) أفتوك بالخلافِ خذْ ولاتَهِنْ
أو شئتَ فالميزانُ كالموتِ كما أوْضَحَ ذا الأمرُ بما تقدَّما
فأحضرِ الموتَ وفعْلَ الحاضرِ فالنفسُ خافتْ فيه مِن تجاسُرِ
على خلافِ الحقِّ أخذاً بالهوى ومِنْ علاماتِ إتباعِها الهوى

* ● *

١٩٣ — من علامات اتباع الهوى ، المسارعة على نوافل الخيرات ، والتكاســل عن القيام بالواجبات .

تكاسلٌ فى الواجباتِ عملاً وفعلُها مسرعةً نوافلاً(٢)

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله — صلى اله عليه وسلم — « والاثم ما حاك فى صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس ، وان أفتاك الناس وافتوك » .

٢ — هذا ميزان صحيح يوزن فيه التقوى والصلاح ، لأن من شــأن النفس أن تثقل عليها الواجب لمشاركة الناس لها فيه ، لأن جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فضل على غيرها ، وهى أبدا تحب الخصوصية والبروز ، بخلاف النوافل فان النفس تتوجه اليها وتحب أن تنفرد بها لطلب المدح والثناء والشهرة ، فا لمسارعة الى نوافل الخيرات مع التكاسل عن الفروض والواجبات وكذلك المســارعة الى فضائل الطاعات وترك ما هو أفضل منها من علامة الهــوى واتباع الهــوى يهوى بالانسان الى أسفل السافلين قال تعالي (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله [القصص ٥٠] والأمثلة كثيرة جدا ، كمــا أن الناس الذين يعملون الفضائل ويتركون الأفضل كثيرون جدا ، لكن نترك العموم على حاله ، حتى لا يؤدى الى التشهير بالناس .

١٩٤ — قيد الطاعات بأعيان الاوقات كى لا يمنعك عنها وجود التسويف ، ووسع عليك الوقت ، كى تبقى لك حصة الاختيار .

فلا تؤخرنّ طاعةً عن وقتها وإتِ بها بشَرْطِها ونَعْتِها

واللهُ قدْ قَيَّدَ بالأوقاتِ أعيانَ طاعاتٍ لكلّ آتِ

كيلا يكونَ المنعُ بالتسويفِ منكَ عن الطاعاتِ بالتحريفِ

وَوَسَّعَ الوقْتَ لكي يبقى لكَ في الاختيارِ حصّتهُ ما عدّ اتاكَ

وإنّما أوجبَها عليهم لعلمِهِ بِناقصٍ لديهم

* ● *

١٩٥ — علم قلة نهوض العباد الى معاملته ، فأوجب عليهم وجود طاعته ، فساقهم اليه بسلاسل الايجاب ، عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل .

من قلّةِ النهُوضِ للمعاملةَ لِما بهِمْ من الهوّى مُكاسَلَةُ

فساقَهُمْ إليه بالسَلاسِلِ أوجبَ طاعاتٍ لرغمِ الكاسِلِ

أظهرَ عجباً ربُّنا من قومٍ سِيقُوا لجنّةٍ بِسوءِ نَوْمِ

فساقَهُمْ إليها بالسَلاسِلِ نَبَّهَهُمْ كسلى بنومٍ غافلِ

* ● *

١٩٦ — وجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك ، الا دخول جنته .

وإنّما أوجبَ كونَ خدمتِهِ عليكَ إيجابَ دُخُولِ جنّتِهِ

* ● *

١٩٧ — من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا .

اللهُ قادرٌ لاخراجكَ مِنْ شَهَوْتِكَ التى إليهــ ترتكن(١)

فلا تكُنْ مستغرباً إنْقَـاذَهُ إيَّاك منها واطْلُبَنْ نفاذَهُ

وأن تكونَ خارجاً عن غفلَةِ لعِظَم أسبَابِ دعتْ لعِلَّة

فكلُّ مُسْتَغْرِبِ ذا مُسْتَعْجِزُ قُدْرَةَ مولانا الذى لا يَعجِزُ

واللهُ قال : اللهُ قادرٌ على(٢) مُطْلَقِ شىء باقتدارٍ مثـلاً

إنَّ فُضَيْلاً(٣) وابنَ أدهَمَ نعم(٤)

إبنَ مُبارك(٥) وبِشْراً ذو كرمٍ(٦)

---

١ — اليها ترتكن : أى تميل اليها .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (والله على كل شىء قدير) و (ان الله على كل شىء قدير) ، (وكان الله على كل شىء مقتدرا) .

٣ — هو فضيل بن عياض ، أبو على ، أحد الأقطاب ، ولد بخرسان بكورة أبيورد ، وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تعبد وانتقل الى مكة وجاور بها الى أن توفى سنة ١٨٧ هـ وافرد ابن الجوزى ترجمته بالتأليف . وكان شاطرا ، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وسبب توبته أنه كان يعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يرتقى الجدران اليها ، اذ سمع تاليا يتلو (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) [الحديد ١٦] فقال : بلى والله يارب قد آن فرجع ، فأواه الليل الى خربة ، فاذا فيها رفقة ، فقال بعضهم : نرتحل وقال بعضهم : حتى نصبح فان فضيلا على الطريق فأمنهم وبات معهم ومن كلامه : خمس من علامات الشقاء : القسوة فى القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل . انظر طبقات الاولياء ص ٢٦٦ ، وحلية الاولياء ٨/٨٤ — ١٤٠ — الرسالة القشيرية ص ١١ ، وفيات الأعيان ١/٥٢٥ ، صفة الصفوة ٣/١٣٤ شذرات الذهب ١/٣١٦ ، الكواكب الدرية ١/١٤٨ .

٤ — هو ابراهيم بن أدهم ، أبو اسحاق البلخى ، ولد بمكة ، وطافت به أمه على الخلق ، وسألت الدعاء له أن يكون صالحا فاستجيبت لها ، ويذكر

. . . .

=
أبو نعيم فى الحلية : ان أباه هو الذى طاف به على الخلق ، وترك الامارة ، وما كان فيه ، يقال : انه خرج متصيدا فأرى ثعلبا — أو أرنبا — واذ هو فى طلبه ، هتف به هاتف من قربوس سرجه ، : والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت ، فنزل عن دابته ، وصادف راعيا لأبيه ، فاخذ جبته — وكان من الصوف — فلبسها ، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه ، ثم دخل مكة ثم الشام لطلب الحلال ، وكان يأكل من عمل يده ، صحب بمكة سفيان الثورى ، والفضيل بن عياض ، وتوفى بالجزيرة فى الغزو ، وحمل الى صور سنة ١٦١ هـ
انظر ترجمته فى طبقات الأولياء ص ٥ ، وطبقات السلمى ٢٧ ، وحلية الأولياء ٣٦٧/٧ ، والرسالة القشيرية ص ٩ ، فوات الوفيات ٣/١ ، صفة الصفوة ٤ / ١٢٧ .

٥ — هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مبارك بن واضح المروزى ، كان قد جمع بين العلم والزهد ، تفقه على سفيان الثورى ، والامام مالك ، وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع ، ومن كلامه : تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا ، وكان قد غزا ، فلما انصرف من الغزو وصل الى هيت ، فتوفى بها فى رمضان سنة ١٨٢ — أو ١٨١ هـ وهيت مدينة على الفراة فى العراق .
أنظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٢ ، وتأريخ بغداد ١٠ / ١٥٢ ، وحلية الأولياء ٨ / ١٦٢ .

٦ — هو بشر بن الحارث الحافى ، لقب بذلك لأنه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعا لأحد نعليه ، وكان قد انقطع ، فقال له الاسكاف : ما أكثر كلفتكم على الناس ، فألقى النعل من يده والأخر من رجله ، وحلف لا يلبس نعلا بعدها .
وكنيته أبو النصر ، أحد رجال الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، أصله من مرو ، وسكن بغداد ، صحب الفضيل بن عياض ورأى سريا السقطى وغيره ، وسبب توبته أنه أصاب فى الطريق رقعة فيها اسم الله ، وقد وطئها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية ، فطيبها وجعلها فى شق حائط ، فرأى فى المنام كأن قائلا يقول : يا بشر طيبت اسمى ، لاطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة ، ومن كلامه : لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك ؟ ومناقبه كثيرة توفى عشية الاربعاء ٢٠ ربيع الاول ، وقيل عشر محرم سنة ٢٢٧ هـ وقبره فى بغداد معروف .

انظر طبقات الاولياء ص ١٠٩ ، وحلية الاولياء ٣٣٦/٨ ، والرسالة القشيرية ص ١٤ ، وفيات الاعيان ١١٢/١ ، صفة الصفوة ١٨٣/٢ .

ذا النونِ (١) والشباسِيّ (٢) ثمّ عُتْبَةَ (٣)
ذاذانَ (٤) كُلُّهُمْ أُنيلُوا رُتبةً
بعد تمح (٥) والقضايا ظَهَرَتْ فالجأ إلى اللهِ بنفسٍ كُسِرَتْ

* ● *

---

١ — ذو النون بن ابراهيم المصرى أبو الفيض أحد رجال الحقيقة ، قيل اسمه ثوبان ، وقيل : اسمه الفيض ، وقيل : ذو النون لقبه ، واشتهر بذلك . وكان أحد العلماء الورعين فى وقته وكان نحيفا تعلوه حمرة ، وكان أبوه نوبيا (وهى قبيلة افريقية تسكن فى مصر والسودان) سئل عن سبب توبته ؟ فقال : خرجت من مصر الى بعض القرى ، فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ، ففتحت عينى ، فاذا أنا بقنبرة عمياء ، سقطت من وكرها على الارض ، فانشقت الارض فخرجت منها سكرجتان : واحدة ذهب ، والاخرى فضة ، فى احداهما سمسم ، وفى الاخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا ، وتشرب من هذا ، فقلت حسبى ، قد تبت ، ولزمت الباب الى أن قبلت ، ومن كلامه : سقم الجسد فى الاوجاع ، وسقم القلوب فى الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع ذنبه ، توفى يوم الاثنين سنة ٢٤٥ وقيل ٢٤٦ ، ودفن بالقرافة الصغرى .

انظر طبقات الاولياء ص ٢١٨ ، حلية الاولياء ٣٣١/٩ ، الرسالة القشيرية ص ١٠ ، وفيات الاعيان ١٢٦/١ ، تأريخ بغداد ٣٩٣/٨ .

٢ — تأتى ترجمته قريبا .

٣ — ربما هو عتبة بن أبان الغلام ، وسمى بالغلام لانه كان فى العبادة كأنه غلام رهبان ، لا لصغر سنه ، وكان يعتبر من الصلحاء ، مات شهيدا فى قتال الروم ، ذكره الشعرانى هذا دون أن يشير الى تأريخ وفاته . انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٤٠ .

٤ — لم أعثر له على ترجمة .

٥ — فى الاصل « بعد يمج » .

١٩٨ — ربما وردت الظلم عليك ، ليعرفك قدر ما من به عليك .

عليك ربّما تواردَتْ ظُلَمُ مثلُ المعاصي لِتَرى قدْرَ النِعَم(١)

ومــا بِهِ مَنَّ عليك اللهُ فَعَارِفٌ بِمَنِّهِ كما هــو

❊ ● ❊

١٩٩ — من لم يعرف قدر النعم بوجدانها ، عرفها بوجود فقدانها .

وغيرُ عارفٍ بقدرِ النِعَمِ(٢) عندَ وجُودِها بِدَرْكِ النِقَمِ

يعرفُها أعنى(٢) بتِلك النِقَمِ زَوالَ ما قد حازَهُ من نِعَمِ

لذاك قالوا : نِعَمُ اللهِ غدتْ مَجْهُولَةً إذا أزِيلَتْ شُهِدَتْ

---

١ — ظلم : جمع ظلمة ، وهى الاغيار والاكدار وحب الشهوات ، ربما يورد على الانسان حب الدنيا والشهوات وطول الامل ، ويقع فى سـجن ظلمة المعاصى ، ثم ينقذه الله منها فى ساعة واحدة ، وذلك ليعـرف الانسان قدر ما من الله به عليه ، فيزداد محبة وشكرا ، لان نيل الشىء بعد الطلب الذ وأعز من المســاق بغير تعب ، والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة ، فكذلك تقدم ورود الغفلة على العبد ثم انقاذه منها نعمة لا تقدر .

٢ — ان العبد قد تترادف عليه النعم والعــوافى ، فلا يعرف قدرهــا ، ولا تعظم عنده ، فاذا سلبها وضرب بالبلاء والاوجاع والمصائب ، فحينئذ يعرف قدر العافية ، كما يقال فى المثل : الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى ، ويمكن أن يستعين العبد على معرفة قدر النعم ، بالتفكر فيهــا ، وبالتفكر فى حال نفسه قبل وجودها ، فينظر اذا كان غنيا الى حال فقــره المتقدم ، وينظر اذا كان صحيحا الى حال مرضه ، وينظر اذا كان عالمــا الى حال جهله ، وهكذا كل نعمة بنظر الى وجود ضدها الذى كان موجودا فيه قبل ذلك ، فلا شك أنه يعرف قدرها ، فيشكرها فتدوم عليه . وأما من لم يتفكر فى حال النعم فلا يعرف قدرها ، فيغفل عن شكرها ، فيسلب منها وهو لا بشعر ، فان قلت : كيف أقوم بشكر النعم وهى لا تحصى : يمكن أن يجاب بأن الاعتراف بأن المنعم هو الله قيام بالشكر .

٣ — فى الاصل « أعنى بتيك النقم » .

وعاقٌ مصرَّ فى تأفيفِ والِدِهِ يعرفُ بالحَيفِ(١)
ولَذَّةُ فلا تُصَغِرّ نِعماً تَبُوءُ بالسُوءِ وتُدرِكْ نقماً
وكيف تَدْرى لَذَّةَ الماءِ وما شَفَّتْ لك الأحشاءُ حرّاً وظَماً

** ● **

٢٠٠ — لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك ، فان ذلك مما يحط من وجود قدرك .

٢٠١ — ان تمكن حلاوة الهوى من القلب ، هو الداء الفضال .

ولا تكُنْ ذا دَهَشٍ بالنِعَمِ فلا تكُنْ فاعلَ الشكرِ السمى(٢)
ورُبَّ فرحانٍ بهـا يَنْسَاهُ من فَرَحِهِ بنعم أنساهُ
وُرُودُها عليـه وهو(٣) حَطٌّ من قَدْرِهِ أما سمعتَ قَطُّ

---

١ — فى الاصل « يعرف بالاجيف » .

٢ — قد يتفكر الانسان فى نفسه وما به من النعم ، فيجد نفسه مغموسا فى النعم ، فينظر فى نعمة البصر ، فى نعمة السمع ، فى نعمة الشم ، فى نعمة الذوق ، فى نعمة الكلام ، فى نعمة العقل ، فى نعمة اليدين ، فى نعمة الرجلين ، فى نعمة الأهل والأولاد ، فى نعمة الهداية الى الاسلام ، فى نعمة الايمان بالله ، فى نعمة الطاعة ، فى نعمة العلم ، وغير ذلك من النعم التى لا تحصى كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (ابراهيم ٣٤ — والنحل ١٨) فعندما يتفكر الانسان فى هذه النعم يندهش ، ويحتقر نفسه عن القيام بشكرها ، فأشار الشيخ هنا الى أن الانسان لابد أن لا يندهش ، لأن الاعتراف بهذه النعم ومعرفتها والاقرار بها أنها من الله ، هو شكرها ، وقوله : الحمد لله رب العالمين ، كاف فى شكر اللسان ، قال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) (زمر ٧٣) ثم قال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) (زمر ٧٤) فمادام الحمد لله يعد شكرا على دخول الجنة وهو من أعظم النعم ، فكذلك يعد شكرا على بقية النعم .

٣ — فى الاصل « ودورها عليه وهو خط » .

إنّ تمكّنَ حلاوة الهوى(١) من ال
قلب(٢) هو الداء العُضَالُ فإشْتَغِل

* ● *

٢٠٢ — لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقلق .

بدافعِ الهَوَى كخوف مُزْعِجٍ ... للهِ أو شـــوقٍ له مُعْتلِجٍ
لا يخرجُ الشهوةُ إلاّ بهما(٣) ... فَعج على مُعَانِق معنـــاهما
وذاكَ من بِساطِ قَهرِ الحقِّ ... ووَصْفُهُ يقطعُ وصفَ الخلقِ

* ● *

---

١ — فى الاصل « ان تمكن الحلاوات من ال » .

٢ — حلاوة الهوى قسمان : هوى النفس ، وهوى القلب . هوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية : كحلاوة المأكل والمشرب والملابس والمساكن والنكاح وما شابه ذلك ، وهوى القلب : هو شهواته المعنوية كحب الجـــاه والرئاسة والمدح والكرامات وخوارق العادات ، وهوى النفس يمكن معالجته بالزهد والقناعة وصحبة الاخيار ، أما علاج هوى القلب ، فهو صعب وهو الداء العضال الذى أعضل الاطباء : أى أعجزهم وحبسهم عن علاجه .

٣ — الشهوة اذا تمكنت فى القلب صعب علاجها ، فلا يمكن خروجها الا بخوف مزعج يزعج صاحبه عن شهوته ، ويخرجه عن كل شىء ، أو شوق يقلقه عن جميع مراداته فينسيه كل شىء . ثم الخوف على قسمين : خـــوف العوام : وهو الخوف من العقاب والعذاب ، وخوف الخواص ، وهو الخوف من القطيعة والحجاب . والشوق على قسمين أيضا : شوق العوام ، وهو للحور والقصور ، وشوق الخواص ، وهو للحضور والشهود .

٢٠٣ — كما لا يحب العمل المشترك ، كذلك لا يحب القلب المشــترك ، العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه .

وقلبُكَ المائلُ للغيرِ إشترك ‏ ‏ ‏ فيهِ وربّي لا يحبُ المُشْتَرَكْ(١)

لا يقبلُ الأعمالَ ، والقلبُ فلا ‏ ‏ ‏ إليهِ بالالْطفِ يكونُ مقبلا

* ● *

---

١ — قال — صلى الله عليه وسلم — فى حديث قدسى يقول الله : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى ، تركته وشريكه » والقلب الذى فيه حب شىء سوى الله ملطخ بالهوى لا يليق لحضرة المــولى .

الباب الثانى والعشرون

٢٠٤ — أنوار أذن لها فى الوصول ، وأنوار أذن لها فى الدخول .

إنّ من الانوارِ مأذوناً لَـهُ يَدْخُلُ قلبَ العبدِ إذ أوْصَلَهُ
والبَعْضُ لا يؤذَنُ فى الوصُول بل إنّه المأذونُ فى الدُخُولِ
أشارَ فى الحديثِ(١) للصدرِ إنفسَحْ بالنورِ للواصلِ ذا الأمرُ اتَّضَحْ

* ● *

٢٠٥ — ربما وردت عليك الأنوار ، فوجدت القلب محشوا بصور الاثار ، فارتحلت من حيث نزلت .

فربّما عليكَ وَرَدَتْ أنــوارُ فَوجَدَتْ فى حشوهِ الآثارَ(٢)
قلبَكَ من صورِها فإرْتَحَلَتْ نوازِلُ الأنوارِ حيثُ نَزَلَتْ(٣)

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح » ، قيل : فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للمــوت قبــل نزوله » رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد .

٢ — أى فوجدت الأنوار فى حشو قلبك من صور الآثار فارتحلت « منه » .

٣ — معنى عليك وردت أنوار : أى نزل فى صدرك بأمر الهامى وفتح الهى ، ولكنها لم تجد سبيلا لدخول القلب حتى يتمكن منه لمــا عارضها من شغل المحل بنقيضها ، وهو حشوه بصورة الاثار من جهة النظر اليها مما هو اصل الظلم الثلاثة التى هى : المعاصى ، والشهوات ، والغفلات ، لأن الظلمة تنفى ظهور النور مع وجودها ، كما أنه يذهب بوجودها .

٢٠٦ — فرغ قلبك من الأغيار ، يملأ بالمعارف والأسرار .

تفرغنه مِنْ صَدَى الأغيـارِ   يَمْلأُ بالمعارفِ والأسرارِ (١)

*** ● ***

٢٠٧ — لا تستبطيء منه النوال ، ولكن استبطيء من نفسك وجـود الاقبـال .

فلا تكُنْ مُسْتَبْطِئَ النَوالِ (٢)   منه وكُنْ مستبطئَ الإقبـالِ
من نَفْسِكَ التي تَمَنَّتْ الأدبَ   بابُ الكريم ذو نوالٍ بالأدَبْ

*** ● ***

٢٠٨ — حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، اذ ما من وقت يرد الا وله عليه فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه .

إنّ حقُوقاً هُنّ فى الأوقاتِ (٣)   ثمّ حقوقاً هُـنّ للأوقاتِ

---

١ — تفرغنه : تفريغ القلب : اخلاؤه . الأغيار : جمع غير وهى صور الاثار ، أى كل ما سوى الحق سبحانه . المعارف : علوم الوهب الراجعة لمعانى الاسماء والصفات وتعريف الافعال . الأسرار : الدقائق العرفانية وغيرها من علوم الحقائق . يملأ : أى يملا لك بدله جزاء لتطهيره ، ولانه صار بحيث يصلح لذلك حكمه ، قال بعض الحكماء : لا تطمع أن تصحو وبك عيب ، ولا تطمع أن تجاو وعليك ذنب .

٢ — النوال : العطاء على وجه الكرم والافضال . الاقبال : الرجوع اليه تعالى بنوع من الذل وترك السوى ، وانما أمرت باستبطاء اقبالك دون نواله ، لان نواله لم يمنع عنك من بخل ولا عدم ، ولكن تخلف شرطه الذى اقتضت حكمته تعليقه عليه وهو الاقبال ، ولان استبطاءك لاقبالك حـق عبوديتك واستبطاؤك لنواله حظ نفسك ، ولان طلب النوال بدون الاقبال اتيان للامر من غير بابه ، وتوسل بغير وجود أسبابه .

٣ — الحقوق التى فى الاوقات : هى أنواع العبادات من الصلاة والصيام وغيرهما اذا فاتك شيء منهما يمكن قضاؤه بعد فوات وقته . الحقـوق المتعلقة بالاوقات ملزومة بها وجودا وعدما فهى لا تنفك عنها ، ولذلك لا يمكن قضاؤها =

فما ألْقِيَ فيها قَضَاؤُها رُجِى   لسعةِ الوقتِ وفَسْحِ المَنْهَجِ
لكنَّ مالَهَا عـدِمُ القَضَا   لأنَّه مبـاينٌ قـد مَضَى
الوقتُ أربعٌ ولاخامسَ له :   فنعمةٌ ، بليَّـةٌ مُفصَّـلَة
وطاعةٌ ، معصيّةٌ ، وللحق   عليكَ فى جميعِ تلكَ مِنْ حَقِ
من العبوديّة منهم يُقْتَضَى   له الرُبوبيَّةُ فاسْمعْ ما مَضَى
فحقُّهُ فى نعمةٍ شُكرانُها   وفى بليّـةٍ فمـا إتيانُها
صَبْرُكَ والرِضا ، وحقُّ الطاعةِ   شُهُودُ منّه على إستطاعةِ
وحق مولاكَ لدى المعصيّةِ   توبةُ قلبٍ نادِمٍ ومُخْبِتِ(١)
ليس عليك واردٌ من وَقْتٍ   إلاّ ولله بـذاك الوَقْتِ
عليك حقٌ لازمٌ جـديدٌ   يَعْقُبُه أمـرٌ لَهُ أكيـدُ
فكيفَ تقضِى فيه حقَّ غـيرِهِ   وأنت لم تَقْضِى حقوقَ أمْرِهِ
سبحانَهُ فيهِ على ما سبَقَ   فأقْبِلْ على اللهِ بوجهٍ طَلَقَا
وأفْرُقْ من الجديدِ ذا الاكيدَ   فالشكرْ مِثْلُنا بِهِ الجديدُ
والصدقاتُ للأكيدِ هـكذا   مَثَلٌ لمـا قَدَّمْتُهُ فنفـذا
ثمّ تأمَّل أجْدَرَ التأمّلِ   ولا تمل لدَغْدَغِ المُجادِلِ

❊ ● ❊

=

قال فى لطائف المنن ص ١٩٤ أحوال العبد أربعة لا خامس لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية . فإن كنت بالنعمه فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار . وروى أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال « من أعطى فشكر ، وأبتلى فصبر ، وظلم فغفر ، وأذنب فاستغفر » ثم سكت عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : ما له يا رسول الله ؟ قال « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

١ — مخبت : أى خاشع .

٢٠٩ — ما فات من عمرك لا عوض له ، وما حصل لك منه لا قيمة له .

وإحْذَرْ مِن الغَفْلَةِ إن كنت فتى وكلّ مافاتَ من العُمْرِ متى
تنالُ حقّهُ ولا عوض لَهَ(١) فأذْكُرْ وما يحصلُ لاقيمةَ لَه
من ذلك العُمْرِ العزيزِ فاعتبر بعارفِ الاشياءِ فأتِ وإستَشر

✻ ● ✻

٢١٠ — ما احببت شيئا الا كنت له عبدا ، وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا .

فإجعلْ فُؤادكَ في هَواه صابره إنّ الهَوى لغيرِهِ مُغَادَرَه
وأنت عبدٌ للذى أحْببتَهُ(٢) ذلك قولُ أنت ما حَسبتَهُ

١ — عمر المؤمن هو رأس ماله ، وفيه ربحه وخسرانه ، فمن شديده عليه فهو من الفائزين ، ومن ضيعه في البطالة والتقصير كان من الخاسرين ، فما فات منه في غير طاعة ربه لا عوض له ، اذ ما ذهب لا يرجع ابدا ، لأجل ذلك كان السلف الصالح اشتدت محافظتهم على الأوقات ، وبذلوا مجهودهم فى اغتنام الساعات ، ولم يقنعوا من أنفسهم الا بالجد والتشمير ، ولم يسمحوا لها فى الراحه والبطالة ، قال — صلى الله عليه وسلم — « لا تأتى على العبد ساعه لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة يوم القيامة » وقال الشيخ جنيد — رضى الله عنه — : الوقت اذا فات لا يستدرك ، وليس شيء أعز من الوقت ، وفى المثل : الوقت كالسيف اذا لم تقطعه قطعك .

٢ — القلب اذا أحب شيئا أقبل اليه وخضع له ، وأطاعه فى كل ما يأمره . وحقيقة العبودية : الخضوع والطاعة ، وليس للقلب الا وجهة واحدة ، وليس للانسان الا قلب واحد ، قال تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) [الأحزاب ٤] واذا كان للقلب وجهة واحدة ، فمهما أقبل بها على مولاه أعرض عما سواه وكان عبدا له حقيقة ، واذا أقبل على هواه أعرض عن مولاه وكان عبدا لسواه ، والله تعالى لا يرضى لعبده أن يكون عبدا لغيره ، قال تعالى فى ذم أتباع الهوى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) [الجاثية ٢٣] وقال — عليه الصلاة والسلام — « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة تعس وانتكس » .

واللهُ يأبى أن تكونَ عبـداً لغيرِه وهو النعيمَ أسدى

* ● *

٢١١ — لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك ، وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك .

٢١٢ — لا يزيد فى عزه اقبال من أقبل عليه ، ولا ينقص من قدره ادبار من أدبر عنـه .

وأنت لا تَنفعُهُ بطاعتك ولا تضرُهُ معَاصى ذلّتك

فأمرُهُ إيّاكَ بالطاعةِ مِن(٣) إفضالِه والنهىُ عن ذا فإفتطِن

فانّهُ الغنى عن عبـادِهِ فدارِه عـلى مدَى مُرادِهِ

كيفَ يزيدُ عِزَّهُ إقبَالُ من أحدٍ عليه أو أعمَالُ

أمْ كيفَ ذو نقْصٍ له العزَّ بما أدبَرَ عنهُ خلْقُهُ منصَرِماً

* ● *

---

١ — الله سبحانه وتعالى غنى عن كل شىء ، بل كل شىء مفتقر اليه ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، بل العاصى يكون مقهورا بمعصيته ، ولا يكون قاهرا له بمخالفة أمره حيث يقول تعالى (وهو القاهر فوق عباده) [الأنعام ١٨ و ٦١] .

فانما أمر العبد بالطاعة ليقربه منه ، وانما نهاهم عن المعاصى لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرته ، ولما فيه من سوء الأدب ، وان الله لا يزيد فى عزه اقبال من أقبل عليه ، لأن عزته أزلية قديمة فلا تكون متوقفة على حادث ، كما لا ينتقص من عزه ادبار من أدبر عنه لأنه غنى عن العالمين كما جاء فى الحديث القدسى « لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا » الحديث .

البـــاب الثالث والعشرون

٢١٣ — وصولك الى الله وصولك الى العلم به ، والا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء .

وُصُولُنَا للهِ عِلْمُنَا بِهِ ... بالقلبِ عِرفاناً لفتح بابِهِ
مَعْرِفَةُ القريبِ بالصفاتِ ... حاشاهُ أن نعرفَهُ بالذاتِ(١)
وبالصفاتِ غيرُ ما نفهمه ... وأقربُ الأحوالِ ما نَعْلَمُهُ
بأنّه ليس لـه شَبيهٌ ... هو الذى من حَقّهِ التَنْزِيهُ
أولا فجلَّ ربُنَا أن يتّصِلْ ... بِهِ من الاشياءِ ذا لا يحتمل
أو هو بالشئِ ومنه القرب ... منك إذا بثّ عليك الغيب

●

٢١٤ — قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، والا فمن أين أنت ووجود قربـــه .

كونُكَ شاهداً لقربِ الربِّ ... منك فذا قُرْبُكَ حالَ القُرْبِ

---

١ — الوصول الى الله عند أهل التصوف : هو تحقيق العلم بوجوده وحده ، فوصول الانسان اليه تعالى ، هو شعوره بعدمه حتى يكون عدمه عنده ضروريا ، وعلمه بوجوده تعالى كذلك ، وهذا الأمر حاصل للانسان فى نفسه لكنه لم يشعر به ، قال بعض المشايخ : الناس كلهم يشاهدون ، ولا يعرفون ، فوصول العبد الى الله : هو تحقيق العلم بوجوده ، والغيبة عن نفسه ، وعن كل ما سواه ، وليس معناه الوصول الحسى ، فان الله سبحانه أعظم من أن يتصل به شيء ، لانه يلزم من ذلك تحيزه ، أو أنه تعالى يتصل بشيء لأنه يلزم منه افتقاره الى الحيز وحصره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أولا أنىّ أين وجُودُ قُربِهِ (١) وأنت حاشاهُ بعيدُ حُجبِهِ

معيةُ اللهِ لعبدٍ نَصْرُهُ ثمّ كَلاءَةٌ وذَاكَ أمرُهُ

فَرْدهُ الجنيدُ فحذر ههنا مزلّةُ الاقدامِ واللهُ لنا

* ● *

٢١٥ — الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة ، وبعد الوعى يكون البيان ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه .

ثمّ وصولُ العبدِ والقُربِ هما مَجْرى حقائِقِ الامورِ فاعلما

بأنّهـا واردةٌ مُجْمَلَةٌ حالَ التجلّى إذ أتت مُنَزّلَةَ (٢)

---

١ — اذا علمت أن الأكوان ثابتة باثباته تعالى . علمت : أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها ، وأن الحق تعالى كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان ، بقى كذلك ولا أين ولا زمان ، نور أحديته محا وجود الأكوان ، فانتفى وجود الزمان والمكان ، ولم يبق الا الواحد المنان ، فاذا علمت هذا علمت أنه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء ، لكن حكمته تعالى أثبتت الحادث والقديم ، فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده ، فأبصر الحق محيطا به ، ومن طمس الله عين بصيرته لم ير الا وجوده ولم يدرك الا بعده من ربه ، فاذا أراد الله أن يقربه اليه فتح شعاع بصيرته ، فيبصر الحق قريبا منه ومحيطا به .

فمعنى قرب الانسان من الله : أن يكون مشاهدا لقربه منه قرب وجود واحاطة ، قال تعالى (واذا قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) [الاسراء ٦٠] وقال (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) [الطلاق ١٢] . وليس معناه ثبوت قربه الحسى ، لأنه من أين للانسان قربه الحسى من نور اللطيف ، كما قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — « نور أنى أراه » فالقرب الحسى مستحيل ، لاستحالة المسافة على الله ، ونفى مناسبة العبد له تعالى .

٢ — الحقائق : هى ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف ، فتارة تكون علوما ، وتارة تكون حكما ، وتارة تكون كشفا . وحكمة ذلك أن الروح اذا تخلصت وصفيت من علائق المحسوسات ، كان غالب ما يتجلى فيها حقا ، وأن هذه الحقائق قد ترد فى حال التجلى مجملة فيقيدها الانسان كما هى : ثم يتفكر فيها فيبين معناها ، فبعد الوعى وهو الحفظ يكون

=

وبعدَ وعى القلبِ تُستَبَانُ أى بعدَ ما إستقرتْ البيانُ
فألفُ معنى ظهوتْ من حِكمةٍ واحدةٍ ومنهُ آلفُ حِكمةٍ
تلَقِّ ذاك وإتَّبِعْ قُرْآنَهُ(١) إنّ علينا آيةً بيانَهُ

*** ● ***

٢١٦ — متى وردت الواردات الالهية عليك ، هدمت العوائد عليك ، ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها .

وحكمَةُ الإجمالِ فى التلَقّى حالَ التجلّى إن وَعَيْتَ نُطْقى
أخذُ ورودِ الواردات قلبك وهدمُ عاداتك(٢) إنّ رَبَّكَ

=
البيان ثم ذكر آية الوحى ، لأن الوحى على أربعة أقسام : وحى الهام ، ووحى منام ، ووحى اعلام ، ووحى أحكام ، فشارك الانبياء الاولياء فى ثلاثة ، وانفرد الانبياء بوحى الاحكام ، ووحى الاحكام فلا ننسى ، بخلاف وحى الالهام ، فلذلك ينبغى للولى أن يقيد تلك الواردات قريبا ، ومع أن المشايخ يعتبرون كشوفاتهم وحيا الهاميا أو اعلاميا أو مناميا ، فانه ان عارض الشرع فلا يعتبر ، فقد روى عن الشيخ جنيد البغدادى قوله : ان النكتة لتقع فى قلبى من جهة الكشف فلا أقبلها الا بشاهدى عدل : الكتاب ، والسنة ، روى عن الشاذلى قوله : اذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة ، فاعمل بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : ان الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة .

١ — اشارة الى قوله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) القيامة ١٨ و ١٩ .

٢ — الوارد الالهى : هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله فى قلب العبد ، وقد ننشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال ، فتزعجه تلك القوة الى النهوض الى مولاه ، فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه ، ويرحل الى معرفة ربه ورضاه ، وقد تترادف عليه أنوار تلك المحبة والشوق ، فتغيبه عن حسه بالكلية ، وهو الجذب ، فمتى وردت الواردات الالهية على قلب أحد هدمت عاداته وأفسدتها ، فيكون رئاسته تواضعا ، وكلامه صمتا ، وغناه فقرا ، ولذيذ طعامه خشنا ، وهكذا شأن الورود الالهى يخرب العوائد ويهدمها ، فهو كملك جبار ذى جيش جرار دخل قرية أو مدينة فأفسد بناءها وغير عوائدها ، قال تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) [النمل ٣٤] .

يُورِدُهـا ليغلب التجلّي ويَمْلِكَ الكلَّ من التدلّي
إن القلوبَ كالقُوى تَقلبُها إذا أتتْ ملوكها تَغلبُها(١)
ذلك معنًى أفسدُوها ههنا فصُغِّرَ الخلقِ كبيرٌ بالفنا

* ● *

٢١٧ — الوارد يأتى من حضرة قهار ، لأجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

مِنْ حَضْرةِ القهّارِ وارداتٌ مِنْ مَلِكِ القلوبِ وارداتٌ
وَهِنَّ شيءٌ فى القلوبِ أسبغه وهو إذا صادَمَ شيئاً دمغه(٢)
سواءٌ الجميلُ والقبيحُ فيذهبُ المُجمَلُ والصريحُ
يقول : بَلْ نَقذُفُ بالحقِّ على الـْ
باطلِ(٣) ، فالباطلُ فيه مُضمَحلْ
ذلك معنى زاهقٌ يَدمَغُه بحُليةِ الواردِ إذْ يَصبغُه

* ● *

١ — اشارة الى قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الاية [النحل ٣٤] .

٢ — انما كان الوارد الذى يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قويا شديدا ، لأنه يأتى من حضرة القهار ليدمغ بقهريته كل ما وجد فى النفس أو القلب من الأغيار ، فقد شبه ما سوى الله بحيوان له دماغ ، فاذا ضرب دماغه وتشتت مات ، كذلك الباطل اذا صادمه الحق أهلكه وتشتت دماغه ، فالوارد الالهى محض حق ، فاذا صادم الباطل دمغه وقتله ، فيكشف بعد ذلك لمن يرد عليه الوارد عن أسرار خارجة عن مدارك العقول غير مدركة بعبارة النقول .

٣ — سورة الانبياء الاية ١٨ .

٢١٨ — كيف يحتجب الحق بشىء ، والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر .

وأعظمُ الباطلِ فَهْمُ حُجُبِ ... لِلهِ شمسٌ حُجْبُهُ فى شُهُبٍ(١)
بالشىءِ كيفَ رَبُّنا يُحْتَجَبُ ... وكلَّ شىءٍ مظهرٌ مُنْتَسَبُ
إليهِ من حيثُ الإلهُ ظاهرُ ... فى ذلكَ الشىءِ وفيه حاضر

* ● *

٢١٩ — لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل ، ما لم تدرك ثمرته عاجلا .

لا تيأسَنَّ من قَبُولِ عملٍ(٢) ... تَنْفَقِدُ الحضورُ فيــه فالولىّ
قد يجدُ اللهَ لذاك قابــلا ... وقدْ نَفى أثمار ذاك عاجــلاً

---

١ — ان الحق تعالى ليس محجوبا بشىء ولا يصح أن تحجب بشىء ، اذ لو احتجب بشىء وجودى لكان ذلك من أثر قدرته ، وقدرته لا تفارق ذاته ، فالصفة لا تفارق الموصوف ، وأن كل ما يبرز من عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فائضا متدفقا من بحر جبروته ، ولو تصورنا احتجابه بشىء عدمى ، فيكون مستحيلا أيضا ، لأنه كيف يحجب الموجود بالمعدوم ، وسبق تفصيل واف فى هذا الموضوع .

٢ — قد تقدم قوله : من وجد ثمرة العمل عاجلا فهو دليل على وجــود القبول ، ولا يقتضى المفهوم أنه ان لم يجد ثمرته فليس بمقبول ، بل مسكوت عنه ، فان توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة ، ان صحبه الاخلاص والتقوى والاتقان ، فهو مقبول عند الله ان شاء الله سواء وجد ثمرته عاجلا أم لا ، قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) [المائدة ٢٧] فان كنت متقيا لله فى ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ، ومخلصا لله فى أعمالك ، ثم لم تجد حلاوة العمل ، ولا حضور القلب فيه ، ولم تجد ثمرته من أحوال الواجدين ، فلا تيأس من قبوله عند الله ، فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطا فى قبول العمل ، انما هى علامة ، والعلامة لا يلزم طردها ، بل يجب عليك أن تدوم عليه حتى تجد ثمرته ، فمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

٢٢٠ — لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الأمطار ، وانما المراد منها وجود الثمار .

وربّما ودّ مُعَجّلَ الثمَرْ ... فلا تُزَكّينّ وارداً حَضَرَ(١)
ولا تُعَظّمنّ أنواراً إذا ... لم تَكُ في الخدمةِ عبداً لائذاً
فما مرادُ سُحُبِ الأمطارِ ... إلاّ وجودُ خالِصِ الأثمارِ
كعُلُوِّ هِمّةٍ وحُسْنِ خدمةٍ ... وحِفْظِ حرمةٍ وشكرِ نعمهٍ

* ● *

٢٢١ — لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها ، فلك في الله غنى عن كل شيء ، وليس يغنيك عنه شيء .

لاتَطْلُبَنّ بَقَاءَ وارداتِ ... ذلك جهلٌ وانتقاصٌ آتِ
وإن تكُنْ أنوارُها مُنْبَسِطَةَ ... وأُودِعَتْ أسرارُها مُلْتَقَطَةَ
إذْ الصفاءُ لايدومُ وقتُهُ ... مستأنسٌ به غُرورٌ نَعْتُهُ
وأحْمَقٌ أمرؤٌ بذاك يُخْدَعُ ... بل الوفا مِن وقتِهِ التَجَرُّعُ
والأُنسُ بالواردِ نقص ظاهرُ ... والأنسُ باللهِ كمالٌ باهرُ
منها الغنى باللهِ لإمرئٍ عن الْـ ... أشياءِ كُلاًّ في غناهُ مُضْمَحِلْ

---

١ — ثمره الوارد : هى هدم العوائد ، واكتساب الفوائد ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، فاذا ورد عليك وارد ولم يترك فيك هذه الخصال فلا تزكه ، واتهم نفسك فيه لئلا يكون شيطانيا ، لانه ليس المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته ، انما المراد منه ثمرته ، فهو كسحابة الأمطار ، فليس المراد منها وجود الأمطار ، وانما المراد ما ينشأ عنها من وجود الاثمار .

فاللهُ يُغْنِيكَ إذا وحّدتَهُ حُبًّا وأنْساً كافياً وجَدْتَه
وليس يُغْنِيكَ عن الله إذا أعرَضْتَ عنه كُلّ أمرٍ(١) نَفِذ
ومن علاماتِ إكتفاءِ العبدِ باللهِ فى ثلاثةٍ فإسْتَبِدْ :
منها الرِضا عنه مع إهتمام بأمرِه فانظر إلى كَلامِ
وعدمُ إلتفاتِهِ لغيرِهِ مُنْتَظِرٌ إلى جَليلَ قَهْرِهِ

●

٢٢٢ — تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له ، واستحياشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به .

دليلُ عدمِ الوُجُودِ منك لَهُ سبحانَهُ وعدمِ الوَصْلِ مَعَهُ
تَطَلُّعٌ منك إلى بقاءِ ما دُونَهُ من سائِرِ الأشياءِ
وعدمُ الوَصْلَةِ منك ناشٍ(٢) مِنْ فَقْدِ ما سِواهُ باستِحاشِ

●

---

١ — فى الاصل (الكل أمر) .

٢ — ناش ، فأصله ناشىء ، لكن حذفت الهمزة لوزن الشعر .

البـــاب الرابع والعشرون

٢٢٣ — النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم .

ولا نرَى مع الحبيبِ وَحشَةً ۞ ولا مع غيرِ الحبيبِ راحةً
مظاهرُ النعيمِ إن تَنَوَّعَتْ ۞ ولَذَّةُ الطاعاتِ إذ تجمَّعتْ
من إقترابِ الحقِّ في شُهُودِهِ ۞ كما العذابُ كان من صُدُودِهِ
وإن تَنَوَّعَتْ لــه المظاهرُ ۞ فباحتجابِ العبدِ عنه صائرُ
فسَبَبُ العذابِ من حجَابِه ۞ وسَبَبُ النعيمِ بإقتـــرابِهِ
ونظرٍ لوجْهِـــهِ الـــكريمِ ۞ ولا تَرَى سِواه مِنْ نَعيمِ

* ● *

٢٢٤ — ما تجده القلوب من الهموم والأحزان ، فلأجل ما منعته من وجود العيـــان .

وتشهدُ القـــلوبُ من(١) أحزانٍ ۞ لِمَنْعِها من نَظَرِ العيـــانِ (٢)
فلو رأتْ مَعْبودَهَا في هَمِّها ۞ شاهَدَتْ النعيمَ عندَ غَمِّها

* ● *

---

١ — في الاصل (من اخوان) .

٢ — قال العارفون : سبب الهموم ، هو فقدان الشهود ، لأن الله تعالى قريب على الدوام ، رقيب على كل شيء ، فمـــن كان قريبـــــا من الحبيب فكيف يحس بفراق شيء أو فواته ؟ وأيضا فان كل ما ينزل من عند الحبيب فهـــو حبيب ، فلا تلحقه شيء مكروه عنده حتى يهتم به ، كما قال صاحب العينية :

تلذ لي الآلام اذ كنت مسقمي ۞ وان تختبرني فهو عندي صنائع

فمن كان عبدا لله غائبا عما سواه لم يبق له شيء من الهم ، لأنه قد حصلت له المعية التي توجب النصر والظفر بكل ما يريد (أليس الله بكاف عبـــده) [الزمر ٣٦] وقال تعـــالى (فسيكفيكهم الله وهو الســـــميع العـــليم) [البقرة ١٣٧] .

٢٢٥ — من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك .

لا يَحْزُنَنَّكَ إفتقارُ الأيدى فمن تَمامِ نِعْمَةِ ذى الإيدى(١)
عَلَيْكَ أن يرزقكَ الذى كفى ويَمْنَعَ الذى لشرٍّ أشْرَفَ
مُشوِّشاً مُسْتَكبِراً ومُطْغِياً مُسْتَثْقِلا القلبَ بتعبٍ مُولِياً

※ ● ※

١٢٦ — ليقل ما تفرح به ، يقل ما تحزن عليه .

أقِلَّ رِبَّكَ الذى تَفْرَحُ بِهِ من أثَرِ النِعمَةِ إن كنتَ نَبِه
لِكى يَقِلَّ ما عليه تَحزَنُ بحسب الفَرَحِ يكونُ الحُزْنُ(٢)
فَغَمُّ دُنياكَ لعُقباكَ فَرَحْ إلاَّ إذا كنتَ لها فتىً جَنَح

---

١ — من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته اليه ، ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائنا ما كان ، فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله ، اذ لا نعمة أعظم من الغنى بالله ، ويكفيه ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه ، فاذا رزقك الله تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلا ولباسا ومسكنا ، ولقيام روحانيتك علما وعملا وذوقا ومعرفة ، ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك ، فقد أنم نعمته عليك ، فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وقال — عليه الصلاة والسلام — « ليس الغنى بكثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس » ، وفى الحقيقة ان كثيرا من الناس ليسوا مالكين لأموالهم بل مملوكين لهـــا .

٢ — قال بعض العارفين : اذا أردت أن يدوم سرورك فلا تملك شيئا تحزن على فقده ، لأن حزنك على فقده دليل محبتك له ، فاذا اقتصرت على الضرورة والحاجه من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك ، فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه ، قيل لبعضهم : لم لا تغتم ؟ قال : لأننى لا أقتنى ما يغمنى فقده .

وحسبنا في قِصَّـةِ الفَيرُوزج(١)

مِنْ قَدَحٍ لبعضِ ذى الملك جى(٢)

فقال : ما تَرَى لبعضِ الحُكَمَا هذا فقال : الله أصبحْتَ مَغرَماً

مُصيبةٌ من بعدها فَقْرٌ طَفِقْ مصيبة بالكسر ذاك إن سُرق

✻ ● ✻

٢٢٧ — ان أردت ألا تعزل ، فلا تتولى ولاية لا تدوم لك .

٢٢٨ — ان رغبتك البدايات ، زهدتك النهايات ، ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن .

فإن أردتَ أن تكونَ نائلا عندَ التولِّى لا ترى مُنْعَزِلاً(٣)

لا تَتَوَلَّ بالوِلايةِ التى دوامُها عليك غيرُ ثابتِ

---

١ — هى قصة أوردها كثير من الكتب وهى : يحكى أنه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظيرا ، ففرح به الملك فرحا شديدا . فقال لبعض الحكماء عنده : كيف نرى هذا ؟ فقال : أراه مصيبة وفقرا ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال : ان انكسر كان مصيبة لا صبر لها ، وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر ، فاتفق أن انكسر القدح ، فعظمت مصيبة الملك به ، فقال : صدق الحكيم ليته لم يحمل الينـا .

٢ — فى الاصل « ذى الملكة جى » و (جى) أصله جىء حذفت الهمزة لوزن الشعر .

٣ — الولاية التى لا تدوم هى الولاية التى نأتى من جهة الدنيا كولاية المال أو القضاء أو السلطنة ، أو العلم اذا كان خاليا عن العمل ، وغير ذلك من رئاسة الدنيا ، فانها تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر . والولاية التى تدوم ، هى العز بالله والغنى به والمعرفة له ، فلاشك أن هذه الولاية لا تنقطع ، وشرفها لا ينفد وعزها لا يفنى .

فكنْ على بصيـرةِ البدايـةِ بكلّ ما تلقاهُ فى النهايـةِ (١)
دَعَاكَ للدنْيـا بظاهـرٍ كما نَهَـاكَ عنها باطناً فادْرِهِما
ظاهـرُها العِـزّةُ للمُـدّعِى باطِنُها العِبْرةُ للمهتـدى (٢)

* ● *

٢٢٩ — انما جعلها محلا للأغيار ، ومعدنا لوجود الأكدار ، تزهيدا لك فيها .

٢٣٠ — علم أنك لا تقبل النصح المجرد ، فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها .

٢٣١ — العلم النافع ، هو ينبسط فى الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه .

صَيّرها المحلّ للأغيـارِ ومَوْطِناً للهَمّ والأكـدارَ

---

١ — الولاية التى لا تدوم كعز بمال أو جاه أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها ، وآخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان فان رغبتك فى هذه الولاية الفانية حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها ، فان غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها ، وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء : شبهها بالماء المالح يغرق ولا يرى ، كذلك الدنيا تغرق صاحبها وهو عطشان منها ، وشبهها بظل الغمام يغر ويخذل ، وهو الذى يغطى بعض المواضع ، فاذا أشرقت الشمس تقشع عنه ، وشبهها بالبرق الخاطف فى سرعة الذهاب والاضطراب ، وبسحابة الصيف تضر ولا تنفع ، وبزهر الربيع يغر بزهوته ثم يصفر فتراه هشيما ، وبأحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيئا الا الحسرة ، وبالعسل المشوب بالسم .

٢ — فى الاصل « باطنها العبرة للمهدى » .

لِحِكْمَةٍ منه لنا تَزْهِيداً   فى هذه الدُّنيا فكُنْ رشيداً(١)

فطعمُها المُرُّ لذا أذاقَها   مُعَظِّماً فيها لكَ افْتِراقَها

ويَسْهُلُ الفِراقَ عِلْمٌ يَنْفَعُ (٢)

ذلكَ علم فى الصُّدورِ يَقَعُ

شُعاعُه مُنْبَسِطاً قِناعُه   منكشفاً قَلْبَكَ ذا شعاعُه

وليس علم فى غِلافِ قَلْبِه   بِنافِعٍ لا واصِلٍ لِرَبِّه

* ● *

٢٣٢ — خير العلم ما كانت الخشية معه .

٢٣٣ — العلم ان قارنته الخشية فلك ، والا فعليك .

وخيرُ علمٍ ما تكونُ الخَشْيَةُ   تَصْحَبُهُ وغيرُه المضَرَّةُ

---

١ — انما وسم الله الدنيا بهذه الاوصاف ، من كونها محلا للأغيار والاحزان ، ومعدنا لوجود الأكدار والفتن ، تزهيدا لنا فيها حتى لا نقبل عليها بالكلية ، أو لنعرض عنها ونقبل على الآخرة ، وأيضا لو بسطت لنا الدنيا ربما كرهنا لقاء الله فيكره الله لقاءنا ، وفى الحديث « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

٢ — قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد القول ، فلا يزهدوا فى الدنيا بمجرد سماع الوعظ ، اذ كثير من أهل العلم والفهم يسمعون القرآن يحذرهم من غرور الدنيا ، وهم غائبون عن ذلك التذكير ، مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير ، فلما أراد سبحانه أن يصطفى لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم ، وشدد عليهم البلاء والمحن ، كل ذلك عناية بهم ، ليذوقوا مرارة باطنها فلا يغتروا بحلاوة زخرف ظاهرها . وكذلك يسهل على الانسان الزهد فى الدنيا العلم النافع ، وهو علم القلوب ، ومرجعه الى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل ، فشعاع العلم الذى ينبسط فى الصدر : هو ثلج اليقين ، وبرد الرضى والتسليم ، وحلاوة الايمان ومواجيد العرفان . والقناع الذى ينكشف به عن القلب : هو الغفلة ، فاذا انكشفت الغفلة عن القلب انبسط فيه شعاع العلم ، لأن العلم بالله نور فى القلب ، وينبعث منه شعاع ينبسط فى الصدر فيكسبه الزهد فى الدنيا ، فاذا زهد فى الدنيا اتسع صدره باليقين .

إن قارنته خشية أصبح لك
أولا فقد كان عليك لا لك (١)

لخشية الله علامات ومن ذلك إقبال وإدبار فتن
قلبك فيهما يبالى بهما من احد ام لا يبالى بهما

* ● *

٢٣٤ — متى آلمك عدم اقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم اليك ، فارجع الى علم الله فيك ، فان كان لا يقنعك علمه ، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .

فالقلب إن آلمه الذم فقد علمت أنه إلى الشر إستند
أو عدم الإقبال من إنسان(٢) فارجع لعلم الله فى بطان

---

١ — العلم الذى تصحبه الخشية من الله يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها ، ويزهده فى كل ما يشغل عن العمل به ، ويرغبه فى كل ما يقربه الى ربه ، فيكون عونا على الوصول الى معرفة الله والقرب من ساحة رضاه قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر ٢٨] فان لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه ، لانه حينئذ حجة عليه لا له ، لان المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل ، قال فى لطائف المنن ص ٦١ : فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ، أما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا ، والتملق لأربابها ... فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء ، وهل ينتقل الشىء الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كانت بها عند الموروث عنه ، ومثل هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضىء على غيرها وهى تحرق نفسها .

٢ — اذا سلط الله على عبد من عباده الناس لتختبره هل هو غنى بالله أم لا ؟ فأدبر الناس عنه أو ذموه ، ثم توجع ذلك العبد من ادبار الناس عليه أو ذمهم اياه ، فعليه أن يرجع الى علم الله فيه واطلاعه عليه اذ لا يخفى عليه شىء من أمر العبد ، فان كان متصفا بالوصف الذى ذموه به ، فعليه أن يستفيد من ذمهم اياه ويعتبره نصيحة ، ويتوب من تلك الصفة ويتركها ، وان لم يكن موصوفا بتلك الصفة التى ذموه بها ، أو كان موصوفا بها ولكن كانت صفة مرغوبة =

من أنَّ فيكَ مثلَ ماذُمو به وارجِعْ إليهِ تائباً من ذَنْبِهِ
وارجِعْ إلى الإخلاصِ لمّا هَجَرُوا
وحَسْبُكَ اللهُ الذى يَنْتَصِرُ
واقْنَعْ بعلمِ اللهِ فيك فإذا لم تَكُ قانِعاً به ولائِذاً
أصْبَحَ ما أصَبْتَ فى ذاك أشدّ مما أصبْتَ من أذاهُمْ ولقد

* ● *

٢٣٥ — انما أجرى الأذى على أيديهم ، كى لا تكون ساكنا اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شىء ، حتى لا يشغلك عنه شىء .

أجْرى عليكَ اللهُ من أيديهِمْ كيلا تكونَ ساكِناً إليهِم(١)

=
عند الله ، كرهها الناس لعاداتهم الفاسدة . مليرجع الى علم الله ، فان كفاه ذلك ، وقنع به وأنس بذكره وشهوده ، واستوى عنده ذم الناس ومدحه واقبالهم وادبارهم ، فبها ونعمت ، فان لم يقنع بعلم الله ورضاه ولم يكتف بنظره ، وتأسف على ادبار الناس عنه أو تألم من أذاهم ، فمصيبته بضعف ايمانه وذهاب يقينه أشد من مصيبة ذم الناس وادبارهم عنه ، لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه ، وسقوطه من عين محبته ، روى عن أحمد بن أبى الحوارى قوله : من أحب أن يعرف بشىء من الخير أو يذكر به فقد أشرك مع الله فى عبادته ، لأن من عمل على المحبة لا يجب أن يرى عمله غير محبوبه .

١ — الروح اذا سكنت الى هذا العالم السفلى وأحبت ما فيه ، نعذر نقلها الى عالم الملكوت الذى هو عالم الروحانى ، لما ألفته من حب الأهل والأولاد والمال والجاه ، فمن حكمة الله تعالى ولطفه بوليه أن يحرك عليه ما ركنت اليه نفسه وألفته روحه ، كلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند الله ، قال فى لطائف المنن ص ٢١٥ : اعلم أن أولياء الله حكمهم فى بدايانهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا ، وتتكمل فيهم المزايا ، وكيلا يساكنوا الخلق باعتماد ، أو يميلوا اليهم باستناد ، ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ، ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ، ولذلك قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له » رواه أبو داود والنسائى ، كل ذلك لتخلص القلب من
=

فَـدَعْهُـمْ معتمداً عليـه ‏ ‏ ‏ ‏ وواقِفـاً منكسراً إليـه
مؤذيك منهم لك فى إعتاقِ ‏ ‏ ‏ ‏ ومحسنٌ إليـك بإسترقاق
أتَرْتَضى بالـرقِ فى إحسانِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ فلا تَمِلْ اليـه فى امْتِنَانِهِ(١)
واللهُ قد أرادَ ازْعاجَكَ من(٢) ‏ ‏ ‏ ‏ شئٍ إليه كى تكونَ مَنْ رُكَنِ
عنه الى اللهَ لكيلا(٣) يُشْغِلَكْ ‏ ‏ ‏ ‏ فاقطع من الأكوانِ كُلاًّ أمَلَكْ
لذلك المقصدِ آذاك بِهِمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وأزعجَ الفؤادَ عن أجْمَعِهِمْ

※ ● ※

٢٣٦ — اذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك ، فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيـده .

٢٣٧ — جعله لك عدوا ليحوشك به اليه ، وحرك عليك النفس ، ليدوم اقبالك عليـه .

وسَلَّطَ الشيطانَ فى العبـادِ ‏ ‏ ‏ ‏ ليَلْجَئوا للهِ بإستنادِ
إذا عَلِمْتَ أنَّهُ المُسَوِّلُ(٤) ‏ ‏ ‏ ‏ عليك لا تكُنْ بقلب تَغفُلُ

=
احسان الخلق ، ويتعلق بالملك الحق . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم ، فان خيرهم يصيبك فى قلبك ، وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير لك من أن تصاب فى قلبك .

١ — فى الاصل « فى امتناعه » .
٢ — فى الاصل « ارعاجك » .
٣ — فى الاصل « بكيلا يشغلك » .
٤ — ان الله تعالى كما سلط على أوليائه فى بداية الأمر الناس كذلك سلط علبهم الشيطان ، بحيث اذا غفل العابد عن ذكر الله وسوس ، واذا ذكر الله انخنس ، فاذا علمت هذا فلا تغفل أنت عمن ناصيتك وناصيته بيده ، وهو الخالق
=

فَمَنْ نواصِيكَ بإيديهِ فهو مُنجِيكَ عنْ مُسَوّلٍ لا يَفقَهُ
ذلك بالذى عَلَيكَ واجِباً فاهرَبْ الى اللهِ تعالى هرباً
وانّما صَيّرَهُ عَدُوّنا انحاشَنا بهِ إليهِ بإعتنَاء
وحَرّكَ النفسَ عليك ماذا حتى تكونَ مُقبِلا مُلتاذا
عليه فى الدوام عن فِرار وحَسبك الفرارُ للقَهّار

=
تعالى ، فاذا اشتغلت بذكر الله رده عنك وكفاك أمره ، قال تعالى (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) [النساء ٧٦] وقال (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) [فاطر ٦] قال الشيخ زروق : وانما يندفع الشيطان بالتوكل والايمان ، قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) [النحل ٩٩] فايجاد الشيطان له حكم : ١ — انحياش عباده اليه تعالى ، لأن العبد الضعيف اذا رأى عدوا يطلبه هرب الى سيده . ٢ — قيام الحجة على عباده ، فاذا خالفوا أمره ، قال لهم : اتبعتم عدوى وعصيتم أمرى . ٣ — كونه منديلا للعار تمسح فيه أوساخ الأقذار ، وكذلك النفس والدنيا . ٤ — ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته .
وكذلك حرك الله النفس على الانسان ليدوم اقباله وتوجهه اليه ، لأن النفس تهــوى بالانسان دائما الى أرض الشهوات فهى قاطع من قواطع طرق الوصول الى الله ، والنفس أصعب من الشيطان ، لانه عدو متصل بالانسان ، والعدو المتصل محاربته أصعب من العدو المنفصل .

البـــاب الخامس والعشرون

٢٣٨ — من أثبت لنفسه تواضعا ، فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة ، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت متكبر .

٢٣٩ — ليس المتواضع : الذى اذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع : الذى اذا تواضع رأى أنه دون ما صنع .

مَنْ هو مُثْبِت له تواضُعاً ‏ ‏ فإنَّه مستكبر ترفعاً(١)

فالوضعُ منه مُشْعِرٌ برفعةٍ ‏ ‏ فهو تواضعٍ على الكبر فتى

فلَفْظُهُ لوضعه منافى ‏ ‏ لكنَّ من أصبحَ فيه صافى

إذ لا يرى لنفسه إذا صنَعْ ‏ ‏ قدراً لدى تواضعٍ كما وضَعْ

أن يكون شاهداً لنفسه ‏ ‏ كمال نقص لا بموت عكسه

وانظرْ لما حققه الشبلىُّ (٢) ‏ ‏ فيما هو التواضُعُ الجلىُّ

---

١ — تواضع يتواضع وزنه تفاعل : وتفاعل جاء لعدة معان منها : جاء ليدل على أن الفاعل أظهر أن أصله حاصل له وهو منتف عنه نحو تغافل : أى أظهر فى نفسه الغفلة ... فتفاعل على هذا لابهامك الأمر على من تخالطه ، وترى من نفسك ما ليس فيك منه شيء أصلا . رضى ١٠٢/١ ، وعلى هذا فان اثبات التواضع يقتضى وجود الرفعة لا محالة ، اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفى عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى الاثبات من العبد ، لأنه ثابت فى نفسه ، فالتواضع الذى أثبته العبد لنفسه لا ينفى عنه وجود التكبر بالضرورة ، وأيضا فان لفظ التواضع تؤذن بذلك لانه من تفاعل كما ذكرنا ، وأن المتواضع الحقيقى ، هو الذى لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره ما يمنعه من ذلك وهو الذى يعتقد بأنه يستحق أن يجلس فى أسفل المجلس .

٢ — قال الشبلى : من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . قرة العين ١٩٦/٢ . وهو دلف بن جحدر ، وقيل ابن جعفر : أبو بكر الشبلى ، نسبة الى قرية من قرى اسروشنه ، من بلاد ما وراء النهر ، خراسانى الأصل ، والبغدادى المولد والمنشأ ، مالكى المذهب ، صحب الشيخ جنيد وطبقته ، ومجاهدته فى أمره متواترة ، يقال : انه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ، =

فقال : مَنْ رأى لَهُ من قيمة   فنفسهُ فى الكبر مُستقيمة

وأنظرْ لقول الأعظم البسطامى(١)

ما دُمتَ ناظراً إلى الأنام

ثم رأيت منك شراً فيهمْ   فأنت فى تكبُّر عاليهمْ

فالنفسُ ذاتُ خسةٍ فى أصلها   فوضْعُها مَوْضعها من جهلها

* ● *

=

ولا يأخذه النوم ، وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المكرم ، واذا دخل رمضان جد فى الطاعات ، ويقول : هذا شهر عظمه ربى ، فانا أولى بتعظيمه ، حج على قدم التجريد ، وتوفى ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ ، توجد ترجمته فى طبقات الاولياء ص ٢٠٤ ، حلية الاولياء ٣٦٦/١٠ ، صفة الصفوة ٢٥٨/٢ ، الرسالة القشيرية ص ٣٣ ، طبقات الشعرانى ١٢١/١ ، وفيات الأعيان ٢٢٥/١ ، تأريخ بغداد ٣٨٩/١٤ ، مرآة الجنان ٣١٧/٢ ، الكامل ٣٥٠/٨ ، البداية والنهاية ٢١٥/١١ ، المنتظم ٣٤٧/٦ .

١ ـ اشارة الى قول أبى يزيد البسطامى : مادام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، قيل له : فمتى يكون متواضعا ؟ قال : اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا . قرة العين ١٩٦/٢ .

وأبويزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامى ، وهو من الأعلام ، كان جده مجوسيا وأسلم ، وهم ثلاث اخوة : آدم ، وطيفور ، وعلى . وكلهم زهاد عباد ، وأبو يزيد أجلهم حالا ، توفى سنة ٢٦١ ، وقيل ٢٦٤ وقيل ٢٩١ هـ ودفن بوصيته تحت قدم شيخه الأجل المشهور بالكردى ، لكن اشتهرت مزاراته فى مواضع عديدة وقد اشتهر بالزهد والصلاح .

توجد ترجمته فى طبقات الاولياء ص ٣٩٨ ، وحلية الاولياء : ٣٣/١٠ ، طبقات الشعرانى : ٨٩/١ ، الرسالة القشيرية ص ١٧ ، صفة الصفوة : ٨٩/٤ ، مرآة الجنان : ١٧٣/٢ ، البداية والنهاية : ٣٥/١١ ، النجوم الزاهرة : ٣٥/٣ . شرح سلسلة الذهب : مخطوط .

٢٤٠ — التواضع الحقيقى : هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته .

٢٤١ — لا يخرجك عن الوصف ، الا شهود الوصف .

أنَّ تواضعاً بشيئين كسب	ككوننا لذلّتنا أن تنتسب(١)
وأن ترى أوصاف ربّنا كما	يليقُ بالحقّ تعالى إنّما
حقيقة التّواضع الحقيقىّ	ما كان ناشئاً عن التحقيق
أعنى شهود الله فى عظمته	ثم تجلّى وصْفه فى صفته
إذا رأى جلال وصف ربنا	شاهد أوصاف العباد بالفنا
وجاء فى عوارف المعارف(٢) :	لن يبلغ العبد إلى الوضع الصفى
حتّى يكون شاهداً مشاهدةً	بها تذُوبُ النّفسُ عن معاندة

ولن تكون خارجاً عن وصْفك (٣)
إلاّ إذا شهدت وصْف ربك

●

---

١ — ان التواضع الحقيقى يكون بشيئين : أحدهما : أن يعرف الانسان صفة نفسه من الفقر والحاجة والضعف ، ويعرف صفة ربه من العز والغنى والقدرة والقوة .

الثانى : شهود عظمة الله تعالى ، وتجلى صفاته ، هو الذى يوجب للعبد وجود التواضع ، لأن ذلك هو الذى يخمد النفس ويذيبها ويبطل منيتها ، فما تجلى الله لشىء الا خضع له ، فلا تنقلع من القلب شجرة التكبر الا به .

٢ — جاء فى عوارف المعارف الباب الثلاثون ، فى تفصيل أخلاق الصوفية ص ٢٢٣ : واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس ، وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها ، وسكون وهجها وغبارها .

٣ — لا يخرج الانسان عن الوصف الدنيى النفسانى الا شهود وصف العلى الربانى المقابل له ، ومن شهد عظمة الله ذهبت عظمة نفسه ، ومن شهد حقارة نفسه ذهب وجودها من نظره .

٢٤٢ — المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا .

وكاملُ الإيمـــان بالثنا على(١) مولاهُ كان دائماً مشــتغلا
وغائب عن نفسـه بحسِّـه عن أن يكون شاكراً لنفسه
تشـغلُه لربِّه الحقــوقُ من أجل ما تمَّ له التحقيق
عن أن يكون ذاكراً حظوظَه وليس صارفاً لها لحوظه
فما صفاته ســوى نقصانِ فكلُّ فضلٍ فمن الرحمن
فكيف ذاك شاكر لنفسـه من بعد ما حققه من نجسه

* ● *

٢٤٣ — ليس المحب : الذى يرجــو من محبوبه عوضا ، أو يطلب منه غرضا ، فان المحب : من يبذل لك ، ليس المحب : من تبذل له .

ومؤمن بربِّه يحبُّـه (٢) وليس عن محبوبه يحجبه(٣)

---

١ — المؤمن الكامل الذى جرى فى أحواله على حـكم ايمانه الذى من مقتضياته معرفته أن ما به من نعمة فمن الله ، وأنه تعالى جميل الوصف ، كامل الذات بكل اعتبار ، وذلك يقتضى للعبد استغراقه فى الثناء عليه ، وعدم التفرغ لسواه ، وكذلك لا يمكنه الكبر لعدم شعوره بنفسه ، وكذا لا يمكنه الغفلة لعدم فراغه من حقوق مولاه ، وذلك كله نتيجة ظهور صفة الجلال والجمال فى أفق القلب المعتبر لوجود الحب النافى لكل حظ ولحظ .

٢ — المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يبقى منه شىء ، وطلب الاعواض والاغراض هى أعيان الحظوظ ، لان الاول تجارة والثانى مؤاجرة ، فمقام المحبة يقتضى بذل كل شىء للمحبوب دون استيفاء ولا تعريج ، وبحسب هذا فالطلب حق المحبوب لا شأن المحب ، لان المحبوب سلطان العز والجمال ، وللمحب ذل التعظيم والاجلال ، فكما لا يرتفع جمال المحبوب عن ذاته ، كذلك لا يندفع ذل المحب عن ذاته ، قال أبو محمد رويم — رضى الله عنه — : من أحب العوض نغص العوض اليه محبوبه ، وأيضا فطالب العوض انما هو بائع يريد أن يعطى لينال ، والمحب مقتول فى محبة سيده ، لا يعرج على سوى مرضاته ،
=

شیء ولا يرجو على الحب من الـ ... محبوب شيئاً إنه عين العلل
وكيف ذاك يَطلبَنَّــه عوضُ

وكيف يَرْجوهُ على الحبِّ غَرَض : ء

إذ الجمــالُ آخــذ لقلبه ... عن كلِّ ما بَقيَّة لحبِّه :

يَبنى الحبَّ على الجــور فلو ... أنصف المحبوبُ فيه لَسَمَح

ليس يُسْتَحْسَنُ فى حكم الهوى ... عاشق يطلبُ تأليف الجمح (١)

وفيه أنشدوا أيضــا :

إسْمَحْ بنفسكَ إن أردتَ لقانا ... وإحلف بنا أن لا تحبّ سوانا

فاذا قضيتَ حُقوقَنَا يا مُدَّعِى ... عاينتنــا بينَ الأنامِ عَيَانا(٢)

* ● *

إذ المحب مَنْ يكونُ باذِلَكَ ... وليس مَنْ تَبْذُلُه وأمْلَاك

إذ الحبيبُ رُوحُنا فِــداهُ ... فَبَعْدَ ذاك ما الذى تَراهُ

والحبُّ ناشِیءٌ من السُّــلوكِ ... فى عقباتِ النفسِ بالنُّسوكِ

* ● *

=
وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى — رضى الله عنه — : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منه شیء .

٣ — فى الاصل « وليس عن محبوبه يحبه » .

١ — البيتان موجودان فى ايقاظ الهمم ص ٤٠٨ دون نسبة الى أحد .
وفى الاصل « أنصف المحبوب فيه لسمج
عاشــق يطلب تأليف الحجج »

٢ — وجدت البيتين فى قرة العين ٢٠٣/٢ دون نسبة الى أحــد ، بل قال : وفى معنى ذلك قيل .

٢٤٤ — لولا ميادين النفوس ، ما تحقق سير السائرين ، اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك .

لولا مَيادينُ النفوسِ (١) مَاغدا   تَحقُّق السائِرِ حين إجتهد

مَدارُهُنَّ طلبُ الحُظُوظِ   بِغَفْلَةٍ ورِفْعَةِ الغَليظِ

ثمّ إتباعُ الوهم حيثُ نالَه   حقيقةً ثمّ الدعاوى شالَهُ

---

١ — ميادين النفوس : مجالاتها التى تتردد فيها ، وهى ثلاثة فى الجملة ، من زالت منه شاهد الحقيقة : ١ — عوارض الأوهام ، منها تنبعث الغفلات ، ويضعف اليقين . ٢ — عوارض البشرية ، منها تنبعث الشهوات والمعاصى المتعلقة بالحظوظ ، فيقع التقصير فى الحقوق . ٣ عوارض اللحوظ ومنشؤها من الغفلة عن الأسباب المذكرة بالخلق والموت والحشر والحساب حتى تسترسل النفس فى العادات .

فالسير فى الموقف الأول بتحقيق مقام التقوى الذى أوله ترك المحرمات ثم ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس .

والسير فى الموقف الثانى بتحقيق مقام الاستقامة الذى أوله ملازمة ظاهر السنة ، وآخره شهود المنة فى كل وارد وصادر .

والسير فى الموقف الثالث بتحقيق المشاهدة وتمكين المعرفة الى حد يسرى نورها فى كلية العبد من قلبه وقالبه .

وبالجملة فالسير والسلوك انما هو لقطع غفلات النفس ، اذ لولاها ما تحقق سير ولا سلوك لانتفاء مجالها بين العبد وربه حيث لا مسافة بين العبد وربه ، لا حسية ولا معنوية ولا قطعية : أمـا المسافة الحسية ، فلانها تؤذن بالمشابهة وهى محال فى وصفه تعالى حيث قال تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (الشـورى ١١) أما المعنوية فانتفاؤها من جهة عموم تصرفه فيك القاضى بوجوده منك ، لعدم غناك عنه ، وجريان قدرته عليك .

أما القطعية فلانه لا قطيعة بين الانسان وربه : أى لا حاجز ، فليس هناك شىء بمنع وصـول الانسان الى ربه الا نفسـه وهواه ، فالله أقرب الى الانسان من نفسـه قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما تسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) (ق ١٦) .

الناس فى السير والسلوك ثلاثة : الأول : العابد والزاهد وطريقه النظر للحقوق جلبا أو دفعا . الثانى : المريد والسالك ، وطريقه النظر فى الاخلاق كمالا ونقصا . الثالث : العارف المحقق ، وطريقه النظر فى الحقائق نفيا واثباتا ، وبساطه رفع الهمـة .

عن غَفْلَةٍ تقواهُ باستقامَةِ والوهْمُ صبرٌ تابعُ السلامةِ
وعن دَعاويهِ هو التَّحقُّقُ تَعْقُبُهُ مَعْرِفَةٌ تَسْتَغْرِقُ
فهذه ثلاثُ عَقَبَاتِ كل له سَيْرٌ خُصوصٌ آتِ
فالسَّيرُ فى الأولى فبالحذارِ والخوْفِ والإشفاقِ عن قهّارِ
ذا يَنتُجُ الورَعُ مع التَّحفُّظِ عن أثرِ الأيدى أو التَّلَفُّظِ
وفى التى تتلو بالأغباشِ (١) للهِ والفرارِ وإستيحاشِ
وفى التى ثَلَّثُ فباستبصارِ والعِلْمِ ذاك مُنتِجُ الأنوار
وينتفى التَّغْليظُ بالتَّحقيقِ والحفظِ فى الوسعةِ والتَّضييق
إذا فَهِمْتَ ما قَصَصْنَاهُ فلا مسافَةَ بينك أنْ تُمَثِّل
وبَيْنَهُ حتَّى تكونَ طاوياً بِرحلةِ المسْعَى إليه ساعياً
ولا هناكَ مثلُ(٢) ذاك قَطْعَةُ لمحوها(٣) تُوجَدُ منك وَصْلَةُ
فكيفَ وصلُ من له شَبِيهُ بِمَنْ به لا يَثْبُتُ التَّشْبيهُ
وأعظمُ السُّلوكِ أن تكونَ(٤) فى همَّةٍ بالله مُسْتَعيناً

* ● *

٢٤٥ — جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ، وأنك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته .

وانظرْ إلى صُنْعِ الحكيمِ جَعَلَكَ فى عالمٍ وسطٍ بين ما ملَكَ

---

١ — الأغباش : جمع الغبش : وهو شدة الظلمة ، وقيل : هو بقية الظلمة ، وقيل : ظلمة آخر الليل ، وقال مالك : غبش وغلس وغبس واحد .
٢ — أى مثل عدم وجود المسافة « منه » .
٣ — أى عند محو تلك القطعة « منه » .
٤ — فى الأصل (أن تكون نا) .

أى بين مُلْكٍ ثمّ ملكُوتِه وبين جبرٍ ثم جَبَرُوتِه(١)
وإنّمـا اللهُ كذاك جَعلكَ تَعْليمِه إيّاكَ حيثُ أهلّكَ
حتّى ترى جـلالةً لِقَدْرِكَ من بين مخلوقاته بأمْرِكَ
وإنّكَ الجوهرةُ التى طَوَتْ عليك أصْدافُ البرايا وحَوَتْ
فحيثما اختْارَكَ فاختره لكى ترى لكَ السلطانَ فوقَ كلِّ شى

❊ ● ❊

٢٤٦ — انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك .

٢٤٧ — الكائن فى الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ، ومحصـور فى هيكل ذاته .

وَسَعَكَ الكونُ بجثما نيّتك لا واسعاً من حيثُ رَوْحانيّتك

---

١ — قد عظم الله تعالى الانسان ، وجعله نخبة الأكوان ، اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره ،فيه ملك وملكوت ، ونور وظلمة ، وغيب وشهادة ، وعالم علوى وسفلى ، وقدرة وحكمة ، وحس ومعنى ، فقد جعلك الله أيها الانسان : ناشئا فى العالم المتوسط ، بين ملكه : وهـو بشريتك ، وملكوته وهو روحانيتك ، فقد قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) (الاسراء ٧٠) وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (التين ٤) ، انما خلقك هكذا ليعلمك أنك جوهرة نفيسة مصونة فى صدف نفيس ، وهو الكون بأسره ، فتطوى عليك أصداف مكوناته من عرشه الى فرشه ، فأنت أيها الانسان ياقوتة فى صدف ، الأرض تقلك ، والسماء تظلك ، والجهات تكتنفك ، والحيوانات تخدمك ، وأنت فى وسط الجميع ، فاذا عرفت منزلتك بين مخلوقات الله ، وحرمتك عند ربك ، فتهيأ لحمل المسؤلية ، وتحمل الأمانة ، وادارة الخلافة ، فانك المرشح لعمارة الأرض ، وعبادة الرب ، واصلاح الكون .

من كان في الكَوْنِ ولم يُفْتَحْ له (١) ، ،
من ميادين(٢) غُيُوبٍ إفَلهُ
إحاطةُ الأكوانِ مسجوناً بها أحصِرْ في هَيْكلِ ذاتِ حُجْبِها

●

٢٤٨ — أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون ، فاذا شهدته كانت الأكوان معك .

أنت مع الأكوانِ لا تَشهَدُهُ (٣) أعني مكوناً ولو تَقصِدُهُ

---

١ — الروح اذا تصفت وتطهرت من كدورات الحس عرجت الى عالم الجبروت ، فلم يحجبها عن الله شيء ، فلذلك فان الكون يسع الانسان ويحصره من حيث جثمانيته ، وبشريته وهيكله المحصور ، ولم يسعه من حيث ثبوت روحانيته ، لأن روحه متصلة بعالم الجبروت المحيط ، فلما نكثفت وانحصرت في هذا الهيكل لزمتها القهرية فانحجبت بالحكمة ، وقيدت بالقدرة ، فمادامت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوائد فهي محجوبة ، فاذا تلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس ، رجعت الى أصلها ، فانصلت ببحرها ، فصار الملكوت والملك في طي قبضتها ، فلم يحصرها شيء ، وفي الحديث القدسي « يقول الله تعالى : لم تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن » فالجبروت : هو المعاني اللطيفة التي لم تدخل عالم التكوين . والملكوت : ما دخل عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه بأصله ، فمادام العبد مسجونا بالكون محصورا في بشريته ، فهو سجن الأكوان ، فان نفذت بصيرته وعرجت روحه الى الملكوت خرج من السجن الى الفضاء . وميادين الغيب : هي ما أدركته الروح حين خرجت من ضيق الاشباح الى عالم الارواح ، فمادام العبد محصورا في الهيكل مسجونا في الأكوان ، فهو محجوب عن الله .

٢ — في الاصل « من المعادين غيوب » .

٣ — مادام العبد مقيدا في سجن الأكوان ومحصورا في هيكل جسمه ، فالأكوان حاكمة عليه ، فهو يحبها ويعشقها ، وهي تبعده عن ربه ، وهو يفتقر اليها وهي غنية عنه ، فاذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها ، كانت حينئذ هي خادمته وهو حاكم عليها ، وهي تحبه وتعشقه ، وهو مشغول بحب خالقها ، وهي تفتقر اليه ، وهو غني عنها ، وهي تحرص عليه ، وهو زاهد فيها .

وكانت الأكوانُ فى الدهر مَعَك إذا شهدتَ اللهَ فافتح مَسْمَعَك

* ● *

٢٤٩ — لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم البشرية ، انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الأفق وليست منه ، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك ، فالنهار ليس منك واليك ، ولكنه وارد عليك .

إذا الخصُوصيَّةُ لامرىءٍ صفَتْ فالبَشَرِيَّاتُ بذاكَ ما انْتَفَتْ

لكنّما التخصيصُ قد غَطّاها(١) فالعَرَضِىُّ عنــه ما نحّاها

١ — المراد بوصف البشرية : ما جعله الله محتاجا اليه بحكمته فى قوام بدن الانسان من أكل وشرب ولباس ومسكن ، وما فطره عليه من شهوة مباحة كنكاح ، فهــذه الأوصاف لا ينافى وجودها وجود الخصوصية ، قال تعــالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) (الفرقان ٢٠) وقال تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) (الرعد ٣٨) .

فاذا تقرر هذا علمت أنه لا يلزم من ثبوت الخصوصية : وهى الولاية والمعرفة عدم وصف البشرية ، فالخصوصية محلها البواطن ، ووصف البشرية محلها الظواهر ، لذلك اختفت الأولياء والأنبياء عن الناس لظهور أوصاف البشرية عليهم ، فكيف تعرف رجلا يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وينام ويتزوج النساء ، فلا يعرفهم الا من أراد الله سعادته ، وما وقع الانكار على الانبياء والأولياء الا لاعتقاد المنكرين أن أوصاف البشرية تنافى ثبوت الخصوصية ، قال تعالى (وقالوا ما لهــذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) (الفرقان ٧) فهذه الأوصاف التى ذكرناها لا ينفك عنها الطبع البشرى ، وهى موجودة مع خصوصية النبوة والولاية ، وأما الأوصاف التى هى المذمومة : كالحســد والكبر والبغض ، والعجب والرياء ، وما شابهها ، فهذه لابد من التطهير منها ، لأن الانبياء معصومون من النقائص ، والأولياء محفوظون بحفظ الله ، ولكن قــد يصدر منهم على سبيل الهفوة والزلة .

وقد مثلوا نور الخصوصية بنور الشمس ، كما أن نور الشمس اذا أشرق على الآفاق ، وهو الفضاء الذى بين السماء والأرض ، فان الفضاء قبل ظهور

إذ الخصوصيّةُ أمْر عارِضُ والبشَريّاتُ أصول تمحَضُ

أيدفعُ الذاتىُّ ذاك العرَض ؟ ومَثّلوا ذلك يا فتَى نَهَض

تِلكْ مثالُ الشمسِ فى إشْراقِها مِنْ وسط النّهارِ فى آفاقها

وليستْ الأفقُ من الشمسِ نَعَمْ

أشرقت الشمسُ فلَمْ تبْقَ الظُّلَمْ

فتارةً أوصافُه مُشْرقةٌ فظُلْمَةُ الليل بها زاهِقَةٌ

وتارةً يَقْبُضُ عنك ذلك فصرت مردُوداً إلى حُدودِك

ليسَ إليك منك ذا النهار لكنّه أوْردهُ القهّارُ

عليك فانظرْ ما أتى الخواصُ(١) قطبُ الأنام ما هو اختِصاصُ

أتتْ إليه أسدُ فما عبَا بها مِن الليل مُطيلا طرَبا

وخَشيةُ الله إلى الصباح وفى الصباح قام فى صياح

=

الشمس مظلم ليس فيه نور ، فاذا أشرق عليه الشمس ، صار نورا صافيا ، فنورانيته ليست من ذاته ، وانما هى من الشمس ، كذلك نور الربوبية فانه مستودع فى باطن البشرية ، فاذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده أشرق ذلك النور على ظاهر بشريته ، فتستولى روحانيته على بشريته ، فلا يبقى للبشرية أثر .

وكذلك مثلوا بمثال آخر ، وهو الحديد والفحمة اذا جعلتهما فى النار ونفخت عليهما ، فانهما يصيران من جنس النار ، وتكسو النار الحديد كله والفحمة كلها فاذا بردا رجع الحديد حديدا والفحمة فحمة ، وكذلك البشرية اذا استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانية معنوية .

١ — الخواص المشهور : هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل من كبار المشايخ ، وقد اشتهر بالزهد والتوكل وكثرة الأسفار وله كتب ومصنفات ، وكان من أقران الشيخ جنيد البغدادى ، ومن كلامه : دواء القلب خمسة : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

توفى بالرى سنة ٢٩١ هـ . انظر تاريخ بغداد ٧/٦ ، طبقات الأولياء ص ١٦ ، طبقات الشعرانى ١١٣/١ ، حلية الأولياء ٣٢٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٣٢/٣ .

من أثر البق فما سئل   قال : وجدت بارحاً تدللاً
مناجياً ما كان لى وجود (١)   وليلتى فيها أنا المردود :
إذا كنا به تهنا دلالاً   على كل الحرائر والعبيد
وإن كنا بنا عدنا إلينا   فعطل ذلنا ذل اليهود

* ● *

٢٥٠ — دل بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، بثبوت أوصافه على وجود ذاته ، اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه ، فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم الى شهود صفاته ، ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم الى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا — فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ، فربما التقيا فى الطريق ، هذا فى ترقيه ، وهذا فى تدليه .

مَنْ لَمْ يَكُنْ أعْمَى رأى الله أحد
ومن رآه فى البريّات وجد
آثارَهُ دَلّتْ على أسْمائِه (٢)   مختلفاتِ الحكم فى أشيائِه

---

١ — هذا الكلام ورد فى جامع كرامات الأوليـاء ١ ص ٣٨٩ هكذا : عن حامد الأسـود قال : كنت مع ابراهيم الخواص فى البرية ، فبتنا عند شجرة ، وجاء السبع فصعدت الشجرة الى الصباح لا يأخذنى النوم ، ونام ابراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه الى قدمه ثم مضى ، فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجـد فى قرية ، فوقعت بقة على وجهه فضربته ، فأن أنة ، فقلت : هـذا عجب ، البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البق فقال : أما البارحة فتلك حالةكنت فيها بالله عز وجل ، وأما الليلة فهذه حالـة أنا فيها بنفسى .

٢ — وجود الأثر يدل على وجود القادر المريد العليم ، فالقادر يدل على قيام القدرة به بحيث لا تفارقه ، اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ، فاذا كان الأثر يدل على وجود القادر على الأثر ، والقادر ، يدل على قيام القدرة به ،
=

أسماؤه دلت على صفاته ... وهى على وجود حق ذاته
فالوصف يستحيل أن يقوم ... بنفسه فتحط به معلوما
وهكذا أرباب جذب يكشف ... عن الذات كما هى تعرف
ثم يردهم إلى صفاته ... طوعاً وكرهاً فيه بالتفاته
ثم الى تعلق الاسماء ... ثم الى شهود ذى ابتداء
آثاره والسالكون عكسوا ... ذلك فى سلوكهم ما أسسوا
فأهل جذبة لهم بداية ... ما لذوى السلوك من نهاية
وذو السلوك ما له نهاية ... ما لذى الجذبة من بداية
ذلك لكن لا بمعنى واحد ... بل كل فرد آخذ بمقصد
وربما على الطريق التقيا ... تخالفا فيها كما تساويا

=
فيلزم من وجود الأثر وجود المؤثر ، وهنا افترق أهل الظاهر من أهل الباطن ، فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الأثر وجود الأسماء والصفات ، ولم يقدروا على شهود الذات ، وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الأغيار ، فتح الله عين بصيرتهم واطلعوا على مكنون سره ، فافردوا الحق بالوجود .

كما ان عباد الله المخصوصين بسر الخصوصية فى سيرهم على قسمين : منهم من يبدأ بالجذب ثم يرد الى السلوك ، ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدركه الجذب ثم يصحو ، فأرباب الجذب يكشف لهم أولا من غير مجاهدة عن شهود الذات ، فيسكر بشهود نورها ، فينكر الواسطة أصلا ، ثم يرد من شهود الذات الى شهود الصفات ، فلا يرى الا صفات الحق تكثفت وظهرت وينكر الأثر ، ثم اذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة لها ، يرجع الى شهود آثاره ، فيقوم بأحكام عبوديته .

والسالكون على عكس هذا ، فيستدلون بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على وجود صفاته ، وبوجود صفاته على وجود ذاته ، فنهاية السالكين وهى شهود الذات ، بداية المجذوبين ، ونهاية المجذوبين وهى شهود الأثر بداية السالكين ، ولكن ليس بمعنى واحد ، بل أحدهما نازل يشهد الأشياء بالله والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه لله ، وقد يلتقيان فى الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء مثلا ، هذا فى ترقيه وهذا تدليه .

ذا فى تَدَلِّيه لقىَ صاحبهُ   ذا فى ترقيه رأى ذاهبَه(١)

* ● *

٢٥١ — لا يعلم قدر أنوار القلوب والاسرار الا فى غيب الملكوت ، كما لا تظهر أنوار السماء الا فى شهادة الملك .

لا يُعْلَمَنَّ شرفُ الأنوارُ(٢)   وقَدْرُ القلوبِ والأسرار

الاَّ بغيبِ الملكوتِ مِثْلَ ما   لا تظْهَرَ أنوارُ(٣) أنجمَ السماءِ

الاَّ على شهادةِ الملكِ من آ   آقمارِ والشمسِ ونجمٍ اشْتَعَل

ذو الملكوتِ أضعفُ المعارفِ   مع العلومِ ثمراتِ العارفِ

* ● *

---

١ — أى الذاهب الى ما هو يذهب اليه « منه » .

٢ — اعلم أن الناس كلهم عندهم نور فى قلوبهم بدليل قوله — صلى الله عليه وسلم — « كل مولود يولد على الفطرة » وقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) [النور ٣٥] أى نور أهل السموات والأرض ، وهو عام فى كل موجود فيهما ، لكن من الناس من حجب عن هذا النور وعمى عنه ، وهو من وقف مع ظاهر الملك ، ولم ينفذ الى باطنه وهو الملكوت ، ومن الناس من نفذت بصيرته الى شهود النور الباطن فيه ، وهو نور الملكوت وأسرار الجبروت ، فاذا تحقق هذا علمت أنه لا يعلم (بالبناء للمجهول) أى لا يظهر قدر أنوار القلوب الغيبية وشرفها ، وأنوار الأسرار القدسية ، الا فى غيب الملكوت والجبروت ، فأنوار القلوب لا يعلم قدرها الا فى غيب الملكوت ، وهى الأنوار المدفقة من بحار الجبروت ، وأنوار الأسرار لا يعلم قدرها الا فى غيب الجبروت ، وهى الأنوار الأصلية الازلية ، وهو ما لم يدخل عالم التكون ، فمن كان محجوبا فى عالم الملك لا يعلم قدر أنوار الملكوت ، كما أن أنوار الكواكب لا يرى الا فى الدنيا فى عالم الملك .

٣ — فى الاصل « لا يظهر الأنوار أنجم السماء » .

٢٥٢ — وجدان ثمرات الطاعات عاجلا ، بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجــلا .

طاعاتُنا وجــدانُ ثمراتِهــا بشائرَ القبولِ مِن حَيّاتِها
طيِّبةٌ ثمَّ سُــقوطُ خوفِنــا والحزْنِ بالسكونِ مِنْ مَخُوفنا
ثمَّ ظُهور شرفِ الخلافةِ والكونِ فى لَطائفِ الضِّيافَة
فحيثما مَنَّ بذاكَ عاجِــلاً بَشَّرنا على الجزاءِ آجِلا(١)

* ● *

٢٥٣ — كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك .

ولا تُسيء بطلب الجزاء(٢) أدَبْ فكيف للأعواضِ تَرجو بالطلب
على وُجُودِ عمــلٍ تَصدَّقَ عليكَ مولاكَ بِه مُحَقِّقاً
أمْ كيفَ أنت طالبُ الجزاءِ على عبــادةٍ من العطاءِ
وإنّه ســبحانَهُ أهــداها(٣) إليكَ من صَدَقةٍ أسْداها

* ● *

---

١ — من وجد فى بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ، ومن لم يجدها فلا ييأس من روح الله ، فان لله نفحات تهب على القلوب ، فتصبح عند علام الغيوب ، فان وجود ثمرات العمل بشائر قبوله ، وقد تكرر هذا المعنى مرات عديدة فى هذا الكتاب .

٢ — فى الأصل « ولا تسيء وطلب الجزاء أدب » .

٣ — العبد انما هو آلة مسخرة ، فاذا سخره ربه تحرك ، والا فلا ، واذا كان كذلك فلا نسبة له فى العمل الا ظهوره عليه لحكمة يعرفها الله ، اذن فكيف يطلب العوض على عمل من الله وهو متصــدق به عليه ، واذا من عليه ربه بصدق العبودية وهو سر الاخلاص ، فكيف يطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليه ، قال الواسطى : مطالبة الأعواض على الطاعة من نسيان الفضل .

٢٥٤ — قوم تسبق أنوارهم أذكارهم ، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم .

٢٥٥ — ذاكر ذكر ليستنير قلبه ، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا .

أربابُها منهم لقومٌ تسبِقُ أذكارُهُمْ أنوارَهُمْ فتطابُقُ
أذكارُهُمْ ليستنارَ قلوبُهُمْ فسالكٌ وطالبٌ دأبُهُمْ(١)
ومنهم الذين سبقتْ لهم أنوارُهُمْ أذكارَهُمْ وحالُهُمْ
فأعرفْهُ جذبةٌ لهم ممنوحةٌ قد أعظمَ اللهُ لهم فتوحَهُ
وذلك ذكرٌ ليستنير وذاك كان نيِّراً ذكَّاراً
صاحبُ جذبة هو المُفَضَّلُ والقولُ فى خلافِ ذاك مرسَلُ
دليلُنا العِنايةُ المقدَّمة وعصمةٌ تتبَعُها مُستحكَمَة
إذ كل مجذوبٍ هو المسلوكُ بِه ولا كذاك ذو سلوكٍ فانتَبِه

٢٥٦ — ما كان ظاهر ذكر ، الا عن باطن شهود وفكر .

٢٥٧ — أشهدك من قبل أن يستشهدك ، فنطقت بالهيته الظواهر ، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر .

إذ لا يكونُ ظاهرٌ مِنْ ذِكرٍ إلاّ بباطنِ شُهودِ فِكرٍ(٢)

---

١ — القوم الذين تسبق أنوارهم أسرارهم ، فهم الواصلون ، فهؤلاء استنار قلوبهم ، فكان ذاكرة وممتلئة بالنور ، وهؤلاء لا نجدهم الا فى حضرة الله بين ذكر أو فكرة أو نظرة أو ارشاد الى حضرة الربوبية .

وأما الذين تسبق أذكارهم أنوارهم ، فهم السائرون الاولون ، لهم أنوار المواجهة لا تفارقهم ، فهم ذاكرون على الدوام ، فاذا أرادوا أن يذكوا باللسان سبقت الى قلوبهم الأنوار ، فكانت هى الحاملة لهم على استمرار الأذكار ، فهؤلاء بذكرون الله ليستنير قلوبهم بذكره ، وليس من شك ان الواصل أفضل درجة من السائر .

٢ — اذا كان ظاهر الانسان مشتغلا بذكر الله فهو علامة وجود محبة

=

والذكرَ والفكرُ لجاريانِ ... فى أصلِ ما حقيقةُ الإنسانِ
فى ساعة الميثاق حين أشهدك ... مِنْ قبل أن دان عليه إستشهدك
فنطقتْ بوصفه الظواهرُ ... فى قولهم بلى(١) جوابٌ ظاهرٌ
ثمّ بأحديّةِ القهّار ... تحقّقتْ سرائرُ الأسرار

* ● *

٢٥٨ — أكرمك الله بكرامات ثلاث : جعلك ذاكرا له ، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به ، اذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكورا عنده ، فتمم نعمته عليك .

أكرمك اللهُ تعالى بكرا(٢) ... ماتٍ ثلاثٍ حين كنتَ ذاكِراً

=

الله فى الباطن ، اذ من أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولا تكون المحبة الا عن ذوق ومعرفة ، فلا يكون ظاهر ذكر الا عن باطن شهود .

كما أن الروح فى أصل ظهورها فى غاية الطهـاه والصفاء ، فحين أبرزها الله تعالى فى عالم الذر كانت عالمة دراكة ، فاشهدها الله تعالى عظمته وجلاله وبهاءه وكمال وحدانيته فقال لها حينئذ (ألست بربكم قالوا بلى) [الأعراف : ١٧٢] فكلها أقرت بالربوبية ، فلما ركبها فى هذا القالب ، فمنها من أقرت بذلك العهد ومنها من جهلت وأنكرت ، فقد أشهد الله الانسان حين كان فى عالم الأرواح ربوبيته ووحدانيته فعلمها وحققها ، من قبل أن يستشهده : أى يطلب منه تلك الشهادة فحين طلب الله الشهادة من الانسان وجد روحه عالمة ، فنطقت بالهيته التى عرفها فى عالم الذر ، وتحققت باحديته التى شهدتها قبل تركيب القلوب والسرائر ، فكل ما ظهر من الاقرار بالربوبية فى عالم الشهادة فهو فرع الاشهاد المتقدم فى عالم الغيب .

١ — اشارة الى قوله تعالى (واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى) [الأعراف ١٧٢] .

٢ — لقد أكرم الله الانسان بكرامات كثيرة ، وانعم عليه نعما جزيلا ، قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [ابراهيم ٣٤] واجل الكرامات وأعظمها كرامات الذكر ، ومرجع هذه الكرامات الى ثلاثة أمور : الاول — جعلك ذاكرا له ، ومن أين لعبد فقير أن يذكر ربا جليلا ، ولولا فضله عليه لم يكن اهلا لجريان الذكر على لسانه . الثانى — جعلك مذكورا به ، حيث ذكرك بنفسه

=

مِنْ جَعْلِه إيَّاكَ ذاكراً له   تَمَّ عليك عند ذاك فَضْلُهُ
إذ لم تكُنْ أهلاً لذكره إذا   مَوْلاكَ مَنَّ بذِكْرِه كذا
صيَّرك المذكور بالذكر نَعَمْ   أعْظِمْ بِه مِنْ نِعَمٍ على نِعَمْ
وكنت مذكوراً لديه فيه   فهو لِـثَرْوة المُنى مهديه
ووجْهُهُ كون صاحب الجذب أجَلّ
بركةُ العمر وإن كان أقلّ

* ● *

٢٥٩ — رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده .

فربّ عمرٍ وسعتْ آمادُه(١)   لكنّه(٢) قليلة إمدادُه

=
حين ذكرته ، قال تعالى (فاذكرونى أذكركم) [البقرة ١٥٢] واذا كنت مذكورا به ، فقد تحقق نسبتك اليه ، وأثبت لك الخصوصية ، فيقال لك : هذا ولى الله وصفيه ، فأى كرامة أعظم من هذه النسبة ، ولولا أن الله تفضل بها عليك ما كنت مستحقا لهذه النسبة . الثالث — جعلك مذكورا عنده فى الملائكة المقربين ، ففى الحديث القدسى « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملا خير من ملئه ... الحديث » ، وفى حديث آخر : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى فيه الا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) [العنكبوت ٤٥] أى لذكر الله لعبده أكبرمن ذكر العبد لله .

١ — ان كثيرا من الأعمار اتسعت آماده : جمع أمد : وهو الزمان : أى كثير من الناس طالت أعمارهم ، وقلت امدادهم : أى فوائدهم ، فلم يحصلوا على شيء ، حيث انشغلوا بالبطالة والتقصير حتى مضت تلك الأيام كطيف المنام ، واضغاث أحلام وكثير من الناس قلت أعمارهم وكثرت فوائدهم ، فأدركوا من فوائد العلم والأعمال والمعارف والأسرار فى زمن قليل ما لم يدركه غيرهم من الزمن الكثير ، ومثال ذلك أهل الجذب مع السلوك ، وأهل السلوك وحدهم ، فان الاول يطوى فى ساعة واحدة من مسافة القرب ما لم يدركه الثانى فى سنين ، وكذلك فان بعض العلماء نشروا العلم مع قصر عمرهم أكثر مما نشر عشرة ممن منحوا بطول العمر ، لذلك يجب على الانسان الجد والاجتهاد وقال الشوقى :

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للانسان عمر ثانى

٢ — فى الاصل « لكنه كثيرة امداده » وعلى هذا لا يستقيم المعنى .

أوّلُـه كالأمم السوالف وفاقدُ الجذبة منّا واقف
ثانيهما المجذوبُ فى أيّامِه يُشابهُ الإخوان فى مقامِه
قصّته لابنِ أبى الحوارى(١) مع شيخه يخفى من الإشهار

* ● *

٢٦٠ — من بورك له فى عمره ادرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة .

فكلُّ مَنْ بورِكَ فى العُمْرِ لَهُ أدْرَكَ فى اليسير ما أجَلَّهُ
مِن مِنَنِ اللهِ التى لاتدْخُلُ(٢) تحتَ عبارةٍ إذا تمَثَّل
ولا تنالُ وصْفَهُ العِبارَةُ كذاك لا تلْحَقُهُ الإشارةُ

* ● *

٢٦١ — الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ، ثم لا تتوجه اليه ، وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه .

إذا تفرَّغْتَ من الشواغلِ فما توجَّهْتَ إليه مُقْبِلاً

---

١ — هو أحمد بن أبى الحوارى عبد الله بن ميمون ، أبو العباس الدمشقى ، صحب الشيخ أبا سليمان الدارانى وغيره ، وكان الشيخ جنيد يقول فيه : انه ريحانة أهل الشام ، روى أنه كان بينه وبين أبى سليمان الدارانى عقد بأنه لا يخالفه فى شىء يأمره به ، فجاء يوما والدارانى يتكلم فى مجلسه ، فقال : ان التنور قد سجر ، فبم تأمر ؟ فلم يجبه فقال ثانيا وثالثا ، فلما ألح عليه ، كأنه قد ضاق قلبه ، فقال له : اذهب فاقعد فيه ، ثم تغافل واشتغل عنه ساعة ، ثم ذكره ، فقال : أطلبوا أحمد ، فانه فى التنور ، لأنه على عقد أن لا يخالفنى ، فذهبوا اليه فاذا به جالس فى التنور لم يحترق منه شعرة . ومن كلامه : ما ابتلى الله العبد بشىء أشد من الغفلة والقسوة . توفى سنة ٢٣٠ أو سنة ٢٤٠ هـ ، ترجمته فى طبقات الأولياء ص ٣١ ، حلية الأولياء ٥/١٠ ، صفة الصفوة ١٢/٤ ، طبقات الشعرانى ٩٦/١ ، الرسالة القشيرية ص ٢١ ، البداية والنهاية ٣٤٨/١٠ ، وغيرها .

٢ — قال فى الحديث القدسى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

ولم تَجِدْ ضراعةً إليه وذِلَّةً وفاقةً لديهِ
وما وَجَدتَ موانعَ العَلائقِ عن رِحْلةٍ إليه بالعَوائق
فذلك الخُذْلانُ كُلُّه كما
عُدِمْتَ توفيقاً حُرِمْتَ كرماً(١)

*** ● ***

٢٦٢ — الفكر سير القلب فى ميادين الأغيار .

الفكرُ سيرُ القلبِ فى [الأ]غيار من حِكَمِ القدير ذى اقتدارِ(٢)
ميدانُها لعِبرَةِ القُلوبِ مَعْبَرَةٌ لمكسبِ الغُيوبِ

٢٦٣ — الفكر سراج القلب ، فاذا ذهبت فلا اضاءة له .

ففكرةٌ القلبُ له السراجُ(٣) فى ظُلْمَةِ الأغيار وابتهاجٌ

---

١ — أكثر الناس ما يحبسهم من التوجه الى الله الا كثرة مشاغلهم الحسية ، فتشتغل جوارحهم بخدمة الدنيا فى الليالى والأيام ، والشهور والأعوام ، حتى ينقرض العمر كله فى التقصير ، وهذا هو الخذلان المبين ، لكن أشد خذلانا منه من قلت شواغله الظاهره لوجود من يقوم له بها ، ولم يتوجه الى الله تعالى ، وقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ » ، وكذلك الخذلان لمن كثرت علائقه ، واهتمامه بالتدبير والاختيار والسياسة والارباط مع الناس ، ولكن أشد خذلانا منه ، من قلت علاقاته وارتباطاته ، ثم لم يرحل الى ربه .

٢ — فمن لا تفرغ له لا فكرة له ، ومن لا فكرة له لا سير له ، ومن لا سير له لا وصول له ، فالفكرة : هى سير القلب الى حضرة البارى تعالى ، وذلك السير فى ميادين الأغيار ، أى فى مجال شهود الأغيار ، يستدل بها على وجود الأنوار ، فهذه فكرة أهل الحجاب . وأما فكرة أهل الشهود : هى سير الروح فى ميادين الأنوار . وقال الشيخ زروق : الفكرة : انبعاث القوة الادراكية فى عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هى عليه ، ومن وجد ذلك فهو عارف .

٣ — الفكرة فى عظمة البارى تعالى وتوحيده نور ، فاذا كان القلب
=

فالقلب حيثُ ذهبتْ فكرتُه يذهبُ ضوءُه كذا بهجتُه
فصار أعمى خابطَ العَشْواءِ وظلّ يمشى مشيةَ العَمْياءِ

* ● *

٢٦٤ — الفكر : فكرتان : فكرة تصديق وايمان ، وفكرة شهود وعيان ، فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار .

والفِكرُ فِكْرتان بالتّحْقيقِ :(١) ففكرةُ الإيمانِ والتصديقِ
وفكرةُ الشّهودِ والعَيانِ تجرى مع التصديقِ والإيمانِ ،
كَبُرَ العيانُ علىّ حتى أنّهُ صارَ اليقينُ من العيانِ توهُّماً
فالفكرةُ الأولى لدى إعْتبارِ من المريدين أو النُّظّارِ
والمُتَوجِّهينَ والعُمّالِ والسالكينَ مَسْلكَ الكمالِ
ثانيهما شاهدَ(٢) استبصار معَادنَ الأنوار والأسرار

=

مشغولا بالفكرة فى عظمة الحق فهو منور بنور الحق ، واذا خلى من الفكرة فى الحق دخلته الفكرة فى الأغيار وهى ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور أبدا ، فالفكرة سراج القلب ، فاذا ذهبت الفكرة فى الله انطفأ نور القلب بدخول ظلمة الكون فيه فلا اضاءة له فيكون أعمى ، قال تعالى (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) [الحج ٤٦] .

١ — الفكر فكرتان : الأولى فكرة أهل التصديق والايمان : وهى سير القلب فى ميادين الأغيار : فهم يتفكرون فى المصنوعات ، ليتوصلوا الى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك من سائر صفاته ، وهى لأصحاب الاعتبار وأهل الاستدلال وهم السائرون الى الله بأنوار التوجه ، وهم الذين قال تعالى فى حقهم (الذين يؤمنون بالغيب) [البقرة ٣] . والثانية فكرة أهل الشهود والعيان : وهى سير الروح فى ميادين الأنوار ، قد انقلبت الأغيار فى حقهم أنوارا ، والدلائل مدلولات ، والغيب شهادة ، وهم الذين اطلعهم الله على سر قوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) [يونس ١٠١] وهذه لأرباب الشهود والاستبصار ، لأنهم ترقوا من شهود الدليل الى المدلول ومن الأثر الى المؤثر ، هم الرجال حقا .

٢ — فى الاصل « ثانيهما شاهدى استبصار » .

هذه بعض مكاتبات صاحب الحكم لبعض اخوانه ، وبعض مناجاته نظمها الشيخ نور الدين ، بعد الانتهاء من الحكم كما فعل معظم شراح الحكم حيث شرحوا هذه المكاتبات والمناجاة بعد انتهائهم من شرح الحكم .

المكتوب الأول : فى بداية السلوك ونهايتها

إن البدايات غدت مجلاّت   من النهايات لمرئيات

من صلحت له البداية صلحت   وأفلحت له النهاية أفلحت

ومن تكن بربّه بدايته   تكن إليه مجتلى نهايته

فداخل الأشياء بالله بدت   فيها نهاية له وأيدت

ومن له بداية التفويض   لله ما انتهى إلى النقيض

وهكذا بداية التوكل   تتبعها نهاية المكمّل

فكل من أحبّه به اشتغل   مسارعاً نائى تخالّط العمل

آثر مولاه أمرٌ به اعتنى   على السوى والعكس تجلّى لما

ومؤثر عليه من عنه اشتغل   فانظر لحمق من عن الحق عدل

وأفرد القلب له تعالى   واجعل سواه جملة وبالاً(١)

ومن يكن يوقن أنّ الله   يطلبه طالبه انتباها

بصدق طلب إليه فإذا   سارع لله بجهد نفذا

---

١ — فى الاصل « واسوسواه جملة وبالا » .

وعلمه أنّ الأمور في يده يجمعه إليه من تجلّده
منجمعاً إليه بالتوكّل مفوّضاً إليه بالتوسّل
وإنّه لا بدّ من بناء ذا أعني الوجود أن يكون نافذا
وأن ترى مهدماً دعامه وأن ترى منسلباً كرامه(١)

* ● *

---

١ — ومن المعتقد أن النسخة هنا فيها سقط حيث لم يكمل نظم هذه الرسالة ، وبما أننا لم نجد نسخة أخرى لم نستطع اتمام هذا المكتوب ، ولكننا تميما للفائدة نثبت تتمة الرسالة من مكان السقط كما وردت في شروح الحكم ، وهذا نص الرسالة .

أما بعد فان البدايات مجلات النهايات ، وان من كانت بالله بدايته ، كانت اليه نهايته ، والمشتغل به هو الذى أحببته وسارعت اليه ، والمشتغل عنه هو المؤثر عليه ، وان من أيقن أن الله يطلبه ، صدق الطلب اليه ، ومن علم أن الأمور بيد الله ، انجمع بالتوكل عليه ، وانه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه ، وأن تسلب كرائمه ، فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى ، وقد أشرق نوره ، وظهرت تباشيره ، فصرف عن هذه الدار مغضيا ، وأعرض عنها موليا ، فلم يتخذها وطنا ، ولا جعلها سكنا ، بل أنهض الهمة فيها الى الله تعالى ، وسار فيها مستعينا به في القدوم عليه ، فمازالت مطية عزمه ، لا يقر قرارها دائما تسيارها ، الى أن أناخت بحضرة القدس ، وبساط الأنس ، محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة ، فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون ، وفيها يسكنون ، فاذا نزلوا الى سماء الحقوق ، أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين ، والرسوخ في اليقين ، فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ، ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة ، بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله ، وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ، ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا أدخلتني ، واستسلامى وانقيادى اليك اذا أخرجتني ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بى ولا ينصر على ، ينصرني على شهود نفسي ، ويفنيني عن دائرة حسي .

المكتوب الثاني : في بيان الوصول الى الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة

والنّاسُ أقسامٌ ثلاثةٌ هنا : فغافِلٌ مُنْهَمِكٌ في شرّنا
و ذالكَ إنْ كانَ إعْتِقاداً شركٌ هو الجليُّ ليس فيه شكُّ
أو استِناداً فعلى الشّرك الخفيّ قد انطوَى بِجَهْلِهِ المُعْتَسِفِ
ثانيهما أصْبَحَ ذا حقيقةٍ قد غابَ في الإحسانِ عن خَليقةٍ
لأنّهُ يشهدُ ربّهُ المَالِكُ
عن كلِّ أسبابٍ فَنَى من غيرِ شكٍّ
برؤيةِ المُسبِّبِ الذي لهُ أسبابُنا نُحيلُ أمْرَها لَهُ
وانْفَقَدَ الخلقُ عن التصريفِ في عَيْنِهِ عنْ رؤيةِ اللطيفِ
ذاكَ عبدٌ ظاهرٌ عليه حقيقةُ الكونِ سَنا لَدَيْهِ
واجِهُهُ مُسْتَغْرِقاً سَناها مُسْتَوْلِياً على ضيا مَداها
وهو الذي قد سَلَكَ الطريقةَ مؤيّدٌ بِنِسْبةِ الحقيقةَ
لكنّهُ الغريقُ في الأنوارِ وقلبُهُ مُنْطمِسُ الآثارِ
مستحوذُ السكرِ على ما صَحْوِهِ وجَمْعِهِ لِفَرْقِهِ في مَحْوِهِ
وغالبُ الفَنا على بَقائِهِ مشاهدُ الحقِّ لدى فنائِهِ
مستشرقُ النّورِ وفي حُضُورِهِ بربّهِ ذُو غَيْبَةٍ في نُورِهِ
والصَّحْوُ حالٌ تَقْتَضِي تصرّفاً مع اختيارٍ منه سابغُ الوفا
والجمعُ أن تَشْهدَ مَوْلاكَ بهِ لا بِسواهُ فائزاً بِقُرْبِهِ
والفَرْقُ بالحقِّ شُهُودُ الخلقِ والحقُّ ذا حقيقةٌ لِفَرْقِ

شُهودِ حَقٍّ لا بِخَلْقٍ الفَنا | ورؤيةُ الخَلْقِ بحقٍّ البَقـا
بالخلقِ عدمُ الشهودِ الغيبةُ | ثمَّ الحضورُ وَصْفُه لا ريبةُ
هو الشُّعورِ بوجودِ الخلقِ | مع رؤيةِ الحقِّ بعينِ الحقِّ
ومنه أكملَ لعبدٍ شُرْباً | فزاد صَحْواً وتراهُ غائبـا
فإزدادَ نوراً وحضوراً له | سبحانَهُ بالنورِ إذ دَلَّهُ
فجَمْعُه لفَرْقِه لا يَحجِبُ | وفَرْقُه لجمْعِهِ مُستَصْحِبُ
لا يصدُّه الفنا عن البقا | كما البقا لا يصدُّ عن فنا
يَفْعَلُ بالقِسطِ لِمُسْتَحِقِّهِ | وإنَّه المعطى له مِنْ حقِّه
فأوَّلُ الحالينِ كانتْ عائشةُ | فيه بيومِ الإفْكِ وهى طائشةٌ
أحالَها والدُها الصدِّيقُ | منهُ لما فضَّاهُ التحقيقُ
فقال : هلاَّ تشكرينَ المصطفى(١) | قالتْ : لغيرِ اللهِ لن أختلفَ
بالشكرِ حين دلَّها الصدِّيقُ | على مقامٍ بالعُلا حقيق
مكمَّلاً وذا مقامٌ أكملُ | إثباتُه(٢) الآثارُ حالُ أفضلُ
فصلُ الخطابِ للبقاءِ مثبتُ | مواقفُ(٣) القرآنِ حينَ ينْعتُ
لى ولوالديكَ أنْ تشكرَ قدْ(٤) | أثبتَ آثاراً عليه المستند

---

١ — هذا اشارة الى ما ورد فى صحيح البخارى عن عائشة (رض) أنها قالت : « فلما سرى عن رسول الله رص » سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك » فقالت أمى : قومى اليه قالت ، فقلت : « والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد الا الله عز وجل » . وعند الطبرى فى رواية أنها قالت : « أحمد الله لا اياكما » . وفى رواية أنها قالت : « نحمد الله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك » . وفى رواية أخرى : « أخذ رسول الله (ص) بيدى فانتزعت منه ، فنهرنى أبو بكر » انظر فتح البارى ٤٧٧/٨ ، كتاب التفسير ، سورة النوبة ، حديث الافك .

٢ — الظاهر « أثبته الآثار » .

٣ — الظاهر « موافق القرآن » .

٤ — اشارة الى قوله تعالى (ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) سورة لقمان الآية ١٤ .

وقال صلى الله مع سلامِ عليه فى تحقيقِ دا المقامِ
لا يشكرُ اللهَ امرؤ لا يشكرُ عبادَهُ(١) إذ شكرهمْ مُضمَّرُ
أصبحتْ الصدِّيقةُ المرأةُ فى ذلك المقامِ ذات مَطْرأة
عن شاهدِ الحالِ غدت مصطلمة(٢)
لم تكُ بالآثارِ ذاتَ مَعْلمة
غائبةٌ لم تَشهد الآثارَ إلاّ إلهاً واحداً قهّارا
إنّ اصْطلاماً غَيْبَةُ الفؤادِ عن كل مشهودٍ سوى المَعْبُودِ
لما يُواجِهُ الفؤادُ مِنْ عِظمِ جَلالَةِ المعْبُودِ حتى صارَ لَمْ
لا يبقَ به مُتَّسعٌ لِغيرِهِ للهِ مُستَسلِمةٌ لقهرِهِ
إذا عَظُمْ إلا الأُمِّ المؤمنين يشأناً فى ذاك لم تَشْهَدْ سِواهُ كَوناً

باب : بيان قرة العين فى الصلاة

قد سُئل الشيخُ عن القُرّةِ عنْ قولِ النبيِّ ؟ فأجاب عنْ فطن
إذ قيل : هل لغيرِهِ هيبُ فيها لدى الصلاةِ أم مَوْهوبُ
للمصطفى فقط فعارفاً أتى من الجوابِ بالذى أحيا الفتى
فقال : قُرَّةُ العيونِ جُودُ ومِنْحَةٌ يَمنحها المشْهُودُ

---

١ — ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة منه قوله (ص) : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أبو داود والترمذى . ومنه « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده . ومنه « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس » رواه أحمد . انظر الترغيب والترهيب ٧٨/٢ .

٢ — (مصطلمة) أى مستأصلة ، والاصطلام : الاستئصال والقطع .

سبحانه مِنْ الشهودِ فعلى | زيادةِ العرفانِ منه مُنجلي
قُرَّةُ عينٍ ههنا زائدةٌ | قاعدةٌ تعقُبُها فائدةٌ
وقد علمتَ للنبيِّ شهوداً | فوقَ شهودِ الخلقِ طراً جوداً
معرفةُ النبيِّ المشهودِ | أعظمُ فالعرفانُ مع شهودِ
قد يقتضي في قرّةِ العين لأن | يكونَ في قرّته أعظمُ مَنْ
يحوزُها وإنما قلنا هنا | قُرّتُه مبانةٌ في قولنا
كذاك في الصلاةِ بالشهودِ | ورؤيةُ جلالةِ المشهودِ
إذ هو في كلامه أشارَ | لذاكَ في الصلاةِ إشتهاراً
وبالصلاة لم يقلْ لأنَّه | ليس بها تقرُّ قطٌّ عينُه
قُرَّةَ عينيه غدتْ بربِّه | لا بشهوده ولا بقُرْبِه
وكيفَ لا وهو الذي يدلُّنا | بذلك المقامِ إذ يأمرُنا
بقوله : أعبُدْهُ كأن تراهُ(١) | ومن محالٍ أن ترى سواهْ
حين تراهُ فالمعيَّةُ إنْتفَتْ | وقُرَّةُ العين له قد عُرِفتْ
وقال قائلٌ : فقد تكونُ | قُرَّتها بها فشيءٌ هَوْنُ
ذاك الجوابُ والذي مشبِّه | لأنّه بارزَه منّته
من فضلِ ربّنا فكيفَ لا بها | يفرَحُ والفرحُ بها بربِّه
بها وكيفَ لا تكونُ قُرّةً | وكيفَ عينٌ لم تكنْ مُقرَّةً ؟
وقُلْ بفضلِ اللهِ وبرحمتهِ | فليفرحوا(٢) بذاك عينٌ ميّتهِ
فاعلمْ بأنَّ الآيةَ قد أومأتْ | إلى الجوابِ للذي قد منَحتْ

---

١ — في الاصل « كان يراه » وهذا اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .
٢ — وفي الاصل (فليفرجو) .

مسامعُ الخطابِ للجوابِ ... مسمعةُ منه(١) بالصواب

يقولُ ربنا . بذا فليفرحوا(٢) ... ولم يَقُلْ من ذا ليكُنْ ذا الفرحُ

فقُل لهم : يا أحمد ليَفرَحوا ... بالفضلِ والإحسانِ ما يَنْفتِحُ

فَرَحُكَ بي وفرحُهم بفضْلِي ... جاءَ على حُكْمِ الصوابِ قولي

وذَرْ في الخوْضِ يَلعبُونَ (٣) ... ثمّ قلْ اللهُ تكُنْ حَصُونا

عن غَيرِنا ذا مشربٌ مَنيفُ ... مَنْصِبَةُ شاهَدَها شَريف

المكتوب الثالث : في ورود المنن على الناس

وُالفَرَحُ بالمِنَّةِ من حيثُ أتتْ ... وإنّه المهدىّ متى ما نَزَلتْ

والفرَحُ بالمِنَّةِ والمتعَةِ لا ... من حيثُ كونُه لها مُنَزِّلَه

والفرَحُ باللهِ تعالى ما إشْتَغلْ ... صاحِبُها عن غيرِه ولا ذَهَلْ

عن غيرِه في ظاهرِ المنّةِ والْ ... قلبُ له برؤْيةِ الحقِّ إشتَغل

عليه صادقٌ قُلْ اللهَ وذَرْ ... وصادقٌ على مَقامِ مَنْ نَظَرْ

فيها جمالَهُ كلامَ البارى ... بفضله فليَفْرَحوا يا دارى

على الذى بمَنِّه يَفْرَحُ قد ... يَصْدُقُ في نفي سَدادٍ ورَشَد

حتى إذا فَرِحوا بما هُمْ ... أوتُوه بَغتَةَ أخذنا ما هُمْ

ومَنْ غدا فَرَحُه مولاهُ ... مُشْتغلاً باللهِ عن سواهُ

مُنْجَمِعٌ عليه إذ لا يشهدُ ... إلاّهُ والرجى لذاك عاضِدُ

فقال : ياداودُ نَبّيءْ مَنْ صدَق ... من كلّ صدّيق بغيرى ما عَلِقْ

فليفرَحوا بي وكذا بذِكْرِى ... فليَتنعّمُوا فذاك شُكْرِى

نَسألُه لنا ولك الفرَحَ بهِ ... مع الرضا منه وخيرِ مُنْتَبهِ

يَجعلُنا باللهِ عارفينَ ... ولا نكونُ عنه غافلينَ

وأن يكونَ سالكاً بنا مسا ... لكَ العباد المتّقين فعسى

بمَنِّهِ نفوزُ بعدَ كرمِهْ ... ومَنُّهُ يجعلُنا مِنْ خَدَمِهْ

---

١ — أي فيه فتحت .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون) يونس ، ٥٨ .

٣ — اشارة الى قوله تعالى (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) الزخرف ، ٨٣ والمعارج ، ٤٢ .

وهذا نظم لمناجاة صاحب الحـــكم :

المناجاة الأولى

أنا الفقيرُ يا إلهى فى الغنى   منّى فكيفَ لا أكونُ ههنا

فى الفقرِ منّى فاقداً فقيراً   ولم أكنْ شيئاً غداً مذكُوراً

ثمّ أنا الجاهــلُ يا إلهى   فى العلمِ مِنّى فاقداً إنتباهى

فكيفَ لا أكونُ ذا جَهُولاً   فى الجهلِ منّى إنها تَعْدِيلا

فيك إلهى إنّ إختــلافاً   علىّ مِنْ تدبيرِكَ الملافا

وسِرْعةُ الحاولِ من تقديرِ   أى المقاديرِ على الفقير(١)

هُما اللذانِ منعا عبــادِكَ   العارفينَ الأتقيا عُبّـــادَكَ

عن السكونِ للعطا واليأس   منك لدى البلاءِ فهو منسىَ

مِنّى إلهى ما يليقُ بى مِنْ   هونى ولُؤمىوذُنُوب تُمْتحَنْ

ومنك ما يليقُ بالإكرامِ   والفضلِ والإحسانِ والإنعامِ

أنت الذى وَصَفْتَ يا إلهى   نفسَكَ بالرأفةِ بى إلهى

نَفْسَكَ قد وَصَفْتَها بلُطْفِ   قبل وجُودِ زللى وضَعْفِى

---

١ — فى الاصل « على الفتير » .

إنْ ظهرَتْ محاسِـنى إلهى فهى بِفَضْلِكَ الذى أُباهِى
ثمّ لكَ المِنَّةُ فى إيرادِها علىَّ بالرأفةِ فى إيجادِها
أوالمساوِى ظهرَتْ لِعَبْدِكَ فإنها ظاهرةٌ بِعَدْلِكَ
ثمّ لك الحُجَّةُ فيهنَّ على
خَلْقِكَ سبحانَكَ يا مَنْ عَدَلَ
كيفَ إلهى للسِّوى تَكِلُنِى ؟ وقد توكَّلْتَ لنا فكِلْنِى
إليكَ أمْ كيفَ أضامُ ربّى ؟ وإنّكَ النصيرُ لى وحَسبى
أمْ كيفَ لى الخيبةُ أمْ أخيبُ ؟ وإنَّكَ الحَفِىُّ بى القريبُ
ها أنا مَنْ إليكَ قد تَوَسَّلَ بالفقرِ والفاقَةِ منّى ذُلُلاً
وكيفَ لى توسُّلٌ إليكَ بما محالٌ وصْلُهُ إليكَ
أمْ كيفَ أشكو سيّدى إليكَ فى حالٍ عليكَ حالُه غيرُ خَفِى
أمْ كيفَ فى مقالتى أتَرْجِمُ لسيّدى بما العَلِيمُ يَعْلَمُ
وهو الذى مناكَ إليكَ قد بَرَزَ إليه كُنْهُ العبدِ مولاى إعْتَوَزْ
أمْ كيفَ آمالى تخيبُ وهى قدْ أتَتْ إليكَ وافداتٌ يا صَمَدْ
أمْ كيفَ لا تَحْسُنُ أحوالى ، وبِكْ
قامَتْ كذا إليكَ والمصيرُ لكْ
ومع عظيمِ جهلى ما ألْطَفَكَ بى يا الهى ، وبى ما أرْأفَكْ
ومع قبيحِ فِعْلِى ما أرحَمَكْ بى يا الهى وبه ما أكْرَمَكْ
ما أقرَبَ الرقيبَ منى من حفى وعنكَ ما أبْعَدَنى ذا ما خَفِى
فما الذى يحْجُبُنِى عنكَ ، وبى ما أرْأفَكْ ، فذا أثارَ طَرَبى
إلهى قد عَلِمْتُ اختِلافِ وكثرةِ الآثارِ والتّصْرافِ

وكونُ أطوارٍ تَنَقَّلَتْ الىَّ وارِدَةٍ نازِلةٍ منك علىَّ

أنّك قد أردْتَ أن تَعَرَّفَ الىَّ فى الأشياءِ كلاًّ فكفى

بذاكَ حتى لا أكونَ جاهِلَكْ فى كلّ شىءٍ وبهِ أواصِلُكْ

وكلّما أخرَسَنى إلهى لَوْمى وكَوْنى راكبَ المَنَاهى

أنْطَقَنى منك نعيمٌ وكَرَم يا مَنْ هو اللطيفُ بى على النّعم

وكلّما أيأسَنى أوْصافى أطْمَعَنى(١) مِنَّتُكَ الكوافى

إلهنا مَنْ أصْبحَت محاسنُ فِعالِهِ يَظُنُّها كوائنُ

فإنقلَبَتْ مِن بَعدها مَساوى فكيفَ لا يَنقلِبُ المَساوى

مُساوياً ، ومَن غدَتْ دعاوياً حقائقُهُ ، فكان شيئاً فانياً

فكيفَ لا تَرى له الدّعاوى لــه الدَعاوىَ فهى المَساوى

وحُكْمُكَ النافذُ والمشيئةُ منك هى القاهرةُ القويّةُ

لم يَتْرِكا لذى مَقالٍ قالاً ولا لذى حالٍ كذاك حالاً

كم طاعةٍ بنيتُها فى نَظَرى وحالةٍ شَيَّدتُها فى خَبَرى

قد هَدمَ إعتمادى(٢) عليها عَدْلُكَ إن قابلَتْنى لَدَيها

بل فضلُكَ العظيمُ قد أقالَنى منها إلى مَحْضِ النّدا أحالنى

إنّك عالمٌ إلهى إنّنى إنْ لم تَدُم لى طاعةٌ لكنّنى

١ — فى الاصل « أطعمنى منتك » .

٢ — فى الاصل « اعتمادها عليها » .

دامَتْ مُحَبَّتى لها وعزْمى   وإن فَنى فِعلى لها وجَزْمى
إلهنــا وكيفَ كنت عازِماً   لطاعةٍ وكيفَ كنت جازِماً
وأنت يا ربَّ العبــادِ قاهرٌ ؟   وكيفَ لا أعـْزِم وأنتَ الآمِرُ
تَرَدُّدِى إلهى فى الآثارِ   يوجب لى البُعْدَ مِن المزَارِ
فإجمَع عليكَ هِمَّتى بخِدْمَةٍ   تُوصلُنى إليكمُ برَحمَةٍ
وكيفَ يُسْتدَلُّ بالذى هوَ   فى نفسِه مفتقرٌ كما هُوَ
إليكَ يا إلهنــا ، أمُمكِنٌ؟   كون ســواك للإلَه معاينٌ
أكان للسِّوى مِن الظهُورِ   ما ليس لله فيا غَفُورى
أيُظْهِرُ(١) المعدُومُ مَوْجوداً أبد   أكان مِظهراً لواحــدٍ أحَد
أكنتَ محتاجاً إلى دَليــلِ ؟   لا ، فمتى غِبْتَ عن العقُولِ ؟
بل أنتَ ظاهرٌ كذا ومِظْهِرُ   لكلِّ مَظْهَرٍ ولا تَفْتَقِرُ
فمُسْتَدَلٌّ بالسوى محجوبٌ   عنك به فَفاته المطلوب
متى إلهى قد يَفُوتُ حتى   تُوصِــلُ آثارٌ إليك سمتا
إلهنا قد عَمِيَتْ عينُ غَدَتْ   ليستْ تراكَ عندها فَرَقَدَتْ
إذ لا تراكَ عِندها رَقيباً   وحقَّ ذا العَمى لها نصيباً
وخَسِرَتْ صفقةُ عبدٍ لم تكنْ   منكَ بقُرْبٍ أفلَحَتْ ولم تَمُن
ولم تكنْ أنت لــه حبيباً   ولم تَفُزْ بربِّها نصــيباً
أنت الذى أمرتَ بالآثارِ   أعنى الرجوعَ واسعَ الأنوارِ
إلهنــا لحكمه إفتقــارٌ   منّا إلى الذلّةِ واضطرارْ
يا ربِّ فإرْجِعْنى إليك فيها   بكسوةِ الأنوارِ يا كافيها

---

١ — فى الاصل « كل يظهر المعدوم » .

وناثلاً هداية استبصار ... أعرف منك حكمة الآثار
يا ربِّ وارجعنى إليك منها ... مصونُ سرّى إصرفن عنها
عن نظرى الإقبال والإدبار ... منّى إليها سائر الأطوار
مرفوعُ همّةٍ عن اعتماد ... منّى عليها وكذا استنادى
كما اليك قد دخلتُ منها ... أكونُ راجعاً اليك عنها
إنّى اليك أبداً فقيرٌ ... انّك فى الأشياءِ بى قديرُ

المناجاة الثانية

بين يديك يا الهى ظاهرٌ ... ذُلّى ، وذا حالى وهو حاضر
عليك لا يخفى فمنك أطلبُ ... اليك أن أوصل حين أرغبُ
ثمّ غدوتُ أستدل ههنا ... عليك بالرأفة منك فاهدنا
بنورك التمّ إليك وأقمْ ... عبدك بالصدقِ عبودة تتم
بين يديك ثمّ علمنى من ... علمك يا إلهنا علم خزن
وصُنْ بسرِّ إسمك المصُونِ ... وهبْ بفيضِ علمك المخزُونِ
يا ربّ حققنى إلهى بحقا ... ئقِ الذين اقتربُوا تحقّقاً
يا ربِّ واسلُكْ بى سُلوك الجذبِ
وأهلِهِ من كان أهلَ قُربِ
إلهى أغننى بتدبيرك عن
تدبيرِ نفسى شاهد الأمرِ الحسن
وأغننى عن إختيارى بإختيا ... رك الجميلِ ، مُصاحاً لى حاليا
على مراكزِ اضطرارٍ قفنى ... مِن ذُلِّ نفسى سيّدى أجرنى
يا ربّى طهرْنى مِن الشكُوكِ ... ومِنْ وُجودِ الشركِ والهلُوكِ

قَبْلَ حُلولِ الرَمسِ ، أسْتَنْصِرُ بِكْ
على جميعِ ما نعى عن قُرْبِكْ

ثمّ عليك جئتُ أتوَكّلُ — وبالجنابِ الحقّ أتوَسّلُ
مُنتَسِباً لـه فـلا تَكِلني — ولا تُبَعّدني ولا تُخَيّبني
يا ربّ جئتُ راغباً في فَضْلِكَ — وصرتُ مُستَعيذَ قَهرِ عَدلِكَ
فحيثما أرغَبُ لا تُحْرِمني — بالبابِ واقفٌ فلا تَطرُدْني
ولا تُخَيّبني إذا سألتُ — إياكَ لا غيرَكَ مَن جَعلتُ
أرجوهُ يا إلهنا المقدّسَ — الرضا عنكَ لقد تَقدّسَ
مِن أنْ تكونَ منك عِلّةٌ لَهُ — فكيف ذا يكونُ عِلّةً لهُ
منّي ، وأنتَ في غِنى بذاتِكَ — عن وَصْلِ نَفْعٍ لك مع صِفاتِكَ
| منك إليكَ لِغناكَ المُطْلقِ — عن كلِّ قيدٍ للجنابِ طارقِ
فكيفَ لا تكونُ عنّي ذا غِنى — وأنت لا يَخفى عليك نَقْصُنا
إنّ القَضا غلّبني والقَدَرُ — فلم أرَ الوَصْفَ الحسن مُيسّراً
وثائقُ التُهْمَة أسَرتني — إن لم تُجِرْني عنك فَصّلتني
فأنت كُن لي سنَداً نصيراً — حتّى تكونَ ناصراً مُجيراً
تنصرُ لا كما الذي يَنْصُرُني — مِنْ صاحبٍ ومُنْتَمٍ يحضُرُني
وأغْنِني مِنكَ بِجُودٍ حتّى — أستَغْنيينَّ بِكَ رَبّي أنتَ
عَن طَلَبي أنتَ الذي قد أشْرَقْتَ — على قُلوبِ أوليائِكَ إرْتقت
شوارِقَ الأنوارِ لَمّا أنتَ يا — مَن قد أزالَ كلَّ غيرٍ لويا
كففتَهُ عن قلبِ أصحابِكَ في(١) — ما نظَرُوا إليك لا لصارِفِ

---

١ ــ في الاصل « اصاحبك في » .

وإنما أنت لهم لمؤنسُ ... من حينما أوحشتهم مؤانسُ

عوالمِ الوجودِ ثمّ أنت من ... هدّيتهمْ حتّى إستبانت من(٢)

بينهم حقائقُ العوالمِ ... فأدركوا فيكَ جميعَ العالمِ

يا ربّ ما ذا واجد منْ فقدكَ ... وما الذى يفقدهُ منْ وجدكَ

قد خابَ من رضيَ دونكَ بدلاً ... وخاسرٌ عنكَ الذى تحوّلَ

كيفَ إلهنا سواكَ يرتجى ... وأنت حيثُ بالنعيمِ ترْتجى

وما قطعتَ سيّدى إحسانكَ ... يا من أمدّ للورى إمتنانكَ

وكيفَ يطلبُ إمرؤ من غيركَ ... وأنت ما بدّلتَ جودَ خيركَ

بعادةَ إمتنانكَ الحقيقى ... يا منْ أذاقَ طعمةَ الرحيقِ

أصحابه مؤانساتِ قربهِ ... فوقفوا بينَ يديه فبهِ

تعلّقوا بوقفةِ العبيدِ ... بينَ يدى ذا الملكِ المجيدِ

ويا إلهاً ألبسَ العبيدَ ... وأولياءهُ الكرامَ جوداً

ملابسَ الهيبةِ فإستقاموا ... بينَ يديه بالجلالِ هاموا

قد إستعزّوا بجلالِ عزّتهِ ... فأعرضوا نداكَ عن خليقتهِ

يا ذاكراً منْ قبلِ ذاكريهِ ... يا مفضلَ النعماءِ شاكريهِ

وأنتَ منْ بدأتَ بالإحسانِ ... للمتعبّدينَ بإمتنانِ

قبلَ توجّهاتهم لربّهم ... وأنت يا جوّادُ حسب إربهم

فبالعطايا جدتَ من قبلِ طلبْ ... وبالهباتِ قبلَ طلبٍ وهبْ

إنّكَ وهّابٌ لما وهبتنا ... من الذين إستقرضوا إلهنا

برحمةٍ منك إلهى أطلبنى ... حتّى أكونَ واصلاً ومدنى

---

١ — فى الاصل « حتى اسنبانت لمن » .

إليكَ وأجذُبْني إليكَ ربّي حتى أكونَ مُقْبِلاً بقلبِي
عليكَ يا ربّي و يا مَوْلائي عَنْ غيركَ مُنقطِعُ رَجائي
وإن عَصَيْتُ مثلَ ما خَوَّفني لا عند إمْتِثالي ليس لي مُزائِلاً
قد دفعتني سائرُ العَوالِمِ إليكَ يا مَنْ بِضَمِيرِ عالِمِ
والعالمُ منّي بكرمِ اللهِ لقد أوقَفَني عليكَ يا مَولى صَمَد
كيفَ أخيبُ وغَدَوْتَ أملي أمْ أسْتَهانُ ثَمَّةَ ممّا زللي
ولي توكُّلٌ عليكَ ربّي ؟ واكيفَ أسْتَعِزُّ فوقَ تُرْبي
وأنت في الذِلَّةِ قد أرْكزْتَني ؟ وكيفَ لا وأنْتَ مَن أعْزَزْتَني
من بعدِ ما إليكَ قد نَسَبْتَني خَلَّقْتَني (١) رَزَقْتَني هَدَيْتَني
الهنا وكيفَ لستُ أعْتَني مفتقراً بالفقرِ إذ أقَمْتَني
أم كيفَ كنتُ لإفتقارٍ يعتني وأنت بالجودِ لقد أغنيتني
أنت كريمٌ لا إله غَيْرُكَ مَقْصُودُنا أنت وعَمَّ خَيْرُك
لقد تعرَّفْتَ لكلِّ شيْءٍ ثُمَّ تَعَرَّفْتَ بكلِّ شيْءٍ
إليَّ فهو أبداً ما جَهِلَكَ وكلُّ شيْءٍ أنتَ فيه مَنْ مَلَكَ
وإنّكَ الظاهرُ في الكلِّ نَعَمْ وأنت ظاهرٌ له يا ذا النِعَمْ
يا مَنْ له إستواءُ رَحْمَا نيّتِهِ على عَظيمِ عَرْشِ سُلْطَانيّتِهِ
وتلكَ رحمانيّةُ صارتْ لَهُ أي عَرْشُهُ مَخْفِيّةٌ لِمَا لَهُ
فصارَ عَرْشُ اللهِ غَيْباً فيها كما غَدَتْ غَيْباً لِمُسْتَفْتيها
عوالمُ الكونِ لعرشِهِ العلي فَهُنَّ فيهِ أصْبَحَت غيباً جَلي
مَحَقْتَ يا إلهي الآثارَ ثمَّ مَحَوتَ بَعْدَها الأغيارَ

---

١ — في الاصل « خلقنى ورزقنى هدينى » .

ذا بِمُحِيطَاتٍ مِنْ الأنوارِ ذلِكَ أفلاكٌ لهَا طوارى
يا مَنْ غدا على سُرادِقَاتِ مِنْ عِزِّهِ مُحْتَجِباً بذاتِ
عن أنْ تكونَ مُدْرِكاً أبْصَارُ لِوَجْهِهِ فى دارِنا ما الدارُ
يا مَنْ تَجلَّى فى كمالٍ مالَهُ مِنْ البَهَا وما غدا جَلالُهُ
كذا جَمالُهُ لذا تَحَقَّقَتْ شَمْسُوسُ أسرارٍ له فأشْرَقَتْ
فشاهدتْ جَلالَ عَظَمَتِهِ فأكْسَبَتها عِظم سَلْطَنَتِهِ
يا ربّ كيفَ أنت ذا لِتُخْفِى وإنّكَ الظاهِرُ جَلَّ وَصْفاً
أمْ كيفَ يا مَنْ لا يغيبُ أبداً تَغيبُ يا رَقِيبُ حاضرٌ بَدا
فأنتَ ظاهرٌ فلا تَغيبَ وأنت حَاضرٌ كذا رَقِيبُ
وربّى الموفِقُ المعينُ بِهِ على المرَامِ أستَعينُ
قد إنتَهى كلامُ صاحبِ الحِكَمْ على إستِعَانَةٍ لَهُ جَفَّ القَلَمْ

●

خاتمـــــة

مُرادُنَا بِنَظْمِها تَيْسيرُ ... مِنْ الكَلامِ ما هو العَسيرُ

ورُبّما ضَمَمْتُ للتَتْميمِ ... تبْيانَ شارحٍ لها عَليمِ

أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عيسى (١) ... من فاسٍ مَغْربٍ بها رئيسا

أعْجُوبَةِ الزمانِ فى المعانى ... مُشَعْشِعْ الفؤادِ فى العِرفانِ

قد شَرَبَ الصَافِي مِنْ بَحْرَيْنِ ... برزخ كَشْفٍ مَجْمَعِ البَحْرَيْنْ

وارث علمِ الشاذلىّ حقّا ... آخذ أعلامِ الكمالِ صدْقا

غوّاص بحْرِ الكشفِ والأسرارِ ... طلعة شمسٍ فَلَكِ السيّارِ

بَهجَة بارٍ قرّة العُيُون ... مَسَرَّة المكرُوب والمَخْزُون

فى كلّ وَصْفٍ وَصْفُنا قَصيرُ ... مِنْ الرضا يَحفُهُ الشكُورُ

جَازاهُ عن ذا الشَرْح ما يرضيه ... حتّى إلى أحبَابه يؤويه

والشارحُ المُحقّقُ الهُمَامُ ... تأريخ ما مَضَتْ لــه أيّامُ

---

١ — هو الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسى الفاسى المعروف بزروق ، كان عالمــا وزاهدا ولد فى فاس عام ٨٤٠ ومات أبوه قبل تمامه اسبوعا فنشأ يتيما ، حفظ القرآن وتعلم المبادىء فى فاس ، ثم كانت حياته بعد ذلك دراسة وسياحة وتجردا ، دخل مصر وبقى فيها مدة ، ثم توجه الى طرابلس ، أخذالتصوف عن أئمـــة عصره ومنهم النورى ، وأخـــذ الحديث عن أبى الخـــير محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، فبرز فى ميادين العلوم وألف عدة كتب منها :

١ — تفسير للقرآن الكريم .
٢ — شرح صحيح البخارى . وهو مطبوع الى الجزء السادس .
٣ — شرح متن القرطبية .
٤ — شرح رسالة أبى زيد القيروانى .
٥ — شرح حزب البحر للامام الشاذلى .
٦ — شرح دلائل الخيرات .
٧ — ألف كتاب قواعد الصوفية .
٨ — كتب ستة وثلاثين شرحا على الحكم العطائية .

وتوفى سنة ٨٩٩ هـ ودفن بمطرطة بطرابلس .

ترجمته فى الضوء اللامع ١/٢٢٢ ، وفى جمهرة الأولياء ٢/٢٦٥ . وكذلك ترجم له المناوى فى طبقات الصوفية ، وفى مقدمة ما طبع من شروحه على الحكم .

ثمانمائةٍ وسبعينَ كذا ... سنةٍ(١) مِنْ عامِ ما نفذا

أجازَهَ فى حِكَمٍ مُرْشِدُهْ ... فى ذاكَ شمسُ الدينِ ذا مُعْضِدُهْ(٢)

هو السخاوى(٣) بدارِ القاهرةِ ... أخبرَهُ عن شيخهِ مجاهرَهْ

ببيتهِ المقدّسِ الإمامُ ... ذاك أبو زيدٍ(٤) هو الهمامُ

هو ابنُ عمر عن شيخهِ التقى(٥) ... فى كُتُبِ الشيخِ هو السبكىّ

أبو الحسنِ علىٌّ الموافى ... شيخُ الشيوخِ ابنُ عبد الكافى

عن المؤلفِ المجيزِ فيها ... ألّفهُ محقّقاً عليماً

لطائفَ المننِ والتنويرَ ... تاجَ العروسِ علمُهُ خطيرُ

وبعدُ مفتاحُ الفلاحِ بعدَهُ ... قولٌ مجرد وذاك بعدَهُ

تتمّه الخاتمة

وعددُ شروحِ ذا التحريرِ ... لذى الكتابِ أن تروا تقريرى

قد كملتْ عليه سبعةَ عشرَ ... منقولنا هذا الأخيرُ فاشتهرَ(٦)

تأليفهُ أصبحَ بالقاهرةِ ... كذا بها ما قبلَهُ فالتفتِ

---

١ — فى الاصل « وستة من عام ما نفذا » .

٢ — وذكر فى مقدمة شرحه على الحكم : أنه أخبره بجملة من كتب ابن عطاء الله السكندى ، واجازه شفاها الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى المحدث بالقاهرة سنة ٨٧٠ هـ قال : أخبرنا بها اجازة فى بيت المقدس الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبانى ، باجازة من شيخه شيخ الاسلام التقى أبى الحسن على بن عبد الكافى السبكى عن مؤلفها الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى .

ونقول : وجملة ما رأينا منها (أى مؤلفات ابن عطاء الله) خمسة : التنوير ، لطائف المنن ، تاج العروس ، مفتاح الفلاح ، القول المجرد فى الاسم المفرد .

٣ — هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى .

٤ — هو أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القبانى .

٥ — هو التقى أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى .

٦ — لعل الشيخ وصله الى الشرح السابع عشر ، والا فان شروح الشيخ أحمد الفاسى المعروف بزروق على الحكم أكثر من ثلاثين ، قال الشيخ محمد ابن فضل المنوفى فى كتابه جمهرة الاولياء ج ٢ ص ٢٦٥ : ان الشيخ زروق كتب

=

وفى بَجايةَ خامسُ عَشْرأتى ورابعُ العَشْرِ بفَاس ثَبتَ
كذا بِها العاشرُ والحادى عَشَرْ وما يليه عدداً داك ظَهَر
وتاسع الشُروح فى بَجَايَةِ وثامن بتُونُسَ العِنَايَةِ
وجاء فى طَرابلس(١) سابعُها وجاء فى قاهرة سَادِسُها
وخامس بطيبةَ الرسولِ صلىّ عليه اللهَ بالتبجيلِ
وجاء فى قاهرة رابعُها ثالثُها بتُونَسَ واضعُها
وجاءَ نِصْفُ الثانى فى فَاس وفى تُونُسَ تمّ بفاس التمرف
أوّلُها أتىَ ولكن سُرِقَ تلك شُرُوحُ شارح تَحَقَّقَا
جَميعُها مُوضُوعَة على الحِكَمْ أجْرى عليه اللهُ أبْحُرَ الكَرَمْ

خاتمة التتمة

ودُونَ هذا الشيخ قد علِمْنَا من الشُيُوخِ شارحيهِ مَعْنى
لِستّة قد بلغُوا أوّلُهُمْ بحرُ الكمالِ أنَّه أفضَلُهُمْ
العارفُ المحقِقُ الخطيت هو إبنُ عبدُ اللهِ(٢) ، والأريبُ
مُحَمَّد هو إبنُ إبراهِيمَ إبْـ ن مالك لإبراهيمَ قَدْ نُسِبْ

=
ستة وتلاثين شرحا على الحكم .وطبع الشرح السادس عشر والسابع عشر من تلك الشروح ، وكتب مقدمتها المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ جامعه الازهر سابقا . وقد عدد الشيخ أحمد الفاسى عدد شروحه على الحكم فى مقدمة شرحه السابع عشر وبين مكان وتأريخ التأليف كما نظمه الشيخ نور الدين — رضى الله عنه — .

١ — فى الاصل « طرابليس » .
٢ — الصواب هو أبو عبد الله .

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن يحيى ابن عباد النفرى (نسبة الى نفرة وهى قبيلة أفريقية) المالكى ، ولد فى « رندة » سنة ٧٣٣ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن ، ثم وصل لفاس وتلمسان فقرأ بهـا الفقه والاصول والعربية ، ثم عاد فصحب أفضل أهل زمانه ، وهو الشيخ
=

وِلادَةُ إبنِ محمّدِ بنِ ما ... لِكَ بنِ إبراهيمَ إبنِ مَنْ نَمَا
يَحيى بن عبّادٍ إمامُ نَفْرى ... المالكيّ مَذْهباً مُعْتَبَرى
قَدْ أكمَلَ الكتابَ بالحِجابِ ... قَدْ بَيّنَ النَّصَّ مِنَ الكتابِ (٢)
وآثرَ النقلَ على إخْتِراعِ ... لم يأتِ مثلُ ذا الإمامِ الساعى
وكان ذا سَمْتٍ وزُهدٍ وتُقَى ... كذا تَجَمّلٍ وصَمْتٍ ونَقَى
كذا عَفَافٍ وصِيَانَةٍ أتى ... قد حَفِظَ القُرآنَ فيما ثَبَتَ
مِنَ السِّنِينَ سَبْعَةٍ مُولِدُهُ ... بِرَنْدَةَ المَغْرِبِ ذا مَهدُهُ (٤)
لسبعمائةٍ وثَلاثٍ وثَلاَ ... ثينَ من الهجرةِ ثمّ إرْتَحَلَ
لِتِلِمْسَانَ وكذا فاس قَصَدْ ... عِلمَ الأُصُولِ ثمّ فقه وجَهَدْ (١)
والعَرَبيّةِ وكذا الإرشادِ ... مُخْتَصَرَيْ إمامِنا الأستادِ
أعني إبنَ حاجبٍ وتَسْهيلَ ابن ما ... لِكٍ كذاك فيه العُلَمَا
ومن شُيُوخِهِ هو الإيلِيُّ ... كذا الشريفُ العارِفُ الجِلِيُّ
هو الإمامُ التِلْمِسَانيُّ كذا ... عند المُحَامى لقد تَلَمَّذَا
وآخَرِينَ ، والوفاتُ فى رَجَبْ ... لسبعمائةٍ وتِسْعِينَ ذَهَبْ
عَقَّبِيَهَا خَمْسُ بفاسٍ دُفِنَ ... نَوارُهُ كالشمسِ نُوراً عَلَنَاً

* ● *

=
محمد بن أحمد عاشر بمدينة « سلا » وبقى هناك الى أن توفى الشيخ سنة ٧٧٧ هـ فانتقل الى مدينة فاس وبقى بها خمس عشرة سنة خطيبا بجامع القرويين ، وتوفى يوم الجمعة ٤ رجب سنة ٧٩٥ وقيل سنة ٧٩٢ هـ .

وهو أول من شرح الحكم العطائية وكان شرحه بناء على طلب الشيخ أبى ذكريا السراج . وطبع هذا الشرح بمطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى .

ترجمته فى جمهرة الاولياء ٢/٢٥٧ ، وفى كشف الظنون ١/٦٧٥ ، وفى قرة العين الذى هو الشرح السادس عشر للشيخ زروق ١/٤٠ — ٤٢

١ — هذا الشطر من البيت بالحساب الأبجدى يساوى (٧٨١) وهذا ربما تاريخ تأليفه لشرح الحكم .

٢ — فى الاصل « برنده المغرب ذا معهده » .

٤ — فى الاصل « ثم فقها وجهد » .

تنبيـــه

ورامَهُ(١) الرماح بالشرحِ وهو عدلُ طرابلسَ(٢) لا يُشْتَبَهُ
ذا بأبى القاسمِ مَنْ يلقَّبُ له برأسِ كُلِّهنَّ خُطَبُ(٣)
ورامَهُ كذا أبُو المواهبِ(٤) مُحَمَّدُ بنُ زَغْدانَ المغربِى
وتونسىٌّ الأصلِ حَلَّ مِصْراً مُحَسَّنُ الأخلاقِ جَلَّ أمْراً
فى كلِ غربٍ يَوْمَهُ ليس أحَدْ يفْهَمُ علمَ القومِ مِثْلَ ماوَجَدْ
أتى بِشَرْحِهِ من الفلاسفَه ولمْ يُكَمِلْهُ لِرُبْعِ صَنَّفَهْ

---

١ — كان فى الاصل « ورامه المداح » وهو خطأ من الناسخ والله أعلم .

٢ — فى الاصل « طربليس » والصواب ما أثبتناه .

٣ — وعلق الشيخ أحمد زروق على شرح أبى القاسم الرماح فى كتابه قرة العين ٤٢/١ بقوله : وغاية كتابه أنه وضع لكل حكمة خطبة ، وأدخل فيها بعض كلام ابن عباد وكثيرا من كلام ابن فارض على غير مناسبة ولا مطابقة .

٤ — الشيخ صفى الدين محمد أبو المواهب التونسى المعروف بابن زغدان ، يقول عنه الشعرانى : كان من الظرفاء الأجلاء والعلماء الراسخين ، أعطى ناطقة سيد على أبى الوفاء ، وعمل الموشحات وألف الكتب الفائقة ، وكان مقيما بالقرب من جامع الازهر ، وكان أولاد أبى الوفا لا يقيمون له وزنا ، وكان هو معهم فى غاية الأدب ... وأمسكوه مرة وهو داخل بزور السادات فضربوه حتى أدموا رأسه ، وهو يتبسم ويقول : أنتم أسيادى وأنا عبدكم ، ألف كتاب القانون فى التصوف ، وشرح الحكم ، وقد فصل الشعرانى فى ترجمته كثيرا ، وعلق الشيخ زروق على شرحه للحكم ، فقال : وله لسان عظيم فى كلام القوم ، غير أنه لم يكمل كتابه ، ونحى فيه نحو دقائق الفلسفة وشقائق العبارات ، ولا أدرى ما قصده بذلك . توفى بالقاهرة سنة ٨٨٢ .

ترجمته ، فى طبقات الشعرانى ٦٠/٢ — ٧٣ ، جامع كرامات الاولياء ٢٨٣/١ ، قرة العين ٤٢/١ — ٤٣ .

ورامَهُ الفَرَاوَضِيُّ(١) لكن لم يُكَمِلْ الكتابَ ثمَّ أُمْتُحِنْ
وماتَ مَرْضُوضاً عياذاً باللهِ عامَ ثمانيمائةٍ تَقَفّاهُ
إثنانِ وكذا ثلاثُونَ وقدْ كَالَهُ مِنْ الدَّعَاوى ما قَصَدْ
مِن رُؤْيَةِ النبيِّ فى نَظِيرِها لذا إبْتَلاهُ اللهُ فى تَخْبِيرِها
ورامَهُ بالشَرْحِ من شامٍ فتَى ذاك إبنُ صَابُونِىّ(٢) الملتفتا
بقولِهِ ومالَ فى الكلامِ ذاك هُنَا ليس مِنْ المَرَامِ
جَزاهُمْ اللهُ جزاءً كافيا من المداناةِ سَقَاهُمْ شَافِياً

* ● *

---

١ — لم أعثر له على ترجمة لكنه حسبما ذكره الشيخ يكون تأريخ وفاة الفراوضى سنة ٨٣٢ هـ .

٢ — لم أعتر لابن الصابوني على ترجمة لكن الشيخ زروق فى قرة العين ٤٣«١ قال : وأخبرت أن رجلا يقال له ابن الصابونى شامى الدار كتب عليه ، نحى به نحو علم الكلام أو أصول الدين .

وقد شرحها عدد من العلماء غير الذين ذكرهم الشيخ :

١ — شرحها الشيخ عبد الرؤوف المناوى وسماه الدرر الجوهرية .
٢ — شرحها المدابغى ، وهو الشيخ حسن بن على الازهرى .
٣ — وشرحها الشيخ أبو الطيب ابراهيم بن محمود الاقصرانى .
٤ — وشرحها الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلى .
٥ — وشرحها الشيخ أحمد بن محمد ابن عجيبة وسماه ايقاظ الهمم .
٦ — وشرحها الشيخ عبد الله بن حجازى الخلوتى الشرقاوى .
٧ — وشرحها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الازهرى .

وغيرهم كثير ..

تعريف مؤلف الأصل

حَكِيمُ حِكَمٍ وتُرْجُمانُ أعْجُوبَةٌ أتى به الزمانُ

إمامُ دَهْرِه الهُمَامُ العارفُ مُحَقِّقُ العصرِ لَهُ مصارفُ

قُلُوبِ كلِ عارفٍ وسالكِ قُدْوَةُ كلِّ سالكٍ وناسِكِ

ذلك تاجُ الدينِ والإسلامِ أحْمَدُ بنُ محمّدِ الهُمامِ(١)

عبدُ الكريمِ جَدُّهُ وبَعدَهُ عبدُ الرحمنِ صارَ بَعدُ جَدُّهُ

وبَعدَهُ قد كانَ عبدُ اللهِ هو إبنُ أحمَدَ مِنْ الأشباهِ

هو إبنُ عيسى بنُ الحسينِ بنِ عطا

ءِ اللهِ قِسطاسُ الطريقِ مُقسِطاً

هو الجذامى نَسَباً ومالِكى بِمَذْهَبِ أسكَنْدَرِىٌّ مَسلَكى

أى سكَنَ وماتَ فى قاهِرَةِ فى سَبعِمائةٍ وتسعٍ سَنَةِ

جمادى الآخرَ زادَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِ سبحانَهُ وجَلَّ

وشيخهُ قطبُ الإمامُ المرسّى ذاك أبو العباس (٢) يا مُلتَمِس

وشيخُهُ هو الامامُ الشاذلى(٣) أبُو الحَسَنِ ذوُ الطريقِ الأكملِ

حَفَّهُمْ الرحمنُ بالإجلالِ أجَلَّهُمْ برحَمةِ الإفضالِ

ولم يَزَلْ إليهُمْ التدلىّ منه إليهم ولَهُمْ تَرَقّى

مناجاة الشيخ نور الدين بعد تمام الكتاب

أسألُهُ سبحانَهُ أن يَجْمَعَ بِهِمْ فقيراً يومَ يَرفَعُ الدُعا

---

١ ـ سبق ترجمته فى ص ١١٤ .
٢ ـ سبق ترجمته فى ص ١٤٢ .
٣ ـ سبق ترجمته فى ص ٢٨٥ .

يَمْنَحُنى بِمَحْضِ رحمانيَّتِهِ مَهْبَطَ نظرٍ لمنّانيتِهِ
فى عِزِّهِ لازلتُ مُتَبوِّءاً بعبئ (١) العرفانِ مُتَنَوِءاً
أسْكَنَ فى بُحْبُوةِ التقريبِ منجمعاً عليه بالتَحْبيبِ
تألفُنى للهِ بركاتٌ وصلواتُ اللهِ وهِباتُ
وسائلُ الإمْدادِ والبَواعِثِ لازالَ مولاىَ علىَّ باعثُ
عن كُلِّ كُربةٍ يمنُّ بالفَرَجِ يَسلُكُ بى إلى مَعَارِيجِ النَهَجِ
يُسامِحُ الذُنُوبَ والقَبائِحَ ويَستُرُ العُيُوبَ مِن تَسَامُحِ
يَحُولُ بينى والمناهى بَرزَخا عَن كُلِّ شئْ لم أزَل مُنسَلِخاً
وفى مواهبِ الكريمِ أرقُدُ مُنفَرِداً هناكَ إذ لا أحَدُ
بربِّ نورِ فلَقٍ أعُوذُ مُلتَجِياً بِمالِكى ألُوذُ
بقهرِهِ على عِداىَ أقهَرُ فمَنْ قَلاَ أو إعتَدَى يَنكَسِرُ
فى حِرْزِهِ المَنيعِ أتحَرَّزُ بِعِزِّهِ العَزيزِ أتعَزَّزُ
وكلُّ مَنْ عانَدَنى يَنْتَكِسُ وأمْرُهُ بين الأنامِ يُعْكَسُ
يا ربِّ هذا غايةُ التَعَطُّشِ فى حضرةِ القُدْسِ أبِنْ لى مَعْتَشْ
لشكرِكَ اللهمَّ لستُ أغْمِصُ بِكَ العياذُ إذ يَغُصُّ الغَصَصُ
وأجْرِ لى مِيزابَ فَيْضٍ فائِضٍ ونافِلاتى أقْبِلْ كذا فَرائِضى
وإجْعَلْ فُؤادى بالنَعِيمِ يَنْبَسِطُ
فكلُّ فردٍ لِمَقامى يَغْتَبِطُ
أعوذُ باللهِ مِنْ الغَليظِ فُؤادٍ متكبِّرٍ فَظيظِ
بَوارِقُ شوارِقٍ لَوامِعُ طوالِعُ العِرفانِ والهَوامِعُ

---

١ — فى الاصل « بعبأ العرفان » .

غاشيةٌ باللهِ وسَوابِغُ … بها لنَشاطاتٍ لنا سوائغُ

فلا أكون شاهداً للأسفِ … أنْجحْ بالحسَنَة أعلى الغُرَفِ

قرِّبْ إلٰهى مقْعَدِى مُحقّقاً … مهْبِطُ أنوارِ الجلالِ مُطلَقاً

كما يُجيرُنى مِنْ المَهالِكِ … فآتِنى ممالِكَ المَمالِكِ

لأن أرى مَظاهِرَ الجلالِ … مُبَشِّراً بِخَلْقِهِ الجَمالِ

مِنْ غيرِ نُقْصانٍ ولا تبَرُّمٍ … ولا إنقطاعٍ لخَفيفِ النعَمِ

نفسى مِن الإبعادِ ربِّ تَحزَنُ … أينَ أنا المَعْدُومُ إذ امتَحَنُ

هذا إفتقارُ العبدِ للالَهِ … يَسألُهُ فَوائدَ انتِباهِ

ولات حينَ يَأْسِهِ منك ولَو … أقعَدَهُ الهمُّ بلَيْتَ وبلَوْ

لا تَكِلْ المَلْهُوفَ للغيرِ ولا … تُسَلِّمهُ للمنقذاتِ الأملاَ

يا مَنْ لَدَيهِ مأملى ومَنْجِئى … كذا مُرادى وكذاك مَنْجئى

الحمدُ لله الذى بالحُسْنى … ختَمَ لى وَسوْفَ لى بالأسنى

يَختِمُ بالإيمانِ والإسلام … عند إنقطاعِ العُمرِ والأيّامِ

فإغْفِرْ لنورِ الدينِ ذا الأيتُوتى … والديْهِ بإسْمِكَ اللاهُوتِ

من بَعْدِ ألفٍ وثلاثين أتتْ … ومائتَيْنِ ثمّ تِسعٍ قَدْ مَضَتْ

ألّفَ ذا الكتابَ يومَ إثْنَيْنِ … عزَّةَ ذى الحِجَةِ نورَ العَيْنِ

نَسْألُهُ اليُمْنَ وبركاتِهِ … وقِسمَةَ الدُعا(١) بِعرَفاتِهِ

يا ربِّ بالجِدِّ فكُنْ غفُوراً … وكُنْ لنا تأليفنا شكُوراً

أنا الحسينىُّ البريفكى أصْلاً … والقادرِىّ والعجمىّ قَوْلاً(٢)

---

١ — يظهر من هذا ان الشيخ لم يكن قد حج فى الوقت الذى ألف هذا الكتاب وهو سنة ١٢٣٩ هـ كما لم يثبت انه جح بعد ذلك .

٢ — العجمى قولا : يعنى لغته الأصلية غير اللغة العربية حيث ان الشيخ — قدس سره — كان كرديا ، واجداده كانوا كذلك من الأكراد .

والشافعيّ مَذْهَباً ، أجدادي   أقطابُ هذا الدين بالإرشادِ
لكنّهم أكرادٌ في الجبالِ   فانقطعوا عن شُهرةِ الرجالِ
وآثروا الخُمُولَ والتخلّي   واتّصفوا بحليةِ التسلّي
طريقهم سُمّي بالخلواتِ   وكلّهم أقطابُ تكرماتِ
لو شمّ ذو شمّ لهم أجداثاً   لاستنشقَ الذي غدا ميراثاً
من حالهم نفحةُ مسكٍ عابق   مزارُهم مزارُ كلّ عاشقِ
فأنعشْ أولادَهم بنورِهم   وطهّر القريةَ من طهورِهم
وأسلكْ بأولادِهم مسالكَهم   واجعلْ لهم أئمّةً تسلكُهُمْ
وسنداً ومرشداً يرشدُهم   بنورِ قلبِه لكي يعضدَهم
وأنشرْ بهِ نشائرَ الأسحارِ   على وجوهِ كلِّ فردٍ ساري
وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل   والحمدُ للهِ العظيمِ الجليل
حمداً كثيراً دائماً لا ينفدُ   إلى انقضاءِ دهرِنا يُجدّدُ
ثمّ الصلاةُ والسلامُ أبداً   على نبيٍّ اسمُهُ محمّداً
وأفضلُ التسليمِ والتعظيمِ   وأجزلُ الإجلالِ من عظيمِ
مع التحيّاتِ على كلّ نبيّ   وآلِهم بعدَ النبيّ العربيّ
ثمّ الرضا على خليفةِ الهُدى   أعني أبا بكر(١) إمامِ الشُهدا
وبعدَهُ الفاروقُ للحقّ عُمر   ومَنْ بهِ الدينُ الحنيفيّ ظهرَ
ثمّ عن الهُمامِ ذي النُّورينِ   عُثمانَ ذي الوقارِ في الدارينِ
والمرتضى سيّدِنا علِيّ   زوجِ البتولِ قمرٍ جليّ
والحسنينِ ثمّ عن عمّيهما   وبضعةِ النبيّ أمّهما

١ — في الاصل « أبي بكر » .

وسائرِ الآلِ وأصحابِ النبّي ... وزَوجِهِ مُعَظَمَاتِ الرُّتَبِ
وعن جميعِ الصَحْبِ والأتباعِ ... وكلِّ مَنْ قَفَاهُ بإتْبَاع
ثمّ الإمامِ الشيخِ عبد القادرِ ... بَحْرِ العلُومِ ذى المقام الفاخرِ
وعن شُيُوخِ نَهْجِهِ القَويمِ ... ومَنْ على قِسْطَاسٍ مُسْتَقِيمِ
يارب كلِّ أدبِ هُنَا خَتِمْ ... كما لنا المَنْطُوقُ ههنا إخْتَتَم
قد رَجَعَ الأوّلُ للاخرِ فى ... عَيْنِ ظُهُورِ كلَ سرّ مختفِى
مع إختصاص بالمُلْكِ(١) مع الشهادَةِ
والملكوتِ خارقاً وعادةَ
والحمدُ للهِ هو إخْتِتَامُ ... وهَهُنَا قد خَتَمَ الكلاَمُ

وزاد ناسخ الرسالة هذين البيتين

ربِّ بذا التأليفِ والمكتوبِ ... فإغفر لهذا الكاتب المَعْيُوبِ
كاتِبُهُ الهَجْرِىُّ للأحبابِ ... بَحْرُ الذُنوبِ خَادِمُ الطَلاَبِ

---

١ — فى الاصل « مع اختص بالملك » .

مختاراتٌ من قصائد الشيخ نورالدين

ديوان شعر الشيخ نور الدين

ان الشيخ يعتبر من الشعراء المكثرين حيث ألف قصائد كثيرة باللغات الثلاث : الكردية ، والعربية ، والفارسية ، ولو جمعنا جميع أشعاره لكان ديوانا كبيرا جـدا .

غير أنى لم أجمـع بالترتيب الا أشـعاره المنظـومة باللغة العربية ، ولى الأمل فى أن يوفقنا الله لتأليف كتاب مستقل بحياة الشـيخ وأشعاره باللغة الكردية نجمع فيه جميع قصائده الكردية ، ويمكن ادراج القصائد الفارسية فيه وهى ليست كثيرة ، ومما يجدر بالاشارة أن قصائده باللغة الكردية كثيرة جدا ومهمة جدا من حيث المعنى والصياغة بحيث تستحق أن يخصص لها كتاب مستقل .

ديوان شعر الشيخ باللغة العربية :

لقد تمكنت من جمع قصائد الشيخ العربية ، حيث الموجـودة من القصائد العربية عندى يبلغ حوالى ست وسبعين قصيدة تشتمل على ألفين وستة وعشرين بيتا ، وهى على هذا التفصيل ٣٧ قصيدة منوعة تشتمل على ١٤٤٩ بيتا و ٣٠ قصيدة معشرات تشتمل على ٣٠٠ بيت و ٩ قصائد تخاميس تشتمل على ٢٧٦ بيتا .

ومن حيث المعنى والمغزى يشتمل الديوان على جميع فنون الشعر الصوفى فيه الحث على الزهد والقناعة والرضا بالقضاء والقدر وكذلك الحث على تحمل المشاق والصعاب فى سبيل الوصول الى المحبوب (الله) وفيه الحث على التوكل وترك الدنيا لأربابها وعدم مخالطة الظالمين والترهيب من سيآت الأعمال والترغيب فى العمل الصالح والتسامح ونكران الذات وفيه آداب السلوك وتربية المريد كما يتناول فى أشعاره صفات الله وصفات المرسلين وأخلاق الأولياء الصالحين وغير ذلك .

كيفية جمع هذه القصائد :

اننى لم أحصل على ديوان كامل فى كتاب مستقل للشيخ نور الدين مع كثرة البحث عنه وبذل أقصى الجهد فى سبيله ، حتى غلب على ظنى أنه لا يوجد هناك فى الوقت الحاضر ديوان مرتب لأشعار الشيخ . أما أنه هل كان هناك فى السابق ديوان كامل مرتب للشيخ أم لا ؟ هذا غير معروف لدى ، لكن أغلب الظن أنه كان هناك ديوان بل أكثر من ديوان لأشعار الشيخ ، لكن الحرائق التى نشبت فى تكية ومكتبة بريفكان ، وبعض مكتبات كردستان الأخرى ، والأحداث التى جرت فى كردستان بسبب الظروف التى هيأتها الاستعمار هناك والمخططات الامبريالية لحرمان الشعب الكردى من ممارسة حقوقه أدت الى تلف وضياع آلاف الكتب كما أودت بحياة آلاف الناس ، وربما كان ديوان الشيخ أحد هذه الضحايا .

هذا ولعدم وجود ديوان مرتب لأشعار الشيخ لاقيت صعوبة كثيرة فى سبيل جمع هذه القصائد حيث قمت بجمعها فى كتب وصحائف مفرقة هنا وهناك بعضها فى المكتبات الخاصة مثل مكتبة الشيخ على الطالبانى ومكتبة فضيلة الشيخ عبد الحميد الاتروشى وصادق بهاء الدين وغيرهم كثير والمكتبات العامة مثل مكتبة أوقاف الموصل قسم المخطوطات ومكتبة الأوقاف المركزية فى بغداد .

تحقيق هذه القصائد :

ان تحقيق هذه القصائد لم يأت على مستوى واحد ، حيث حصلت على عدة نسخ فى بعض القصائد ، بينما فى البعض الآخر لم أحصل الا على مخطوطة واحدة ، كما أن فى بعض القصائد حصلت على نسخ واضحة وجيدة أو نسخة مشروحة ، بينما فى البعض الآخر لم أحصل الا على نسخة واحدة رديئة الخط أو شبه ممزقة .

ما جمعناه هل يعتبر جميع قصائد الشيخ باللغة العربية أم لا ؟ :

لقد بذلنا قصارى جهودنا فى البحث والتمحيص لجمع ما أمكن جمعه من قصائد الشيخ ، وجمعنا قصائد كثيرة ، لكن هذا لا يعنى أننا جمعنا كل قصائده ، فقدوردت اشارات فى بعض المصادر تدل على أن الشيخ ألف قصيدة بائية فى الأسماء الحسنى للرسول (ص) سماها « نظم الدرر لأسماء النبى المفتخر » ومع علمنا بنسبة هذه القصيدة للشـــيخ وبحثنا عنها حوالى أكثر من سنة لم نحصل لها على أثر ، كما أن هنـــاك عدة قصائد نعتقد بوقوع النقص فيها • كما أنك اذا لاحظت هذه القصائد عدى المعشرات لا تجد فيها قصائد قافيتها على الحروف التالية : الثـــاء ، الخـــاء ، الراء ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظـــاء ، العين ، الغين ، الكاف ، وهذا وان دل على أن الشيخ لم يؤلف قصائد على تلك الأحرف ، لكن يحتمل أنه ألف القصائد على تلك الأحرف ، وهذا يعنى احتمال وجود قصائد للشيخ لم نعثر عليها •

لأجل ذلك صرفنا النظر فى الوقت الحاضر عن نشر ديوان الشيخ واكتفينا بنشر مختارات من أشعاره العربية حيث اخترنا للنشر قصائد تمكنا من دراستها وتحقيقها والتأكد من صحة نسبتها الى الشيخ •

وكلنا أمل فى أن يأتى اليوم الذى أتمكن فى جمع وتحقيق ودراسة جميع قصائده فى ديوان مستقل باللغة العربية ، وديوان مستقل باللغة الكردية بعون الله الملك المنان الذى بيده ناصية كل شىء وهو ولى التوفيق •

محمد أحمد مصطفى الكزنى

المعشرات للشيخ الكبير والقطب الشهير الشيخ نور الدين قدس سره

آلَ حُبِّى إلى إنْتِهاءِ(١) إنْتِهاء لمُحَيَّاكَ فى إبتِداءِ إبْتِداء

أسَّسَ الحُبَّ فوقَ عُنْصُرِ بُغْضٍ

أو تُحالُ(٢) الأعداءُ بالأولياءِ ؟

آهْ فَكَّ الحَبِيبُ عَقْدَ وِصالٍ وإنْطفتْ نارُ زَفْرَتى(٣) بالهواءِ

أنتَ أوْلَى بأن أُبثَّ إليه

عِظَمَ هَمِّى ، ولَهْفَتِى ، وإشْتِكائى

إخْوَةُ الأنسِ آنَسُوا نارَ موسى

من لنا منهم(٤) بعُودِ إخاءِ

آنَ وَعْدِى (٥) ، ولاتَ حينَ وَفائى

طالَ أُفْقِى ، ولاتَ وقتُ صَفاءِ

إنَّنى بَعْدَ بُعدِ كلِّ المَرامِ

جِئْتُ أسْلُو(٦) بقِصَّةِ الأصْفياءِ

---

١ — اى نهاية نهايات العشق . والمحيا : الوجه . وابتداء : اى بداية السلوك .

٢ — تحال : اى تنقلب ، من حال يحول : اذا تحول .

٣ — وفى نسخة « زفرتى » : وهو التنفس من شدة الأنين ، وزفر زفيرا : أخرج نفسه بعد مدة . وفى نسخة « ظفرتى » و الظفرة : داء يكون فى العين يتجللها منه غاشية كالظفر .

٤ — وفى نسخة « منهمو » .

٥ — وفى نسخة « أفك وعدى ولات حين صفائى » .

٦ — سلانى من همى تسلية : أى كشفه عنى سلوت : أى نسيت نفسى وذهلت .

أَرْخوا عن أيّامِ هَجْري تروها(١)
أَلْفَ عامٍ بفُرْقَةٍ وابتِلاءِ
أَمَّ صَحْبِي بقُدْوَةٍ قُطبَ وَقْي مَهبَطَ السِّرِّ بَرْزَخَ الإقتداءِ
أَنْبِئْ(٢) القومَ عن علومِكَ «نُوري»
يا نَبِيًّا للأكرَمِ المِعطاءِ

●

بِي أباهي أمْ ذا بحُسنِ الحبائبِ ؟
أهي مِنِّي أمْ تلكَ منهم عجائبِ
بِتُّ أملِي على رُقُومي وُجودي
بالذي أنشَأَ الخُطوطَ العرائبِ(٣)
بِعْتُ كُلِّي بكُلِّهمْ فاتَّحَدْنا بعدَ ذا صِرتُ نائباً أيَّ نائبِ
بانَ عنّي وُجُودُ فِعلٍ ، وعَنهم
كلُّ فِعلي الخبائثُ(٤) والأطائبُ
بَرُّهُمُ حَلَّ في مَوقِعِ جَوْري
فأبَرَتُ (٥) بِرُؤْبَةٍ وهي رائبُ
بالقُوى الطاهراتِ(٦) أصرِفُ عَنِّي
لا بِذاتي صُرُوفَ دَهرِ النَوائبِ

---

١ — وفي نسخة « تراها » .
٢ — وفي نسخة « أنبأ » على انه فعل ماض . « انباء » على انه مصدر .
٣ — هذا السطر ناقص في نسخة (ب) . الخطوط العرائب : أي المفصحة .
٤ — وفي نسخة « خبائث » بدون الألف واللام . « بان » أي ظهر واتضح .
٥ — وفي نسخة « فسررت برؤبة » وفي نسخة أخرى « فبرت برؤبة » . والرؤبة — بالضم — : القطعة التي يرأب به الاناء .
٦ — في نسخة « بالقوى القاهرات » . ونوائب الدهر : مصائبه .

بأطرابٍ(١) صَرَفْتُ عُمْرِى وغَيِّى
وإكتسابٍ وكيفَ تَعبُــرُ شائِبُ
بِنْ(٢) عن الحاضرينَ عند نُفوسٍ
حاضِرِ الشَّرِّ جاهِلِ الخيرِ غائِبُ
بذُنُوبٍ حِســابُه وعُيُوبٍ وهويَعْسُوبُ(٣)أمَّهاتِ المعايِبِ
بايَعَ اللهَ مَنْ يُبــايِــعُ « نُورِى »
سُورَةُ الفتْحِ بابُهُ وهو(٤) تائبُ

* ● *

تُبْتُ للهِ عن دَعاوى الثُّبُوتِ بعدذُلِّى وذاك قُطْبُ نُعُوتِ(٥)
تَحتَ أثوابِنــا من النُورِ جِرْمٌ
جَوْهَرُ الرُوحِ فيهِ من لاهُوتِ(٦)
تَرتضِى مُنْكِرِى تَسوءَ فؤادى بافتِراءٍ اوَّهْ لذا المَمْقُوتِ(٧)
تاهَ فِكْرُ العَنِيدِ فيما حَبَانَا جَهْلُهُ من تَغَلُّظِ الناسُوتِ(٨)
تَنْسِبُ الفضــلَ للإلٰه مُصِيباً كانَ مِنّا بِمَنزِلٍ فى البُيُوتِ

---

١ — وفى نسخة « باضطراب » بدل « باطراب » . « واكتئاب » بدل « واكتساب » . شائب : من شاب يشوب : وهو الخلط ، يقال : فلان يشوب ويروب : اذا خلط فى القول أو العمل .
٢ — بن : فعل أمر من بان يبين : أى انفصل ، أو من بان بيانا : أى انضــح .
٣ — وفى نسخة « عيسوب » الظاهر انه خطأ ، لأنه لم أجده فى اللغة . و « يعسوب » أمير النحل ، وعن الامام على — كرم الله وجهه — انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار أو المنافقين .
٤ — وفى نسخة « وهو نائب » .
٥ — نعوت : جمع نعت : وهو وصف الشىء بما فيه من حسن وجمال .
٦ — سبق بيان كلمة « لاهوت » .
٧ — المقت : أشد البغض ، فهو ممقوت : أى مبغوض .
٨ — حباه : أى أكرمه أو أعطاه . الناسوت : سبق تفسيره .

تَفْلَةُ العارِفينَ خُذْها شِفاءً
كُنْ سَمِيعاً لَهُمْ بِخَرْسِ سُكُوتِ
تلكَ أوْصافُ شِقْوَةٍ ونفاقٍ فاجْتَنِبْها أذِيَّةَ المَبْهُوتِ
تَبَصَّرْ الحقَّ تَفْتَحْ العينَ ما هي زَهْوُ دُنياكَ يا أخا هَارُوتِ(١)
تَلْ فَوْزٍ هُنَا ودُونَكَ بَحْرٌ لا تكُنْ فيه لُقْمَةً للحُوتِ
تابَ من أربعينَ عاماً فَما نَا
لَ بِمَقْصُودِ قَلْبِهِ «الأيْتُوتِى» (٢)

* ● *

ثُبْتُ(٣) إليه ألا هُنَاكَ التراثُ سُؤْرُ أهلِ التمكينِ وهو الأثاثُ
ثارَ للقَوْمِ شَوْقُ صَبٍّ ولكن شَطَّ(٤) عندَ المُخَبَّطِ الميراثُ
ثَمَّ نُورٌ بالعهدِ فاضَ علينا لم يشاهِدْ مَنْ عَهْدُهُ أنكاثُ(٥)
ثُمَّ بِتْنا في حُلْمِ نورِ إنْتِباهٍ
لا كَقَوْمٍ أحْلامُهُمْ أضْغاثُ(٦)
ثِقْ بعلمى حَاوَلْتُهُ من رجالٍ إبراءُ(٧) الكُمْهِ منهم النَفّاثُ

---

١ — الزهو : النبات الناضر ، والمنظر الحسن .

٢ — نسبة الى قرية أيتوت .

٣ — وفى نسخة « ثب اليه » .

٤ — شط : أى جاوز القدر وتباعد عن الحق . المخبط : هو الذى فى بصره ضعف .

٥ — نكث العهد : نقضه .

٦ — اضغاث أحلام : هى الرؤيا التى لا يصح تأويلها لخلطها .

٧ — وفى نسخة « ثق بعلم » بدون ياء المتكلم . وفى نسخة « أبرؤا الكمه » . حاولته : أى نقلته . الكمه — فى التفسير — : العمى الذى يولد به الانسان . النفث : أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون الا معه شىء من الريق ، والنفث : شبيه بالنفخ .

ثَرْوَةَ الشَمْلِ آثَرُوها بِسَهْرٍ كلُّ شَمْلٍ فى جنبهم أشْعاثُ(١)
ثَمَنُ الملتقى بهم حُورُ خُلْدٍ(٢) ما لها فَضٌّ مُلْتَقٍ والطِماثُ
ثَوْبُهُمْ رثٌّ وإرْتَدَوُا بخضوعٍ مِيتُّوا الذكرَ بينكم يا رثاثُ(٣)
ثمدَ(٤) الحوْضُ شَفَتْ العينُ دهراً
من نفوسٍ محبوبُها الأرْفاثُ
ثُنَيَتْ كعبةَ الصلاةِ عليهم
نُبْتَ عنهم « نُورِى » فَجَلّ أنبعاثُ(٥)

* ● *

جَذَّ قلبي إلى تَلَقّي الحَجيجِ فالفَيَافى ضاقَتْ لهذا الوَهيجِ(٦)
جُنَّ عقلى عَقيبَهُمْ إذْ بَدا لى
بُعدُهم حَسْرَةً بأمرٍ مَريجِ(٧)

---

١ — الشمل : الاجتماع ، جمع الله شملهم : أى ما تشتت من أمرهم . وفرق الله شملهم : أى ما اجتمع من أمرهم .
والتشعث : التفرق والتنكث .

٢ — وفى نسخة « حورخدر » . الفض : الكسر ، فض المرأة : كناية عن الوطء وازالة البكارة . والطمث : الحيض ثم جعل للجماع ، وطمثت المرأة : اذا دميت بالافتضاض .

٣ — الرث : الخلق الخسيس البالى من كل شىء ، تقول : ثوب رث ، ورجل رث الهيئة فى لبسه . والجمع رثاث بكسر الراء .

٤ — الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له ، وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فنى ونفد الا قليله . شف الماء : اذا نقص شربه ولم يبقى منه شيئا وروى : وأقبح شارب ، المشتف ، وأقبح طاعم المقتف . والرفث : الفحش من القول ، ويطلق على الجماع أيضا .
وفى نسخة « دهرى » بدل « دهرا » .

٥ — انبعث فلان لشأنه : اذا ثار ومضى ذاهبا لقضاء حاجته .

٦ — وفى نسخة « الرهيج » : وهو الغبار . « الوهيج » : أى التوقد ، والتوهج حرارة الشمس والنار من بعيد . و « الفيافى » : جمع الفيفاء : وهو الصحراء الملساء .

٧ — « أمر مريج » : أى ملتبس مختلط .

جَمْعُ شملى مِن فقدِهم ليس يُرْجَى
آلَ أمرى مِنْ بعدهم للنَّضيجِ (١)

جاءنى(٢) ذاك من رحيلِ الرِّفاعِى ،
والبَقا ، والعَقيلِ قُطْبِ المنيجِ

جَفَّ(٣) جَنْبِى ، وسالَ دمعى بِقَطْعٍ
فَرَّ صَبْرِى ، وزالَ نورُ البَهيجِ

جَمَعَ اللهُ بينه بعدَ بَوْنٍ(٤) ذا تَمَنٍّ لو أنَّهُ ذُو نَتيجِ

جُزْ بِأطْلالِهِمْ نَسيمُ ، وقُلْ لى :
ما الذى أتْحَفُوا لهذا البَهيجِ (٥)

جَبْرُ كَسْرِى من كلِّ أمْرٍ إذا فاحَ
إلينا الصَّبَا بِمِسْكٍ أريجِ (٦)

---

١ — جمع شملى : اى جمع ما تشتت من أمرى . « للنضيج » يقال : فلان نضيج الرأى : اى محكمه ، ونضجت الناقة بولدها : اى جاوزت الحق بشهر ونحوه ولم تنتج : أى زادت على وقت الولادة .

٢ — وفى نسخة « جاءنى ... الرفاعى » هو الولى المشهور السيد أحمد الرفاعى . « البقا » هو أحد الأولياء وهو البقا بن بطو . « العقيل » هو عقيل المنبجى أحد الأولياء المعروفين .

٣ — وفى نسخة « جف جنبى » . « البهيج » يقال : رجل بهيج : اى مستبهج بأمر يسره ، وتباهج الروض : كثر نوره .

٤ — البون : المسافة ما بين الشيئين ، يطلق على الفراق والتباعد . « نتيج » كنتوج : يقال : فرس نتوج : أى فى بطنه ولد وقد استبان . وفى المثل : ان العجز والتوانى تزاوجا فانتجا الفقر .

٥ — وفى نسخة « البعيج » تقول : بعجه حب فلان : اذا اشتد وجده وحزن له . جز : فعل أمر من جاز الموضع جوازا : اى سار فيه وسلكه . « اطلال » جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الدار . « نسيم » منادى بحذف حرف النداء .

٦ — « أريج » : الريح الطيبة .

جَهْبَذِياً مُتُّ فى هَوَى القَوْمِ شَوْقاً
واسعٌ فى السيرِ راكبُ المُسْتَيهِجِ (١)
جُدْ بوَصْلٍ يا غافِرَ الذَّنْبِ وارحم
صل بـ « نُورِى » الصَّبِّ ركبَ الحجيجِ

❊ ● ❊

حادِى العِيسِ ليتنى أسْتَرِيحُ قفْ رُوَيْداً فقدْ يُضامُ النَّجِيحُ (٢)
حُكْمُ لَيْلَى علىَّ صَعْبٌ شديدٌ بِفِراقٍ ذابَ الفؤادُ الجريحُ
حَلَّ عن وجْهِها الخِمَارَ فهذا لضياءِ النَّهارِ وَجْهٌ مَزِيحُ (٣)
حُسْنُها لا بأعْيُنِ الخلْقِ يُدْرَى ولغيرِ الشَّهيدِ ليستْ تَبِيحُ
حارَ فيهِ الكَلِيمُ فى طُورِ سِينَا كما هام (٤) فى سَنَاهُ المسيحْ
حَرْقَةٌ تُولِجُ القلْبَ ونارٌ (٥) مِنْ لَظَاها هذا الكئيبُ قَرِيحُ
حِسْبَةً للإلهِ سَلْمَى فَجُودِى بالْتِفاتٍ فذا قَتِيلُ طَرِيحُ
حُبِّبَتْ للقلوبِ سَلْمَى ومالَتْ إذا تَجَلَّى منها المُحَيَّا المَلِيحُ

---

١ — « المسنيهج » ربما هو سبق قلم ، فالصواب « المستهيج » ، وهو أما من الهوج : وهو السرعة مع الحماقة ، والريح الهوجاء : هى التى تقلع البيوت من شدتها ، والناقة الهوجاء : هى التى كان بها هوجا من سرعنها ، أو من الهيج يقال : هاج هائجه : اذا اشتد غضبه ، والهائج : الفحل الذى يشتهى الضراب : أو من السيهج : وهو الريح الشديدة .
وفى نسخة : « واسع فى البر » .
٢ — « حادى » اسم فاعل من حدا يحدو ، والحدو : سوق الابل والغناء لهـا . « العيس » الناقة البيضاء التى يخالط بياضها شيء من الشقرة . « رويدا » أى مهلا . « يضام » : أى يظلم . « نجيح » يقال : رجل نجيح : أى منجح الحاجات ، ورأى نجيح : أى صواب ، ونفس نجيحة : أى صابرة .
٣ — « وجه مزيح » أى مغاير ، أى ضوء آخر مغاير لضوء شمس النهار .
٤ — فى نسخة « كما حار فى سناه » .
٥ — فى نسخة « ونارا » و « قريح » بدل فريح ، والقريح : الجريح ، وفريح بمعنى مفرح : وهو المغلوب المحتاج ، والقتيل يوجد بين القريتين .

حيثُ أسفَتْ كؤُوسَها سَنقَتَنَا
كُلُّ يومٍ لنا الشرابُ سَمِيحُ(١)
حسَراتٌ قد بُدِّلَتْ بسُرُورٍ ولنُورِيها حبُورٌ(٢) صَرِيحُ

* ● *

خابَ بالخمرِ حيثُ لم يتلطَّخْ(٣) ذُو الرُعونَاتِ فهو طِفلٌ تَشيَّخْ
خِلَّةٌ(٤) يَعبدُ الدَّراهِمَ واُهجُرْ جِيَفَ القلبِ بالعبيرِ تَضمَّخْ
خُذ إليكَ العيدانَ واطْرَبْ وقُمْ في
فُرْصةِ العُمرِ سامِعَ العودَ وإسْأَخْ
خُبْثُ تلكَ الأظلافِ(٥) من قومِ سُوءٍ
رأسُ كِبْرٍ لهم فما أنْ تَشدَّخْ
خطَفَ الطيرُ طَيرَ عُجْبِ حَجاهمْ(٦)
كلُّ فردٍ فِرعونُ فخْرٍ وأشمَخْ

---

١ — وفي نسخة « حبث سيفت كؤوسها وسقتنا
كل يوم منها الشراب سميح »
« سنق » أي سقي ، تقول : سنق الفصيل من اللبن : أي بشم منه « والسميح » بمعنى المسموح .

٢ — « حبور » جمع حبر : وهو أثر النعمة ، والعالم يقال له : حبر .

٣ — تلطخ بالخمر : أي تلوث به . « الرعونة » الحمق والاسترخاء .

٤ — وفي نسخة « خله » . العبير : قال الاصمعي : أخلاط تجمع بالزعفران ، وقال أبو عبيد : هو الزعفران وحده . « تضمخ » أي تلطخ .

٥ — وفي نسخة « تلك الأصلاف » يقال : تصلف الرجل : قل خيره ، والصلف : قلة الخير ، وامرأة صلفة : قليلة الخير لا تحظى عند زوجها .

والظلف : ظفر كل ما اجتر ، وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازا ، والظلف : ما غلظ من الأرض واشتد . « تشدخ » رأسه : انكسر .

٦ — وفي نسخة « حجاب » بدل حجاهم ، « اشمخ » اسم تفضيل من الشامخ : وهو الرافع أنفه عزا .

خطَ خطُ الحجابِ عنّا وعنهم   وإتِ بالوَترِ(١) والغِنا ترسّخْ

خبّرْ القومَ حيثُ عابُوا علينا

أهوَ صوتُ العيدانِ أم كان برزخْ ؟

خاطِبْ الرُوحَ عن تنزُّلِ سِرٍّ   يجلِبُ السرَّ للخطابِ المؤرَّخْ

خيمةُ القدْسِ ل أريكةُ سِرَى   ليس بازِينّا بهيكَكينا(٢) الفخُّ

خطْرَةٌ ثمّ خطوةٌ سيْرُ « نورِى »

ثمّ سعْيٌ طوافُنا إذا تكرَّخْ(٣)

* ● *

دُمْ على بابِهِ بذَلَّ العبيدِ   لا بوَعْدٍ تلْهُو ولا بالوَعيدِ

دَحْضةٌ(١) هذه المسالِكِ فإحذرْ   لا تُمشّى إلاّ بجُهدٍ جَهيدِ

دَيْرُ(٢) سمْعانَ نشأةُ الصبِّ فيه   نشْوةٌ للمُرادِ خمرُ المُريدِ

دمّرَ اللهُ مَن لحانا(٣) بعذلٍ   هُمْ به فى لهيبٍ (هل مِن مَزيدِ)

---

١ — الوتر : فى الصلاة معروفة ، والوتر فى الصوم : وهو ان نصوم يوما وتفطر يوما أو يومين ، والوتر (بالفتح) واحد الاوتار ، ويستعمل للقوس ، ولآلة اللهو والغناء « تترسخ » : تتثبت .

٢ — وفى نسخة « بهيكلنا » . الهيكك : هك الطائر : حذف بذرقة ، هك بالضم : اسقط ، وهكك فى الفتح : اسقط فيه .

٣ — « اذا تكرخ » والتكرخ : نوع من طواف الشيخ معروف الكرخى .

٤ — الدحض : الزلق ، والمدحضة : المزلقة . المسالك : جمع مسلك ، ويقال : سلك الطريق : اذا مشى فيه .

٥ — دير سمعان : هو الدير الذى دخل فيه الشيخ الصنعانى حينما تنصر لوقوعه فى عشق حسناء نصرانية . وهذه الحكاية أشبه بالرمزيات ، وقد ألف بعض شعراء الكرد قصائد بليغة فى هذه الملحمة منهم (فقه طيران) .

٦ — لحانا : أى شتمنا . « العذل » : الملامة . (هل من مزيد اشارة الى الآية (٣٠) سورة (ق) .

دَمْدَمَ الدهرُ بينهم فاسْتَجالتْ(١)
باصراتُ عَيَانِهَا كالقَعيدِ
دَرَّ فيهم لبانُ ضِرْعٍ إذا هُمْ عاملونا أطفالَ أمِ الوليد(٢)
داءُ قومٍ دَواءُ قومٍ فاصْغُوا لاقتباسٍ من الكلامِ المَجيدِ
دَفْعةً بعدَ دفعةٍ للأعادى
من صرُوفِ(٣) الدنيا ومكرِ المُريدِ
دامَ فينا جبريلُ نَصْرٍ وجَبرٍ
فهو فى كلِّ لحظةٍ كالبَريدِ(٤)
دِجْلَةُ الفَيْضِ علمُ «نورى» بِبَحْرٍ
قد أسْلَناهُ للفتى المُستجيدُ(٥)

✻ ● ✻

ذاك صَبٌّ بالاولياءِ يَلوذُ(٦) من هَوَى النفْسِ بالإلهِ يَعوذُ
ذَبَّ عنِّى الشيطانَ فى كلِّ يومٍ أنت ربِّى لا مُسْتَجيرَ مَلوذُ(٧)
ذَلَّ من غِلْظِ طبعهِ فيه سَهْمٌ من قِسِيِّ الألطافِ سهمٌ نُفوذُ
ذابَ(٣) يوماً وأصدى القلبَ يوماً عندَ أهلِ السماحِ ذاك الشُّذُوذُ

---

١ — وفى نسخة «فاستحالت باصرات عميانها».
٢ — ام الوليد: هى المضيرة. المرصع ص ٣٣٩.
٣ — فى الاصل «من طروق».
٤ — هذا البيت ناقص فى النسخة المشروحة.
٥ — المستجيد: الذى يطلبه جيدا.
٦ — يلوذ: أى يتحصن ويستتر بالأولياء. «يعوذ» أى يلتجىء.
٧ — «ملوذ» الملوذ: الحصن «ذب» أى منع ودفع. وفى نسخة «أنت رب».
٨ — «ذاب»: ضد جمد. «صدى»: الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها، والصدى: العطش.

ذاقَ طعمَ الوِصـالِ مِرآتُ كُلِّى(١)
بالمُحَيَّـا الجميـلِ مَهْما تَحُوذُ

ذاعَ بالخيرِ بينَ قومٍ كرامٍ(٢) حسنُ ذِكْرٍ فى نوحِهِ مَنْبُوذُ

ذَمُّ الناسِ لـهُ ومَدْحُ لنـاس
فهو عِجْلٌ فى عيدِكُمْ مَحْنُوذُ(٣)

ذَنْبُنا طاعةٌ ، وطاعةُ قومٍ عانَدُونا هى العِمامُ المبشوذُ(٤)

ذُو المَواجيدِ لَيْلُهُ كَنهارٍ بالعصا فاقِدُ الهوى مَوْقُوذُ(٥)

ذاتُ نُورِيِّكُم عناصر « نورى » فهى فرْعٌ بكلِّ أصْلٍ يَلُوذُ

* ● *

رَحْمَةُ اللهِ حظُّ أهْلِ إنكِسارِ خَصَّهُ اللهُ فى النَّعيمِ(٦) بدارِ

رتْبَةُ المجدِ يَسْبِقونَ إليها عِزَّةٌ بعدَ رِفْعَةٍ وإقتِدارِ

رُضْ باللهِ(٧) مَنَ قَلانا وكُنَّا إخْوَةَ الصِدقِ مُختفِينَ بِغارِ

رَبَضَتْ(٨) أسْدٌ نِقمَةٍ فرَسَتْهُ بالنصِ لنـا بنورٍ ونارِ

---

١ — وفى نسخة « مرآت على » . « الوصال » : ضد الهجران ، ووصل اى بلغ . « تحوذ » : أى تحوط ، وغلب ، واستولى .

٢ — « ذاع » انتشر . « منبوذ » اسم فاعل من نبده : أى ألقاه .

٣ — « عجل محنوذ » أى مشوى .

٤ — العمام المبشوذ : أى الملفوف ، تقول : شوذت زيدا : أى عممته ، اى طاعة هؤلاء الذين عاندونا عبارة عن كبر العمامة فقط .

٥ — وقذه بالعصا : أى ضربه به حتى استرخى وأشرف على الموت .

٦ — وفى نسخة « فى نعيم » .

٧ — وفى نسخة « رضى الله » .

٨ — وفى نسخة « ريضة أسد نقمة فرشه » . « الربض » : ما ولى الأرض من البعير اذا برك ، ربض بالمكان يربض : أى لصق به وأقام ملازما له . وفرس الذبيحة : قطع نخاعها ، وفصل عنقها .

راقَ راحُ المضيفِ والعكسُ منه
كان من قُرْطِ حُسْنِهِ والسوارِ (١)

رَجَّ عَرْشُ المَجدِ والنارُ قَرّتْ من حَنينِ الفقيرِ عند إضْطرارِ
رأفةً بعدَ رحمةٍ وإنْتصارٍ محْنَةً بعدَ منْحَةٍ وإفتِقارِ (٢)

راجعاتٌ مؤيَّداتُ فأبْشِرْ
أنت مِنّا فى أعيُنٍ وإنتصارِ (٣)

رُمْ داراً وإعْتَزَّ جاراً لدينا
قَلَّ مالاً مُسْتَغْنِياً بالجوارِ (٤)

رَبِّ إنَّ الذى يَبُثُّكَ « نُوى » فقرُهُ بعدَ ذِلَّةٍ وإنكسارِ (٥)

* ● *

زهرةُ المَجْد عندنا واعتِزازُ نحن قومٌ آياتُهُمْ إعْجازُ
زُفَّتْ الخُلْدُ للذين لدينا وإبتِهاجٌ بفرصةٍ وإنتهازُ (٦)

زِينةُ الكَوْنِ فى صُحون حِمانا
رُكْنُ عِزَّ (٧) بِه يُؤْتى الرِّكازُ

---

١ — « راق » الماء : انصب . « القرط » ما يعلق بشحمة الأذن ، « السوار » : هو الذى يلبس فى الذراع من ذهب ، فان كان من فضة : فهو قلبة .

٢ — وفى نسخة « منحة بعد منحة » .

٣ — وفى نسخة « أنت فى أعين لنا وانتصار » .

٤ — وفى نسخة : رم مرادا واعتز جارا لدينا
قل امهالا مستغنيا بالجوار
رم ، فعل أمر من رام يروم : أى طلب .

٥ — وفى نسخة « فقرة بعد ذلة » .

٦ — « انتهاز » انتهز الفرصة : اغتنمها .

٧ — وفى نسخة « وفيه » . « صحون » جمع صحن : وهو وسط الدار « الركاز » جمع ركيزة : وهى ما ركزه الله تعالى فى المعادن (أى أحدثه) ودفين أهل الجاهلية .

زَلَّ (١) مُخْطِي دِيارِنا لعِراقٍ
نَوْبَةُ الكُرْدِيِّ أَرْسَلَتْها الحِجازُ
زُجْ(٢) ربِّي قَفَوَ كلَّ سعيدٍ عندنا مَعْلَمٌ عليه الطِرازُ
زُهْدُ قومٍ فينا دليلُ جُمودٍ وجُحودٍ وعندنا الخَرّازُ
زَاجِي(٣) أيُّها المُريدُ مَطِيّاً قبلَ مَوْتِى وقد دَنَى لى جَوازُ
زادَكمْ فى زَوِيَّتِي(٤) فأطلبوها أنتُموا عالَةٌ بِهِمْ أعْوازُ
زُرْ إمامَ الهُدَى وقُطْبَ زمانٍ فالصِراطُ السَوِىُّ هذا المُجازُ
زَرْعُ قَوْمِي مستغلظ وبازُر(٥)
بَعْدَ شَطْءٍ أولئك القَوْمُ فازُوا

●

سَيِّدِى أنتَ مُؤْنِسى والأنِيسُ
كيفَ لِى وَحْشَةٌ ، وأنتَ الجَلِيسُ
سَمْعُ كلِّي(٦) منبأ عنكَ منِّي فيك من بعدِ ذُلِّي التَقْدِيسُ
سُدْتُ دهرى لمّا صحبتُكَ عمرى
فالرئيسُ الحقيقُ هذا الرئيسُ

---

١ — زل : أى زلق . « نوبة الكردى » أى فرصتهم ودولتهم ودورهم فى نيابة الرسول (ص) ورئاسة الخلق .

٢ — « زج » فعل أمر للدعاء من زجا يزجو : أى تيسر واستقام ، وزجاه : أى ساقه سوقا لينا . « قفو » من قفا يقفو : أى يتبع .

٣ — وفى نسخة « زاجر » . و « زاجى » من زجا يزجو : وهو السوق والدفع .

٤ — وفى نسخة « زادكم فى زوية » .

٥ — وفى نسخة « ومأزر بعد شطء » .

« بازر » البرزر : الحب ، والبزور : الحبوب الصغار مثل بزور البقول . والبزر : الهيج بالضرب ، وعصا بزارة : أى عظيمة .

٦ — وفى نسخة « سمع كل » .

سَوْفَ يأتى علىَّ وقتٌ بِربِّى شاهِدِى فازَ ، والعَنِيدُ بئيسٌ

سَامِياً ذا عِنايَةٍ أهلُ وُدِّى
مَنْ رآلى ومَنْ قلانى خَسِيسُ(١)

سَبِّحْ إسْمَ الجليلِ عند التحَامِى(٢)
مِنْ كِيادٍ يُطْغِى بها الإبْلِيسُ

سَعْدُ رَبّى بِحقِّ طَهَ ومُوسَى
مُتْحِفٌ لِى وساعِدِى إدْرِيسُ

سُقْ إلينا منادلات صفات فوقَ ما سِيقَ لى بما لا أقِيسُ

سَعَرَتْ نارُ بُعْدِ أهْلِ نُفُوسٍ
فإحْذَرِيها يا نفْسُ(٣) بئسَ الحسِيسُ

سَجِعْنا بعدَ رِحلَةِ الموْتِ « نُورِى »
عِنْدَ أهْلِ القُلُوبِ سَجْعٌ نَفِيسُ

*** ● ***

شَبِعْنا(٤) وإرْتوأنا والمُعَشَّشْ
عندَ جَنْبِ الحبيبِ والليلُ أغْطَشْ

شَهْوَةُ القلبِ فيهِ والنَفْسُ غابَتْ
مِن وَراءِ الحجابِ والرُوحُ أجْهَشْ(٥)

---

١ — وفى نسخة « حنيس » .
٢ — وفى نسخة « عندى لتحمى » .
٣ — وفى نسخة « بأنفس بئس الجليس » .
٤ — وفى نسخة « وارتوبنا » وفى نسخة أخرى « شبعنا دار نورنا والمعشش » . « المعشش » عشش الطائر : أى اتخذ عشا ، والعش : موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى أفنان الشجر . « اغطش » الليل وغطش : اى أظلم .
٥ — « اجهش » بالبكاء : تهيأ له .

شَوْطُ رَمى الجِمَارِ قَطَعَ سِواهُ
إذْ رَمَيْنا الشَيْطانَ حتى تَشَوَّشْ(١)

شَمَّ هذا العبيرِ فى كُمِّ خِلِّى كى على شِقِّ كُمِّهِ تتحرَّشْ

شامَةُ النَحْرِ مُذْ تجلَّتْ أذاعتْ
رِيحَ مِسْكٍ شَفَافَةُ القلبِ أدْهَشَ

شَامُ غَرْبٍ(٢) وشَرْقٍ قَرَّبَتْنِى
كأسَ خمرٍ باسمِ الحبيبِ مُنَقَّشْ

شَمعَةُ الرَكْبِ فى الظلامِ أضاءَتْ
فهو بالشَوْقِ سائرٌ يَتَهَيَّشْ(٣)

شَوْقُ قلبى أثارَنى خَلْفَ ركبٍ
وافَرِيداً فى ظُلْمَةِ الليلِ مُدْهِشْ(٤)

شَقَّ جَيْبى عَقِيبَهُمْ حقٌّ لى ، إنْ
كان حَظّى يومَ اللقاءِ بالنَوَاغِشْ(٥)

شَيَّخُنا بالبَرِيقِ سَقْيًا فمِنَّا
غابَ صبرٌ ، والكَبِدُ منَّا تَعَطَّشْ

* ● *

---

١ — « تشوش » : أى اضطرب ، قال فى القاموس : التشوش لحن ، والصواب تهوش .
٢ — فى نسخة « شام غرب وشرقه » .
٣ — « يتهيش » : أى تتهيج ، أو تحرك .
٤ — « مدهش » : أى متحير .
٥ — « النواغش » النغاشة : طائر : والنغش : شبه الاضطرار . أو « بالنوى غش » والنوى : البعد ، و « غش » من غشش : اذا كدر واختلط بغيره .

صادِقُ العزْمِ بالثِّيابِ(١) تَرَبَّصْ
إذ بالصَّبرِ ذا سُلوكٌ تَخَلَّصْ

صُفَّةٌ بَيْتِ الرحمن وإلبْسْ حُلاهُ
من صِفاتٍ تَقَدَّسَتْ(٢) كى تَقَمَّصْ

صَرْفُ عَبْدٍ لا يلتهى بِمُرادٍ
بالعنايات(٣) والدُّنُوّ تَخَصَّصْ

صبرهُ(٤) فى قرارةِ الحُكْمِ صَبِرٌ
قلبُه من مَعارِفِ اللهِ كالفَصّ

صَدُّهُ عن بابِه إمْرَؤٌ مُيمَّنٌ(٥)
وهو بالنفسِ سائرٌ فهو أنْقَصّ

صَفْوَةُ القلبِ من صَداهُ بما فى
سُورَةِ العصرِ آية(٦) النَّصْرِ فى النَّصّ

صِدْقُنا فى الهوَى أحالَ قُوَانا
مُذْ غَدَوْنا لِحُبِّه نَتَحَرَّصْ(٧)

صاحتْ النَفْسُ حينَ قُدَّتْ قَميصُ
حيثُ وَلَّتْ قالت: الحقَّ حَصْحَصْ(٨)

---

١ — « بالثياب » هكذا ورد ، لكنى اعتقد صوابه « بالتواب » . « تربص » : اى انتظر ما يحل به .

٢ — وفى نسخة « تقدمت » . « صفة » أهل الصفة : كانوا أضياف الاسلام يبيتون فى مسجد رسول الله (ص) . « تقمص » : اى لبس القميص .

٣ — وفى نسخة « بالغيبات » .

٤ — الصبر : ضد الجزع ، وصبر : بفتح الصاد وكسر الباء : عصارة شجر مر .

٥ — وفى نسخة « مستمن » وهو اسم فاعل من استمن : اى طلب المن . و « المن » من التمنى .

٦ — « آية النصر » هكذا ورد ، لكن الصواب « اية الصبر » لانه اشار الى قوله تعالى (وتواصوا بالصبر) .

٧ — « نتحرص » : أى نتحين ، يقال : يتحرص عداءهم : اى يتحينها .

٨ — وفى نسخة « حين وليت قالت : الحق حصحص » . لكن الظاهر « حيث ولت قالت : الحق حصحص » .

صِرْتُ صَدِيقَ مِصْرَ والنفسُ جاءَتْ
طَوْعَ أمْرِى كالكَاتِبِ حيثُ تَبَصْبَص

صَوْمُ قومٍ صِيَانةٌ وصِيَامِى
أكْلُ قلبِى عن شُرْبِهِ لسْتُ أنكَصْ (١)

* ● *

ضَمُنَّا بالمكوِّنِ المفرُوضِ (٢) حلَفنَا بالحكيمِ لا مَنْقُوضُ
ضَعْ تَلَقَّ فى الرَّشادِ طَرِيقاً كَيِّساً فهو جادَّةُ النُّهُوضِ (٣)

ضَرْبُ أمثالِنا بفَرْدٍ ، ولكنْ
فَرْقُ جَمْعٍ إبْداوُهُ (٤) مَحضُوضُ

ضِلْعُ ذِى الإفْكِ مُمْتَلٌ بِاَطَاهُ فى
إعْتِزالٍ ورأسُهُ مَرْضُوضُ

ضَلَّ قلبى عندَ اللِقا ، فهى أُسْدٌ
فوقَ أنْعَالنا (٤) لَهُنَّ رُبُوضُ

ضِمْنَ أقوالِنا حَلاوَةُ مُرٍّ أيُّها السَّمْعُ ليسَ فيها حُمُوضُ
ضَبٌّ كَسْرِى بِجَبْرِ ضَبَّةِ رَبِّى (٦)
إذْ كَلامِى من لَفْظِهِ مَفْرُوضُ

ضَبْعُ عَفْرِى مُسْتَبْدَلٌ بغزال
حَشْوُهُ مَلاوُهُ الهُدى والفُيُوضُ

---

١ — وفى نسخة « لست أنقص » .
٢ — وفى نسخة « المفروض » . « المفروض » : الواجب .
٣ — وفى نسخة « للنهوض » .
٤ — وفى نسخة « ابداره » .
٥ — وفى نسخة « فوق أفعالنا » .
٦ — وفى نسخة « بحير ضبة ربى » .

صاقَ عَنّى بما إحتَوَيتُ عليه
بَحرُ عَدْنٍ انا العَميقُ الغُمُوضُ

* ● *

ضِفْدَعُ القلبِ صائحٌ بِبِحارٍ — من علوم « نورِ يِنّا » قد يَخُوضُ
طافَ بانسَرْمَدِيّ (١) قلبي مُحيطاً — غَيْرُ قلبي بِرِبِّهِ لن تُحيطا
طابعاً فيه علمُ أوّلِ خلقي — مُفْرِطاً فيه لا أرى تفريطا
طالَ بَحْثي وما بَثَثْتُ صِفاتي — لو بَثَثْنا رأيتَ بَحْراً بَسيطاً
طابَ سِرّي فَواسِعٌ كلَّ شيءٍ — إنَّ فيه الوُجُودُ شيئاً لَقيطاً
طارَ بازِيٌّ هَيْكلي وتَسامى — لا وربّي مُحَــوَّطٌ تَحْوِيطاً
طاهِرُ الماءِ من فُيُوضِ عُلُومي — مَشَّطُونى بِفَيْضِهِ تَمْشيطاً
طالِعاً فَوْقَ أوْجِ كلِّ مَقامي — راحَ فيه المَغْبُوطُ فيه غَبيطاً
طامِعاً في مُنايَ لستُ بِكُفْوِي — نِلْتُهُ الخالقَ ملكةً تَسْليطاً
طاعِنُ الحالِ هلْ ترَى لِكلامي
شاهِداً لحالٍ مُوجزاً أمْ وسيطاً
طاوِياً للمَقامِ مَسْلَكُ « نُوري » — سِلْكُ دُرٍّ مُنَظَّمُ تَسْميطاً

* ● *

ظَبْيَةٌ من سِهامِها بِلِحاظٍ — بِي سُهادٍ (٢) بنارِها وشُواظٍ
ظهرتْ فوقَ أكَمةٍ (٣) ثمّ غابتْ
خلَّفَتْني في أسْرِ أُسْدٍ غِلاظِ

---

١ — نسخة « طاف بالسرمد قلبى » .

٢ — « سهاد » الأرق : وهو السهر بالليل .

٣ — « أكمة » جمع كومة : وهى قطعة من التراب تجمع ويرفع رأسها .

ظَمَأَتُ للرُبُوعِ شَفَّتْ(١) ضُلُوعِى
أوجَبَتْ لى فَزاعَةُ الإيْقَاظِ
ظُلُمَاتٌ بِنُورِها هاجَرَتْنِى(٢)
فهى تَعْدُو خَلْفِى بعَزْمِ اللِماظِ
ظاعِنُ الحسيرِ لم يَنَلْهَا بِعَزْمٍ
هارِبُ القَهْرِ لم يَفزْ(٣) بإحتفاظِ
ظالمٌ لإلْتِفاتَتِهِ لِسِواها وَيْحَ قومٍ صَدُّوا لذا الإتِّعاظِ
ظَفَرَتْ مُقْلَةٌ رأتها فَهَامَتْ أمٌ ثَكْلَى لِفاقِدِ الألْحاظِ
ظَنُّنا واثِقٌ وإنْ بانَ عَنَّا
حُسْنُ لَيالَى شُهُودُ تلكَ الحِاظِ
ظاهِرٌ قبلَ موتِنا بِنَهارٍ
عَوْدُ سَلْمَى للسِلْمِ بَعْدَ إغْتِياظِ

❊ ● ❊

عَمْرَكَ للهُ ما البُكاءُ والدُمُوعُ
ما النَحِيبُ الذى بنا (٤) والفُجُوعُ
عِظَمُ شَكْوَاكَ قُلْ لنا : مِمَّ ؟ (٥) أخبر
ما الفُؤادُ السَقِيمُ هذا الجَزُوعُ

---

١ — شف جسمه : أى نحل ، وشفه الهم : هزله . الربوع : جمع ربع : وهو الدار ، والموضع الذى يرتبعون فيه فى الربيع .
٢ — وفى نسخة « هاج شوقى » .
٣ — فى الأصل « لم يغز باحتفاظ » .
٤ — وفى نسخة « يناوى الفجوع » .
٥ — وفى نسخة « قل لنا نم اخبر » .

عَفْرُ خَدّى(١) بِتُرْبَةِ ، الخِلِّ دَهْراً
ما لِطَرْفِ نَفَاهُ نَوْمٌ هُجُوعُ

عِيسُ رَكْبِ الحجيجِ حَنَّتْ كما ناحَ
لِعَيْنِ الغَزالِ هذا الرَبُوعُ

عاشِقٌ يهجرُ المعارفَ مُضْنى من غَرامٍ حَوَتْهُ تلكَ الضُلُوعُ
عادِمُ الصَبْرِ زَجَّ(٢) للبَلايا ما لَهُ عن حديثِ لَيْلَى رُجُوعُ
عبدُ مَحْبُوبَةٍ سَبَتْهُ فما دامَ لَهُ العُمْرُ باسمِ سَلْمَى قُنُوعُ

عاقِلٌ غيرُ عاقِلٍ حارَ فيهِ
من أُولِى العِلْمِ والذَكاءِ جُمُوعُ

عِيدُهُ من بَشارَةٍ أرْسَلَتْها
أمُّ عَمْرٍو(٣) فى الصَكِّ مِسْكٌ يَضُوعُ

عُذْرُ « نُوِرى » أنّى يُبانُ لِخالٍ ؟
هَمُّهُ جمعُ ما لِيهِ والبُيُوعُ

✻ ● ✻

غَرَّ « نُورِى » فى مِسْكِها(٤) الأصْداغُ
لا وهيهاتَ منه فيها الفَراغُ

---

١ — فى نسخة « عفر الخد تربة الخل » .

٢ — وفى نسخة « رجه للبلايا » .

٣ — « ام عمرو » كنية الضبع ، ويكنى به عند أهل التصوف الشهوات ، والشياطين . « الصك » الكتاب . ضاع المسك يضوع : أى تحرك فانتشرت رائحته .

٤ — وفى نسخة « من سقيها » . « غر » : أى خدع . الاصداغ ، جمع صدغ : وهو ما بين الاذن والعين والشعر المتدلى على هذا الموضع .

غارَفيها ولاتَ حينَ سلوٍ أو شرابٍ من بعدها أو مساغِ
غنّني يا نديم روضٍ حفيفٍ(١) فيه بانَ تلاوينُها والصبّاغُ
غافلُ الحبِّ والنوى ليس يدري
ما لدينا وإنْ أجازَ البلاغُ
غيدُ تلكَ الظباءِ سبّتْنا وما إن كانَ إلاّ لرشفِنا الإدماغُ
غبطتي أن يُبدَّلَ الخيرُ شرّاً بعد أنْ كان مُدرِكُنا الإسباغُ
غشيتْها نورُ الجلالةِ يا وَيحَ عيونٍ عن دركِها قد زاغُوا
غفرَ اللهُ ذنبنا باختتامٍ شفعتْ نحوَهُ لنا الأصداغُ
غطفانُ الحرباءِ حولَ حماها أنشدتْ في جمالِها حين زاغُوا
غبتَ « نوري » في حُسنِ هيكلِ نحرٍ
أحكمتْ في نقيشهِ الصوّاغُ

* ● *

فُقتُ أرقى بالسيرِ سيرَ خفيفِ
فوقَ جرمِ الكثيفِ(٢) بعدَ اللطيفِ
فتحُ بابِ الغيوبِ سهلٌ لدينا أكرمَ اللهُ بالقريبِ الشريفِ
فيضُهُ لي والروحُ يختلفانِ في التياسيرِ للمقامِ المنيفِ
فأتاهُ إلينا فما تركنا علوماً واستبنّا به علومَ الصحيفِ
فاقتطفنا الثمارَ منه وقد كا نتْ أيادٍ طالتْ بنا للقطيفِ
فاقدينَ الوجودَ منّا فألقى من قواهُ القوَى لجرمٍ كثيفِ
فاختياتُ الحمامِ شوقاً إليه غرّدتْ فيه بالفؤادِ الوجيفِ

---

١ — « حفيف » الحافة : الجوانب ، حففناهما بنخل : أي جعلنا النخل مطيفة بأحفتها .
٢ — وفى نسخة « فوق جرم كثيف » .

فازَمِنّا ذُو الوُدّ حقّاً ، وخابتْ   بالقِلى ذُو تَكَبُّرٍ وحَليفِ
فى تَوَاريخِنا مَكَارِمُ خُلْقٍ   فاقْبِسُوها من ذا الكتابِ الحَفيفِ
فَوجُ فَجٍّ الحَبيبِ مَهْلاً فـ « نُورِى »
بعدُ سالِكٌ بقَلْبٍ وَجِيفِ

✻ ● ✻

قَرَّبَ اللهُ قَصْدَكُمْ فَوْقَ صِدْقٍ
كَمْ بِلُطْفٍ ظَفَرْتُمْ (١) وبرفْقٍ
قامَ فيكم حَبيبُنا بإنتصارٍ (٢)   فى الأعادِى وفى الذُنُوبِ بِعِتْقٍ
قِيمَةُ العُمْرِ غيرُكم ما دَرَوْها   حَبَّذا سَيْرُكُمْ وأنْعِمْ (٣) بِسَبْقٍ
قَرَّتْ العَيْنُ بالمُنَاجِى بِلَيْلٍ   إذ تُنَاجُونَهُ بأشْواقِ مَلْقٍ
قَومُ سَبْقٍ وعَزْمَةٍ وفلاحٍ   بِجمَالِ المَحْبُوبِ من عِظَمِ سَبْقٍ
قَعَدُوا واستراحتْ النفس منهم   فى جِوارِ الحبيبِ ذَوْقاً بِذَوْقٍ
قَطَعُوا لَيْلَةَ الوِصَالِ وإنْ طا   لَ مَدَاهَا لمْ يَعْرِفُوها لِشَوْقٍ
قِسْطُهُمْ فى قُلُوبهمْ نُورُ بَدْرٍ
كلُّ حِينٍ بِها لَوامِعُ بَرْقٍ
قَبْرُ مَيّتٍ لو يَعْبُرُونَ عليه   أنْعَشُوهُ وأتحضوه (٤) برِقٍ
قُمْ بأعْتابِهمْ فإنَّكَ « نُورِى »   نادِمُ (٥) القَوْمِ بل ومنهم بصِدْقٍ

✻ ● ✻

---

١ — وفى نسخة « ظفرتمو وبرفق » .
٢ — وفى نسخة « عن سماح فى الاعادى » .
٣ — وفى نسخة « وأنعم بسوق » .
٤ — وفى نسخة « وحطنظوه » . لكنه ربما الصواب « حنطوه » .
٥ — وفى نسخة « خادم القوم » .

كلُّ مَعَالى حَظُّ هذا السَّالكَ نوَّرَ لهُ ليلَ الظَّلامِ الحالكَ(١)

كَشْفٌ عَظِيمٍ فى شُهُودٍ دائمٍ مُلْكٌ جسيمٌ فى جوارِ المالكِ

كانتْ لَهُ الدنيا وما فيها وما بالى بِهَذا الجِيَفِ(٢) القَبِيحِ الهالكِ

كَفَرَتْ بها ناسٌ وناس آمنَتْ تَبّاً لقَوْمٍ آمنوا بمَهَالكِ

كَشَرَتْ لدىَّ بثغْرِها فَنَهرْتُها زُهْدًا فقلت: تَبَاعَدِى بِجَمَالكِ

كَذَبَتِ بوَعْدٍ أخلَفَتِ غيرى به

أفَمَا عَرِفتِ بعَقْلِكِ وبِبَالكِ

كَيْفَ المَغَرَّةُ(٣) بالعَرِيفِ الماهرِ

رَكَبَ الخُيُولَ فلم يَقَعْ بِحِبَالكِ

كَمْ مرةً سحرتْ بزَهْرَةِ حُسْنِها

شىءٌ عليمٌ واقعٌ بخَيَالكِ

كُوعى بسلْسلَةِ المكيكِ مُعَلَّقٌ

فَيَجُرُّنى عن ساحرٍ كمِثَالكِ

كيسى مَلِىٌّ بالقَنَاعَةِ ليس لـ «نُورِى» ثَمَّةَ حاجةٌ بمَنَالكِ(٤)

* ● *

لوامعُ(٥) وَجْهِ الحقِّ فى القلبِ نازِلُ

وأُنْسِى بِذا الوَجْهِ المقَدَّسِ كامِلُ

لواعجٌ(٦) شوقى فى مُحْرِقَاتِ شَغَافِهِ

دُمُوعى على صَحْنِ الخُدودِ سوائِلُ

١ــ حالك: اسم فاعل من حلك الليل: اى اشتد سواده.

٢ ــ الجيف: جمع جيفة: وهى الجثة الميتة. هالك: أى فان.

٣ ــ المغرة: الاغترار والانخداع.

٤ ــ منال: مصدر ميمى من نال ينال نوالا: وهو العطاء.

٥ ــ لوامع الوجه: أى بريق لونه.

٦ ــ وفى نسخة «لواجع» لواعج: جمع لاعج: وهو الهوى المحرق، يقال: هو لاعج لحرقه الفؤاد من الحب.

لذلكَ فى قلبى مواطنُ دائماً وليس له غيرَ القلوبِ منازلُ

لنا عند شُرْبِ الصبوحِ وفى المسا
غبوقٌ(١) من الساقى فهل أنتَ سائلُ ؟

لوامسُ(٢) غيدانِ الغزالِ تعشقتْ
لصوتِ حمامٍ غرّدتْه الحواصلُ

لأنى إذا صوّرتُ قُمْرِىَّ أرضِها
تخيّلَ لى فى شجوهِنّ البلابلُ

أرِقتُ بمحبوبى وإنْ حالَ بيننا
مراتبُ شتّى والنوا والفواصلُ

لحقتُ بليلى فى ليالٍ طويلةٍ
وعانقتُها والقلبُ بالحالِ غافلُ

لأقمارِ حيّى نشتكى بثَّ بُعْدِنا
ألا هلْ إلى ربعِ البدورِ دلائلُ

لأمِ(٣) العمىّ إنْ لم تروها فتعذلوا
رأتْه عيونى فهى عنكم ذواهلُ

* ● *

---

١ — الغبوق : الشرب بالعشى ، وخص بعضهم به اللبن المشروب فى ذلك الوقت . الصبوح : كل ما أكل أو شرب غدوة ، وهو خلاف الغبوق .

٢ — وفى نسخة « لمائس » : وهو اسم فاعل من ماس : اى تبختر . ولوامس : اما جمع لامس ، وهو من اللمس ، بمعنى الجس ، أو وامس : جمع الومس : وهو احتكاك الشىء بالشىء حتى ينجرد . ويمكن أن يقرأ « لواس » وهو اسم فاعل من اللوس : وهو تتبع الانسان الحلاوة ليأكلها .

٣ — وفى نسخة « لعام اللمى ان لم تردها فتعذلوا » .

مانَفَانَا الغَيْمُ عن بَدْرِ التَمامِ فهو شَمْسٌ ما عليها مِنْ غَمامِ
مالَ فى لَيْلَى وسَلْمَى مُفْرِداً فى مُحَيَّاهُ(١) الفُؤادُ المُسْتَهامُ
ماتَ فى أبْوَابِهِم قاىٍ فَعَـا شَ ومَوْتٌ ليس فيهنَّ الحمام
ما أجَلَّ (٢) الصَبَّ أو أصْبَرَهُ تحت سطواتِ الصَبَاباتِ المقام
ما حَلَّ القَهْرُ إذا حلَّ به بَدَّلُوا فَضْلاً وخَلُّوهُ الإمام
ما لكَ فى مُصِرٍ مُنْقَادٍ لَهُ أهلُها يأمرهم هذا الهُمَامُ
مانِعِى(٣) من جَعْلِهِ رَبَّ الوَرَى قِبْلَةُ الأفهامِ أسْرارَ الكَلامِ
ما كِثٌ فى وَصْفِ ذُلٍّ بعد أن كانَ فى إظهارِ أوْصَافٍ عِظَامِ
ما إسمه إن قيلَ لى تَجْرِبَةً ؟
قلت : غوثُ الخَلْقِ أو قُطْبُ الأنامِ
ما سوى « نوزى » بكم فى حالِهِ فاسلكوا الآدابَ عنه بإحترامِ

* ● *

نَعُوذُ باللهِ ذى الألطافِ والمِنَنِ
من كلِّ سوءٍ من الآفاتِ والمِحَنِ
مِمَّنْ يُنْضِحِى بِذَنْبٍ وهو يَسْتُرُنا
بِعِظَمِ رأفتهِ فى السرِّ والعَلَنِ(٤)
نِهَايةُ الجُودِ مِمَّا فيه خَوَّلَنَا
يَخْفَى عن الخطِ والإملاءِ واللُسُنِ

---

١ — المحيا : الوجه . المستهام : المتحير والهائم .
٢ — أجل : أى أعظم . الصب : أى الشوق . سطوات : جمع سطوة : وهى الصولة والقهر والبطش . المقام : أى موضع القدمين .
٣ — وفى نسخة « مانع من جعله » .
٤ — وفى نسخة « والعين » .

نبيت فى سَعَةِ الأرزاقِ من رَغَدٍ
من النَعيمِ ومن تقسيمه الحسنِ
نُعامِلُ اللهَ سوءًا وهو يغفِرُهُ
يُعطِى الجنانَ بلا بَيْعٍ ولا ثَمَنِ
نَشابُ أقدارِهِ بالهَدَفِ إن نَشِبَتْ(١)
فقد يُداوى بِرِفْقٍ جُرْحَ مُمتحَنِ
نيابةً(٢) فى محاويجِ الوَرى كرماً على سَوِىِّ الصراطِ أكرمنى
نُؤمِّنُ اللهَ فى تصريفِ حكمتهِ بما نُحِبُّ وهذا شأنُ مُؤتَمَنِ
نصائحُ العبدِ راجتْ للبيتِ إذا
كانتْ بمولاىَ كانتْ غايةُ اللسُنِ
«نورى» من اللهِ بلاغٌ لِمأمَلِهِ لأنَّهُ دائماً بالله فى المِنَنِ

* ● *

وامَبيتِى(٣) فى مَساءٍ وغُدُو بانخفاضٍ وارتقاءٍ فى عُلُو
واسِعَا(٤) لمّا أحاطَ الروحُ مِنّى لم تكنْ فَوْقى سماءٌ فى سُمُوا
والِعاتٌ(٥) صارخاتٌ آسِفاتٍ هذه الأركانُ حَنَّتْ فى شُجُو
واجِعاتٌ فى فُخُوخٍ عاجزات تلك قُمْرِيّاتُ إلْفٍ عن حُنُو
وامِعاتٌ(٦) هاطِلاتٌ من صُدُود أدمعى مذ شاهدتْ عَيْنى سلو

---

١ — وفى نسخة « ان نسبت » النشاب : النبل ، ومفرده نشابة ، وهو السهم .
٢ — نيابة : منصوبة على أنها مفعول اكرمنى . أو بنزع الخافض .
٣ — وفى نسخة « وابيتى » .
٤ — واسقا : أى جامعا أو حاملا .
٥ — والعات : من ولع يلع : اذا كذب فى عدوه ولم يجد ، ومولع به : اى مغرى به .
٦ — وفى نسخة « وامقات » . الومعة : الدفعة من المـاء .

واقفاتٌ وجفاتٌ خائفاتُ ليتها نازتْ بقُرْبٍ أو دُنو

وادى الأحبابِ لمّـا أن سلكنا فيه شاهَدْنا به سُكْنى عَدو(١)

وابِلُ الفَيْضِ اللّدُنيّ تدانى فَوْقَ أحوالٍ فقاست(٢) فى نموّ

واثِق بالوَعْـدِ الذى واعد تمونى ليس كالمغرور فى لَيْتَ ولَوْ

والهيفانَ(٣) الهوَى « نورى » تذكَّرَ

ما جَـرى مِنّى ومنهم فى غُدُوّ

* ● *

هاكَ بيتاً عَمَّرْتَهُ يا إلَه(٤) فيك هنـا أعدّه الانتبـاه

هامَ فى نفسه بحسنِ بنـاءٍ من جليلٍ سُبْحانَهُ إذا حَواهُ

هاتفُ اللهِ واضعٌ كلَّ حينٍ فيه بالوَحى يلْقَ(٥) الذكْرَ فاهُ

هاجَ كالخيلِ(٦) فى ميادينِ أُنْسٍ

رهـو باللهِ سـائرٌ فاجْتَباهُ

هالِكُ الكونِ ساحتْ(٧) سِرْتُ فيـه

أتَّكى فى مَـزالِقَ بعصـاهُ

هابَنى هَيْبَةَ الأسُودِ ، لأنّ لاحَظَتْنى عُيُونُهُ فى قـواه

هؤلاءِ الأكوانُ إذ كُنْتَ منه طارحُ النَفْسِ فى جِوارِ حِماهُ

هاطِلُ الدَمْعِ حَسْبُنا من سُكوبٍ

ليسَ بالخوْفِ والبُكا مُصْطَفاهُ

---

١ — وفى نسخة « سكنى غدو » .
٢ — وفى نسخة « قامت فى نمو » .
٣ — لهيفان : تصغير لهفان : وهو المظلوم المضطر يستغيث وينحسر .
٤ — وفى نسخة « يا الله فيك هنا ومنا الانتباه » .
٥ — وفى نسخة « ملقى الذكر فاه » .
٦ — وفى نسخة « هاج كالخليل » .
٧ — وفى نسخة « ساحته » . ساحت البئر : أى جرى ماؤها وفاضت .

هادياً فى الشؤونِ منه إليه حيث ما كان فى الوُجودِ سواه
هالعُ قلبُكَ المُقرَّبُ « نورى » فى صفاءِ (١) الأعمالِ أمْ فى ضفاهُ

* ● *

لا مِنَ الماءِ كنتُ يا أُنسُ لا لا سوفَ أدنى إليك حالا فحالا (٢)
لا من النارِ والعناصرُ منِّى لستُ منها سبحانَ أمرى جلالا
لا ترابُ وروحُ آدمَ أمرى جلَّ أمرى وعزَّ شأنى تعالى
لا هواءُ ونارُ إبليسَ عنِّى وهو (٣) يُغوى العبادَ ضلالا
لا ضعيفٌ ولا قوىٌّ وحاشا أنْ ألاقى سوى التقدُّسِ حالا
لا لطيفٌ وكلٌّ لطيفٍ (٤) منِّى لا خفيفاً إذا مشيتُمْ ثقالا
لا من الأرضِ نشأتى إذْ دحاها
وانتشائى من الوُجودِ استحالا
لا بسيطٌ ولا طويلٌ عميقٌ بل صفاتى وجدتُهُنَّ (٥) طِوالا
لا يمينٌ ولا شمالٌ ، أمامى
مثلُ خلفى ، والفوقُ تحت كمالا
لا قريبٌ من الوُجودِ العديمِ (٦) لا بعيدٌ كما نفيتُ اتِّصالا

* ● *

يومُ وصلى بالواحدِ السرمدى ليلُ فصلى إلى المقامِ العالى

---

١ — « صفاء » الخالص الذى لا كدورة فيه . « ضفاء » الجانب والطرف . وفى نسخة « فى ضفاء الأعمال أم فى جفاه » .
٢ — وفى نسخة « خالا فخالا » .
٣ — فى نسخة « ونار ابليس منى وهو يغوى » .
٤ — وفى نسخة « وكل لطيف فمنى » .
٥ — وفى نسخة « وجتهن » هذا سهو ربما نشأ من ادغام الدال فى التاء .
٦ — هكذا مكتوب فى الأصل « العديم » لكن الصواب « القديم » .

يُسْمِعُ السَّمْعَ صَوْتُهُ فوقَ طور
ذاك سَمْعُ المُكَلَّمِ المُوسَوِى

يألَفُ الوحْشَ من أرادَ نَجاةً زاهداً فى الطريقةِ (١) العيسَوِى
يا عبادَ البُطُونِ أنتُم كُسَالَى كلُّ شرٍّ يأوِى لِبَطْنٍ مَلِى
يَهجُرُ الصَّبُّ أهلَهُ (٢) وكَرَاهُ يَذْكُرُ اللهَ بالفؤادِ الخَلِى
يُوجِعُ النَّفْسَ بالمَجاعةِ دَهراً والظَّمَا ساكنُ المَقامِ القَصِىّ
يَحْيَوِىٌّ(٣) وإنَّهُ لَحَصُورٌ يَتَقَوَى على الصراطِ السَّوِىّ
يَومُهُ صَائِمٌ وقائمٌ بليلٍ يَتَّقِى رَبَّهُ بِقَلْبٍ شَجِى (٤)
يا عَظِيمَ النَّوالِ مَنْ لِى بهذا حُبُّ هذا بذا الفُؤادِ الغَوِىّ(٥)
يا إلَـهى بأحمدَ(٦) كُنْ لـ « نورى »
قد وَصَفْنَاكَ بالبَرِّ (٧) الحَيِىِّ

* ● *

أُقسِمُ باللهِ إلـهاً صَمَداً إنَّكَ موجودٌ وحيدٌ أحدا(٨)
أحمدُ بالحقِّ أتانَا وبمـا
جاءَ بِهِ يَصْدُقُ ما كان سُدا(٩)
آدمُ والولدَ إلى مرشدنا كلٌّ أتَوْا ليس بهم مَنْ وُلِدا

---

١ — وفى نسخة « فى طريقه العبسوى » .
٢ — وفى نسخة « كسرا » .
٣ — يحيوى : نسبة الى يحيى بن زكريا عليهما السلام .
٤ — شجى : أى حزين .
٥ — الغوى : الضال . والنوال : العطاء .
٦ — وفى نسخة « بأحد » .
٧ — وفى نسخة « بالعفوى الحيى » وفى نسخة أخرى : « بالسبر الحمى » .
٨ — وفى نسخة « أبدا » .
٩ — وفى نسخة « ما كان مدا » .

أكملُ — أو بعدلِه — في خُلُقٍ
كان بمعنى أو بخلقٍ جسدا

أوّلُهُم جاءَ بِروحٍ ، وأتى آخرُهُم يرعى جميعاً إذ هدى
أوّلُ قرآنٍ كلامٌ أزليّ بسمٍ ، ألم ، إلى — الناس — مدا
إنّ لموتاً انقياماً ، ولنا بعد قيامٍ لحساباً وجدا
أفلحَ مَنْ مرَّ إلى الخُلْدِ ، وقدْ خابَ على النّارِ لعبدٍ قعدا
أخلدنَا اللهُ بخلدٍ كرماً
نحنُ قعدْنَا في مخوفٍ جلدا
أنتَ إلهي و « نوريّ » لك في لطفكَ حظٌ وختامُ السعدا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة الرائية فى مدح الشيخ عبد القادر الكيلانى قدسى سره نظمها الشيخ نور الدين ليلة الأحد أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٣٩ هـ

اللهُ يكفينا شرورَ الماكرِ
وبهِ غداً نحظى(١) بلُطفِ الشاكرِ

يا صاح دعْ لهواً وكلَّ مناكرِ
ذكر الإلهِ حياةُ قلبِ الذاكرِ
فأمتْ بهِ كيدَ الغرورِ الغادرِ

واصبرْ على بلواهُ فى أيامهِ
واسمعْ خطابَ الحقِّ فى أحكامهِ
واجعل فؤادك منزلاً لمقامه
واذكرهُ واشكرهُ على إنعامهِ
ذكراً تنقتْ بالذكور الذاكر

واذكرْ قيامَ الروح يومَ تعرّضتْ
حيثُ الأمانةُ ظهرُها قد إنقضتْ
وأذابها شفقاً وفيه تمرّضتْ
وأعدْ حديثكَ عن ليالى قد مضتْ
بالأبرقينِ وبالعذيبِ وحاجرِ(٢)

لمّا دلى رُوحُ المحبّ بِنبلهِ
وهنالك العشّاقُ قتلى نصلهِ

---

١ – فى الأصل « نحضى »
٢ – وهى أسماء أماكن

أحبابنا أنتم سكارى فضله
سقياً لأيام العقيق وأهله
ولكل من ورد الحما من زائر

هجر الحبيب (١) أحر هجر الصائف
ولدى روح القرب ريح متهاتف
ردوا بسقامى نحو ذاك القائف
أحلى من الأمن إسبان لخائف
والوصل بعد تقاطع وتهاجر

حضرات قوم كأسها مشروبة
وعروس أتراب لنا مخطوبة
يا صاح كم أيامها مرغوبة
أيام الأنحير أقمارها محجوبة
اعنا ولا غزلا نها بنوافر

فهنا لك البشرى لنا بلقاكم
وتفور روح شهيدكم بحباكم
يا أهل ودى واصلوا مرضاكم
فتعود أعيادى بعود رضاكم
عنى وتملى بالسرور سرائر

١ — (هجر الحبيب) أى إبتعاده . (هجر الصائف) : أى نصف النهار عند أشتداد الحر فى القيظ

ما كنتُ عن باب الأحبَّة زائلاً

أبكي على فَقْدِ الأحبَّةِ قائلاً

يا نُورَ قلبي لستُ عنكم مائِلاً

ولقد وَقَفْتُ على الطُلُولِ سائِلاً

عن أهلِ ذاكَ الحَيِّ وَقْفَةَ حائرِ

من لي ونفسي بالفِراقِ تحيرتْ

لأهَيْلِ ذاكَ الحيِّ حيث تعسَّرَتْ(١)

رؤياهُمْ لي فالأماكِنُ أخبرتْ

فأجابني رَسْمُ الديارِ وقد حَرَتْ

فيه دُمُوعِي كالسحابِ الماطِرِ

قِفْ بالطُلُول على غَرام وافْتَقِر

واصبر على لَوْعَاتِ نارِكَ وانتظر

وإكْسِرْ بأعتابِ الأحِبَّةِ تَنْجَبِر

ذَهَبُوا جَمِيعاً فإحْتَسِبْهُمْ واصطبر

فعساك أنْ تَحظى بأجر الصابرِ

أفنى ظلامَ العمر صبحٌ سافرٌ

وأتتْ على رَغْمِ البقاءِ نَوافِرُ

هذا رقيبُ الموتِ قَبْرُكَ حاضرُ

فَتَزَوَّدْ التقوى فأنت مُسافِرُ

وبغير زادٍ كيف حالُ المسافِرِ

فإخْضَعْ إلى المولى الكريم تَبَتُّلاً

واترك تَواني فَتْرَةً وتَكَسُّلاً

---

١ — في الأصل (تقسرت)

وأذكر جنايات قترفت تعمّلاً
فالوقتُ أقصرُ مدةً من آنْ تلاَ
فيه فسارعْ بالجميل وبادرِ

عرِّجْ على طلل الأخلاَّ والربا
فهمُ الذين بدورهم سكنةُ قبا(١)
مُتْ في هواهمْ بالجمال تعجُّباً
واجعل مديحك إنْ أردتَ تقرُّباً
من ذى الجلال بباطن وبظاهر

مدحُ إلـه بذكره وكتابه
سكانَ يثربَ (٢)مصطفى أحبابه
فاذكر جميلَ المدح في أطنابه
للمصطفى ولآله وأصحابه
والشيخ محيي الدين عبد القادرِ

من كان ذا أمرٍ عجيبٍ نافذِ
كهفِ الدخيل وعونِ عبدٍ لائذ
مَنْ ذكره في الكون كالمسك الشذّي
بحرِ العلوم الحبْرِ والقطبِ الذى
ورثَ الولايةَ كابراً عن كابر

فحلِ الفحولِ ومن لديه مرامُهُم(٣)
بدرِ البدورِ به ينارُ ظلامُهُمْ

---

١ — (قباء) موضع بالمدينة المنورة
٢ — (يثرب) أسم المدينة المنورة
٣ — فى الأصل (مراءه) للكنه لايستقيم الوزن .

وهو الذى تصفو لديـه كلامُهم ا
شيخُ الشيُوخِ وصدُورُهم وإمامُهم
لُـبٌ بِلا قِشرٍ كثيرُ مآثرِ

اللهُ أبـرزَهُ إلينـا مرشِـداً
فتجَميـعُ من والاهُ أمسى مُسعِدا
كم كانَ للملهوفِ عوناً مُنجِداً
تـاجُ الحقيقةِ فخرُها نجمُ الهدا
يـةِ ، فجرُها نورُ الظلام العاكرِ
وأتى مِنْ الملـكوتِ شادُوسَ الندا
يدعُو بأنَّ الشيـخَ برهانُ الهُدى
هذا الذى من فوْرِ طلْعتِه بدَا
رُوحُ الوِلايةِ أنسُها بدْرُ الهدا
يـة ، شمسُها لُـبُّ اللُبابِ الفاخرِ

ينبُوعُ كلِّ فضيلة منْ يشترِي
يأخُذْهُ مِنْ الفرْدِ العلِيمِ الأقمرِي
وعلُومُهُ كطهُورِ ماءِ الكوْ ثـرَ
صدرُ الشريعةِ قلبُها فرْدُ الطرِي
قةِ ، قُطبُها نجلُ النبيِّ الطاهرِ
آوى لهُ الآمالُ كلٌ دأبِـهِ
وأضاء أحلاكَ الدياجـي حبُّهُ

فهو الذى إنقلبَ الشهادةَ غيبُه
ودليلُه الوقتُ الخاطبُ قلبُه
بسرائرٍ وبواطنٍ وظواهرِ

هو الذى ملكَ المعالى قهرةً
لمّا ترقّى فى المراقى ظهرةً
والأمرُ يُغنى عن بيانٍ شهرةً
وهو المقرّبُ والمكاشفُ جهرةً
بغيوبِ أسرار وسرّ ضمائرِ

فالمُلتجى بالشيخ يُكشَفُ ضرُّه
وإلحقّ فى كلّ الأمورِ ببرّهِ
وأنالَه ما شاءَ وهو يسرُّه
وهو المسامرُ والمنادمُ سرُّه
بفنونِ أخبارٍ وكشفِ سرائرِ

وأتى إليه من المهيمنِ حولُه
والميلُ من كنز المواهبِ طولُه
فهو الذى فى كلِّ قلبٍ هولُه
وهو المنطقُ والمؤيّدُ قولُه
ولهُ فتوحُ الغيب آيةُ قادرِ

وله الرضا من ربّهِ عند القضا
فغدا لهُ خير القرين مقيّضاً

وسَرَى إلى المولى فصارَ إلى الفضا
ولهُ التحبُّبُ والتوددُ والرضا
من ربِّهِ بمعارفٍ كجواهرِ

أحيى الهُدى كالبدرِ في ديجورِهِ
من بعدِ أدبارِ شمسِ ظهورِهِ
لمَّا دنى من ربِّهِ بحبورِهِ
سلكَ الطريق فأشرقَ (١) في نورِهِ
وعلومهِ لضياءِ بدرٍ زاهرِ

فدنوهُ للهِ أعظمُ قربةٍ
فغدا لأرواحِ الأكابر كعبةً
أنظر لتربتهِ الرفيعةِ غربةً
وعلاهُ أعلى في المعالي رتبةً
وأقمارهُ (٢) مامثله لمفاخرِ

فمقامهُ في القربِ دون نهايةٍ
وأرى لهُ الإكرامَ في لاغايةٍ
هذا الوليِّ المجتبى بعنايةٍ
خلعَ اللهُ عليهِ ثوبَ ولايةٍ
وأمدَّهُ من جندهِ بعساكرِ

ومنا قبُ الأشرافِ فيه تحتفلُ
فمن الثناءِ عليه دهرك لاتملُ

---

١ - في الأصل (فاشرقت)
٢ - في الأصل (وقماوه)

واذكره فهو النخبة الوافى العدل

فله الفخار على الفخار بفضله ، أل

وافى وبالنسب الشريف الباهر

فله زكاء الدهر فينا أشرقت

وأضاءت الأفاق ثم إستغرقت

وعبيره كل الأنوف إستنشقت

وله المناقب جمعت وتفرقت

فى كل نادٍ دائرٍ أو عامرِ

فالله فى الآفاق أطلع سعده

وأبان قربته وأخفى بعده

وبجنة الإجلال أنجز وعده

فابن الرفاعى وابن عبد بعده

وابو الوفا وعدىّ بن مسافرِ

فلشيخنا فضل عليهم مطلقا

وعليهم فوق المعارج قد رقا

فتعا ورُوا من بعده دور النقا

وكذا إبن قيس مع على والبقا

معهم ضياء الدين عبد القاهر

لقد إهتدوا طرا بأنجم سعده

وتواردوا بحر الهوى من ورده

وتمسكوا بحبال عزمة جده

شهدوا بأجمعهم مشاهد مجده

مـا بين بادٍ فضلهم والحاضرِ

وبإذْنِـه جاؤا فنـالوا دَنَّـهُ

وشَرابُـهُ من ذاقَـهُ جَنَّـهُ

فجميـعُ أهـلٍ حَقَّـقَ ظَنَّـهُ

وأقَرَّ كلُّ الأولياءِ بأنَّـه

فَرْدٌ شريفُ ذو مَقامٍ ظاهِرِ

فَعُلُـومُ ألْبَابٍ لَهُمْ من لُبِّـهِ

فهم إسْتَمَدُّوا من جَلايَا قَلْبِهِ

فَبَدَا لَهُمْ إن لم يروا من حُبِّهِ

وبأنَّهُمْ لم يُدْرِكُوا من قُرْبِـهِ

مَـعَ سَبْقِهِمْ عِلْمُ غُبَارِ الغابِرِ

دانَتْ مَنَازِلُهُمْ بنسبةِ قَدْرِهِ

فلذاكَ مـا شَهِدوُا عَوَالِي قَصْرِهِ

حَقّاً ولاعَرَفُوا مَعَارِفَ صَدْرِهِ

كَلاَّ ولاشَرِبُوا إذاً من بَحْرِهِ

مع رَيِّهِمْ إلاّ كَنَبْقَةِ (١) طائِرِ

شَهِدَتْ طَوِيتُهُمْ بذاك وقَوْلُهُمْ

عَرَفُوهُ بالإذْعانِ إذ هُوَ أصلُهُمْ

فَعَلِمْتُ مِمَّا قد تَبَيَّنَ فِعلُهُمْ

أصحَابُـه نِعْمَ الصحابُ وفَضْلُهُمْ

بادٍ لكلِّ مُماطِلٍ ومُنَاظِرِ

---

١ — الظاهر « الا كنقرة طائر »

فبهم(١) تأسَّ وللهُدى عَيِّنْهُمْ
وبفضلهم نَوِّه ولا تحزنهم
وبكلِّ نادٍ في الوَرَى بَيِّنْهُمْ
وهو رُؤُسُ الأولياءِ ومنهم
أقطابٌ بَينَ مَيَامِنٍ ومَيَاسِر

هذا مَدِيحِي طَيِّبٌ ومَقَالَتِي
لكَ يا إماماً في المكارمِ قد فَتِي
فاسمع كَلامِي شاكراً لإشارَتِي
يامنْ تَخَصَّصَ بالكرامات التي
عمَّتْ بإجماعٍ ونَصٍ تَواتُراً

وجَرَتْ عُصُورٌ فِي مَدَّ آثارِها
ومَشَى جميعُ الخَلْقِ في أنوارِها
وهم إستَظَلُّوا في مأمَن دارِها
وتَنَاقَلَ الرُكْبَانُ فِي أخبارِها
سِراً حَلَّتْ لمَسَامِرٍ ومُسَافِرِ

أنت الذي أعلى المعَالي قَدْ على
لكَ سُؤْدَدٌ بينَ الأعاظم إذْ غَلا
يا مَنْ لقلبي مَدْحُهُ الغالي حَلاَ

---

١ — في الأصل (ناش)

لما حَظَوْتَ وقلتَ : ذا قَدَمى عَــلاَ

كَلِّ الرقابِ بِجِدِّ عَزْمٍ باتِرِ

وَمكَانَةٌ لكَ فِى الـكرامةِ مكّنتْ

وكذا المعالمُ فِى العَوَالِم أعْلَنُتْ

ووجُوهُهُمْ لكَ بالخضوع لقد عنتْ

مَدَّتْ لهيبتك الرقابُ وَأذْعَنَتْ

من كلِّ قُطب غائبٍ وحاضِرِ

مافاتَ عن ميثاقِ عهدكَ منْ نَكَلْ

كلٌّ إليك أتى وبالعُتْبى(١) وكل

ولك الخُوانُ وكُلُّهُــمْ منهــا أكل

ونَشَطْت حين بَسطْتَ فانْقَبَضَتْ لك آلْ

أقطابُ بــينَ مُعَاضِــدٍ ومُنَاظِــرِ

والخلقُ أضيافٌ على ذاك القِرىَ

وبك النُزُولُ لأهل بدرٍ أوْقِرا

أنت المليكُ المحضُ فانظر ماترى

وعنَتْ لك الأملاك من كلِّ الورَى

ما بين مأمورِهم أو آمِرِ

عَيِّتْ عيونُ العارفينَ كَـلاَ لَــهُ

مِمّا بلَغْتَ من الكمالِ ونَوالَــهُ

---

١ — فى الأصل (ويا لعتبى)

إذ ليس يحصر منك حدٌّ إحالةً
وظهرتَ فضلاً واحتجبتَ جلالةً
وعلوتَ مجداً فوقَ كلِّ معاصِرِ

ولشأنك الملكوتُ صارَ خزانةً
فيُصانُ عن دركِ العقولِ صيانةً
ولك الجوارُ الأقدسُ كنانةَ
وعظُمْتَ قدراً فارتقيتَ مكانةً
حتى دنوتَ من الكليم الفاخرِ

فبدا لك الوجهُ المقدّسُ مسفرا
ولقيتَ من بُشْرى المحبّ نيّراً
فرجعتَ عن بحرِ الحقائقِ مخبراً
ورقيتَ غاياتِ الولا مستبشراً
من ربّكَ الأعلى بخيرِ بشائرِ

وعلوتَ تسمو في البروجِ مشيّداً
وسموتَ تعلو في العروج مؤيّداً
فسكنتَ عرشاً بالبقاءِ ممهّداً
ولقيتَ لمّا أن ضنيتَ مجرّداً
وحضرتَ لمّا غبتَ حضرة ناظرِ

فنصبتَ وجهكَ للإلـهِ إنابةً
فشربتَ من عينِ الشهودِ صبابةً

فَبِجُــودِهِ آلاكَ منــه نَجَابَــةً
فَشَهِدْتَ حَقّاً إذ شَهِدْتَ مَهَابَــةً
وكذا شُهُودُ الحقِّ كشفُ بَصَائِرِ

من ذا يُؤَمّلُ في ثَنَاءِ حَمِيدِهِ
لك أن يــرى أفصا في تَعْدِيدِهِ
يــامُرْشِداً يُصْغِي لمدح مُرِيــدِهِ
مَدِيحِــيَّ الطَوِيلُ مُقَصِّرٌ بِمَدِيدِهِ
عن بَحْرِ وَصْفِكَ بالعطاءِ الوافِرِ

أنْجِدْ مُرِيداً مالَهُ قلبٌ صَفَا
وبعهدِ مَوْلاَهُ المُهَيْمِن مــاوفى
لكنّني مُــذْ ارْتَجِيكَ تَعَطُّفَــا
أعْدَدْتُ حبَّكَ بعد حُبِّ المصطفى
والآلِ والأصحابِ خَيْرَ ذخائرِ
فانظر إلى فَقْرِي وضَعْفِ(١) صِلَتِــي
بِعَظِيمِ فَضْلِكَ لا لأجلِ فَضِيلَتِي
أنت الذى أشْكُوه داءَ عَلِيلَتِي
وجعلتُ فيكَ المدحَ خيرَ وَسِيلَتِي
للهِ لا لإجازَةِ كالشاعِرِ
ياشَيْخَ أربابِ السَمَاحَةِ سَمْحَةً
لِدَخِيل بابكَ وهو يَرْجُو مِنْحَةً

---

١ — (وأضعف) في الأصل

فظننتُ أنّى لن أخيبَ رَوْحَةً
رَجُوْتُ من نَعَمات قربك نَفْحَةً
يَحْيَى بها فِي العُمْرِ مَيّتُ حاضرِ
لأنالَ فيك الجودَ من(١) بعدِ الجفا
وأفوزَ بالقربِ المُؤَزّرِ والصفَا
وأكونَ فى يوم الحسابِ مخفّفاً
ثمّ الصلاةُ على النبي المصطفى
خير الورى من أوّل وآخرِ
قَطبَ الذين إلى الجليلِ تقرّبُوا
فإليهِ كلّ الأصفياءِ تحزّبُوا
فتوسّلُوا بجنابِهِ وتشبّثُوا
فلَكُ الرسالةِ شمسُها رُوحُ النبو
ةِ ، قُدْسُها للحقّ أشرفُ ناصرِ
فبمعجزّ (٢) التنزيل يظهر فخره
وبدا فأخفى كلّ نجمٍ بدرُهُ
يا من تحلّى عند قلبك ذكرُهُ
فى حبّهِ قل(٣): ما تشاءُ: فقدرُهُ
فوقَ النظامِ وفوقَ نثرِ الناثرِ
كم أعيتْ فى وصفِهِ سُلّاكُهُ
بحرٌ عميقٌ أظلمتْ أحلاكُهُ

---

١ — (لأنال فلك فيه الجود ومن بعد الجفا) فى الأصل

٢ — فى الأصل « فبمعز التنزيل » .

٣ — فى الأصل (كل ماتشاء)

أنّى يُعَادُ ، وأينَ لي إشْراكُهُ
والعجز عن إدْراكِهِ إدْراكُــهُ
وكذا الهُدى فيه فنون الحائر(١)

فالواصِفُونَ على سواحِلِ بحــرِهِ
تاهُوا حَيَارَى في مَبَادِيء فَخْرِهِ
فلــذا أقــولُ لمادح في شِعْرِهِ
: اللهُ أنزَلَ مَــدْحَهُ في ذِكْرِهِ
يتلىَ فمــاذا قولُ شِعْرِ الشاعِرِ

ماخابَ من بجنابِهِ الأسمى لَجَا
فهــو الذى مُلِئَتْ بِــهِ كفُّ الرّجا
وإذا إحتمى بِحِمَى وسيلَتِهِ نجا
صلىّ عليه اللهُ مــا أبتسم الدُجا
عن جَوْهَرِ الصُبْحِ المُنيرِ السافِرِ

يــا قــدّسَ الرحمنُ سرَّ الناظمِ
العــارفِ البحــرِ المحيــط العــالم
لازالَ مَحْفُوفــاً بلُطْــفِ دائمِ
وتَعَدُدِي من بَحْــرِهِ المُتَلاَطِــمِ
أمْواجُهُ بلآلئ وجَواهِرِ(٢)

فانا الفقيرُ لخالقي بنُعُــوتِي
وتَــوَسُّــلِي بجنابــه اللاهُــوتِي

---

١ — أعتق أن هذه الخماسية ليست من أقوال الشيخ ، بل هى من إدراج بعض المريدين فى هذه القصيدة

٢ — « فى الأصل « فنون الحائر » .

أن لا كسَ مِـن المـَنِ ناسُوتِي
ويفكّنِـى عَن سِرّه الملـكوتى
لأنتم من ذاك للعبير العاطر

يـاربّ نوِّرْ عـالمَ الجبَرُوتى
ياَبرُّ أنزِلْ برَّكَ الرَحَمُوتِى
والْطُفْ إلهى باسملك الرَهَبُوتِى
وأغفر (لنور الدين) ذا الأيتُوتِى(١)
وارْزُقَهُ أصْفَى وَصْلِ ماءٍ طاهِرِ

يُنْقيهِ ذاك الماءُ من أقدارِهِ
يُبْقِيه ذاك الوَصْلُ فى أنوارِهِ
يَشْفِيهِ فِى الداريْنِ من أكْدارِهِ
يَكْفِيهِ فِى الكونَيْنِ من أوْزارِهِ
يُؤْوِيه فِى أعْلَى مَقَامٍ فاخِرِ

وارحمه فِى الداريْنِ مع آبائِهِ
مع تابِعِيهِ ومن دَعَى بِدُعائِهِ
واغْفِرْلهم يا مَنْ نَحْيَ بِعَطَائِهِ
وبِبِسمِ اللهِ ثمّ بِبَابِهِ
وبِكَامِنِ السِرّ الخَفِىّ الساتِرِ(٢)

---

١٠ — نسبة إلى (ايتوت) وهى قرية تقع فى الشمال الشرقى لمحافظة دهوك على بعد حوالى عشرة كيلو مترات سكنها الشيخ فى تلك الفتره التى ألف فيهاهذه القصيده

٢ — فى الأصل « الساتر » .

بعض تخاميس الشيخ نور الدين

تخميس القصيدة المنفرجة

جاءتْني آياتُ الفَرَجِ لِنزُولي عن كَبَدِ الوَهَجِ
فالصَّبْرُ مَطِيَّةُ القلبِ الشَّجِي (إشْتَدِي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي
قد آذَنَ لَيلُكَ بالبَلَجِ)

فالصُّبْحُ بنصرى مُنْبَلِجُ والطَّرْفُ بِقُرَّتِه دَعِجُ
والقلبُ بذاك مُبْتَهِجُ (وظلامُ الليلِ لَه سُرُجُ
حتى يَغْشَاهُ أبو السُّرُجِ)

هي بُشْرى يتلوها قَدَرُ ولشَرْحِ الصدرِ لها أثَرُ
ولبَهْجَةِ قلبي تَنْتَصِرُ (وسحابُ الخير لها مَطَرُ
فاذا جاءَ الأيّانُ تَجَ)

ولَّتْ منها أزمٌ ذُلُلُ وحُبُوري عنها مُتَّصِلُ
وبها قَرَّتْ مِنّا مُقَلُ (وفوائدُ مولانا جمل
لسروحِ الأنفس والمُهَجِ)

بِحَلاَلَتِها تُرْجى صَمَداً هو مَنْجأنا صمداً سندا
فَلَكَمْ أسْدى نَعَماً جُدُدا (ولها أدج محي أبداً
فاقصد محيّا ذاك الأدج)

كمْ مِن مَدَدٍ فينا احْيى مُهَجاً عَيِيَتْ هماً شَجِياً
فلربَّمَا سَقَيتَ سَقْياً (ولربَّما فاضَ المحيا
ببحور(١) الموج من اللجج)

---

١ — « فلربتما ... ببحار الموج » نسخة .

إذ أنْعَشَ مَنْ فى مَرْقَدِهِ   عن مرقد حضرة مرصدِهِ
فأدّاه مَعِيشَةَ أو غَدِهِ   (والخلقُ جميعاً فى يده
فذو(١) سعةٍ وذو حرجٍ)

فَصَبُورُهُمْ وجَزُوعُهُمْ   وسُلُوكُهم ورُجُوعُهُمْ
وقُنُوعُهُمْ وهُلُوعُهُمْ   (ونُزُولُهُمْ وطُلُوعُهُمْ
فَعَلَى(٢) دَرَكٍ وعلى دَرَجٍ)

ومَوَاهِبُهُمْ ونَوَائِبُهُمْ   ومُشَاغِبُهُمْ ومُشَاغِبُهُمْ
ومَنَاصِبُهُمْ ومَصَائِبُهُمْ   (ومَعَائِشُهُمْ وعَوَاقِبُهُمْ
ليست فى المشى على عِوَجٍ)

من فوقِ الانسان إرتَكَمَتْ   وخيامٌ أطانبُهَا إحْتَكَمَتْ
ألبَابٌ قبل مما ابتكمت   (حِكَمٌ نسجت بيد حكمت
ثمّ أنتسجت(٣) بالمُنْتَسَجِ)

حِكَمٌ نُسِجَتْ لمّا أنتسجت   فى مَنْهَجِهِ كأسُها أنْتَهِجَتْ
فَمَتَى دخلتْ ومتى خرجتْ   (فاذا اقتصدت ثم إنْعَرَجَتْ
فبمقتصد وبمنعرج)

فاضَتْ فى حِكْمتها لُجَجُ   زَحَمَتْ من سالكِيها فُجَجُ
صحَتْ فى أعْجِبَتِها حجَجٌ   (شهدتْ بِعَجَائِبِها حجج
قامتْ بالأمرِ علَى الحُجَجِ)

---

١ — « فذووا سعة وذووا حرج » نسخة .
٢ — « فالى درك وعلى درج » نسخة .
٣ — « انستجت » نسخة ، وهو خطأ .

ما أحْمَدَ عبدٌ مُبْتَهِجاً   لا يَسْلُكُها إلا بَهَجاً
وتَلاقَى مِنْ طَرْفِ دَعَجاً   (ورِضا بقضاءِ اللهِ حجىً
فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ(١) فَعُجِ)

ولِعُلْيَاهَا كُنْ مجتهداً   فإحذرْ إعْراضاً عنه سُدىً
سُبُلٌ فمتى أتّضحَتْ رُشْداً   (وإذا إنْفَتَحَتْ أبواب هُدَى
فأجعل(٢) لَخزانتِها ولج)

أحْسِنْ في الفتحِ رِعَايتَهَا   وأدْخُلْ إن تشهد غايتَهَا
وإذا أحْكَمْتَ بِدايتَهَا   (وإذا حاولتَ نِهايتَهَا
فاحذر إذْ ذاك من العَرَجِ)

قَدّمْ أدباً فيها أخذاً   كن سهماً منك لها نَبَذاً
وأسلكْ فيها قلباً جَبَذاً   (لتكونَ من السَبّاقِ إذا
ما جئتَ إلى تلك الفَرَجِ)

فالسابقُ ضاعت حُجَتُهُ   حيرت للأعراج عَرَجَتُهُ
فهناكَ النورُ ومُهْجَتُهُ   (فهناكَ العيشُ وبَهْجَتُهُ
فلمبتهجٍ ولِمُنْتَهِجِ)

فالنفسُ إذا تُرِكَتْ رَقَدَتْ   فمن الأعمالِ إذا كَسَدَتْ
وإذا هاجتْ لمنى سَعَدَتْ   (فَهَيّجِ الأعمالَ اذا رَكَدَتْ
فاذا ما هَيّجْتَ إذاً تَنْهَجِ)

---

١ — « فاعجل لخزائنها » نسخة .
٢ — « مركوزتها » نسخة .
٣ — في الاصل « فهداك » .

عَظُمَتْ للأنفسِ حاجتُهَا لِتُقَى تَزْدانُ بَلاَجتُهَا
والناجحُ منها هاجتُهَا (ومعاصي اللهِ سَمَاجتُهَا
تزدانُ لذى الخُلُقِ السَّمِجِ)

أوَّهْ مِنْ شَيْنٍ قَبَاحتِها لا تَفْضَحُنَا بفضاحتِها
فاللهُ لنا عن ساحتِها (ولطاعتهِ وصباحتِها
أنوارُ صباحٍ مبتلجِ)

من يطلبُ طورَ المجدِ بها من يكسبُ نورَ الوُجْدِ بها
من يَبْغِ حُورَ(١) الخُلْدِ بها (من يخطبُ حُورَ الخلدِ بها
يظفرُ(٢) بالحُورِ وبالفَنَجِ)

فأسْلُكْ في الشوقِ لها طُرُقاً وتَجَلَّ بمحمودٍ وتُقَى
وإذا ما سِرْتَ لها نَسَقاً (فكن المرضىَّ لها بتُقىً
ترضاهُ غداً(٣) وتكونُ نَجِ)

فانشَقْ من غيدِ المسكِ شَذَى وتَنَاوَلْ كوبَها وخُذِى
فانشق من رُوحٍ مُنْحَبِذِي (واتْلُ القرآنَ بقلبٍ ذى
حزنٍ(٤) وبصوتٍ فيه شجِى)

آياتُ اللهِ ضيافتُها ومعارفُها وظرافتُها
وتلاوتُها ولطافتُها (وصلاةُ الليلِ مسافتُها
فاذهبْ فيها بالفهمِ وَجِى

---

١ — في الاصل « حبور الخلد » .
٢ — « من يخطب حور العين بها . يحظى » نسخة .
٣ — « برضاه هدى وتكون نجى » نسخة .
٤ — « حرق وبصوت » نسخة .

وتَذَكُّرِها وتَبيانيها   وإنْشِطْ ما جئتَ مثانيها
وقواصِيها ودَوانيها   (وتأمُّلِها ومعانيها
تأتِ الفِرْدَوْسَ تفتَرِجِ(١))

وتَمزّجْ بعدُ بجوهرِها   وأدخُلْ ميدانَ مُعَسْكَرِها
وإكْشِفْ لِقِناعِ مَخْدَرِها   (وإشربْ تَسْنيمَ مفجّرِها
لا مُمْتَزِجاً وبِمُمْتَزِجِ)

وإرْسَخْ في الفهم لها جَلَداً   كمْ تَحْوِى لذّاتٍ جُدُداً
فإذا ما العَقْلُ لذاك هَدَى   (مدحُ العقْلِ آيتُهُ(٢) هُدَى
وهوىً متولٍّ عنه هَجِ

لِمِياهِ النورِ إفاضَتُهُ   وصلاةُ الوَصْلِ رَضاضَتُهُ
فَطَراوَةُ ذاك غَضاضَتُهُ   (وكتابُ اللهِ رِياضَتُهُ
لعقولِ الخَلْقِ(٣) بِمُنْدَرِجِ)

فيهِ للخَلْقِ نَجاتُهُمُ   وبه تَنْمُو درجاتُهُمُ
والبيْتُ فيه صِفاتُهُمُ   (وخيارُ الخلقَ هُداتُهُمُ
وسِواهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ)

فإحْرِصْ في العلمِ تكُنْ رَجُلاً   وأقْرِنْ للعلمِ به عَمَلاً
فمَتى ما كنتَ فَتىً فِعْلاً   (وإذا كنتَ المِقْدام فلا
تجزَعْ في الحرْبِ(٤) من الرَّهَجِ

---

١ — « تأتى الفردوس وتبتهج » نسخة .
٣ — « لعقول الناس وبمندرج » نسخة .
٤ — « فى الحرث من البرهج » نسخة .
٢ — فى الاصل « الأيته » .

وإذا أصْبحْتَ فَتىً أسَداً وإذا ما كُنتَ فَتىً رَشَداً
وإذا ملكتْ يدُكَ المددا (وإذا أبصرتَ منارَ هُدا
فاظْهر فَرْداً فَوْقَ الثَبَجِ(١))

وإذا كَمُلَتْ نفْسٌ شَهِدَتْ وإذا شَهِدَتْ مالتْ وفَدَتْ
وإذا فُدِيَتْ شاقَتْ وعَدَتْ (وإذا إشْتاقَتْ نفْسٌ وَجَدَتْ
ألَماً بالشوقِ المُعْتَلِجَ)

منها فى الأوسطِ سانكَةٌ وعلى المركُوزَةِ باركَةٌ
ولعالمِ دلائلِه نُكَتُ (وثنايا(٢) الحسْنَى ضاحِكَةٌ
وتمامُ الضحكِ على الفَلَجِ)

وإذا ما سَمْعُكَها سَمِعَتْ ولأبْحُرِ ما أُمْلِيَتْ وَعَتْ
فلأسرارِ النَجْدَيْنِ دَعَتْ (وغيابُ(٣) الأسرارِ إجتَمَعَتْ
بأماناتِها تَحْتَ الشُرُجِ)

وبعيبة بعضِ عَجائِبِه ما أخفا اللهُ لطالبِه
من ذا خَرْقُ ما لاقَ بِه (والرِّفْقُ يَدُومُ لِصاحبه
والخَرْقُ(٤) يصير إلى الهَرَجِ

فإصْرِفْ فى ذا كلَّ الجُهْدِ(٥) كَىْ تَغلظ يا طِفْلَ المَهْدى
وكما أهدى الرِّفْقُ المهدى (صلواتُ اللهِ على المَهْدِ
ىّ الهادى الناسَ(٦) إلى النَهَجِ)

---

١ — « فوق الثبج » نسخة .
٢ — « وسنايا الحسنى » نسخة .
٣ — « وعباب الأسرار » نسخة .
٤ — « والحرق » نسخة .
٥ — فى الاصل « كل الجهدى ... ياخفل المهدى » .
٦ — « الهادى الخلق الى النهج » نسخة .

عَـدَدُ العِرْفانِ لِخِيرَتِهِ وكذا أنوارُ سَرِيرَتِهِ
وشُهُودُ عُلُومٍ بَصِيرَتِهِ (وأبي بكرٍ في سِيرَتِهِ
ولِسانُ مَقالَتِهِ اللهَجِ)

مُجْلِي الظَلْمَا بِإِمامَتِهِ شمسُ الدنيا بِشَهامَتِهِ
والرِفْعَةُ نِسْبَةُ هامَتِهِ (وأبي حَفْصٍ وكرامَتِهِ
في قِصَّةِ «سارِيَةَ» الخَلَجِ)

قِسْطاسُ الحقِّ عليه جَبُلْ وسَنَامُ الدينِ إليه وَصَلْ
فَبِعَدْلٍ منه الشركُ عُدِلْ (وأبي عمرو وذي النُورَيْن
مُسْتَحِي المُسْتَحِي البَهَجِ(١))

بَحْرٌ أَغَضُّ عن كلِّ إذاً وبِأخلاقِ المولى آخِذاً
وكَمالُ الحِلْمِ له نَبَذا (وأبي حسنٍ في العام إذا
وَفَّى(٢) بِسَحائِبِهِ الخَلَجِ

يا لَيْثَ الحقِّ بِغابَتِهِ ولأحمدَ صِنْوُ نِيابَتِهِ
فَتَعَلَّى عندَ نَجابَتِهِ (وصحابَتِهِ وقَرابَتِهِ
وقُفاةُ إثْرِهِ على(٣) النَهَجِ)

فَبِجاهِهِمْ يا خالقَ كلْ مهما عبدٌ بالأزمة مَلْ
فَبِفَضْلِكَ بينَ الكُرْبَةِ حَلْ (وإذا بِكَ ضاقَ الذرعُ(٤) فَقُلْ
إشْتَدِّي أزمةُ تَنفَرِجِ)

---

١ ـ « المستهد المستحى البهج » نسخة .
٢ ـ « وافى بسحائبه » نسخة .
٣ ـ « وقفات الأثر بلا عوج » نسخة . وفى الاصل « وفقات أثره » .
٤ ـ « واذا ضاق الامر فقل » نسخة .

يا ربِّ عُبيدُكَ ذا « النورى » يرجوكَ بمكّةَ والطُّورِى
إذ تَنْفخهُ(١) نَفْخَ الصُّورى (ليَرَى تَفْرِيجَ المُرُرِى
وزَوال الأزْمَةِ بالفَرَجِ)

١ — فى الأصل « ادتنفخه » .

تخميس قصيدة الشيخ عبد الغنى النابلسى الشامى(1)

كان لله وحده الإقتدارُ فبه الكلُ حيثما شاءَ سارُوا
لا تَعجَّبْ مما حَواهُ الجِوارُ (رُبَّ شخصٍ تقودُهُ الأقدارُ
للمعالى وما بذاك إختيارُ)

مَنَحَتْهُ الأقدارُ إذ منحتْهُ بالتصاريف بعد ما وَهَنَتْهُ
يا لِعبدٍ فى جهاهِ دَفَنَتْهُ (غافلٌ والسعادةُ إحتَضَنَتْهُ
وهو منها مُستَوحِشٌ نَفّارُ)

مَيّتُ حىّ أحيَتْهُ فى الحىّ شوقاً عبد غىٍ لم يَسْتَقِ العتقُ رقاً
فهو إذ كان لِلهَوىَ مَستَرِقاً (يتعاطى القبيحَ عمداً فَيَلْقا
هُ جميلاً وفَلْسُهُ دينارُ)

فهو طفلٌ فى حُضنِهَا أرضَعَتْهُ فى يد الضِّرِ باللّبانِ سقَتْهُ
فهو يَرْجُو الله لمّا حَمَتْهُ (كلّما قارفَ الذنوبَ أتَتْهُ
توبةٌ طَهّرَتْهُ وإستغفارُ)

لطفُ مولاهُ فى الجميلِ تولىّ فمازال عِزُّهُ جَبَّ ذُلاّ
ذا سُعُودٍ ونَجمُهُ قد تَهلاّ (وعليه إن ذَلّ عينٌ من اللّـ
ـهِ تَقيهِ ويَستُرُ الستَّارُ)

---

1 — هو الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى النابلسى : شاعر وعالم بالدين والادب ، مكثر من التضيف ، متصوف ولد فى دمشق سنه ١٠٥٠ هـ ونشأ بها ، ورحل الى بغداد ، وعاد الى سورية ، فتنقل فى فلسطين ولبنان وسافر الى مصر والحجاز ، واستقر فى دمشق وتوفى بها سنة ١١٤٣ هـ وله مصنفات كثيرة .

اعلام الزركلى ٤/١٥٨ ، وايضاح المكنون ١/٢٨٢ .

ساقَهُ اللهُ للمحاييب سوقاً حيث أدْناهُ للمعاريجِ حقّاً
طهّرَ اللهُ قلبَــهُ إذ تنقّى (فهو باللهِ دائمــاً يترقّى
لا بهِ حيثُ تشرُقُ الأنوارُ)

ذا تفطُّنٌ وأنظر لعبدٍ تفتّى في المعالي وجادَ في الرُّشْدِ سمْتاً
ليسَ يألُو جُهْداً بمــا يتأتّى (وفتىً كابَدَ العبادةَ حتّى
منه قد ملّ ليلُهُ والنّهارُ)

يملكُ الوقتَ يخدِمُ الحقّ وُدّاً عمّ كلّ الاوقاتِ نوراً ووِرْداً
ذاوإن كان يُرْدِفُ الورعَ زُهْداً (يتسامى بالذكرِ والفِكْرِ قصداً
وهــو ناء وشطّ عنه المزارُ)

مالَهُ ملجأ النجاةِ مقرّاً حظُّهُ البيّنُ بَرْدُهُ كان حرّاً
كلّما رامَ أنْ يُدانى توارى(١) (يفْعَلُ الخيرَ ثم يلقاهُ شرّاً
وإذا رامَ جنّةً فهي نارُ)

قِسْمَةُ اللهِ بيننا يصْطفيها والدنانيرُ حكّها صيْرَفيها
فهي سَهْمٌ لمّا أتتْ مُهْدِفيها (حِكْمَةٌ حارتْ البريّةُ فيهــا
وحقيقٌ بأنّها تحتارُ)

إذ حجَى الأذكياءِ في تلك ضلّتْ خلْفَ أستارها ذكاها تخلّتْ
حِكمَةُ الأنصِبا لنا ما تجلّتْ (وعطايا من المُهيمِنِ دلّتْ
إنّه اللهُ فاعلٌ مُختارُ)

يا إلّهي « النورى » و « عبد الغنيّ » مشرق الشام ذى مقــام سنّي
رحمةً عطفةً بلُطفٍ خفيّ (واجبُرْ الكسرَ من فتىً قادريّ
في جميعِ الأحوالِ يا قهّارُ)

---

١ — وفي الأوصل « كلما دام ان يدانى تورى » .

تخميس للشيخ نور الدين البرفكي في هامش تخميس حسن أفندى البزاز على أبيات المناجات للامام الشافعي .

إن ضَامَنِي دَهْرِي لِبَابِكَ أَفْزَعُ(١)
وألوذُ بعفوك والرجا منك أطْمَعُ
وأناديِ مِنْ حُزْنِي بعينٍ تَدْمَعُ
(يا مَنْ يرى ما في الضَمِيرِ ويَسْمَعُ
أنتَ المعدُّ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ)

قد أثقلَتْ ظهري الذُنُوب بحِمْلِها
مالي قوى أسعى لشدّةِ ثِقْلِها
كمْ صحتُ من لَهَفِي عليكَ لَحِلِّهَا
(يا مَنْ يُرَجَّى للشدائدِ كُلِّهَا
يا مَنْ إليهِ المُشْتَكَى والمَفْزَعُ)

مستنجداً بك يا إلَهِي أنْ تَكُنْ
عَوْنِى فَمَنْ يُجْبِرُ لكسرِي ولم يَصُنْ
إنِّي رجوتُك يا إلهي أن تَمُنْ
(يا مَنْ خزائنُ رِزْقِهِ في قولِ كُنْ
أُمْنُنْ فإنّ الخيرَ عندكَ أجْمَعُ)

إنِّي دعوتُكَ والدعاءُ فريضةٌ
ولكَ الإجابةُ في الميعادِ ذَخِيرَةٌ
فأنا المسيءُ وقد وقعْتُ بِحِيرَةٍ

---

١ – فى الأصل « لبابك أفزع »
٢ – فى الأصل (ألذ بعفوك)

(مـا لِى سوَى فَقْرِي إليك وسيلَةٌ
وبالإفتقـارِ إليـك فَقْرى أدْفَـعُ)
وبمن ألوذُ ومَنْ يكنْ لى عُدَّةُ
إن ساءَ حالِى أووقعتُ بِشِدَّةِ
فلقد وَهى جلدى ورُوحى عَليلَةُ
(مـالى سوى قَرْعى لبابكَ حِيلَةٌ
ولـئن طُرِدْتُ فـأىَّ بـابٍ أقْرَعُ)
يا من تَفَرَّدَ فى الوُجُودِ بعِلْمِه
وأعمَّ فى تلك البريَّة [ب] حِلْمِه
فَقَد إنسَلى كَبَدى وعمَّ بُسقْمِه
(ومن الذى أدْعُو وأهْتفُ بـا سمِه
إن كان فَضْلُكَ عن فَقِيرِكَ يُمنَـعُ)
أنت الغَفُورُ لكلِّ عبدٍ جائياً(١)
ندماً على ذلاَّته مُتَنَبِّا كَيِاً
تَعفُو وتصفَحُ عن ذُنُوبٍ ما ضَياً
(حاشـا لمجـد أنْ تَقْنُـطَ عاصياً
الفضلُ أجْزَلُ والمواهـبُ أوْسـعُ)
فأنا المسيءُ وأنت فتى عالماً (٢)
وعلى ذُنُوبِى قد غَدَوْتُ نادِماً
ولقد رَجَوْتُكَ أنْ تكُنْ لى راحِماً
(بالـذُّلّ قـد وافيتُ بابَـكَ عالماً
إن التَذَلُّلَ عنـدَ بابِكَ يَنْفَـعُ)

---

١ — فى الأصل (خائبا)
٢ — الظاهر « وأنت فى عالم » لكن ربما نصب عالما لضرورة الشعر .

إرحمْ عبيداً قد أتى مُتَوَسِّلاً
يبكي بِدَمْعٍ كالسحابِ المُرْسِلا
فلن تَصُدَّهُ وزِدْهُ فيكَ تَوَسُّلاً(١)
(وجعلتُ مُعْتَمَدِي عليكَ تَوَكُّلاً
وبسطْتُ كفِّي سائِلاً أتَضَرَّعُ)
بجاهِ مَنْ بِسَفِينَةٍ أنْجَيْتَهُ
وبجاهِ مَنْ للنّارِ قد بَرَّدْتَهُ
وبِفَضْلِ مَنْ لطورِ قدْ كَلَّمْتَهُ
(وبحقِّ مَنْ أحْبَبْتَهُ وبَعَثْتَهُ
وأجبْتَ دعوةَ مَنْ بِهِ نَتَشَفَّعُ)
فألطفْ بحالي ليسَ لي مُلْتَجَأً
إلاّ إليكَ وأنت يانِعْمَ الرجَا
قد عمّنا أمراً(٢) عظيماً مُزْعِجاً
(واجعلْ لنا مِنْ كلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً
والْطُفْ بنا يا مَنْ إليه المَرْجِعُ)
وأرضَ عن الصدِّيقِ الكبيرِ وبَعْدَهُ
وأرض عن الفارُوقِ ثمّ لصِهْرِهِ
وكذا على المرتضى ونَسْلِهِ (٣)
ثمّ الصلاةُ على النبيِّ وآلِهِ
خيرِ الخلائِقِ شافعٍ ومُشَفَّعِ

---

١ — فى الأصل (فلو تصده وزدة)

٢ — الظاهر أن يكون لفظ «أمر» ، فاعل « عمنا » وعلى هذا لابد أن يكون مرفوعا ، لكن لو رفعناه لاختل قافية التخميسة ، فنصب الفاعل لضرورة الشعر

٣ — ربما لهذه القصيدة بقية ، لأن الشيخ يذكر اسمه أو لقبه فى آخر كل قصيدة تقريبا ، وهنا لم نجد اسمه .

فهرس الكتاب

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحه

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الخطأ والصواب

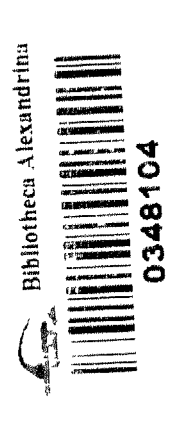
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٥	ميزانا	ميزان
٧	٨	المزور	المزورى
٨	٢٠	كانت	كان
٩	٣	مريد	مريدا
١٢	١١	شيخ محمود	الشيخ محمود
١٣	٨	السطر ٨ زائد	
١٤	٧	المسلم	مسلم
١٦	١٢	يسوع	يسرع
٢٦	٢٤	يصادق	يصادف
٣٠	٢٧	يديه	يداه
٣٣	١٣و١٦و١٧	خاتم، التلاثة، الاربعة	خاتم، الثلاث، الاربع
٣٤	٧	ببروز	بيروز
٣٦	٣	الخميس والاثنين	الاثنين والخميس
٣٦	١٣	كما انه	كما كان
٣٤	١١	الرياضيات	الرباضات
٣٥	٢	قنونى الكبرى	فتوتى الكبرى
٣٧	٩	واو زائدة	
٣٨	١و٣و٥	جده ، بيقى ، لفيقات	جوده ، ببقى ، لقيمات
٣٨	٧	متواضعا	وضيعا
٤٠	٨	نورليك	نور له ليل
٤٠	١٥	فنهرها	فنهرتها
٤٢	٢٢	منتشرون	منتشرين
٤٢	٢٣	اهل أهوال	أهل احوال
٤٣	١٣	أخلاف	اخلاق
٤٥	٨	لم يأتى	لم يأت
٤٧	٢٦	ووختنته	وختنه
٤٨	٢٠	مريدون	مريدين
٤٩	٢٢	بحذف السطر ٢٢	
٥٣	٥	لان الشيخ الطريقه	لان شيخ الطريقة

الصفحة	السطر	الخطــــأ	الصــــواب
٥٤	١٠	الهرشى	الهرشمى
٥٤	٢٣	ريوع	ربوع
٥٦	٦	الرياضيات	الرياضات
٥٧	١٣	يعلنه	يعلمه
٦٠	٢٤	عرضى	عرض
٦٤	٢٩	رسالته	رسائله
٦٥	٢٢	جادينا	حادينا
٦٦	٤	الدنيا	الدينا
٦٨	٢٥	غامشى	فامش
٧١	٢٨	صنوا	صونوا
٨١	١٢	فتأسى	فتأس
٨١	٢٤	وجت	وجدت
٨٤	١٧	علماء الاعلام	العلماء الاعلام
٨٧	١٦	فسه	نفسه
٨٨	٢و٩	مرضات ، وارضى	مرضاة ، وارض
٩٢	١٥	الميزات	الميزان
٩٣	٢٢	الابشار	الايثار
٩٥	١٠	رود	ورد
١٠٤	٢٢	احداها	احداهما
١٠٧	٢٤	لتشابه	بتشابه
١١٤	٢٠	العترضين	المعترضين
١١٥	١	اسلام	الاسلام

وهناك أخطاء أخر لم يسعفنا الوقت فى تصحيحها نرجوا تصحيحها ولكم الشكر على ذلك ..

الباب السادس . سقط هذا العنوان فى صفحة ١٨٧ ..

رقم الايداع ٣٩١٩ لسنة ١٩٨٣
مطابع سجل العرب


Bibliotheca Alexandrina
0348104